135

تاريخ المصريين

اليهود في مصر المملوكية

في ضوء وثائق الجنيزة

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

د. محاسن محمد الوقاد



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

تليجرام

هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون



تاريخ المصريين (١٣٥)



تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب



اليهود في مصر المملوكية

في ضوء وثائق الجنيزة

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. محاسن محمد الوقاد





الهيئة المصرية العامة للكتاب

الاشراف الفنى

محمـــود الجـــزار

تقـــــديم

يسرنى ان أقدم للقارىء الكريم هذا الكتاب عن « اليهود فى مصر المملوكية » فى ضـوء وثائق الجنيزة (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) للدكتورة محاسن محمد الوقاد . وهو فى الأصل رسالة علميـة حصلت بها صاحبتها على درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس .

واهمية الدراسة تتمثل فى اعتمادها على كل من المصـــادر العربية ووثائق الجنيزة ، وتصحيحها لبعض المفاهيم المغلوطة فى تاريخ المجتمع المصرى فى عصر المماليك . وبالتالى فهى جديـرة بالقراءة .

وتنقسم الدراسة الى اربعة أبواب يسبقها مدخل عن اليهود فى مصر الاسلامية قبل عصر المماليك ، وفى الباب الاول تتحـدث المؤلفة عن مكانة اليهود فى الدولة المملوكية ، فتتناول علاقتـهم بالطبقة الحاكمة ، ووظائفهم فى الدولة ، وتتعرض لمدى التزامهم بشروط عمر بن الخطاب . اما الباب الثانى ، فيتناول أحوال اليهود الاقتصادية وفيه تتحدث المؤلفة عن حرف وصناعـات اليهود ، ونشاطهم التجارى . اما الباب الثالث فيتناول المجتمـع اليهودى

وتقسيماته الطائفية ، وزعاماته الدينية . وتستكمل المؤلفة ذلك فى الباب الرابع ، الذى تتناول فيه الحياة الاسرية لليهود ، وأعيادهم واحتفالاتهم . وتتبع المؤلفة ذلك ببعض الملاحق المفيدة بلغت تسعة عشر ملحقا .

والكتاب بذلك يسد ركنا مهما فى المكتبة العربية كانت فى حاجة اليه . واملى أن ينتفع به الباحث الاكاديمى والمثقف العادى .

والله الموفق .

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

يمثل تاريخ اليهود فى مصر ابان عصر سلاطين المماليك جزءاً لا يتجزأ من المسار العام للتاريخ المصرى ، فلم يكن اليهود فى تلك الفترة كيانا منعزلا عن المجتمع المصرى ، أو بمعزل عن النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذا المجتمع ، بـــل كانوا يندمجون فى نسيجه .. شأنهم فى ذلك شأن بقية الطوائف الدينية الأخرى ، وقد سبق لى أن لاحظت ذلك بوضوح مـــن خـــلال دراستى لموضوع الطبقات الدنيا فى عصر سلاطين المماليك (١) ، حيث تعرضت فى أحد فصولها لتلك الطائفة من خلال دراســتى لعامة أهل الذمة فى القاهرة ، وأحسست وقتها بضرورة تكريس دراسة متخصصة لليهود فى مصر تحت حكم المماليك ، تتنـــاول علاقاتهم بالطبقة الحاكمة والوظائف التى شغلوهـــا وحقـــوقهم وشئونهم الاقتصادية وأوضاعهم الدينية وأحوالهـــم الاجتماعيـــة والثقافية نظراً للدور المهم الذى لعبوه فى المجتمـــع المصرى إبان تلك الفترة الزمنية .

---

(١) انظر محاسن محمد الوقاد ، الطبقـات الدنيـا فى القـاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٩١ م .

وقد دفعنى ايضا الى اختيار هذا الموضوع الخلاف المحتدم بين بعض المؤرخين العرب كالنويرى والمقريزى والقلقشندى وابن الحاج وابن قيم الجوزية وبين معظم المستشرقين من اليهود أنفسهم الذين تناولوا دور اليهود وابعاده فى التاريخ المصرى مثل المستشرق الفرنسى آشتور ، وجواتين ، ويعقوب مان ، ومارك كوهين الذين تعكس كتاباتهم وأبحاثهم وجهة النظر اليهودية الصرفة دون الأخذ فى الاعتبار بوجهة النظر الاسلامية أو حياد المؤرخين ازاء الوثائق التى يتناولها ، لاسيما وقد وصلنا العديد من الوثائق اليهودية المعروفة باسم وثائق الجنيزة التى نجدها للأسف مبعثرة بين المتاحف والمجموعات الخاصة الأوربية والامريكية والتى لم توجه اليها العناية الكافية من قبل المؤرخين العرب فى الأونة الأخيرة ، ومن ثم فان الدراسة المقترحة سوف تغطى نقصا كبيرا طالما عانت منه المكتبة العربية للدراسات التاريخية فى العصور الوسطى .

وسوف تقوم هذه الدراسة على المقابلة بين ما أورده المؤرخون العرب وبين ما جاء فى نصوص الجنيزة بصدد طائفة اليهود فى مصر ابان العصر المملوكى بهدف تصحيح العديد من المفاهيم المغلوطة بالنسبة للتاريخ للمجتمع المصرى بصفة عامة وللطوائف اليهودية بصفة خاصة ، تلك المفاهيم التى افلح المستشرقون فى ترويجها نتيجة لاعتمادهم الكلى على وثائق الجنيزة وحدها دون الرجوع إلى المصادر العربية ، الأمر الذى عاون على ترويج معلومات ومفاهيم خاطئة عن تلك الطائفة .

ولعل السبب فى اختيارى لعصر سلاطين المماليك على وجه الخصوص يرجع الى تميزه فى خصائصه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عما حازه أهل الذمة ومن بينهم اليهود من حريات وحقوق بلورت دورهم فى المجتمع المصرى ابان تلك الفترة .

وتعتمد هذه الدراسة بصفة أساسية كما سبق أن ذكرت على أسلوب المقارنة بين وجهة نظر المؤرخين العرب ووجهة نظر المستشرقين اليهود ، كما تعتمد على تحليل لأغلب وثائق الجنيزة التى وصلت الى أيدينا من هذه الفترة .

وقد قسمت البحث الى اربعة أبواب مسبوقة بمدخل مهدت فيه بدراسة عن أحوال اليهود منذ الفتح الاسلامى حتى قيام دولة المماليك ، ووضحت فيه بصورة عامـــة أحـــوالهم السيـــاسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وموقف الطبقة الحاكمة منهم .

وخصصت الباب الأول لمكانة اليهود فى الدولة المملوكيـــة وذلك من خلال ثلاثة فصول ، أستعرضت فى الأول منها علاقـــة اليهود بالطبقة الحاكمة والجزية الواجبة عليهم ، والشروط اللازمة لعقد الذمة معهم ، وموقف سلاطين المماليـــك الرســـمى منهم ، والألقاب التى منحتها لهم الدولة ، كما أبرزت دور رئيس اليهود فى الوساطة بين الدولة ورعاياها من اليهود ، ولجوء اليهود الى سلاطين المماليك فى حالة خروج رئيسهم عن الطريق الصواب ، كما استعرضت فيه المراسيم التى صدرت بشأن أهل الذمـــة ، وأوضحت ان هذه المراسيم كانت تصدر لتصحيح أوضاع معينة لأن اليهود عاشوا فى المجتمع المصرى كجزء لا يتجزأ منه .

وتناولت فى الفصل الثانى الوظائف المهمة التى عمـــل بهـــا اليهود فى عصر سلاطين المماليك ســـواء فى مجـــال الطب او فى الجهاز الادارى والمالى للدولة ، وبينت أن بعض الأطباء منهم تولوا رئاسة اليهود فى الوقت نفسه ، كما عمل بعضهم كأطباء فى بلاط سلاطين المماليك ، وأشرت أيضا الى موقـــف الفقهـــاء من استخدام الموظفين من غير المسلمين فى وظائف الدولة .

وعالجت فى الفصل الثالث من هذا الباب مدى التزام اليهود بالشروط العمرية وموقف سلاطين المماليك من بناء دور عبادة جديدة ، كما بينت كيف سمحت دولة المماليك لليهود بشراء أراضى ومنازل فى سائر أنحاء البلاد ، وتعرضت أيضا لملابس اليهود وعمائمهم والقيود التى كانت مفروضة عليهم ، ووصف الرحالة الأوروبيين واليهود لهذه الملابس ، وأشرت كذلك الى مواريث اليهود وطريقة تنظيمها والاشراف عليها ، وأوقافهم ورعاية سلاطين المماليك لهم ، ونوهت بمدى أحقية اليهود فى امتلاك الرقيق ، وموقف الفقه الاسلامى من ذلك ، ثم أنهيت هذا الفصل بالحديث عن الحالات التى تعرض اليهود خلالها للاضطهاد ابان العصر المملوكى ، وقمت بتوضيح ذلك .

وخصصت الباب الثانى لأحوال اليهود الاقتصادية زمن سلاطين المماليك من خلال فصلين تناولت فى الأول منهما حرف وصناعات اليهود ، وبينت أن نسبة كبيرة من اليهود قد عملت بالحرف والصناعات المختلفة ، كحرفة الصباغة ، وصياغة الذهب والفضة والنحاس ، وحرفة الخياطة ، وصناعة الكمسك والسكر ، وبينت مدى التدهور الذى أصاب الصناعات والحرف فى العصر المملوكى الثانى ، ومد انعكاسه على المجتمع المصرى ككل .

وخصصت الفصل الثانى للنشاط التجارى لليهود ، الذين مارسوا جميع أنواع التجارة من العطارة الى الأدوية ، وتجارة الخمور ، وتجارة النسيج والحرير وتجارة المحاصيل ، كما ناقشت فى الفصل موضوع تجارة الكارم ، ومدى مشاركة اليهود فيها وتجارة الرقيق وممارستهم للزنا ، وموقف القرآن الكريم من هذا الموضوع ، واشرت أيضا الى ممارستهم لأعمال الصرافة ،

واستعرضت فى هذا الفصل أيضا النشاط التجارى لليهود فى عصر المماليك الجراكسة ، وتحدثت عن سوق الجملون الصغيرة والكبيرة وكيف كانت مكتظة بحوانيت التجار من اليهود .

وعالجت فى الباب الثالث البنية الداخلية لجماعات اليهود فى عصر سلاطين المماليك من خلال فصلين استعرضت فى الأول منهما التقسيم الطائفى لليهود من ربانيين ، وقرائيين ، وسامرة ، ومدى الاختلاف بين الفرق الثلاث ، كما أشرت الى معابد اليهود وأماكنها ، وأماكن سكنى كل طائفة ، واستعرضت كذلك تنظيم شئون الطائفة الداخلى والموضوعات الادارية التى كان يتم مناقشتها داخل كل تنظيم ، ومصروفات الطوائف والخدمات الاجتماعية المتنوعة التى كانت تقوم بهالاعانة المحتاجين ومساعدة عابرى السبيل ، والقيام بدفع الجزية عن العاجزين ، كما ألقيت الضوء على كاتب الطائفة والواعظ والجزار (شوحيط) وبينت مهام كل منهم ، وأنهيت الفصل بالحديث عن وضع الطوائف اليهودية فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ووصف الرحالة اليهود لهذه الطوائف .

واستعرضت فى الفصل الثانى الزعامة الدينية والقضاء اليهود فى عصر سلاطين المماليك ، من خلال التعرض لدور الناجيد كرئيس للطوائف اليهودية وواجباته وحقوقه ومسئولياته نحو الطوائف الثلاث ، كما أشرت الى أهم ألقابه ، وكيفية اختياره ، وأشرت كذلك الى معاونيه ، ورواتبه وإهم المصادر المالية التى كانت تمول ذلك ، وتحدثت أيضا عن القضاء اليهودى ورئاسة الناجيد له ، واستعرضت مجالس القضاء اليهودى وكيفية تشكيلها ، وأشرت الى ديان اليهود الذى كان يحتل المرتبة الثانية بعد الناجيد ، ونوهت بأهم القضايا التى كانت تعرض على مجالس

القضاء ومضمونها والأحكام والعقوبات التى كانت تصدر بشأنها ، وحق اليهود فى اللجوء الى القضاء الاسلامي ، وموقف زعماء الطوائف اليهودية من اليهود الذين كانوا يلجئون الى القضاء الاسلامى والعقوبات التى كانت تفرض عليهم . واستعرضت كذلك موقف فقهاء الاسلام من بعض المسائل الخاصة باليهود ، والقيت الضوء على الحماية التى كانت تكفلها الدولة المملوكية لليهود ، وموقف القضاء الاسلامى من النساء اليهوديات ، وأنهيت الفصل بالحديث عن علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة من الناحية الادارية والقضائية .

أما الباب الرابع والأخير فقد خصصته للحديث عن الأوضاع الاجتماعية لليهود فى عصر سلاطين المماليك من خلال فصلين : تناولت فى الأول منهما أحوال الأسرة اليهودية فى العصر المملوكى ، من خلال دراسة منازل اليهود ، والزواج بمراحله المختلفة ، من خطبة ومهر ، والقيت الضوء على الشروط الشكلية للزواج ، كما تنالوت موانع الزواج عند اليهود ، واحتفالات الزواج وكيفية اتمامه ، وأشرت الى ظاهرة تعدد الزوجات وموقف الشريعة اليهودية من ذلك ، ثم تحدثت عن زواج اليبوم أى زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى وطقوس الاحتفال بهذا الزواج ، كما تحدثت عن الحياة العائلية للأسرة اليهودية ، وموقف الشريعة اليهودية من طهارة المراة الحائض ، وأهم الاحتفالات العائلية عند الأسرة اليهودية من ولادة وختان ، كما أشرت الى دور الأم اليهودية فى تربية الأطفال وتنشئتهم ، وتعرضت كذلك للمآتم والأحزان وما كان يتم خلالها داخل الأسرة اليهودية ، وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن ملابس اليهود فى العصر المملوكى الخاصة بالرجال والنساء ، من ملابس داخلية وخارجية ، وملابس للمنزل وملابس للطريق ، وأغطية الرأس ، وأغطية الوجه والخفاف ، كما أشرت أيضا الى ملابس الأولاد والبنات .

واستعرضت فى الفصل الثانى موضوع الأعياد والمواسم والاحتفالات عند اليهود وقسمتها الى أعياد شرعية تناولت ، فيها خمسة اعياد وردت فى التوراة هى عيد رأس السنة ، وعيد الكبور ، وعيد المظلة ، وعيد الفطير أو الفصح ، وعيد الأسابيع أو المنصرة أو الخطاب . بالاضافة الى مجموعة من الأعياد المحدثة اضيفت الى الأعياد الشرعية واحتفل بها اليهود فى العصر المملوكى أحياء لحوادث معينة مثل عيد الفوز وعيد الحنكة أو الحانوكة ، ويوم السبت ، وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن موسم الحج ومدى اهميته بالنسبة للحياة الدينية الخاصة بيهود مصر . وانهيت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها ، وذيلتها بمجموعة من الملاحق ووثائق الجنيزة ، وقائمة بالدوريات التى وردت بالرسالة وثبت تضمن أهم المصادر والمراجع التى استعنت بها فى اعداد هذهالدراسة .

وقد استلزم اعداد هذه الدراسة الرجوع الى العديد من الوثائق والمصادر والمراجع .

اولا : الوثائق :

يمكن تقسيم الوثائق التى أفادت البحث الى ثلاث مجموعات : تمثل المجموعة الأولى وثائق ديرسانت كاترين التى توضح لنا موقف الدولة الرسمى تجاه أهل الذمة ، كماتبرز لنا مدى حرص سلاطين المماليك على تأكيد روح التسامح الاسلامية تجاه أهل الذمة من يهود ونصارى .

وقد اعتمدت على النسخة المصورة على ميكروفيلم من هذه الوثائق ، المحفوظة بالمجلس الأعلى للثقافة بأرقام الفهرس الموجود بالمجلس نفسها .

أما المجموعة الثانية من الوثائق فنجدهـا فى ثنايا بعض المصادر العربية التى ترجع الى عصر المماليك مثل كتاب «تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور» لابن عبد الظاهر (٢) ، وكتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمرى (٣) ، وكتاب «صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى (٤)

---

(٢) هو محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر ، ولد بالقاهرة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م وتوفى به عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢ م ، كان كاتبا وشاعرا ، حاكى القاضى الفاضل فى اسلوبه والتزم السجع واتبع المحسنات البديعية ، كان أول من تولى منصب صاحب ديوان الانشا ، وله مؤلفات كثيرة ، أرخ ابن عبد الظاهر لحكم السلاطين الثلاثة الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والاشرف خليل بن قلاوون ، ويعتبر تاريخه على جانب كبير من الأهمية لأنه عاصر هؤلاء السلاطين ، وكان يكتب السر عندهم ولأنه دون النصوص الاصلية للمراسلات والمعاهدات ، انظر للمؤلف تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ م ـ ص ٢ ـ ١٢ .

(٣) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م الذى ترك لنا دائرة معارف واسعة وهى المعروفة باسم « مسالك الأبصار فى ممالك الامصار » التى ضمنها شيئا من التاريخ الذى يبدأ من عصر الهجرة ويمتد حتى سنة ٧٤٢ هـ/١٣٤٣م ويحتوى على مادة أصيلة بصدد عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون لاسيما أن والده العمرى وشقيقه قد شغلا على عصر ذلك السلطان بعض المناصب الادارية المهمة فى الدولة المملوكية ، بيد أن العمرى كان رجلا عنيدا مكابرا الأمر الذى جر عليه غضب السلطان الذى أدى الى اعتقاله ومصادرة أمواله ، بل وقطع يده والزج به فى السجن ؛ انظر أحمد عبد الرازق ، دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) هو أبو العباس القلقشندى المولود فى مدينة « قلقشندة » بمركز طوخ محافظة القليوبية ، ولد القلقشندى فى عام ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، واشتغل بالفقه وغيره وسمع من أبيه فى وقته ، وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وكتب الانشا ؛ وناب فى الحكم ، توفى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، أحمد رمضان ، تطور علم التاريخ الاسلامى ـ القاهرة ١٩٨٩ م ـ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

وترجع أهمية تلك الوثائق الى أنها تعالج أوضاع اليهود من خلال مجموعة التواقيع والوصايا الصادرة لرؤساء اليهود التى تتضمن شروط تولي مناصبهم ، وسلطات كل منهم ، ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات تجاه الدولة بصفة عامة واليهود بصفة خاصة ».

وتمثل وثائق الجنيزة (٥) المجموعة الثالثة من الوثائق وهى على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لدراستنا عن اليهود فى مصر المملوكية . وهى وثائق مدونة باللغة العربية بحروف عبرية ؛ أما

(٥) الجنيزة كلمة عبرية تشبه الكلمة العربية جنز بمعنى - دفن - قبر - حفظ - خبأ - أخفى ، وتشبه الكلمة الفارسية كيج التى تعنى « كنز - ثروة - مخزن - مستودع » عنها ، انظر بالتفصيل :
Goitein, The Documents of The Cairo Geniza as a Source For Mediterranean Social History, JAOS, No (2). 1960, p. 19 ; The Encyclopaedia of Islam, art. Geniza, III, Leiden, 1983, p. 987.
يوسف سدان ، دراسات حول الجنيزة لدى المسلمين .
-- Kirgath Sefer (55), Jerusalem, 1980, pp. 398-399 (in Hebrew).
وقد جرى العرف اليهودى على حفظ أي ورقة مكتوب عليها اسم الله ، وذلك بتخزينها فى حجرة مخصصة لهذا الغرض ملحقة بالمعبد كذلك الحال بالنسبة لحجرة التخزين التى عثر عليها فى معبد « بن عزرا » بالفسطاط وبعض الاوراق التى عثر عليها مدفونة أيضا فى مقابر اليهود بمنطقة البساتين انظر :
— Goitein. The Cairo Geniza as a Source for the History of Muslim Civilisation. SI. III. IV. 1955, p. 75 ; The Geniza Collection of the Universty Museum of the University of Pennsylvania, JQR. 49, 1958, p. 36 Cohen (M.) The Geniza Documents of the Cairo as a Source for Egyptian History, BIAC, No. (2), 1983 p. 5 ;
ويقع الكنيس الذى اكتشفت فيه الجنيزة القاهرية فى الفسطاط وتقوم حجرة الجنيزة به فى نهاية بهو النساء بالدور الثانى ، انظر :
Sadn — (J.). Genizah and Genizah Like Practices in Islam and Jewish Traditions, BO, XAIII no 1/2 Leiden, 1986. p. 38.

المراسلات الخاصة بالحزف والصناعات والخطابات الشخصية كتبت باللغة العربية ، كذلك الحال بالنسبة لوثائق التقاضى والوثائق القانونية ووثائق الطلاق وعقود الزواج (٦) .

وتمدنا وثائق الجنيزة القاهرية بمعلومات مهمة واساسية من تاريخ اليهود فى العصور الوسطى (٧) كما تمدنا بالعديد من الاشارات الى علم الموسيقى والفنون (٨) وفن اعداد العقاقير (٩) وتزودنا أيضا ببعض الموضوعات الأدبية التى تشتمل على الشعر العبرى لطائفتى الربانيين والقرائيين بالاضافة الى الدراسات الدينية ذات الطابع الأدبى (١٠) ، وبعض أجزاء من الشعر الدينى (١١) ، ومثل هذه المعلومات لا غنى عنها فى دراسة الحياة الروحية لليهود تحت الحكم الاسلامى فى العصور الوسطى (١٢) .

---

(٦) Goitein The Geniza Collection, p. 36 ; The Encyclopaedia art Geniza, p. 987 ; The Commercial Mail Service in Medieval Islam, JAOS, 84, No. (2) 1964, p. 119 ;

عطية القوصى ، الجديد فى وثائق الجنيزة الجديدة ، المؤرخ المصرى ، العدد (١٠) يناير ١٩٩٣ م ، ص ١٨٠ .

(٧) Cohen, The Jews under Islam of the rise of Islam to Sabbatai zevi, Princeton University, 1981, p. 175.

(٨) Reif, S., Cairo Genzah Material at Cambridge University Library of the Israeli academic Center in Cairo No. 12, 1989, p. 31.

(٩) Gottheil (R.), A Fragment on Pharmacy from the Cairo Genizah, JRAS, London, 1935.

(١٠) Cohen, The Jews under Islam p. 175.

(١١) احمد حسين عفيفى ، اللغة العبرية الحديثة فى الفكر والصحافة بحث فى احياء اللغة العبرية الحديثة ونشأة الصحافة العبرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ١٩٧٩ م ، ص ٢٧ .

(١٢) Cohen, The Jews under Islam, p. 176.

وتضم وثائق الجنيزة أيضا العديد من المعلومات عن نظام الحياة اليومية لدى اليهود التى تلقى بدورها الضوء على الأحوال الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ليهود العصور الوسطى (١٣) ، كما تغطى وثائق الجنيزة فترة تاريخية طويلة تمتد من العصر الفاطمى حتى العصر الحديث (١٤) .

وقد أفادت وثائق الجنيزة فى دراسة الحياة الاقتصادية وأمدتنا ببعض المعلومات عن الجزية التى كان يدفعها أهل الذمة (١٥) ، وأفادت فى دراسة الحياة العائلية ، وعلاقة الرجل بالمرأة وبالأسرة عموما (١٦) .

لذلك كان علينا عدم اغفال هذه الوثائق باعتبارها مصدرا مهماً من مصادر دراسة اليهود فى مصر المملوكية .

---

(١٣) David (Abraham), Jewish Life in Egypt in the Late Middle Ages, BIAC, No (10) 1988, p. 17 ; Yedida (K. Stillman), Cairo Geniza Studies, Tel-Aviv University 1980, p. 2.

(١٤) Khan. (Geoffrey), A Petition to the Fatimid Coliph. Al-'Amir, JRAS, 1990, p. 44.

(١٥) Goitein, Evidence on the Muslim Poll — Tax from Non-Muslim Sources a Geniza Study, JESHO VI, Part III 1963, p. 278.

أما فيما يتعلق بالجزية ، انظر الفصل الأول من الباب الأول .

(١٦) عطية القوصى ، الجديد فى وثائق الجنيزة ، ص ٧٨١ ؛ ليلى ابراهيم أبو المجد ، الوثائق اليهودية فى مصر العصر الوسيط و الجنيزة القاهرية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ١٩٨٧ م ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

ثانيا : المخطوطـات :

ويأتى على راسها مخطوط « شروط النصارى » (١٧) لابن زين القاضى (١٨) ، الذى افادنا فائدة كبيرة فى بعض جوانب البحث وبخاصة فيما يتعلق بنص « الشروط العمريـــة » أو « العهـد العمرى » المنسوب الى عمر بن الخطاب .

ومخطوط « المذمة فى استعمال أهل الذمة » (١٩) لابـــن النقاش (٢٠) ، وقد بلور هذا المخطوط الرأى المعارض لاستخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة ، ودلل على ذلك بالعديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية وما آثر عن السلف فى منـــع استخدام اليهود والنصارى ، فضلا عن المبررات الأخـــرى التى يأتى بها المؤلف كدليل على خيانتهم وعدم أمانتهم .

ومخطوط « المقصد الرفيع الحاوى الى صناعة الانشـــا » للخالدى (٢١) ، الذى يلقى الضوء على أوضاع اليهود وطوائفهم واعيادهم ومواسمهم .

---

(١٧) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٢٥٢ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ٢٥٢٩٥ .

(١٨) هو القاضى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن زين القاضى كتبه سنة ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥ م انظر سيدة كاشف ، مصر الاسلامية وأهل الذمة ، القاهرة ١٩٩٣ ـ ص ٤٢ ، ٤٣ .

(١٩) مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ تاريخ ميكروفيلم رقم ١٠٦٥٤ .

(٢٠) ابن النقاش المصرى (شمس أبى أمامة من علماء القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى . انظر سيدة كاشف ، مصر الاسلامية . ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢١) مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ ، ت ٩٣٠ هـ ١٥٢٣ م .

ثالثا : المصـــادر التاريخية :

أما فيما يتعلق بالمصادر التاريخية التى اعتمدنا عليهـــا فى اعداد هذا البحث ، فيعد كتاب النويرى (٢٢) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » من الموسوعات المهمة فى العصر المملوكى الـــذى تضمن معلومات وافية أفادت الدراسة فيما يتعلق باحتفـــالات اليهود وأعيادهم ومواسمهم .

وكتاب المقريزى (٢٣) « المواعظ والاعتبار بذكر الخـــطط والآثار » الذى يعد من أشهر المؤلفات التى أفادت البحث فيمـــا يتعلق بأحوال اليهود الخاصة وطوائفهم وإعيادهم ومواسمهـــم ومعابدهم ... وما الى ذلك .

---

(٢٢) هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم المعروف بشهاب الدين النويرى ، المولود بقرية (نويرة) ببنى سويف سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، وقد جمع فى موسوعته خمسة فنون الفن الأول ، فى السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية ، والفن الثانى فى الانسان وما يتعلق به والفن الثالث فى الحيوان الصامت ، والفن الرابع فى النبات ، والخامس فى التاريخ وتوفى عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م ، انظر خير الدين الزركلى ، الاعلام ، قاموس لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ، دار العلم للملايين ـ القاهرة ط (٥) ١٩٨٢ م ، جـ ١ ص ١٦٥ ؛ أحمد رمضان ، تطور علم التاريخ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢٣) هو أحمد بن على المقريزى ، ولد بالقاهرة فى حارة برجوان عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م ، وهى منطقة من أعظم مناطق القـاهرة امتـلا بالعمران والصخب وضوضـــاه الحياة وقد عمل طويلا فى عدة مناصب حـــكومية كبيرة مثل ديوان الانشاء بالقلعة ثم قاضيا عند قاضى قضاة الشافعية ، فاماما لجامع الحاكم ومدرسا للحديث بالمدرسة المؤيدية ، ثم اختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة ، ثم عمل بالتدريس فى دمشق وعاد الى القاهرة ليتوفر على الدرس والاشتغال بالعلم ، ولاسيما التاريخ ، وتوفى عام ٨٤٥ هـ /١٤٤٢ م ، محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى مصر فى القرن ٩ هـ / ١٥ م القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٧ ، ٩ ؛ أحمد عبد الرازق ، دراسات ، ص ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١١٨ .

وكتاب « السلوك فى معرفة دول الملوك » الذى يعد بدوره من المصادر المهمة التى أمدتنا بمعلومات مهمة بالنسبة لهذه الدراسة .

ومن أبرز المصادر التاريخية التى أعتمد عليها البحث كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى ، وهو من الموسوعات المهمة فى العصر المملوكى التى افادت البحث عن احوال اليهود وطوائفهم ، وأعيادهم ومواسمهم .

وكتاب ابن حجر (٢٤) « إنباء الغمر بأنباء العمر » الذى أمدنا ببعض المعلومات عن أحوال اليهود ، اذ حرص ابن حجر على ابراز الجانب الشرعى لتصرفات الدولة أو القضاة تجاه اليهود ، وقد حذا حذوه العينى (٢٥) فى كتابه « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » .

---

(٢٤) هو احمد بن على بن محمد العسقلانى الاصل المصرى المولد والمنشأ نزيل القاهرة ، عرف بابن حجر ولد عام ٧٧٣هـ / ١٣٧١ م ، وتوفى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ، نشأ يتيما ، ودخل الكتاب وله خمس سنين وحفظ القرآن وله تسع سنين سمع صحيح البخارى ، ثم حبب اليه النظر فى التواريخ ، ولى مشيخة الحديث وتدريس الفقه ، بأماكن من الديار المصرية وخطب بجامعى عمرو والأزهر ، وفى عام ٨٢٧ هـ / ١٤٢٢ م فوض اليه السلطان الأشرف برسباى القضاء بالقاهرة فباشر ذلك بعفة ونزاهة ؛ وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة والذكاء المفرط وسعة العلم ، انظر للمؤلف الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء نشره محمد سيد جاد الحق ، ط (٢) القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٢ .

(٢٥) هو أبو محمد محمود بن احمد بن موسى بدر الدين العينى ، ولد عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م فى عينتاب ، وهى بلدة صغيرة بين حلب وأنطاكية ، واختير لوظيفة الحسبة بالقاهرة سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م ، بدلا من المقريزى فظل هذا ناقما على ذاك من اجل ذلك طوال أيام حياته ، وهذا فضلا عن توليه فى الوقت ذاته للعديد من الوظائف الرفيعة ، وخاصة زمن السلطان الاشرف برسباى الذى

- ويعد كتاب ابن تغرى بردى (٢٦) « النجوم الزاهر فى ملوك مصر والقاهرة » من المصادر المهمة أيضا بالنسبة لهذه الدراسة وقد أفدت منه فى بعض جوانب البحث مثل بعض المراسيم التى عارضت استخدام الموظفين من أهل الذمة فى وظائف الدولة .

ويحتل كتاب السخاوى (٢٧) « التبر المسبوك فى ذيل السلوك » مكانة مهمة بين المصادر التاريخية لأنه يغطى الفترة الأخيرة من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى حتى بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ويمدنا

جعله قاضى القضاة الحنفية سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥ م وأغلب الظن أنه كان لتمكن العينى من اللغة التركية أثر كبير لما تهيأ له من حظوة لدى سلاطين المماليك ، وتوفى العينى سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ، تاركا وراءه ثروة ضخمة من المؤلفات الأدبية والتاريخية التى اهمها كتابه « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ». انظر أحمد عبد الرازق دراسات ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٦) هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهرى الذى ولد بالقاهرة فى عام ٨١٢ هـ / ١٤١١ م من أم تركية كانت جارية لدى السلطان برقوق ، وكذلك فان والده كان موظفا فى البلاط المملوكى . وقد عاش المؤرخ فى بحبوحة من العيش بصفته أحد أبناء الأمراء الذين عرفوا فى ذلك الوقت باسم أولاد الناس ، وقد احتل ابن تغرى بردى مركز الصدارة بين المؤرخين بعد وفاة المقريزى ، عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، انظر زيادة ، المؤرخون فى مصر ، ص ٢٦ ، أحمد عبد الرازق ، دراسات ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢٧) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوى مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب أصله من سخا (من قرى مصر) ولد فى القاهرة وتوفى بالمدينة ، ساح فى البلدان سياحة طويلة وصنف زهاء مائتى كتاب أشهرها « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » اثنا عشر جزءا وله « شرح ألفية العراقى » فى مصطلح الحديث والمقاصد الحسنة فى الحديث و « القول البديع فى أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » وذيل لكتاب رفع الاصر عن قضاة مصر . توفى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ، الزركلى . الأعلام ، ج ٦ ، ص ١٩٤ .

بالعديد من المعلومات الفقهية والشرعية المتعلقة باليهود ، كما يكشف عن استعانة اليهود بالحجاب عندما يفشلون فى الحصول على حقوقهم عن طريق قضاة الشرع .

ولا ننسى أيضا كتاب ابن أياس (٢٨) « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » الذى يعد من المصادر التاريخية المهمة لعصر سلاطين المماليك الجراكسة ، وأوائل العصر العثمانى بمصر ، وقد أمدنى بالعديد من التفاصيل المهمة عن الأطباء الموظفين اليهود فى العصر المملوكى .

رابعا : كتب الطبقات والتراجم :

ولهذه الكتب اهمية خاصة لأنها تكمل أوجه القصور فى بعض المصادر التاريخية لأنها تترجم للأشخاص وتلقى الضوء على حياتهم العامة والخاصة وتبرز مدى مشاركتهم فى أوجه النشاط الانسانى والعلاقات الاجتماعية ، كما تكشف عن دورهم فى الحياة السياسية وعن دورهم فى الحياة العلمية والدينية ، لذا تعد على قدر كبير من الأهمية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن أهم هذه الكتب التى افادت البحث كتاب ابن خلكان (٢٩) « وفيات الأعيان وابناء ابناء الزمان » ، وكتاب

---

(٢٨) هو محمد بن أحمد بن اياس المصرى الحنفى ، ولد بالقاهرة فى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ، وابن اياس شبيه بأبى المحاسن من حيث ان كلا منهما سليل أسرة مملوكية ، وظل معظم حياته متمتعا باقطاع وافر ، فعاش حياة راضية ، انظر زيادة ، المؤرخون فى مصر ، ص ٢٩ ، ٩٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، دراسات ص ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٢٩) هو أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ابن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، انظر للمؤلف كتاب وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، ٤ اجزاء تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ م .

الذهبى (٣٠) « سيرة أعلام النبلاء » وكتاب ابن شاكر الكتيبى (٣١) « فوات الوفيات » وكتاب ابن أيبك الصفدى (٣٢) « الوافى بالوفيات » ، وكتاب ابن حجر العسقلانى « الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة » (٣٣) ، وكتاب ابن تغرى بردى « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » (٣٤) ، وكتاب السخاوى « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » (٣٥) وكتاب ابن العماد (٣٦) « شذرات

---

(٣٠) هو محمد بن أحمد بن عثمان الشيخ الامام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى ، أتقن الحديث ورجاله وعرف تراجم الناس ، جمع الكثير ، وأكثر من التصنيف ، ومن تصانيفه « كتاب تاريخ الاسلام » عشرين مجلدا وكتاب تاريخ النبلاء « عشرين مجلدا » و « طبقات القراء » و « طبقات الحفاظ مجلدان و « العبر فى خبر من غبر » مجلدان وكان مولده فى عام ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ووفاته ١٣٤٧/٧٤٨ م انظر محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى ، فوات الوفيات ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ م ، ج ٢ ص ٣٧٠ ، ص ٣٧١ ، أحمد عبد الرازق دراسات ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣١) هو محمد بن شاكر بن أحمد الكتيبى ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م انظر فوات الوفيات ، المقدمة .

(٣٢) هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفتى ، ت عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٢ م انظر الوافى بالوفيات ، اسطنبول ١٩٤٩ م ، المقدمة .

(٣٣) خمسة أجزاء قام بنشرها محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

(٣٤) نشر الجزء الأول محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عاشور القاهرة ١٩٨٥ م ، الجزء الثانى تحقيق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عاشور ، دار الكتب المصرية ١٩٨٦ م ، الجزء الثالث تحقيق محمد عبد العزيز ، دار الكتب ١٩٨٦ م ، الجزء الرابع تحقيق محمد محمد امين ١٩٨٦ م ، الجزء الخامس تحقيق نبيل محمد عبد العزيز دار الكتب ١٩٨٨ م ، الجزء السادس تحقيق محمد محمد أمين دار الكتب القاهرة ١٩٩٠ م الجزء السابع تحقيق محمد محمد امين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ م .

(٣٥) طبعة القاهرة عام ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

(٣٦) هو أبو الفلاح عبد الحى بن العماد ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨ م انظر شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، مكتبة القدسى طبعة ١٤٥١ هـ .

الذهب فى اخبار من ذهب » ، وكتاب الشوكانى (٣٧) « البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع » .

خامسا : كتب الرحالة :

وقد أمدتنا بدورها بالعديد من التفاصيل التى أغفل المؤرخون فى كثير من الأحيان ذكرها والحديث عنها ، وترجع أهميتها الى أن ما يعتاده أهل البلاد ويرونه أمرا طبيعيا لا يسجلونه ، ولكنه حينما يصطدم بعيون الغرباء فانهم يسارعون الى الحديث عنه وتسجيله ، وهو ما يوفر لنا مادة طيبة عن أحوال البلدان التى عاش بها اليهود فى تلك الآونة وهى تنقسم الى نوعين :

رحالة عرب ورحالة أجانب .

الرحالة العرب :

ويأتى على رأسهم كتاب ابن سعيد المغربى (٣٨) « النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » الذى يعد من الكتب المهمة التى أفادت البحث فيما يتعلق بالحرف والمهن التى عمل بها اليهود .

---

(٣٧) هو محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع من جزءين ط (١) القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٣٨) ابن سعيد المغربى ٦١٠ ـ ٦٨٥ هـ / ١٢١٤ ـ ١٢٨٦ م ، هو على ابن موسى بن محمد عبد الملك بن سعيد أبو الحسن نور الدين مؤرخ أندلسي من الشعراء العلماء بالأدب ، ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة وقام برحلة طويلة زار فيها مصر والعراق والشام وتوفى بتونس وقيل فى دمشق. من تآليفه « المشرق فى حلى المشرق » و « المغرب فى حلى المغرب » أربعة مجلدات طبع منها جزءان و « الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المئة السابعة » و « ريحانة الأدب » وغيرها من المؤلفات عنه انظر الزركلى ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ٢٦ .

كذلك كتاب ابن بطوطة (٣٩) « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة » وهو من كتب الرحلات المهمة بالنسبة لهذه الدراسة ، فقد أمدنا ابن بطوطة بوصف شائق لمدينة قوص باعتبارها إحدى المدن التي سكنها اليهود ، وقد زارها مرتين الأولى في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م والثانية في سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م بعد عودته من الصين وذكر « أنها غنية بمواردها الكثيرة وحدائقها وأسواقها الغنية » .

وهناك أيضا كتاب الحسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الافريقي (٤٠) « وصف أفريقيا الذى تضمن معلومات وافية افادت الدراسة فيما يتعلق بحرف اليهود وبخاصة صياغة الذهب والفضة ، وأمدني بالعديد من التفاصيل المهمة عن منطقة صائغي الذهب والتي تقع على الطريق الرئيسي لحي بين القصرين ، وأن عدداً كبيراً من اليهود عملوا في صياغة الذهب وأن أعمالهم تركزت في حي الصاغة المذكور .

---

(٣٩) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (٧٠٣هـ / ١٣٠٤ م) نسبة الى لواته احدى قبائل البربر ، المعروف بابن بابن بطوطة ولقبه شمس الدين ولد في طنجة ، ولما بلغ العشرين من عمره ذهب للحج ، وكان محبا للتجوال في بلدان العالم ، واستغرقت رحلته تسعا وعشرين سنة زار خلالها مصر وسوريا وأفريقيا وآسيا الصغرى وروسيا والهند والصين والاندلس والسودان وقد سمى مجموعة أخباره « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » المعروفة برحلة ابن بطوطة ، وقصة رحلاته من أطرف القصص وأجزلها نفعا لما فيها من وصف العادات والأخلاق ، وفوائد تاريخية وجغرافية وأسماء المدن وقد اهتم بهنا المستشرقون فترجموها ، انظر رحلة ابن بطوطة بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر ، جده ، بدون تاريخ .

(٤٠) قام بزيارة مصر أول القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وقد عرف باسم جيوفاني ليون ، وقد أخذ هذا الاسم عن البابا ليو العاشر =

الرحـــالة الأجـــانب :

يُعَد كتاب الرحالة طافور (٤١) « رحلة طافور » من الكتب المهمة بالنسبة لهذه الدراسة ، فقد أمدنى بالعديد من التفاصيل المهمة عن الموظفين اليهود فى العصر المملوكى وبخاصة من عمـل فى مهنة الترجمة فى زمن سلاطين المماليك .

وينفرد كتاب « Jewish Travellers » (٤٢) ومؤلفة ادلر ، بأهمية كبرى لأنه يتضمن عددا كبيرا من الرحالة ومنهم ميشولام وعوبديا وهما الوحيدان اللذان زارا مصر من بين الرحالة الذين ذكرهم ادلر فى كتابه ، فقد قام الرحالة ميشولام بزيارة مصر فى

= الذى كان يعرف قبل وصوله الى البابوية باسم جيوفانى دى مديتش ، وكان الحسن الوزان فى بداية الأمر مملوكا له ولكنه لم يلبث أن أعتقه وعمده الى المسيحية وكان له الأب الروحى ، كما عرف باسم ليون الغرناطى ، غير أنه لما نشأ فى افريقيا اشتهر باسم ليون الافريقى ، زار القاهرة فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧ م ، وأشار الى مقتل السلطان المملوكى قنصوه الغورى على أيدى السلطان سليم ، كما عرض الى عادات المصريين وتقاليدهم كذلك عرض للأنظمة المملوكية وأهم المناصب المدنية والعسكرية فى السلطنة قبل سقوطها ، انظر جمال زكريا قاسم ، كتاب وصف أفريقيا وتاريخها للحسن بن محمد الوزان المسمى بليون الافريقى ، حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس م ١١ ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٦ .

(٤١) قام الرحالة طافور بزيارته لمصر فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، توفى طافور عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤ م انظر رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ترجمة وتقديم حسن حبشى ، دار المعارف ١٩٦٨ ، مقدمة المؤلف ، ى· ل· جيلان محمد عباس ، اثار مصر الاسلامية فى كتابات الرحالة العرب والاجانب منذ الفتح العربى ، وحتى نهاية عصر المماليك الجراكسة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة حلوان ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٣ .

(٤٢) Adler. (E.N.), Jewish Travellers, London, 1927.

سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، أما عوبديا فقد زارها فى عام ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م ، وقد تضمنت رحلاتهما الكثير من المعلومات عن الناجيد باعتباره رئيساً لليهود وعن دوره فى الاشراف على النشاط الدينى لمختلف الطوائف اليهودية ، والصلاحيات التى كان يتمتع بهـا ومعاونيه ، واشار الى اعداد يهود مصر وتحدثا عن أحوالهم الدينية والاجتماعية ، وعن كيفية استقبالهم ليوم السبت ، مما يجعـل رحلتيهما على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لهذه الدراسة .

وهناك أيضا رحلة فلكس فابرى (٤٣) الـذى زار مصر فى عام ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م وأمدنا بالعديد من التفاصيـل المتعلقـة بملابس اليهود وألوانها والدواب المستخدمة فى تنقلاتهم ، فقـد كان محظورا عليهم السير داخل المدينة ممتطين الحمير ، كما امدنا بوصف شائق لبعض المحكوم عليهم بالسجن ، وعن كيفية سيرهم داخل أحياء القاهرة مقيدين بالسلاسل والجنازير واستعطافهـم للمارة بصوت عال طالبين الصدقة والمساعدة مما يجعل لرحلته اهمية خاصة فى هذا البحث .

ولا ننسى أيضا الرحالة الالمانى أرنولد فون هارف (٤٤) الذى زار مصر فى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م ، الذى أمدنا بدوره بالعديـد من المعلومات التى أفادت البحث فى كثير من المواضـع ، فقـد حدثنا عن تنقلاته بصحبة بعض المماليك وتردده على منازل بعض اليهود وعن مشاهدته لهم فى أثناء صناعتهم للخمور ، كما امدنا بوصف لملابس اليهود وألوانها .

---

(٤٣) Fabri - (Félix, Voyage en Egypte de Félix Fabri, 1483; Institut Francais d'archéoligie Orientale, 1975.

(٤٤) Letts. (M.), The Pilgrimage of Arnold Von Harff, London 1946.

اما الرحالة جان تنود (٤٥) الذى زار مصر عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، فقد أشار الى أن يهود مصر كانت لهم حاراتهم وأسواقهم ومعابدهم ، وقدر عددهم بعشرة آلاف يهودى .

وكتاب Larrivaz (٤٦) الذى يعد من الكتب المهمة ، فقد ورد به أن يهود القاهرة كانوا يتعيشون من التجارة والعمل ببعض الحرف ، مما يجعل له اهمية كبيرة بالنسبة لهذه الدراسة .

سادسا : الكتب الفقهية :

والباحث فى موضوع اليهود زمن سلاطين المماليك لا يستطيع أن يغفل بأى حال من الأحوال الكتب الفقهية المعاصرة مثل كتاب النووى (٤٧) « منهاج الطالبين وعمدة المفتين » الذى يمتلىء بالجوانب الفقهية والشرعية التى تتعلق بأهل الذمة بصفة عامة واليهود بصفة خاصة لا سيما فيما يتعلق ببعض القضايا التى أثيرت بين اليهود وغيرهم ، وموقف قضاة المسلمين منها كشهادة الذمى ضد الذمى ، وشهادة الذمى ضد المسلمين ، وعقوبة المسلم الذى يقتل يهوديا ، وميراث أهل الذمة ، والآراء الفقهية الخاصة بهذه الموضوعات وغيرها من المسائل المتعلقة باليهود وموقف الفقه الاسلامى بمذاهبه الأربعة منها .

---

(٤٥) Schefer, Le Voyage D'Outremer de Jean Thenaud, Paris, 1864.

(٤٦) Larrivaz, Le Saintes Pérégrination de Bernard de Bredenbach, Le Caire, 1904.

(٤٧) هو يحيى بن شرف الدين النووى (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ / ١٢٣٣ ـ ١٢٧٧) . خير الدين الزركلى الاعلام ، جـ ٨ ، ص ١٤٩ .

وهناك أيضا كتاب الفقيه الحنبلي ابن تيمية (٤٨) « مجموعة فتاوى » الذى يمتلىء بالجوانب الفقهية والشرعية المتعلقة بالنواحى القضائية والمسائل الفقهية كموقف الاسلام من اليهود سواء فى بيع الخمور ، أو فى دية الذمى وغير ذلك من المسائل الفقهية .

وكتاب الفقيه المغربى ابن الحاج (٤٩) « المدخل الى الشرع الشريف » الذى ينفرد بأهمية كبيرة لأنه يتضمن الكثير من المعلومات حول التأثيرات اليهودية فى عادات وتقاليد المجتمع المصرى ابان القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، كما يوضح هذا الكتاب أيضا روح الوفاق والوئام الاجتماعى التى سادت العلاقات بين المسلمين واليهود ابان العصر المملوكى ، كما يشتمل على العديد من أوجه النقد لمختلف نواحى الحياة لما ساد فيها من فساد وانحلال دينى وأخلاقى ، ويسخر من بعض الأوضاع القائمة السائدة فى عصره ، لذا يعد على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لموضوع هذا البحث .

وهناك كذلك كتاب إبن قيم الجوزية (٥٠) « أحكام أهل الذمة » الذى يزخر بالمعلومات عن موقف الشريعة الإسلامية من

---

(٤٨) هو تقى الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)
انظر مجموعة فتاوى شيخ الاسلام لتقى الدين بن تيميه ط (١) القاهرة ١٣٢٨ هـ .

(٤٩) هو الامام العالم العامل ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى الشهير بابن الحاج ، كان فاضلا عارفا يقتدى به اصحاب القلوب منهم ابو محمد عبد الله بن ابى جمرة ، عاش بضعا وثمانين سنة وتوفى بالقاهرة عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م : انظر المدخل ، ٣ اجزاء ، ط (١) القاهرة ١٩٢٩م ، ج ١ .

(٥٠) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر ، ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م ، انظر احكام اهل الذمة ، نشره صبحى صالح دمشق ١٩٦١ ، المقدمة

أهل الذمة سواء من ناحية عقد الذمة أو الجزية أو وضعهم فى المجتمع ، كما يضم عرضا لوجهات نظر فقهاء المذاهب الأربعة ، وقد أفدت منه بصدد عقد الذمة والجزية الواجبة على اليهود .

وكتاب خليل بن اسحق (٥١) « مختصر خليل » الذى أفاد البحث بصدد الجوانب الشرعية والفقهية المتعلقة بأهل الذمة من يهود ونصارى .

وكتاب السبكى (٥٢) « معيد النعم ومبيد النقم » وهو يعد بدوره من المؤلفات التى تعرضت للعلاقات الاجتماعية والسلوك الخارج عن الشرع وطرق الاصلاح ، كما أشار الى بعض الحرف والمهن التى عمل بها اليهود وطرق الغش التى تفشت فى هذه الحرف وكيفية معالجتها ، لذا كان من المصادر المهمة لبعض أجزاء هذا البحث لا سيما فيما يتعلق ببعض الحرف التى مارسها اليهود .

---

(٥١) هو خليل بن اسحق بن موسى المالكى المعروف بالجندى قرأ فى فقه المالكية ، ثم درس بالشيخونية وأفتى وأفاد ولم يغير فى زى الجندية ، وكان عفيفا نزيها له مختصر فى الفقه مفيد ، وكان ابوه حنيفا وكانت وفاة الشيخ خليل فى عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٥٢) هو التاج السبكى عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ولد بالقاهرة عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م ونشأ فى بيت عريق فى العلم والتقى بالرياسة فأبوه قاضى القضاة تقى الدين السبكى ، تلقى العلم عن ابيه وعن غيره من علماء مصر ، تولى نيابة الحكم عن أبيه قاضى القضاة ، وظل فى منصب قاضى قضاة الشام ووظائف اخرى جليلة حتى اصيب بالطاعون وتوفى فى عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩ م انظر السبكى معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد على النجار ، ابو زيد شبلى ، ط (١) القاهرة ١٩٤٨ . انظر المقدمة .

وكتاب صدر الدين أبو عبد الله (٥٣) « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » الذى يلقى الضوء على الجوانب الفقهية والشرعية ، ويمدنا بصورة واضحة عن الأحكام الفقهية المتعلقة باليهود والجزية المفروضة عليهم ، وقد أفدت منه فى التعرف على الأحكام القضائية المتعلقة باليهود والجزية الواجبة عليهم .

ولا ننس أيضا كتاب الغزى (٥٤) « فتح القريب المجيب فى شرح الفاظ التقريب » وهو يعرف أيضا « بشرح ابن قاسم على متن أبى شجاع » وبه معلومات وافية أفادت الدراسة فيما يتعلق ببعض القضايا التى أثيرت بين اليهود وغيرهم ، وموقف قضاة المسلمين منها ، والآراء الفقهية الخاصة بميراث أهل الذمة ، وغيرها من المسائل الفقهية المتعلقة باليهود ، وموقف الفقه الاسلامى بمذاهبه الأربعة .

سابعا : كتب الحسبه :

وقد اشارت كتب الحسبة التى الفت فى العصر المملوكى الى الشروط العمرية والى القيود المفروضة على اهل الذمة ، كذلك القت الضوء على عقد الذمة والجزية الواجبة على أهل الذمة ، كما اشارت هذه المصادر الى بعض الحرف والمهن التى عمل بها اليهود وطرق الغش والتدليس التى تفشت فى هذه الحرف وكيفية معالجتها ، كما أمدتنا هذه المصادر ببعض المعلومات عن

---

(٥٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن الحسين أبو عبد الله صدر الدين بعد سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م انظر الزركلى ، الأعلام ، جـ ٦ ، ص ١٩٣ .

(٥٤) هو محمد بن قاسم بن محمد بن أبو عبد الله شمس الدين الغزى ويعرف بابن قاسم (٨٥٩ ـ ٩١٨ هـ / ١٤٥٥ ـ ١٥١٢ م) ، انظر الزركلى ، جـ ٧ ، ص ٥ .

وضع اليهود فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك ، لذا كانت كتب الحسبة من المصادر المهمة لبعض أجزاء هذه الدراسة ، لا سيما فيما يتعلق ببعض الحرف التى مارسها اليهود .

ويأتى على رأسها كتاب ابن الأخوة (٥٥) « معالم القربة فى أحكام الحسبة »وكتاب ابن بسام (٥٦) « نهاية الرقبة فى طلب الحسبة » ، وكتاب ابن تيمية « الحسبة فى الاسلام » .

يضاف الى هذه الوثائق والمصادر مجموعة كبيرة من المراجع والأبحاث الحديثة باللغات العربية والأجنبيسة التى عاونت فى فى استجلاء غوامض هذه الدراسة ، وقد أضربت هنا عن الاشارة اليها لكثرتها وأكتفيت بالاشارة اليها فى هوامش الدراسة كما أثبتها فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الدراسة .

* * *

وبعد أن استقامت هذه الدراسة بحثاً مقروءاً ارى لزاما على التصريح بماأجده فى نفسى من عرفان لأهل الفضل ، وفاء لحسن صنيعهم وعرفانا بجميل فضلهم ؛ وأحسب أن كلمات الشكر والتبجيللا توفى حق مشرفى الأستاذ الدكتور احمد عبد الرازق أحمد أستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية ، ورئيس قسم التاريخ الذى أفدت من غزير علمه واستهديت بسديد رأيه

(٥٥) ابن الاخوة (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) سيده كاشف ، مصر الاسلامية ، ص ٤٣ .

(٥٦) ليس لدينا آية معلومات عن مؤلف الكتاب اذ لم نجد ترجمة فى اى من كتب التراجم وكل ما نعرفه عنه ان اسمه محمد بن بسام المحتسب ، وقد حاول كل من الاب لويس شيخو ومحمد كرد على ان يجدا شيئا فلم يفلحا ؛ انظر ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائى بغداد ١٩٦٨م ، انظر مقدمة المؤلف .

فى جميع مراحل هذا البحث ، فلم يبخل على بعلمه وجهده ، كما سمح لى بالاستعانه بما حوته مكتبته من مصادر متعددة عاونتنى فى بحثى ، فجزاه الله عنى وعن كل الزملاء خير الجزاء .

كما أتوجه بخالص شكرى وتقديرى الى الأستاذ الدكتور اسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى على ما بذله من جهد فى ترجمة النصوص التاريخية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وكذلك الدكتور الحسينى زغلول على ما قام به من ترجمة لبعض مراجع البحث المكتوبة باللغة الألمانية ، كما أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان الى الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن الأستاذ بقسم اللغة العربية على تفضله بمراجعة الرسالة ، ولا يفوتنى أن أتوجه بالشكر والتقدير الى الدكتورة جيلان محمد عباس التى أمدتنى بالكثير من المصادر والمراجع وكذلك الأستاذة هالة عبد الرحمن ، والأستاذ محمد الأشقر ، كما أتوجه بخالص شكرى وعرفانى الى كل من قدم لى يد العون من الأساتذه والزملاء داخل القسم وخارجه .

وأخيراً أخص بالشكر والتقدير والاحترام والعرفان زوجى اللواء / نبيل عبد العظيم الذى عاش معى كل مراحل البحث وساعدنى بالكثير من جهده ووقته فجزاه الله عنى خير الجزاء .

والله ولى التوفيق ..

بيـان المختصرات

- AIEO : Annales de l'Institute des Etudes Orientales,
- AI : Annales Islomologiques.
- BEO : Bulletin d'Etudes Orientales.
- BIAC : Bulletin of the Israeli Academic Center in Cairo.
- BIFAO : Bulletin d'Institute Français d'Archeologie Orientale.
- BJRL : Bulletin of the John Rylonds Library.
- BSOAS : Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
- BSRGE : Bulletin de la Société Royale de Géographie d'Egypte.
- HUCA : Hebrew Union College Annual.
- IC : Islamic Culture.
- IJMES : International Journal of Middle East Studies.

— IS : Islemic Studies.

— JA : Journal Asiatiques.

— JAOS : Journal of the American Oriental Society.

— JESHO : Journal of the Economic and Social History of the Orient.

— JQR : Jewish Quarterly Review.

— JRAS : Journal of the Royal Asiatic Society.

— JSS : Journal of Semitic Studies.

— OLP : Orientalia Lovanensia Periodica.

— RIE : Revue des Etudes Islamiques.

— RL : Revue de l'Orient Letin.

— ROMM : Revue de l'Occident Musulman et de la Mediterranée.

— RSO : Rivista degli Studi Orientali.

— SO : Studia Orientalia.

— ZDMG : Zeitschrft der Deutschen. Morgenlëndischen Gesellschaft

— ZDPV : Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins.

مدخل :

اليهود في مصر الاسلامية

قبل عهد المماليك

اليهود فى مصر الاسلامية قبل عصر المماليك

فتح عمرو بن العاص مصر فى سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م (١) ، ولم يتعرض لأهل الذمة بسوء فقد عامل اليهود معاملة حسنة تنطوى على التسامح الدينى (٢) ، كما التزم بمبدأ حرية العقيدة ، وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعا (٣) ، اذ يرى بعض الباحثين (٤) أن أحوال النصارى آنذاك كانت خيرا منها تحت حكم البيزنطيين ومن الطبيعى أن اليهود قد عوملوا المعاملة نفسها.

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، نشرة هنرى ماسيه القاهرة ١٩١٤م ، ص ٥١ ؛

نريمان عبد الكريم أحمد ، معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ م ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط (٩) القاهرة ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، على حسن الخربوطلى ، الحضارة العربية الاسلامية ، ط (٢) ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ، سيدة اسماعيل كاشف ، مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، ط (٢) القاهرة ١٩٧٩ م ص ٣١ ؛ مصر الاسلامية وأهل الذمة بالقاهرة ١٩٩٢٥ م ص ٥٦ ، قاسم عبده ، أهل الذمة فى كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٢١٠ .

(٣) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٣٢ ؛ اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٨٨ .

(٤) ترلتون ، أهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٤٩ م ، ص ٤١ ، قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٣٢ .

وكان « راس الجالوت » (٥) يتولى الاشراف على شئـون اليهود ويحكمهم وفقا لعاداتهم ، بالاضافة الى أنه كان يستطيع المثول امام القضاء الاسلامى ، مع أن شهادته كان لا يعتد بها (٦).

خلاصة القول ان الاسلام منح اليهود فى مصر غداة الفتح العربى لها منزلة قانونية تماثل منزلة النصارى المصريين الذين كانوا يفوقون اليهود عددا ، كما اعتبر الاسلام أهل الكتاب من غير المسلمين أهل ذمة وجبت عليهم الجزية (٧) .

وعمل الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ / ٧١٧ – ٧١٩ م) على احلال الموظفين المسلمين محل الموظفين اليهود والنصارى فى الجهاز الادارى والمالى للدولة ، وحرم عليهم ركوب الخيل ، والزمهم الركوب بالأكف (البرادع) ليدخلوا أرجلهم من جانب واحد ، وكتب بذلك الى أقاليم الدولة الاسلامية (٨) .

---

(٥) عهد بادارة شئون الطوائف اليهودية الى الرؤساء الدينيين من اليهود الذين كانوا مسئولين عن تصرفات طوائفهم امام السلطة ، وكان الواحد منهم يسمى « رأس الجالوت » ويعتبر البستانى أول رأس جالوت تولى شئون اليهود فى عهد عمر بن الخطاب . سناء عبد اللطيف حسين ، الجيتو اليهودى ، دراسة لنشأته وأثره فى الوجدان الثقافى اليهودى ، رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣ م ، ص ١٥٦ .

(٦) ديموبين ، النظم الاسلامية تحقيق صالح الشماع ، فيصل السامر بغداد ١٩٥٢ ، ص ١٦٦ ، عن القضاء انظر الباب الثالث الفصل الثانى .

(٧) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى فى مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش ، جامعة تل أبيب ١٩٨٧ ، ص ١٣ ؛ عن الجزية انظر الباب الأول الفصل الاول .

(٨) ابن عبد الحكم ، عمر بن عبد العزيز ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٧ م ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ، ١٩٨٣ ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، الخربوطلى الحضارة العربية ، ص ١٦١ ، فيليب حتى ، تاريخ العرب ، بيروت ١٩٥٢ م ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

وفى عام ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩ م أمر الخليفة العباسى المتوكل بأن يتميز أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية والزنانير ، وأن تستبدل ركوب السروج بركوب الخشب ويكون السرج كهيئة الأكف وعلى رءوسهم القلانس المختلفة الألوان وامر ان يجعل على ابواب دورهم اساطين من خشب مسمورة وذلك لتمييز بين منازلهم من منازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال الدولة التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين ، كما نهى أن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين ، كما أمر أن تسوى قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين ، وأن يقتصروا فى ركوبهم على البغال والحمير من دون الخيل (٩) ، وهذه المراسيم كان يعمل بها فى حين صدورها بمنتهى الدقة ، ولكن بمرور الوقت يعود كل شيء كما هو عليه وترجع سياسة التسامح مرة أخرى تجاه أهل الذمة .

وفى عهد الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ/ ٨٦٨ — ٩٠٥ م) وجدت جالية يهودية بمصر ، وكان افرادها من الأثرياء ورجال الأعمال (١٠) ، وشهدت هذه الفترة تحولا كبيرا من أهل الذمة نصارى ويهود الى اعتناق الاسلام (١١) ، وربما يكون ذلك

---

(٩) ابن النقاش ، المذمة فى استعمال أهل الذمة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ تاريخ ، ميكروفيلم رقم ١٠٦٥٤ ، ورقة ٨٧ ، ٨٨ ؛ ساويرس بن المقفع ، سير الأباء البطاركة ، نشرة يسى عبد المسيح وأسولد برمستر ، القاهرة ١٩٤٣م ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٤ ، ٦٥ ؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين ، عالم الكتب ، ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ أحمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية منذ الفتح حتي نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٩٣ م .

Wolter (J. Fishel), Jews and Economic and Political Life of Mediaeval Islam, New York, 1969, p. 7.

(١٠) Hassan (Z.M.), Les Tulunides, Paris, 1933, pp. 219-220.
Hassan, les Tulunids, p. 219 ;

(١١) الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٩ م ، ٢١٨ .

راجعا الى ما وجدوه فى الدين الاسلامى من سماحة الى جـانب انهم عاشـوا فى المجتمع الاسـلامى وتاثروا به .

ولم يحرم اليهود ، شأن بقية اهل الذمة فى مصر ، مـن مزاولة المهن المختلفة واقتناء الضياع ، بل اشتغلوا ايضـا بالوظائف المالية وبالتجارة والطب ، مما يعنى انهم عاشـوا فى العهد الطولونى متمتعين بقسـط وافر من الحرية (١٢) .

ومن المعروف أنه وفد على مصر فى العصر الطولونى اعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون فى تجارة الشرق عبـر الخليج العربى ، بسبب تعطل هذا الطريق وعودة تجارة الشرق الى طريقها الأول ، وقد اشـارت وثائق الجنيزة الى بعض الأسماء الخاصـة بهؤلاء التجار الذين نزحوا فى القرن الثالث الهجرى / التاسـع الميلادى الى مصر من العراق وايران وبلاد ما وراء النهر كما يفهم من القابهم التى نجد من بينها السـمرقندى ، والنيسـابورى والتسـترى ، والبغدادى ، والبصرى (١٣) .

وبرع اليهود ايضا فى مجال الطب ، واسـتخـدم احمـد بن طولون عددا من أطبائهم (١٤) .

---

(١٢) محمود رزق محمود ، المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٠٥ .

(١٣) عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٧٠ . Fischel, Jews and Economic, p. 70.

(١٤) البلوى ، سيرة أحمد بن طولون ، حققها وعلق عليها محمد كرد على ، دمشق ١٩٣٩م ، ص ٣١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م ، ج ٣ ، ص ١٧ .

ويفهم كذلك من السيرة الطولونية أن أحمد بن طولون قام ببيع بعض الكنائس المسيحية لليهود (١٥) ، وذلك فى الوقت الذى يذكر فيه زكى حسن أن البطريرك ميخائيل الثالث هو الذى اضطر الى بيع كنيسة بالفسطاط وممتلكات اخرى حتى يتمكن من جمع جزء من الضريبة التى يجب أن يدفعها الى البيت الطولونى (١٦) ، وان كان البعض قد أمدنا بمعلومات اخرى تفسر لنا سبب بيع ميخائيل الثالث لهذه الكنيسة ، حينما طلب منه احمد بن طولون مساعدة مالية (١٧) الأمر الذى يعنى أن اليهود كانوا على درجة كبيرة من الثراء مما مكنهم من شراء الكنيسة وملحقاتها ، ويعنى كذلك تسامح الحكام معهم فقد سمحوا لهم بشراء بعض المعابد الدينية .

ويستشف من روايات المؤرخين العرب أن اليهود قد شاركوا أيضا فى العديد من الأحداث الجارية ابان تلك الفترة ، من ذلك على سبيل المثال أنه عندما اشتد المرض بأحمد بن طولون أمر

---

(١٥) ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، نشرة لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٣ م ، ص ١٣٢ ؛ المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة النيل ١٢٧٠ هـ جـ ٤ ، ص ٣٩٧ .

(١٦) Hassan, les Tuluni S., p. 219. سيدة كاشف ، احمد بن طولون أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٢١٨ .

(١٧) قدرت هذه المساعدة بحوالى ٢٠ ألف دينار لتغطية بعض النفقات العسكرية ، مما دفع البطريرك الى بيع هذه الكنيسة بملحقاتها بالاضافة الى قطعة من الأرض فى ضواحى مدينة الفسطاط وكنيسة بالقرب من الكنيسة المعلقة فى قصر الشمع ، انظر ساويرس ، سير الاباء ، القاهرة ١٩٤٨ م ، م ٢ جـ ٢ ، ص ٠٧٤
Paul ,Kahle), The Cairo Geniza, Oxford, 1959, p. 3 ;
Abû Sâlih, The churches and Monasteties if Egypt and some Neighbouring Countries, at the Clorndon, 1969, p. 136 ;
Mann, The Jews in Egypt and in palestine under the Fatimid Caliphs, Oxford 1969, I, p. 14.

الناس بالدعاء له فخرج المسلمون بالمصاحف والنصارى بالانجيل واليهود بالتوراة ، واستمروا على ذلك عدة أيام الى أن مات (١٨) .

ومن الواضح ايضا ان خلفاء أحمد بن طولون اتبعوا سياسة متسامحة تجاه اهل الذمة ، فلم تشر مصادر تلك الفترة الى أية احداث متعلقة بأهل الذمة فى أيام خلفائه ، مما يعنى أن حياتهم قد سارت فى اطارها الطبيعى حتى سقوط الدولة الطولونية .

ولكن هذا لا يعنى ان اليهود كانوا دائما موضع عناية وتكريم من تلك الأسرة الحاكمة اذ تروى المصادر أن أحمد بن طولون أمر بتدمير قبور اليهود والنصارى فى عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ليقيم فوقها عاصمته الجديدة التى عرفت بالقطائع (١٩) .

---

(١٨) ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم ١٠٨٥٥ ، جـ ٢ حوادث ٢٧٠هـ/٨٨٤م ؛ البلوى سيرة ابن طولون ، ص ٣٣٠ ؛ الكندى ، كتاب الولاة والقضاة ، مهذبا ومصححا بقلم رفن جست ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٢٣١ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ص ١٨ ؛ سيدة كاشف ، أحمد بن طولون ، ص ٢١٨ ؛ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور تاريخ مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ١٤١ ؛ Hassan, Les Tulunides, p. 220.

(١٩) الكندى ، كتاب الولاة والقضاة ؛ ص ٢١٥ ؛ ابن دقماق ؛ الانتصار لواسطة عقد الامصار ؛ بيروت ١٨٩٣ م ، جـ ٤ ص ١٢١ المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ؛ ص ١٠٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ؛ جـ ٣ ، ص ١٥ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١١٣ ــ ١١٤ ، لينبول ، سيرة القاهرة ؛ ترجمة حسن ابراهيم وعلى وابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٠ م ؛ ص ٨١ ، ٨٢ ، عبد الرحمن زكى ، عواصم مصر الأسلامية مقال فى كتاب مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ١٠٧ محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ١٤٢ .

وبعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر من جديد ولاية عباسية (٢٠) ، حيث نعم أهل الذمة بالحرية والأمان ولم يعكر صفو حياتهم سوى المرسوم الذى صدر فى أثناء ولاية عيسى النوشرى على مصر سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م الذى أمر فيه الخليفة المقتدر بالا يستخدم احد من اليهود والنصارى الا فى الطب والجهبذة أى أعمال الصيرفة ، كما الزمهم بلبس الغيار الذى يميزهم عن المسلمين (٢١) .

وفى عهد الدولة الاخشيدية (٣٢٣ — ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ — ٩٦٩ م) كان لليهود انشطتهم الملحوظة فى الأعمال التى تدر الأرباح الوافرة ، فقد وجد بينهم أصحاب الضياع والأطباء والصيارفة والتجار ، ولهم يشهد العصر الاخشيدى أية اضطهادات لأهل الذمة بدليل صمت المصادر عن المراسيم التى كانت تصدر لالزام الذمة بالشروط العمرية من حيث الملبس والركوب ، هذا فضلا على أنه كان لأهل الذمة ابان تلك الفترة محاكمهم الخاصة بهم ، مع احتفاظهم بحقهم فى الاحتكام الى قضاة المسلمين ، وظلوا يدفعون الجزية كل بحسب الطبقة التى ينتمى اليها (٢٢) .

ويعد يعقوب بن كلس من أبرز اليهود الذين عملوا فى ظل الدولة الاخشيدية ، فقد اشتغل بالتجارة واتصل بكافور وأصبح

---

(٢٠) الكندى ، ولاة مصر ، ص ٢٩٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ، ١٥٢ .

(٢١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .
Fischel, Jewes, and Economic, p. 7.

(٢٢) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، ص ٢٤٩ ؛ على حسنى الخربوطلى ، العرب واليهود فى العصر الاسلامى القاهرة (بدون تاريخ ، ص ٦٩ ، ٧٠ ؛ الاسلام وأهل الذمة ص ٢١٨ .

يعرف فيما بعد بـ « تاجر كافور » ، كما أنه نظم مالية مصر فى عهده . وفى أواخر عهد الدولة الاخشيدية اعتنق يعقوب هـذا الاسلام وصلى فى الجامع ، فزادت مكانته عند كافور (٢٣) .

وتكشف لنا احدى وثائق الجنيزة المؤرخة بسنة ٣٤٨ / ٩٥٩ م عن كيفية اندماج اليهود مع غيرهم من المسلمين والنصارى من خلال السكن بالقرب من حصن الروم المعروف بقصر الشمع (٢٤) ، كصورة من حسن الجوار والتعايش المشترك بين

---

(٢٣) اليافعى ، مرآة الزمان وعبر اليقظان ، ط (١) حير أباد ١١٣٧ هـ ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ ؛ ابن زولاق ، أخبار سيبويه المصرى ، قام بنشره محمد ابراهيم سعد وحسنين الديب ، ط (١) القاهرة ١٩٣٣ م ، ص ٧٤ ، ابن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر ، القاهرة ١٩٦١ ، جـ ٦ ص ١٧٥ ، سيدة كاشف مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٧٧ ؛ عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٧٩ ، ٨٠ ، نعيم زكى فهمى ، دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

Bernard (Lewis) : Notes and Communications, BSOAS, XXX, parts (1), 1967, p. 179 ;
Fischel, Jews in the Economic, pp. 47, 49 ; Lev. (Yaacov), The Fatimid Vizier ya'qub ibn Kills and the Beginning of the Fatimid Administration in Egypt D. I., Band 58, 1981, p. 239.

(٢٤) ذكر المقريزى أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر ، وقد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه ومن أنشاه من الملوك ، كما ذكر نقلا عن الواقدى أن الذى بناه اسمه الريان بن الوليد ، وكان يوقد على هذا القصر الشمع فى رأس كل شهر ، واذا حلت الشمس فى برج من البروج أوقد الشمع فى تلك الليلة فيعلم الناس أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر على يد بخت نصر ، فظل خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا آثره فقط فلما ملكت الروم مصر ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس فبنى القصر على أساسه ، وقال آخر ان الذى بناه طخشاشت أخد ملوك الفرس وعرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يقال له باب الشمع ، وأشار أيضا نقلا عن القضاعى أن فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم = .

كافة الطوائف الدينية فى ذلك الوقت (٢٥) .

خلاصة القول ان اليهود عاشوا فى أمـان واطمئنـان وان حياتهم صارت فى اطارها الطبيعى ، وعملوا فى الجهاز المـالى والادارى فى ظل الدولة الاخشيدية .

وبعد وصول الفاطميين الى مصر فى عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م راى خلفاء هذه الدولة انهم قد جاءوا الى مصر بمـذهب شيعى يخالف مذهب المصريين السنى ومن ثم فقد صاروا فى حاجة الى من يعاونهم فى تثبيت سلطانهم ، وبعد أن أيقنوا أنه من المتعـذر عليهم الاعتماد على السنيين فى مصر انصار الدعوة العباسية ، عمدوا الى تقريب أهل الذمة ، لأنهم كانوا يمثلون نسبة ضئيلـة بين المسلمين فى كل من مصر والشام ، وأظهروا لهم كثيرا مـن التسامح واستخدموهم فى أهم شئون الدولة الادارية والاقتصادية والسياسية (٢٦) .

= مصر والشام بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم الى أن ظهرت الروم فتممت بناء القصر وحصنته ولم تزل فيه حتى فتح مصر ، انظر المقريزى ، الخطط جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

(٢٥) Goitein, Geniza Documents on the Transfor and Inspection of Houses, Romm, Numeros 13-14, 1973, p. 42.

(٢٦) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٢ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، جمال الدين سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٥٤ ؛ حسن الزين ، الأوضاع القانونية للنصارى واليهود فى الديار الاسلامية حتى الفتح العثمانى ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص ١٣ ، زغلول سلام ، الأدب فى العصر الفاطمى الكتابة والكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ م ص ١٥٦ ، جواتين ، تشريعات قضائية من الجنيزة القاهرية بالعبرية فى مجلة Kirgath - Sefer (41) Jerusalem, 1955, pp. 2-4.

وقد وضح ذلك فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى الذي اتبع سياسة التسامح ازاء أهل الذمة ، ففى ظل سياسته هذه وصل بعض اليهود إلى أرقى المناصب الادارية والمالية فى الدولة الفاطمية، ولعل أشهر هؤلاء يعقوب بن كلس الذى كان قد اعتنق الاسلام فى أيام كافور الاخشيدى ، كما سبق أن نوهنا من قبل ، والذى عهد اليه الخليفة المعز « بالخراج .. ووجوه الأموال ، والحسبة .. وجميع ما يضاف الى ذلك فى مصر وسائر الأعمال » (٢٧) .

كذلك فاق العزيز اباه فى التسامح ازاء أهل الذمة ، الذين نعموا فى عهده بالحرية التامة فى أداء شعائر دينهم ، وقد كان من اثر هذه السياسة زيادة نفوذ اليهود فى مصر وعلى رأسهم يعقوب بن كلس الذى عهد اليه الخليفة العزيز بالوزارة ولقبه بالوزير الأجل وأمر الا يخاطبه أحد ولا يكاتبه الا به (٢٨) .

---

(٢٧) ابن ايبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ ؛ المقريزى ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ١٩٤٨ م ، جـ ١ ، ص ١٥٦ ؛ ميخائيل شاروبيم ، الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ط (١) بولاق ١٨٩٨ م ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ ؛ ابن سعيد الانطاكى ، تكملة سعيد ابن بطريق ابتداء من حوادث ٣٢١ هـ ، بيروت ١٩٠٩ م ، ص ١٧٢ ؛ زكى حسن ، كنوز الفاطميين القاهرة ١٩٣٧ م ، ص ٣١ ؛ عطية مصطفى مشرفة ، أهل الذمة فى العصر الفاطمى ، مجلة المقتطف ، جـ ٣ ، م ٧ بعد المائة ١٩٤٥ م ، ص ٢١٤ ؛ محمود نعنانة ، المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ، جزءين القاهرة ١٩٧٥ م ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ ، محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٤١ ؛ سلام شافعى محمود ، اهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٢٨) ابن زولاق ، أخبار سيبويه ، ص ٧٥ ، ابن سعيد النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ؛ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ص ٢١٥ ؛ ابن ايبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ١٧٤ ؛ نعيم ذكى ، دور اليهود ، ص ٤٩ ، ٥٠ =

وقد ترتب على استئثار اليهود بمناصب الدولة الكبرى فى عهد هذا الخليفة أن تمكنوا من تقديم الخدمات لاخوانهم فى العقيدة، بل استغل بعضهم هذا النفوذ فى الاساءة الى المصريين الذين استاءوا من تزايد نفوذ اليهود وعمدوا الى تقديم الاحتجاجات الى الخليفة بسبب محاباته لليهود ، فكتبت اليه امرأة تقول « بالذى أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذل المسلمين بك ألا قضيت أمرى .... » مشيرة بذلك الى نفوذ منشا اليهودى وابن نسطورس اللذين توليا مقاليد الأمور بعد الوزير يعقوب بن كلس مما دفع الخليفة العزيز الى اصدار أوامره بالقبض على منشا اليهودى وابن نسطورس المسيحى ومصادرة أموالهما (٢٩).

= المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٤١ ، محمود نعناعه ، المشكلة اليهودية ، ص ٣٧٢ ؛ عبد المنعم ماجد ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ط (٣) ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

Fischel, Jews in the Economic, p. 37 ;

Lane (Poole), History of Egypt in the Middle ages, Leiden 1901., pp. 126-127 ; Lev, The Fatimids vizier, p. 242 ; Ashtor, Histoire des prix et des salaires dans l'orient médiéval, Paris, 1969, p. 117 ; Lewis, Notes and Communications, pp. 179-180 ;

Cohen (Mark), Jewis Self. Government in Medieval Egypt, Princeton University Press, Princeton, New York, 1980, p. 4 ; Mann, The Jews in Egypt, I, pp .19-20.

(٢٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، طبعة حيدر اباد ١٣٥٨ ، جـ ٧ ، ص ١٩٠ ، ابن سعيد ، النجوم ، ص ٣٥٨ ؛ ابن ميسر ، اخبار مصر ، تحقيق هنرى ماسية ، القاهرة ١٩١٩ م ، جـ ٢ ص ١ : ٢٠ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٣٧٩ ، عطية مشرفة ، أهل الذمة ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ؛ جمال الشيال ، نظام الوزارة فى العصر الفاطمى ، مجلة الثقافة العدد ٦٣٨ ، ١٩٥١ م ، ص ١٢٠ ؛ خلف محمد الحسينى ، اليهودية بين المسيحية والاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ نريمان عبد الكريم ، احوال المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢١١ .

وقد صور لنا أحد شعراء العصر الفاطمى ازدياد نفوذ اليهود زمن الدولة الفاطمية ومدى اتساع نفوذهم وتحكمهم فى الناس فى صورة هزلية دعا فيها الى اعتناق اليهودية مادام انها أقرب وسيلة للوصول الى السلطان والنفوذ فقال :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشـــار والملـــك

يا أهل مصر انى نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك (٣٠)

وعلى الرغم من سياسة التسامح هذه التى حظى بها اليهود فى عهد العزيز فان الوضع سرعان ما تبدل فى عهد ابنه الخليفـــة الحاكم بأمر الله ، الذى سارع بنبذ سياسة التسامح الدينى التى سار عليها كل من المعز والعزيز بعد أن استقرت له الأمور فاشتد فى معاملة أهل الذمة ، والزمهم بالشروط العمرية ، فجعل اليهود يلبسون الزنار ويحملون الخشب الثقيل ، وحرم عليهم ركـــوب الخيل والا يستخدموا مسلما أو جارية مسلمة ، وحذر المكاريـــة

---

(٣٠) ابن ميسر ، أخبار مصر ، جـ ٢ ، ص ٢ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلاميـة فى القرن الرابع الهجرى ، نقله الى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٦٧ ؛ عبد المنعم ماجد ، نظم الفـاطميين ورســـومهم فى مصر ، القاهرة ١٩٥٣ م ، جـ ١ ، ص ٩٨ ؛ خلف الحسينى ، اليهودية ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ نساعة ، المشكلة اليهودية ، جـ ٢ ؛ ص ٢٧٥ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٢٠ كامل سعفان ، اليهود تاريخ وعقيدة ، ص ٣٤ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٩١ .

المسلمين أن يحملوا على دوابهم ذميا ، كما حظر على الملاحين المسلمين أن يحملوا فى سفنهم ذميا وأفردت لهم حمامات خاصة ، وأحرق الحاكم حى اليهود وقام بنقلهم الى حارة زويلة واسكنهم بها (٣١) .

ويرى أحد الباحثين أن الأسباب التى دفعت الحاكم بأمر الله الى ذلك مرجعها « أن أهل الذمة اشتد بأسهم بين المسلمين منذ أن تمكنوا فى أيام العزيز » (٣٢) ورغم سياسة الحاكم المتشددة تجاه أهل الذمة فقد عاد فى عام ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م الى سياسة التسامح معهم ومنحهم أمانا (٣٣) .

وفى الوقت الذى أجمعت فيه أغلب المصادر العربية على اضطهاد الحاكم لأهل الذمة فقد أشارت احدى وثائق الجنيزة

---

(٣١) اليافعى ، مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩ ؛ ابن الراهب ، تاريخ ابن الراهب ، ص ٨٢ ، ٨٣ ؛ ابن سعيد تكملة سعيد بن بطريق ، ص ١٨٧ – ٢٠٢ ؛ يحيى ابن عمر ، كتاب النظر والأحكام فى جميع أحوال السوق ، تونس ١٩٧٥ ، ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ القرمانى أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٦٠ ، جمال سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ٨٧ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين . ص ٩٩ ؛ عبد المنعم سلطان المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٠٠ .

Goitein The Documents of the Cairi Geniza as a source for Mediterranean Social History, JAOS No (2), 1960, p. 94 ; Ashtor, Saladin and Jews, HUCA, No XXVII, Jerusalem,1 1956, p. 306.

(٣٢) ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٣٣) ابن أيبك ، كنز الدرر ، جـ ٦ ، ص ٢٦٠ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٢٧ .

المؤرخة فى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م الى تسامح الخليفة الحاكم وعدله مع أهل الذمة فى عصره ، بل ووصفته هذه الوثيقة « بالمسيح المخلص » تأكيدا لسياسته العادلة معهم (٣٤) .

وفى عهد ابنه الخليفة الظاهر الفاطمى الذى كان على النقيض من ابيه عادت سياسة التسامح ازاء اهل الذمة ، فقد عمل على اكتساب عطفهم واصدر مرسوما أعلن فيه أنهم احرار فى عقائدهم وشعائرهم ، وانه لا إكراه فى الدين وان آثر احد منهم الدخول فى الاسلام اختيارا من قلبه وهداية من ربه فليدخل فيه مقبولا ، ومن اثر البقاء على دينه من غير ارتداد ، كان عليه ذمته وحياطته (٣٥) .

والحديث عن اليهود فى العصر الفاطمى يحتم علينا الاشارة ايضا الى أنهم برعوا فى مجال الطب ابان تلك الفترة ، فقد برزت اسماء الكثير منهم ممن حازوا شهرة واسعة فى العصر الفاطمى ، كموسى بن العازار الاسرائيلى الذى عمل فى خدمة الخليفة المعز ، وابنه اسحق بن موسى الذى احتل مكانة كبيرة عند الخليفة نفسه : ونقرأ أيضا عن احد اليهود لقب « بالحقير النافع اليهودى » كان احد اطباء الخليفة الحاكم بأمر الله ، وعن أبى منصور اليهودى الذى عاش فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، وعن كل من أبى الخير سلامة مبارك بن رحمون اليهوذى ، والشيخ ابو جعفر يوسف بن حسداى الاسرائيلى الذى اختص بخدمة الوزير المأمون البطائحى ، ولا ننسى كذلك الطبيب ابو كثير افرائيم بن يعقوب

---

(٣٤) Goitein, Studies in Islamic History and Institution, Leiden, 1968, p. 288 ; The Cairo Geniza, p. 84.

(٣٥) ابن سعيد ، تكملة ابن بطريق ، ص ٢٣٥ : جمال سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ص ٨٥ .

الذى خدم بعض الخلفاء الفاطميين وبعض قواد الدولة ووزرائها ، كان كالأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى الذى شملـه برعايتـه وعنايته (٣٦) .

ويبدو أن اليهود قد لعبوا أيضا دوراً مهما فى مجال الادارة المصرية تحت حكم الدولة الفاطمية اذ تتحدث المصادر عن أبى المنجا بن يشعيا الذى كان مشارفا للأعمال بالشرقية ، وهى وظيفة كان يتولاها الموظفون الذين يشرفون على الأمور المالية وبخاصة فى الأوقاف (٣٧) ، ويفهم من المصادر العربية أن الوزير الأفضل شاهنشاه قد عهد اليه بحفر القناة التى عرفت باسـم خليج أبو المنجا ، وهنا أيضا ابن أبى الدم اليهودى أحد كتاب ديوان الانشاء فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٣٨) ، وأبى يعقـوب

---

(٣٦) ابن أبى أصيبعة ، عيون الانبـاء فى طبقات الأطباء ، ط (١) القاهرة ١٨٨٢ م ج ٢ ، من ص ٨٦ – ١١٧ ، ابن القفطى : تأريخ الحكماء وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٩٠٣ م ، ص ١٧٨ ، ٣٢٠ : محمد عبد الله عنان الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية . ط (٢) القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٨٠ : سلام شافعى محمود سلام ، أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى ، القـاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ١٩ ؛
Lewis, Nots and Communications, P. 17.

(٣٧) ابن مماتى قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال ، القـاهرة ١٩٤٣ م ، ص ٣٠٢ .

(٣٨) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، طبعـة دار الكتب المصرية ١٩١٣ م ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبعة بولاق ، جـ ١ ، ص ١٧٢ : سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٢٨ ، ٦٧ ، ٧٥ ؛
Fischel, Jews in the Economic, pp. 87-88.

السامرى الكاتب إحد اليهود الذين تولوا ديوان الخراج فى العصر الفاطمى المتأخر (٣٩) .

وأسهم اليهود كذلك بدور كبير فى النشاط الصناعى ، ففى مجال صناعة الخمور كان أكثر المشتغلين بها من أهل الذمة يهودا ونصارى ، ولا ننسى أيضا صناعة السكر والعسل التى انتشرت مطابخها فى مدينة الفسطاط ، والتى عرف لها مطابخ عامة وأخرى أهلية كان معظمها يدار بواسطة اليهود ، وهناك كذلك صناعة الزيوت والحلى والمعادن التى كانت مشاعا بين المسلمين وأهل الذمة (٤٠) .

كما لعب اليهود فى مجال التجارة دورا مهما بفضل سياسة التسامح التى نعموا بها فى ظل الخلفاء الفاطميين ، وبفضل تأمين طرق المواصلات الداخلية ، فمارسوا تجارة الذهب والجواهر والعملة وأعمال الصيرفة (٤١) .

---

(٣٩) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 288.
سلام شافعى ، أهل الذمة ص ٧٥ .

(٤٠) ابن دقماق الانتصار ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، جمال الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ، الجزء الاول من الفتح الى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٧ م ، ص ١٠٨ ؛ عاصم محمد رزق عبد الرحمن ، مركز الصناعة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى حتى مجىء الحملة الفرنسية ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ؛ سلام شافعى أهل الذمة ، ص ١٤٣ ، ١٧٣ ؛ آدم متز الحضارة ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٤١) ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣١٨ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٦٢ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٧٥ ، ١٨٣ ؛ عبد المنعم سلطان المجتمع المصرى ، ص ١٠٨ .
Fischel, Jews in the Ecinimci, PP. 87-88

ويبدو أنهم استطاعوا بفضل ممارسة الصناعة والتجارة تكوين ثروات ضخمة لفتت أنظار الرحالة الذين زاروا مصر في العصر الفاطمي ، فقد روى الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أنه كان بمصر رجل يهودي غني ، يسمى أبا سعيد له مال كثير ، وكان يتاجر بالجواهر ، ولما مات ترك ثلاثمائة جرة من الفضة (٤٢)

بقي أن نشير الى أنه منذ أن استولى الفاطميون على مصر ، وامتد سلطانهم الى اليمن تبوأ اليهود فيهارئاسة الزعامة الروحية على جميع اليهود المقيمين في شتى أقطار العالم الاسلامي ، فقد أخذ يتوافد على مصر علماء اليهود من الأندلس وشمال أفريقيا وفلسطين والعراق وفارس لتبادل الرأى في شتى الأمور الدينية (٤٣) .

لذلك ليس بغريب أن يعد العصر الفاطمي بمثابة العصر الذهبي لليهود ، فقد تمتعوا فيه بالتسامح الديني ، كما أسهموا في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والادارية والاجتماعية في المجتمع المصري طوال تلك الفترة ، باستثناء عصر الخليفة الحاكم بأمر الله الذي تعرض فيه أهل الذمة من يهود ونصارى لبعض الاضطهادات التي سرعان ماعدل عنها قبل وفاته ، وعادت سياسة التسامح ازاء أهل الذمة الى ما كانت عليه من قبل .

---

(٤٢) ناصر خسرو ، سفر نامه ، تعريب يحيى الخشاب ، ط (١) القاهرة ١٩٤٥ م ، ص ٦٤ ؛ آدم متز ، الحضارة ، جـ ٢ ، ص ٣٨٤ ؛ كامل سعفان ، اليهود تاريخ ، عقيدة ، ص ٣٣ .

(٤٣) رينيه قطاوي ، مجلة تاريخ الاسرائيليين في مصر تصدرها جمعية الأبحاث التاريخية الاسرائيلية المصرية ، العدد الأول ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

لكن بعد سقوط الخلافة الفاطمية فى عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وانتقال الحكم الى الأيوبين ، أصدر صلاح الدين مرسوما بصرف أهل الذمة ، ومنع استخدامهم فى الاعمال السلطانية دواوين الدولة ، ويبدو أنه أراد من وراء ذلك استئصال شأفة اليهود والنصارى (٤٤) .

وقد يتساءل البعض عن الأسباب التى دفعت بصلاح الدين الى اتخاذ مثل هذا القرار ضد أهل الذمة ، ومن المرجح أن صلاح الدين قد عمد الى اقصاء أهل الذمة بهدف ابعاد كل من كان مواليا للفاطميين ، خوفا من محاولة التآمر على حكمه ، خاصة وأن أهل الذمة كانوا قد حصلوا ابان العصر الفاطمى على العديد من الامتيازات ، كما امتدت أيديهم الى شتى المجالات ، وقد اثبتت الأحداث بالفعل صحة وجهة نظر صلاح الدين بالنسبة لليهود ، اذ يفهم من المصادر أن بعض المصريين والفرنجة تحالفوا لاخراج صلاح الدين من مصر ، وتولى أحد كتاب اليهود فى مصر كتابة الرسائل الى الفرنجة (٤٥) ، لذلك كان من الطبيعى أن يتشدد صلاح الدين فى أول أمره . مع اليهود بسبب ما ارتكبوه فى حقه من مؤامرات ومع هذا يمكن القول بأن سياسة صلاح الدين كانت تتسم بالحكمة والتماسك (٤٦) ، فقد أثر عنه انه حاكم عطوف متسامح ، بدليل ما تشير اليه الأحداث التاريخية من اشتغال

(٤٤) المقريزى ، السلوك فى معرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، طبعة ١٩٢٤ ، جـ ١ ، ق (١) ، ص ٤٧ ، سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٣٧ .

(٤٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٦ م ، جـ ١١ ، ص ٣٤٥ : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ٣٣ ، سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ٣٩ .

(٤٦) Ashtor, Saladin and the Jews, p. 303.

اليهود فى العصر الأيوبى بالدواوين ، واستعانة حكام تلك الدولة بالكتاب وجامعى الضرائب من بين اليهود والنصارى (٤٧) . وربما يكون السبب فى ذلك أيضا ولاء اليهود الناتج عن قلة عددهم ، بالاضافة الى خبرتهم الطويلة فى مجال الدواوين ، وعدم مقدرة كثير من المسلمين على القيام بمثل هذه الأعمال لقلة خبرتهم بالمسائل الادارية والمالية .

ويعتبر ابن كوجك من اليهود الذين تولوا رئاسة ديوان التحقيق فى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م فى عهد السلطان الملك الكامل محمد (٤٨) .

وتتحدث المصادر الأيوبية أيضا عن الدور المهم الذى لعبه اليهود فى مجال الطب ، فقد شاعت شهرة الكثيرين من الأطباء اليهود فى هذا العصر بسبب رعاية الدولة لهم ، اذ اهتم صلاح الدين برعاية الأطباء وبخاصة أطباء قصره والعاملون فى البيمارستانات ، ومنحهم الهدايا وتقريبهم اليه ، واجراء الرواتب المجزية عليهم وعطفه عليهم وعلى أولادهم ، كما سمح لهم أيضا باستخدام الخيل (٤٩) .

واحتفظت لنا الوثائق ببعض الأسماء اللامعة من أطباء اليهود الذين خدموا البلاط السلطانى فى عهد صلاح الدين وخلفائه نذكر منهم ابن جميع الاسرائيلى ، وأبا البيان بن المدور ، والرئيس هبة الله ، والموفق بن شوعة ، وأبو المعالى بن تمام ، وأبو البركات

---

(٤٧) Ashtor, Saladin and the Jews p. 308.

(٤٨) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٤٩) Goitein, The Medical Profession in the Light of the Cairo Geniza, Documents, HUCA, XXXIV 1963, p. 184. Ashtor, Saladin and the Jews, p. 307.

ابن شميا ، والأسعد المحلى والطبيب يوسف بن أبى سعيد بن خلف السامرى (٥٠) ، وابراهيم بن موسى بن ميمون الذى شغل منصب رئيس اليهود منذ عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م حينما كن يبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، حتى وفاته فى عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م (٥١) . كما سجلت لنا وثائق الجنيزة أيضاً العديد من الأنشطة التى قام بها ومارسها على رأس الزعامة الدينية والعلمية لليهود فى مصر ، بالاضافة الى منصبه كرئيس لليهود ، الذى جعله مرتبطا بالمسائل الدينية والشرعية ، فضلا من الشئون العامة لأفراد طائفته ، بما فى ذلك رعاية المرضى واليتامى والغرباء وغيرهم ممن كانوا فى حاجة الى العون (٥٢) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة أن ابراهيم هذا عمل أيضا بالقضاء فى العاصمة (القاهرة) (٥٣) . ووصلتنا وثيقة أخرى تحمل توقيعه باعتباره المسئول الشرعى عن المحكمة ، وهناك وثيقة ثالثة توضح قيامه بتدريب أحد الكتاب على كيفية

---

(٥٠) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١١٣ ، ١٨٨ ؛ عطية القوصى صلاح الدين واليهود ، المجلة التاريخية المصرية ، م ٢٤ ، ١٩٧٧ م ، ص ٤٤ ، ٤٥ ؛ أحمد فؤاد ، أوراق جنيزة القاهرة ، هل هى امتداد لعلم البرديات العربية ودراساته (دراسة نقدية للأبحاث المستخلصة من أوراق الجنيزة اليهودية) ضمن أبحاث الندوة التى نظمها مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ١٩٨٣ م ، ص ٢٥٧ .

(٥١) Goitein, Abraham Maimonides and his Pietist Circle, ROMM, Numeros 13-14, 1973, p. 151.

(٥٢) Goitein, Abraham Maiminids, pp. 151-152.

(٥٣) Goitein, Abraham Maimonids, pp. 158.

صياغة اعلان اقامة دعوى قضائية من شخص مقيم ببلدة تقع خارج مدينة القاهرة (٥٤) .

وتمدنا المصادر الأيوبية أيضا بأسماء بعض الأطباء اليهود الذين أسلموا مثل السمو آل بن يهوذا المغربى الحكيم اليهودى الذى قدم من الأندلس الى المشرق ، وألف كتبا فى الطب ، وارتحل الى أماكن عديدة ثم أسلم فحسن اسلامه ، وصنف لنا كتابا فى اظهار عيوب اليهود (٥٥) ، ولا ننسى أيضا موسى بن ميمون الاسرائيلى الذى كان يعد من أشهر أطباء العصر الأيوبى بلا منازع ، وأسلم فى أثناء وجوده بالمغرب ، وحفظ القرآن ، وبعد قدومه الى مصر جعله صلاح الدين طبيبه الخاص وعينه رئيسا لليهود فى مصر . وقيل انه كان بارعا فى آداب الدين والعهد القديم والعلوم الرياضية والفلسفية وخدم صلاح الدين وابنه ، ومن أهم كتبه كتاب « دلالة الحائرين (٥٦) . وعلى ذلك يمكن القول بأن زعامة الطب فى العهد الأيوبى انتقلت الى اليهود بسبب عطف السلاطين الأيوبيين وتسامحهم ورعايتهم لليهود .

---

(٥٤) Goitein, Abraham Maimonids, pp. 159-160.

(٥٥) ابن القفطى ، تأريخ الحكماء ، ص ٢٠٩ ، ابن يحيى المغربى السموأل ، افحام اليهود ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوى ، القاهرة ١٩٨٦ م ، ص ٩٤ .

(٥٦) ابن ابى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ١١٧ ؛ ابن القفطى ، تأريخ الحكماء ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ؛ عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٣٨٦ ؛
Al-Exander (Marx,) History of the Jewish People, New York, 1977, p. 342.

وقد أمدتنا احدى وثائق الجنيزة بوصف للعمل الذى كان يقوم به احد الأطباء اليهود فى المارستان الذى أنشأه صلاح الدين بالقاهرة ، فذكرت أنه « ... قام بعلاج المرضى فى القاهرة ومصر ، ولازم المارستان ليلاً ونهارا يتابع المرضى مسلمين ويهود فى جميع الأوقات حتى فى يوم راحته .. (٥٧) .

أما فيما يتعلق بدور اليهود فى الحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر الأيوبى فقد مارس يهود هذا العصر جميع الحرف والصناعات التى سبق لهم ممارستها ابان الدولة الفاطمية مع بعض التغيرات القليلة ، اذ يستشف من احدى وثائق الجنيزة التى وصلتنا من هذا العصر اشتغال اليهود بالعديد من الحرف كحرفة الصباغة ، وصناعة المعادن والزجاج والحلى بالاضافة الى صناعة الخمور والسكر والعسل (٥٨) .

أما فيما يتعلق بالناحية التجارية ، فقد قام اليهود بدور كبير فى التجارة الداخلية وفى تجارة المرور بين الشرق والغرب ، وذلك بفضل سياسة التسامح التى نعموا بها ايضا فى زمن الدولة الأيوبية مما جعلهم يجنون ثروات لا حدود لها (٥٩) كما كان لهم نصيب كبير فى هذه التجارة ، اذ اسهموا برءوس أموالهم فى تجارة

---

(٥٧) Cohen (R. Mark), The Burdensome Life of A Jewish Physician and Communal Leader, A Geniza Fragment form the Alliance Israélite Universelle Collection 1993, pp. 127, 129-130.

(٥٨) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٧١ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٤٣ الى ١٧٢ .

(٥٩) عطية القوصى ، صلاح الدين واليهود ، ص ٤٢ ، ٤٣ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة فى مصر ، ص ١٧٥ .

أبناء عمومتهم من اليهود الراذانية (٦٠) ، الذين قاموا بدور نشط على مدى عدة قرون فى مجال التجارة بين الشرق والغرب (٦١) .

وهناك قصة تشير الى مدى الثراء الفاحش الذى وصل اليه بعض اليهود فى هذا العصر ملخصها أن السلطان صلاح الدين كان فى حاجة الى المال فأشار عليه الناصحون بأن يتصيد الأخطاء للايقاع بأحد اليهود الأثرياء الذى كان يقيم بأرضه ثم ينتزع ممتلكاته التى كانت كثيرة لا تحصى ولا تعد (٦٢) . ولعل سبب ثراء هؤلاء اليهود مرجعه الى عملهم فى تجارة العملة وأعمال الصيرفة ، والاقراض بالربا ، كما كانوا يقرضون على رهون ويستعملون الصكوك المثبتة لذلك (٦٣) .

---

(٦٠) كانوا يعملون بالتجارة العالمية ، وكانت مصر أحد مسالك تجارتهم ، وكنوا يتكلمون العربية والفارسية والرومية والأندلسية والصقلية ، وكانوا يسافرون من المشرق الى المغرب وبالعكس برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون مع الفرنجة فى البحر العربى فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم الى الجار وجده ثم يمضون الى السند والهند والصين ويجلبون من الصين المسك والكافور والعار صينى ثم يرجعون الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم الى القسطنطينية ، انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، طبعة لندن ١٨٨٩ م ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ؛ عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٦١) عطية القوصى ، تجارة مصر ، ص ٣٥ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٨٦ .

(٦٢) سعاد حسين الأصفر ، صلاح الدين الايوبى كما جاء فى ال Novellina حوليات كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، م ١٩ ، ١٩٩٣ م ، ص ١١ ، ١٢ .

(٦٣) حسن ظاظا ، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٣ ؛ سلام شافعى ، أهل الذمة ، ص ١٨٤ .

وكان على التجار اليهود دفع الجزية شأنهم فى ذلك شأن المسلمين فقد جاء فى احدى وثائق الجنيزة بصدد الجزية التى عرفت فى عهد الأيوبيين باسم (جعليه) أن تاجرا يهوديا من تجار الهند تغيب فى الهند تسع سنوات ، ثم توفى هناك فدفع عنه أخوته فى مصر جعلية السنين التسعة (٦٤) .

وقد تركت الدولة لليهود حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، كما بقى التشريع والقضاء والتعليم والمساعدات الاجتماعية من صلاحيات رئيس اليهود ، مع الحفاظ على حق اليهود دائما فى اللجوء الى القضاء الاسلامى اذ رغب فى ذلك (٦٥) .

وقد اشار أحد الباحثين الى تجاوز رئيس اليهود أحيانا لحدوده مع بعض أفراد رعيته ، كما أشار أيضا الى شغل هذا المنصب عن طريق البذل والبرطلة (٦٦) ، فروى أن شخصاً يهوديا يدعى يحيى اغتصب لنفسه رئاسة اليهود على أن يقدم ألف دينار كل سنة لوزير مصر (٦٧) ، ولما علم صلاح الدين بأمره

---

(٦٤) عطية القوصى ، صلاح الدين واليهود ، ص ٤٢ ؛
Ashtor, Saladin and the Jews, p. 309.

(٦٥) Ashtor, Saladin and the Jews, pp. 307-313.

(٦٦) عن هذا الموضوع انظر أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ م .

(٦٧) اشار اسرائيل ولفنسون فى كتابه موسى بن ميمون بقوله « ولعل ذلك الوزير كان شارو » ، انظر ولفنسون ، موسى بن ميمون ، القاهرة ١٩٣٦ م ، ص ١٨ ، ولكن هذا القول ليس صحيحا لأن شارو قتل على يد شيركوه بعد موافقة الخليفة العاضد الفاطمى لخيانته واستعانته بالصليبيين ، انظر أحمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية ، والقاهرة ، ١٩٩٣ م ، ص ١٩٩ .

وتجاوزه الحدود مع اليهود أصدر مرسوما بعزله وطرده مع أسرته من مدينة الفسطاط (٦٨) .

ولدينا بعض الحالات الأخرى للبذل والبرطلة التى حدثت فى العصر الأيوبى على وظيفة رئيس اليهود ، ففى منتصف القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى شغل يهوديا يدعى « صموئيل بن حنانيا » منصب رئاسة اليهود ، وكان يعمل فى الوقت نفسه طبيبا فى بلاط السلطان ويحظى بتقدير عظيم ، الا أن يهوديا آخر يدعى زوط أتصف بالطموح وكان مكروها من اليهود استطاع بعد أن دفع مبلغا محددا من المال ان يغتصب هذا المنصب، ومع ذلك فلم يشغله سوى ستة وستين يوما وعزل بعدها واعيد « صموئيل بن حنانيا » مرة ثانية وبقى فى منصبه الى حين وفاته وبعدها بقى المنصب شاغرا لفترة طويلة (٦٩) .

وقد آل أمر الاشراف على شئون اليهود فى العقود الأربعة الأخيرة من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى الى رؤساء اليشفا فى الفسطاط الذين يدعون جاؤنيم (٧٠) .

---

(٦٨) ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٨ ، ١٩ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(٦٩) Mann, The Jews in Egypt, I, pp. 235, 236 ; Ashtor, Saladin and the Jews, p. 313.

(٧٠) جاؤنيم لقب عبرى يعنى « العظماء أو العباقرة » كان يطلق على رؤساء الأكاديميات التلمودية « اليشيفوت » فى سورا وبومباديثا ، اعتبارا من القرن السادس الميلادى حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى ، وكانوا يمثلون السلطة التشريعية العليا فى العالم اليهودى ، كما كانوا أيضا بمثابة الزعماء الروحانيين لليهود ، انظر الموسوعة العبرية ، جـ ١٠ ، ص ١٣١ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية الاسرائيلية والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٦م ، ص ٢٢٨ .

خلاصة القول ان العصر الايوبى ، كان عهدا من الأمان والاطمئنان الحقيقى بالنسبة لليهود ، فقد نعموا خلاله بسياسة التسامح واحتفظوا بجميع حقوقهم المدنية ، وكان من حقهم الشكوى الى السلطان مثل باقى الرعية (٧١) ، والدليل على ذلك ما ذكره الألمانى فيتزتوم بور كهارد ، ملاح فريدريك بارباروسا ، الذى زار مصر فى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م عن علاقة الدولة بأهل الذمة من يهود ونصارى فيما يتعلق بحرية العقيدة فقد روى « ... أن اختيار العقيدة كان مكفولا للجميع بحرية مطلقة ... » (٧٢) .

---

(٧١) اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛ مارك كوهين ، المجتمع اليهودى ، ص ٦٦ ؛

Ashtor, Saladin and The Jews, p. 309.

(٧٢) Ashtor, Saladin and The Jews, p. 309.

الباب الأول

مكانة اليهود فى الدولة المملوكة

الفصل الأول : علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة ·

الفصل الثانى : اليهود والوظائف المؤثرة فى عصر سلاطين المماليك ·

الفصل الثالث : مدى التزام اليهود بالشروط العمرية وموقف الدولة من ذلك ·

الفصل الأول

علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة

كانت العلاقة بين الدولة المملوكية واليهود تسير على الأسس نفسها المطبقة على النصارى ، ومن أهم قواعد هذه العلاقة موضوع الجوالى التى كانت أحد الشروط الأساسية فى عقد الذمة ، كما كانت من أهم الموارد المالية للدولة ، وكان اليهود يقومون بسدادها مقابل الدفاع عنهم وحمايتهم فى الدولة الاسلامية (١) ، تحقيقا لقوله تعالى فى كتابه العزيز : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢) .

---

(١) ابن زين القاضى ، كتاب شروط النصارى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٥٢ ، تاريخ ميكروفيلم برقم ٢٥٣٩٥ ، ورقم ٣١ ؛ ابن الاخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمود شعبان ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٨ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٩٤ ؛ حسين زين ، الأوضاع القانونية ، ص ٢٢٥ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم ٢٩ .

وقد فسر قوله تعالى « حتى يعطوا الجـزية » تفسيرين احدهما : « حتى يدفعوها فعلا » ، وثانيهما : « حتى يضمنوها » فاذا ضمنوها يجب الكف عنهم (٣) ، والجزية تعنى لغويا الجزاء بمعنى انهم يدفعونها اما جزاء على كفرهم واما لتأمينهم فى ديار الاسلام والدفاع عنهم (٤) .

وقد عرفت الجوالى التى فرضت على اليهود زمن الدولـة المملوكية باسم ضريبة الرءوس (٥) وكانت تجبى منهم على النحو الذى ورد فى الشروط العمرية وعرفت أيضا فى العصور المتأخرة باسم « الجوالى » (٦) ، وكانت تفرض على كل شخص بالغ حر

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ٢٢ ، ٢٣ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٦ .

(٤) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٦ .

(٥) ضريبة الرءوس عرفت فى العالم القديم ، وكنت الجيوش الفاتحة تفرضها على الشعوب المغلوبة ، فثمة اختلافات مهمة وجوهرية بين الجزية ، « وضريبة الرأس » ، صحيح أن كلا منها قد فرضت على الفرد ولكن شروط فرض الجزية ومقاديرها المختلفة تميزت بطابع انسانى اذ راعت عدم أخذها من النساء والأطفال والشيوخ فضلا عن غير القادرين ، كما أن الرهبان أعفوا منها بشرط انقطاعهم فى أديرتهم بالاضافة الى امكان تأجيل تحصيلها من المعسرة ، والجزية جزء من اتفاق عقد الذمة الذى هو التزام متبادل بين طرفين ، ففى مقابل التزام أهل الذمة بالشروط العمرية يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم وتعويضهم عما يتلف منهم ، كما تكفل لهم حرية كسب العيش وتنظيم جماعاتهم داخليا بجانب حرية العقيدة والدفاع عنهم ماداموا باقين داخل المجتمع الاسلامى . القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١٣ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٩ .

(٦) الجوالى ، جمع جالية ، لفظ جالية يطلق على أهل الذمة ، وقد « قيل لهم ذلك لأن الامام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من اهل الذمة وان لم يجلوا عن اوطانهم » ، انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (١) ص ٢٨٤ هامش (١) ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٢ .

عاقل ، وأعفى منها الصبى والمرأة والمجنون والخنثى المشكل « فان زال اشكاله وبان رجلا أخذت منه » وكان يعفى منها أيضا من ليس أهلا للقتال كالشيخ الكبير أو من يعجز عن أدائها ، كما كانت تسقط عمن أسلم سواء أكان اسلامه فى أثناء العام أو بعد نهايته ، وكان يجوز تأجيل الجزية على الفقير المعسر حتى يصبح قادرا على أدائها (٧) .

أما فيما يختص بفاقدى البصر وأصحاب العاهات الأخرى وكبار السن وغير القادرين على العمل فهناك بعض الاجتهادات الفقهية بصددها ، فالمذهب الشافعى يفرض على هؤلاء الجزية ، أما المذهب الحنفى فهو يعفى هذه الفئات من دفع الجزية (٨) .

ويذكر أبو يوسف فى كتابه الخراج أن فاقد البصر الذى يعمل وأصحاب العاهات وكبار السن الذين يمتلكون أية ممتلكات ملزمون بدفع الجزية (٩) ، كذلك فيما يخص الفقراء الذين لا يملكون شيئا فهناك اجتهادات فقهية مختلفة ، فالمذهب الشافعى يفرض

---

(٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ ابن طلحة ، العقد الفريد للملك السعيد ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ، ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ ؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ؛ انقلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٥٦ ، ٩٥٧ ؛ ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤٤ .

(٨) النووى ، منهاج الطالبين وعمدة المفتين فى الفقه ، ط (٢) بولاق ١٣١٤ هـ ، ص ١٢٢ ، ٢١٨ ؛

Gril (Denis,, une émeute anti-chtienne à Qûs au début du VIII /XIV. Siécle, AI, (16) 1980, p. 256.

(٩) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

عليهم الجزية (١٠) ، أما سائر المذاهب الأخرى فهى تبطل ذلك ، ويرى البعض بالنسبة لهؤلاء الفقراء أنه مادام قد تبدل وضعهم الاقتصادى فهم ملزمون بدفع الجزية ، حتى ولو كانت مقدما للفترة التى قد لا يستطيعون السداد خلالها (١١) .

وعلى هذا يحق لنا أن نتساءل عن موقف الذمى الذى يموت وهو مدين بالجزية ، هل كانت الدولة تلزم ورثته بدفع المستحق عليه ؟ لقد شغلت هذه القضية قضاة العصر المملوكى ، واختلفت بصددها المذاهب الاسلامية الأربعة ، فقد ذهب كل من الحنفية والحنابلة الى رفض مطالبة الورثة بسداد هذا الدين ، على حين قال الشافعية والمالكية بضرورة سداد هذا الدين المستحق على السنوات السابقة على وفاة الذمى (١٢) .

ويعتقد الحنفية والمالكية والحنابلة أن الذى يتحول الى الاسلام غير ملزم بدفع الجزية عن الفترة السابقة لتحوله ، وأنه لا يحق للدولة أن تطلب منه سداد أية مستحقات عن الفترة السابقة (١٣) .

وكانت الجزية تجبى عادة مرة واحدة فى السنة ، وكان لها موعد ثابت بعد انتهاء السنة بشهور هلالية ، وفقا للمذهب

---

(١٠) أبو عبد الله ، رحمة الأمة فى اختلاف الائمة ، ط (١) بولاق ١٣٠٠ هـ ، ص ١٥٦ ؛ نريمان عبد الكميم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٤٤ .

(١١) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ .

(١٢) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١٢٨ ؛ ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٨ .

(١٣) أبو عبد الله ، رحمة الامة ، ص ١٥٦ .

الشافعى والمالكى والحنبلى ، وان تمسك أصحاب المذهب الحنفى بضرورة دفعها فى مطلع السنة (١٤) .

ومن المعروف أن مقدار الجزية لم يكن ثابتا فى زمن الرسول (ﷺ) ولا فى أيام أبى بكر حتى جعله عمر بن الخطاب ثمانية وأربعون درهما على الموسر ، وعلى الوسط أربعة وعشرين ، وعلى المحتاج الحراث العامل بيده أثنى عشر درهما أى كل حسب طاقته ، وقد أقر أبو حنيفة هذا التقرير، على حين تركه مالك لتقدير الامام نفسه ، أما الشافعى فقد جعل الجد الأدنى للجزية دينارا واحدا (١٥) ويستشف من كتب الحسبة المملوكية أن الجزية كانت تؤخذ من أهل الذمة على قدر طبقاتهم وحددتها بدينار على الفقير ، ودينارين على المتوسط وأربعة دنانير على الغنى (١٦) .

وهذا التقسيم لأهل الذمة طبقا لأحوالهم الاجتماعية والمبالغ المحددة لكل منهم ، هو التقسيم الشائع لدى معظم المذاهب

---

(١٤) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٥٦ ؛ أحمد محمد عدوان ، الوضع الاقتصادى فى مصر عصر الدولة المملوكية الأولى ١٢٥٠ – ١٣٨١ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤٠ .

(١٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٦ ، ١٤٨ ؛ ابن ادم ، كتاب الخراج ، ص ٢٣ ؛ الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامين فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٤٧ ؛ على حسنى الخربوطلى ، العرب واليهود فى العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ٥٦ ؛ حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٦) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٩ ، ١٠٠ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق جسام الدين السامرائى ، بغداد ١٩٦٨ م ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الفقهية الاسلامية وبخاصة المذهب الحنفى الذى يعد أساسا فى هذا التقسيم (١٧) .

اما فيما يتعلق بجباية هذه الجـزية فـكان على (مباشر الجوالى) (١٨) أن يعد ثبتا بأسماء اليهود الربانيين والقرائين ، ثم يثنى بالسامرة ، ويثلث بالنصارى فى ترتيب أبجدى لتسهيل مهمته ، فاذا أخذت الجزية من أحدهم كتب بها ايصال وشطب اسمه من سجلات ذلك العام ، فاذا عاد أحد النازحين من اليهود الى بلده ولم تكن الجزية قد أخذت منه كان عليه أن يدفعها ، أما اذا كان قد سبق له أن قام بسدادها فى أى مكان خارج بلدته واحضر الايصال الدال على ذلك ، نقل المبلغ الى حساب بلده الأصلى (١٩) ، وكان على اليهودى أن يحمل الايصال الدال على تسديده للجزية عن السنة نفسها اذا ما رحل من محل اقامته ولو

---

(١٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٤ .

(١٨) المباشر هو الموظف الذى يكلف بادارة العمل والاشراف على تنفيذه واجراء المبيعات والمشتروات المتعلقة به ، واستخدام عماله ، وربما أطلق على الموظفين بالدواوين اسم مباشرين . وفى اللغة باشر الأمر وليه بنفسه وبطبيعة الحال تختلف أعمال المباشرين باختلاف الدواوين والأنظار التى يعملون فيها ، وقد شاعت وظيفة المباشر فى دولة المماليك ، فعرف مباشروا الاصطبلات السعيدة ، ومباشرة بيمارستان قلاوون ، ومباشرة وجهات المكوس ، ومباشر الحوائج خاناه ، ومباشرو الختم ، ومباشرو خزائن السلاح ، ومباشرو ديوان الجيش ، ومباشرو ديوان المرتجع ، ومباشرو الذخيرة ، ومباشرو الكسوة . انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية القاهرة ١٩٦٦ م ، جـ ٣ ، ص ٩٨٢ ، ٩٨٣ .

(١٩) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ .

لفترة قصيرة (٢٠) ، ويفهم من الرحالة ميشولام الذي زار مصر سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م أنه كان علي اليهودى أن يحصل على الاذن من السلطان المملوكى اذا أراد الخروج من المدينة (٢١) ، كما كان على رئيس اليهود أن يكتب سنويا الى مباشر الجوالي برقاع تضم كافة أسماء أبناء الطائفة المقيمين فى البلاد ، وقد عرف المقيمون من أهل الذمة الذين تضمهم تلك الرقاع في مصطلح عصر المماليك باسم الرواتب (٢٢) ، أما الوافدون من اليهود فكانوا يضافون فى رقاع خاصة تحت اسم الطوارىء (٢٣) ، وكانت هذه الرقاع تضم أيضا اسماء الصبية الذين لم يبلغوا سن الرشد من اليهود والنصارى وكانوا يعرفون باسم النوابت (٢٤) ، وكانت الرقاع تحوى كذلك بيانا باسماء الذين اعتنقوا الاسلام ، أو الذين ماتوا ، أو أسماء من سافروا واسم البلدة التى سافروا اليها (٢٥) .

وظلت أموال الجزية جارية فى ديوان الخاص السلطان حتى عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م حين قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون

---

(٢٠) Goitein, A Mediterranean Society, I, Londin 1967, p. 57 ; Rabie (H.), The Financia System of Egypt, Oxford, 1972, p. 110.

قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ .

(٢١) Adler, Jewish Travellers, London, 1927, p. 163.

(٢٣) الطوارىء ، الذين طرءوا على البلد ولم يكونوا منه ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ ، هامش (٧) .

(٢٣) الطوارىء ، الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ هامش (٩) .

(٢٤) النوابت ، جمع نابتة أى النشء الصغار ، والمراد بهم هنا من دون البلوغ ، النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ هامش (٩) .

(٢٥) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ؛ قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ٩٥ ؛ أحمد عدوان ، الوضع الاقتصادى ، ص ٤٤٠ .

ببعض التغيرات والتعديلات فى نظام الدولة المـالى والادارى ، تمثلت فى عملية فك وتعديل زمام الأرض الزراعيـة ، واعـادة مسحها وتثمينها لتقدير الخراج وتعديل الضرائب تلك التعديلات التى عرفت باسم « الروك الناصرى » (٢٦) ، وبعد أن كان توريد حصيلة هذه الجزية يوجه الى ديوان الخاص السلطانى (٢٧) ، صار أهل الذمة فى كل اقليم يدفعون الأموال المقـررة عليهم الى صاحب الاقطاع (٢٨) .

أما حصيلة الجزية المستخرجة من أهل الذمة فى القاهـرة والفسطاط فكان يحمل قدرا معينا منها الى بيت المال ، أما الباقى فكان يوزع رواتب القضاة وأهل العلم (٢٩) ، فى حين كانت الجزية المحصلة من الأقاليم تعطى لمقطع البلد سواءا كان أميرا أو غير ذلك كما يفهم من القلقشندى الذى كتب يقول : « ... يجـرى

---

(٢٦) الروك كلمة قبطية معربة وفعله راك ، وهى عملية مسح الأراضى الزراعية وحصرها فى سجلات لتثميتها لتقدير الخراج وفقا لدرجة خصوبتها . ويقابل الآن عملية فك الزمام وتعديل الضرائب تبعا لذلك ، وقد تمت هذه العملية فى مصر الاسلامية عدة مرات ، أشهرها فى عصر سلاطين المماليك الروك الحسامى الذى أجراه حسام الدين لاجين ، والروك الناصرى الذى أجراه الناصر محمد ، انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٤١ ، ٨٤٢ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٤٢ هامش (١) .

(٢٧) هذا الديوان السلطانى الخاص بالنظر فى أموال السلطان والتحدث فى جهاته ومضافاته ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٥٦ ؛ عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٣٩ .

(٢٨) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ص ٩٠ ؛ السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٧٠ .

(٢٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٣ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٧٥ .

مجرى مال ذلك الاقطاع ... » أما اذا كانت الجهة تابعة لبعض الدواوين السلطانية « .... كان ما يتحصل من ذلك جاريا فى ذلك الديوان ... » (٣٠) .

ويفهم من النويرى أن كل محاولة لإخفاء شخص ما عن موظف جباية الجزية ، كانت تقابل بعقوبة شديدة ، ويدفع الملتزم الجزية فورا ، كذلك كان موظفو الديوان يطلبون من أهل الذمة كل المعلومات بشأن الأطفال حتى يتسنى لهم جباية الجزية منهم عند بلوغهم السن القانونية ، وفى بعض الأماكن كان موظفو جباية الجزية لا يكتفون بقبول بيانات أهل الذمة بل كانوا يلزمون أهل الذمة بتسليمهم بصفة فورية بيانا بالمواليد والوفيات (٣١) . وهكذا كانت تجبى الجزية من اليهود فى القاهرة وفى المدن الأخرى طبقا لهذا النظام الذى أوضحه لنا القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى (٣٢) .

ويستشف أيضا من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ان طائفة اليهود فى القاهرة كانت ملزمة بدفع مبلغ كبير من المال مقابل الجزية المفروضة على اليهود مما اضطر بعض أفراد الطائفة اليهودية الى بيع أوقافهم لسداد المبلغ المطلوب ، وان حصيلة البيع بلغت سبعة آلاف درهم الأمر الذى ساعد الطائفة على سداد الجزية

---

(٣٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

(٣١) النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٨ ، ص ٢٤٢ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٢ .

(٣٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٩٢ ، ٤٦٣ .

المطلوبة وشراء وقف آخر من باقى المبلغ (٣٣) . وهذا يعنى أن الطائفة اليهودية كانت تأخذ على عاتقها فى العصر المملوكى مسئولية دفع الجزية ، وأنها كانت تتعهد أمام الدولة ، بسداد الجزيـــة الواجبة والمفروضة على جميع يهود القاهرة .

بيد ان هذا النظام لم يكن ثابتا اذ نلاحظ أن نظام دفــع الجزية قد تم تعديله من فترة الى أخرى ، فأحيانا كانت الجزيـــة تجبى بشكل فردى وأحيانا أخرى كانت تجبى بشكل جماعى حيث كان يتم تحصيل مبلغ معين من رئيس الطائفة نفسه طبقا لتقدير عدد دافعى الجزية فى هذه الطائفة ، اذ يذكر المقريزى أن السلطان المؤيد شيخ أمر رؤوساء طوائف اهل الذمة في عام ٨١٥ هـ ١٤١٢م بحمل الجزية عن كل فرد علي حدة ، كما الزمهم بدفع فرق قيمة الجزية عن السنوات الماضية ، وانه اعيد فرض الجزية على كل فرد منهم وفقا للقيمة التى حددها فقهء الاسلام الأول ، فالغنى أربعة دنانير ، والمتوسط اثنان ، ودينار واحد للفقير ، كما تكرر ذلك فى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م (٣٤) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة أنه فى حالة تأخير سداد الجزية كانت تفرض غرامة على اليهود المتأخرين ، بدليل أن رئيس الطائفة رابي يهوشوع كان يعمد الي تنبيه اليهود المقيمين فى مصر الي ضرورة الاسراع بسداد ما عليهم من الجزية والا يعتمدوا على المندوب المخصص لجمعها ، كما كان يحث أثرياء يهود القاهـــرة على القيام بسداد العجز فى الجزية المتمثل فى المبالغ التى كانت تجبى من فقراء اليهود ، وجرت العادة أن يتفق رؤساء اليهود مع

---

(٣٣) Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, I. New York, 1972, p. 432.

(٣٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٤٧ ، ٢٩٠ .

سلاطين المماليك على القيام بالسداد الجماعي للجزية عن الفقراء، سواء بسدادها اجماليا أو على أقسـاط . ومـن تعليمات رابى يهوشوع أيضا تكليف بعض الحاخامات مثل رابى افراهام ، ورابى نصر الله ، وهبة الله ، ورابى موسى بالاسهام فى مبلغ الجزيـة المطلوبة عن طريق تحمل سداد مائة وخمسين درهما من صندوق النذور بدلامنبعض اليهود المعوزين الذين تأخروا عن دفعها ، كما حذر اليهود الذين يمتنعون عن دفع الجزية بعقوبة النبذ مـن الطائفة وهى احدى العقوبات التى تطبق فى تلك الآونة على كل من يخالف أحكام الطوائف حتى يقوم بسداد ما عليه من الجزية ، فعلى اليهود تجميع مبلغ الجزية واعطاؤها الى الحاخـامات الأربعـة المذكورين آنفا وعدم مخالفة التعليمات (٣٥) .

ومع حرص سلاطين المماليك على الالتزام بالعدالة تجـاه اليهود عملا بتعاليم الدين الاسلامى ، الا أنهم كانوا فى بعـض الاحيان يمارسون عليهم ضغوطا شتى ارضاء لرجال الدين من المسلمين ، من ذوى النفوذ الواسع فى تلك الآونة (٣٦) ، ومراعاة لمشاعر العامة ، ورغبة فى الظهور بمظهر حماة الدين الاسـلامى لتدعيم مركزهم فى نظر رعاياهم من المسلمين ، خاصة وان الحروب الصليبية كانت قد أثارت روح العداء بين المسلمين وغير المسلمين

---

(٣٥) وثيقة من الجنيزة تتضمن احد تعاليم رئيس الطائفة رابي يهوشوع ، انظر الملحق رقم (١) .

Ashtor, History, of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks, Geniza documents, III, Jerusalem 1970, (in Hebrew) Fragments From the Cairo Genizak, pp. 82-83.

(٣٦) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٤٢ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٤ .

فى كل من مصر والشام (٣٧) . ومع ذلك فاليهود لم يتعرضوا للاضطهاد الا فى أوقات الشدة والاضطرابات والفتن فقط ، وفيما عدا ذلك كانوا يتمتعون بكل ما كان يتمتع به المسلمون من حقوق وامتيازات فى عصر المماليك (٣٨) ، لأن اليهود كانوا فى الواقع جزءا لا يتجزأ من المسار العام للتاريخ المصرى ، لذلك كان من الطبيعى أن صدر بعض سلاطين المماليك العديد من المراسيم لصالح أهل الذمة جاء فى بعضها التذكير : « .. بأن تكون جهتهم مرعية على الدوام وذمتهم محفوظة بذمة الاسلام ... » وذلك « .... عملا بحكم الملة الاسلامية وشريطة الشريعة المحمدية ... » (٣٩) .

وتوضح بعض الوثائق الأخرى التى حفظها لنا المؤرخون المعاصرون مدى اهتمام الدولة برعاياها من أهل الذمة كما يستشف من عبارات بعض هذه الوثائق « ... فنحن بحمد الله معتنون بمصالح الرعية وان اختلفت مللهم وآراؤهم وتفرقت مذاهبهم وأهواؤهم ... » (٤٠) كما التزم سلاطين المماليك فى كثير من الأحيان بالدفاع عن مصالح رعاياهم من أهل الذمة يهود ونصارى، فقد نودى فى القاهرة ومصر فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م بألا يتعرض أحد لليهود والنصارى (٤١) .

---

(٣٧) المقريزى ، السلوك جـ ٣ ق (١) ، ص ٤٤ ، ٧٥ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤٢ .

(٣٨) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣٩) مجموعة وثائق دير سانت كاترين ، مراسيم قلاوون ، رقم ٢٢ ؛ وبرقوق ، رقم ٢٩ ؛ وفرج بن برقوق ٤٦ ؛ والمؤيد شيخ ، رقم ٤٩ .

(٤٠) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٤١) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

وقامت الدولة المملوكية أيضا بمنح اليهود بعض الألقاب الخاصة التى ان دلت على شىء فانما تدل على تسامح سلاطين المماليك ازاء اليهود الذين كانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع المصرى يتفاعلون معه ويؤثرون فيه ويتأثرون به ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على خطاب يستشف منه أن سلاطين المماليك سمحوا لليهود باتخاذ لقب شيخ (٤٢) ، أو الشيخ الذى اختص به المسلمون بصفة خاصة كالشيخ الفخر ويبدو أن المقصود من اطلاق لقب شيخ على بعض اليهود كان التبجيل بدليل انه يوجد لدينا بعض الأسماء التى وردت فى الخطاب نفسه وقد خلت من لقب الشيخ مثل فرج الله الكارمى ، ونصر الله بن الكارمى ، ولعل فى حمل بعض اليهود لهذا اللقب خير دليل على سياسة التسامح التى انتهجتها دولة المماليك تجاههم مما جعلهم يندمجون داخل المجتمع المصرى ، الأمر الذى وسع من دائرة معرفتهم بالمسلمين ومنحهم بالتالى حق استخدام أسمائهم وألقابهم (٤٣) ، وهذا شاهد بدوره على تمتعهم بمكانة لائقة داخل المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك .

وتمدنا الوثائق العبرية أيضا ببعض الألقاب المضافة الى الشيخ مثل الشيخ سيد الأهل ، الشيخ الأجل ، الشيخ الجليل ،

---

(٤٢) الشيخ فى اللغة الطاعن فى السن ، وربما قصد به من يجب توقيره كما يوقر الشيخ ، وفى عصر المماليك كان هذا اللقب أحد الألقاب الأصول ، ولم يكن هذا اللقب مقتصرا على المسلمين بل كان يطلق أيضا على أهل الذمة من الكتاب والصيارف يهودا ونصارى ، انظر حسن الباشا : الألقاب الأسلامية ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٤٣) اشتور ، خطاب شخصى من عصر المماليك بين اثنين من اليهود المصريين بالعبرية ، نشرت فى مجلة Keriat Sefer. ١٩٦٤ م ، ص ١٩٩ ، ٢٠٥ ، انظر الملحق رقم (٢) .

الريس (٤٤) ، وببعض الألقاب الأخرى مثل لقب الحضرة السامية (٤٥) والرئيس ، والكافى والمقرب ، والحكيم ، وتاج الحكمة ، وثقة الملوك والسلاطين (٤٦) ، كما أشار القلقشندى الى أن أعلى ألقابهم كان الحضرة ، ثم حضرة الشيخ ، ثم الشيخ (٤٧) .

وقد حصل كبار القوم من الطائفة اليهودية على ألقاب غير مركبة مع كلمة دين ، فكان الشخص يحصل على اللقب ولكن بدون ياء النسبة وكان يأتى قبل اللقب لفظة الشيخ فالمسلم كان يدعى علاء الدين أو العلائى أما اليهودى فيدعى الشيخ أو العلاء كما كان المسلم يلقب ببدر الدين أما اليهودى فيطلق عليه الشيخ البدر (٤٨) ، وحصل اليهودى فى كثير من الأحيان على ألقاب مركبة مع لفظة دولة التى حلت هنا بدلا من كلمة الدين فقيل أمين الدولة بدلا من أمين الدين ، وفى حالة اعتناق اليهودى للاسلام كان يضاف الى اسمه الصفة أو لفظه الدين أى يتم تسويته

---

(٤٤) Gil (Moshe), Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza, Leiden, 1976, pp. 321 - 324 - 416 - 417 - 497 ; Gotheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 66.

(٤٥) Cohen (Mark), Geniza Documents Concerning, a Conflict in a Provincial Egyptian Jewish Community During the Nagidate of Meverk B. Saadya « Studies in Juraism and Islam Jerusalem, 1981, p. 137.

سلوى على ميلاد ، وثائق أهل الذمة فى العصر العثمانى وأهميتها التاريخية ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٣٥ .

(٤٦) سيده كاشف ، مصر الاسلامية ، ص ١١١ .

(٤٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٩ ، ص ٢٦٥ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٤٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

بالمسلم (٤٩) ، وتكشف لنا الأسماء التي وردت فى بعض الخطابات الخاصة من عصر سلاطين المماليك أن اليهود قد حافظوا على هذا النظام ، وقد أمدتنا احدى وثائق هذا العصر بالعديد من أسماء اليهود الذين منحوا لقب شيخ مثل رابى شموئيل الشيخ ، والشيخ الفخر موسى بن علم ، والشيخ عبد اللطيف أخيه ، والشيخ النجيب يوسف ، والشيخ الشمس عبد الواحد ، والشيخ الشمس عبد اللطيف ، والشيخ فرج الله ابنه ، والشيخ الفخر أبى المجد ، الشيخ يعقوب الاسكندرانى وشموئيل ابنه ، والشيخ الشمس عبد الحق الفيروزى (٥٠) .

وجرت العادة أيضا أنه فى حالة اعتناق أحد اليهود للاسلام كانت آل التعريف تسقط من لقبه ويضاف اليه لفظ الدين ، فيقال فى حالة الشيخ الشمس ، شمس الدين ، وفى حالة الصفى ، صفى الدين ، وفى حالة ولى الدولة ولى الدين (٥١) ، كما هو الحال بالنسبة لتاج الدين بن فيروز وشرف الدين يحيى (٥٢) .

وفى حالة عدم توافق لقب اليهودى الذى اعتنق الاسلام مع الأسماء الاسلامية ، كان يضاف اليه كلمة الدين ، وفى هذه الحالة كان يتم تغير لقبه الى أقرب الألقاب اليه فالشيخ السعيد مثلا كان يتحول الى سعد الدين (٥٣) ، بيد أن هذا التحديد لألقاب أهل الذمة كان نظريا بدليل أن أحد الفقهاء المعاصرين كتب يشكو آسفا من ان اليهود والنصارى كانوا « ... يدعون بالنعوت التى

---

(٥٠) آشتور ، خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥

(٥١) غاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٠٧ .

(٥٢) آشتور خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٦ .

(٥٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

كانت للخلفاء ويكنون بأبى الحسن لقب على بن أبى طالب ، وبأبى الفضل لقب العباس عم رسول الله ﷺ » (٥٤) .

وكان رئيس اليهود يمثل فى الغالب واسطة العقد فى العلاقة بين الدولة ورعاياها من اليهود (٥٥) ، وقد اعتبرته الدول مستخدما رسميا ، بدليل أن مرسوم تعينيه كان يصدر عن ديوان الانشا ، كذلك كان الحال بالنسبة للوصايا آلتى كانت تصدر بعد التعيين اذ كانت تخرج أيضاً عن الديوان نفسه ، وكانت طائفة اليهود تختار رئيسها ليقوم بتنظيم العلاقة بينها وبين الدولة ، وكذا العلاقات بين أفراد الطائفة نفسها داخل اطار دولة المماليك وكانت التواقيع (٥٦) تبدأ عادة بالتقرير المعتاد عن موقف الدولة العادل والمتسامح مع أهل الذمة ، ثم موقفها من هذه الطائفة ثم تحدد مهام الوظيفة (٥٧) .

---

(٥٤) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٤٢ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٥ ؛ دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٨٤ .

(٥٥) السخاوى ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، المطبعة الأميرية ١٨٩٦ ، ص ٣٦ .

(٥٦) توقيع « وجمعه » « تواقيع » معناها الأساسى فى اللغة هو وضع خاتم أو شعار أو علامة فى أسفل وثيقة رسمية ، وفى العصر الفاطمى كان اصطلاح (علامة) مستخدما فى مصر وبلاد المغرب ، على حين استخدام المشارقة اصطلاح « توقيع » الذى لم يلبث أن عم تدريجيا ليكتسب معنى اصطلاحيا لمنشور اداري عام صادر عن السلطان ويحتاج الى توقيعه أو علامته أو اليهما معا ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١١ ، ص ٣٨٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٦ هامش (١) .

(٥٧) ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد نشره وترجمه الى الفرنسية وعلق عليه E. Blouchet, Patrologia Orientalis باريس ١٩١٩ م جـ ١ ص ٤٥٢ ٤٥٧ انظر الملحق رقم (٣) نسخة توقيع برئاسة اليهود .

وفى كثير من الأحيان كان اليهود يلجئون الى سلاطين المماليك عند خروج رئيسهم على قواعد الملة أو عـادات الزعماء الدينيين للطائفة فقد عثر فى احدى وثائق الجنيزة على التماس مقدم مـن اليهود الى السلطان المملوكى الظاهر جقمق لنقل عبد اللطيف بن ابراهيم بن شمس رئيس اليهود الربانيين من منصبه واعـادة رئيسهم القديم محله ، لأن العادة جرت فى عصر المماليك أن يتم تعيين رؤوساء طوائف أهل الذمة من خلال مرسوم سلطانى يصدر بذلك . وبالتالى كان عزلهم يتم أيضا بواسطة مرسوم يصـدره السلطان ، وقد أشار المؤرخ السخاوى الى عبد اللطيف هذا ، كما ورد اسمه فى بعض الوثائق العربية المحفوظـة بواسطـة القرائيين فى القاهرة ، وهو يعد أحد الذين تولوا أمور طوائـف اليهود من قبل السلطان الظاهر جقمق فى سنة٨٤٦ هـ /١٤٤٢ م ، بالاضافة الى عمله الأصلى كطبيب (٥٨) .

ويستشف من الوثيقة المذكورة أيضا أن قاضى القضاة كان يشارك السلطان أحيانا فى حق اختيار رؤوساء الطوائف اليهودية وفى عزلهم بدليل توسل اليهود الى شهاب الـدين بـن حجـر العسقلانى قاضى قضاة الحنفية أكثر من مرة فى متن الوثيقة ليتخذ موقفا حاسما من رئيس الطائفة اليهودية المذكور (٥٩) .

أما عن الأسباب التى أدت الى قيام اليهود بتقديم هـذا الالتماس ضد رئيسهم عبد اللطيف بن ابراهيم فيرجع الى أنه لم يراع الأسس الرئيسية لدينهم واقرب قواعد ملتهم ، فأباح ما هو

---

(٥٨) Cohen, Jews in the Mamluk Environment : the Crisis of 1442 (A Geniza Study) BSOAS, XL VII, 3, 1984, pp. 435 - 436 - 437.

انظر السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٥٩) Cohen, Jews in the Mamluk, p. 437.

محرم لديهم ، وأجاز بعض الأمور التى حرمتها اليهودية ، فقام ببيع قسم من ممتلكات اليهود ، وأجر بعضا منها نظير مبالغ زهيدة كمقدم لعدة سنوات ، كما قام بتأجير بعض الأوقاف اليهودية التى تعد مصدرا أساسيا للريع المادى الذى يخص الطائفة اليهودية ، ومن المعروف ان نقل ملكية مثل هذه الأشياء كان يحدث ضررا بالغا بميزانية الطائفة (٦٠) .

كما لجأ عبد اللطيف هذا الى استخدام نفوذه القضائى فى استغلال الطائفة اليهودية ماليا ، وكان يفرض على كل قضية مبلغا جزافيا من المال . وكل هذه الأمور تتعارض مع تقاليد المشنا التى نصت على عدم تحصيل أموال من المتقاضين أو اليهود ، كما أن أى تعويض يتم تحصيله كان يعد بمثابة مكافأة لما بذل فى بحث القضية ومع ذلك فقد خاب ظن اليهود فى خلع رئيسهم رغم ما بذلوه من جهد كبير للايقاع به (٦١) .

وجدير بالذكر أن المصادر العربية المعاصرة قد خلت تماما من هذه الواقعة التى حدثت بين اليهود ورئيسهم ، لذلك فان وثيقة الجنيزة التى بين أيدينا تعد على درجة كبيرة من الأهمية لأنها أمدتنا بمعلومات لا يستهان بها حول علاقة اليهود بالسلطة المملوكية ، كما كشفت لنا عن لجوئهم الى السلاطين فى وقت الحاجة .

أما فيما يتعلق بموقف سلاطين المماليك من اليهود ، فقد كشفت المصادر المعاصرة عن تعصب بعض سلاطين المماليك ضد أهل الذمة فى بعض الأحيان فعلى الرغم من حرص السلطان بيبرس على عدم الاساءة الى اليهود ، فانه حدث فى عام ٦٦٤ هـ/

(٦٠) Cohen, Jews in the Mamluk, pp. 439-440.

(٦١) Cohen, Jews in the Mamluk, pp. 438-443.

١٢٦٥ م أن نشبت عدة حرائق فى القاهرة والفسطاط أثناء حملات هذا السلطان على الشام ، فعم الذعر بين مختلف طوائف الشعب ، وانتشرت شائعات حول قيام النصارى باشعال هذه الحرائق ، وبعد عودة السلطان من بلاد الشام وابلاغه بما حدث أمر بجمع اليهود والنصارى وأصدر أمره بحرقهم فى النار ، بعد أن اتهمهم بخرق الشروط العمرية ، فتم حشد جمع كبير من اليهود والنصارى فى القاهرة تمهيدا لالقائهم فى النار وفقا لأوامر السلطان غير أن وساطة الأمير فارس الدين أقطاى أنقذتهم فى اللحظة الأخيرة ، وفرضت عليهم غرامة قدرها خمسمائة ألف دينار ، وتم الافراج عنهم ، بعد أن تعهد البطريرك بدفع أقساط هذه الغرامة ، كما تعهد أهل الذمة أنفسهم بعدم تكرار . ما حدث وتم الزامهم بالشروط العمرية (٦٢) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أيضا أن معاملة أهل الذمة اتسمت فى أواخر عهد السلطان قلاوون بالشدة والذل ، فقد أصدر السلطان مرسوما فى عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م بضرورة مراعاة عدم استخدام أهل الذمة من يهود ونصارى فى وظائف الدولة ، كما شدد على ضرورة عزل من يعمل منهم فى احدى وظائف الدولة ، الا اذا تحول الى الاسلام . وبعد انتشار الخبر بين العوام قاموا

---

(٦٢) النويرى ، نهاية الأرب ، تحقيق محمد عبد الهادى شعيره ، محمد مصطفى زيادة ، جـ ٣٠ ، ص ١١٤ ؛ ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٨ ؛ السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٥٣٥ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ، ص ١٠٤ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ جمال الدين سرور ، الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٦٥ ؛
Perlmann, Notes on Anti-Christian Propaganda in the Mamluk Empire BSOAS, X 1939, pp. 846-852.

بتتبع آثار أهل الذمة وهجموا عليهم فى بيوتهم ، وأخرجوا حريمهم مسبيات وقتلوا جماعة منهم بأيديهم ، بيد انه عندما بلغ السلطان قلاوون ذلك ، أمر الوالى بالمناداة « بأن من نهب بيت نصرانى أو يهودى يشنق ، فتم الامساك بجماعة من الحرافيش ، واشهروهم ، وكان أعظم ما جرى فى مصر بقصر الشمع والكنيسة المعلقة وعدمت أموال كثيرة للنصارى واليهود أيضا فلما نادى السلطان كفوا عن ذلك .... (٦٣) .

وفى أيام السلطان الأشرف خليل بدأت أحوال أهل الذمة فى التحسن اذ اتسمت سياسته نحوهم بالود والتسامح فى بادىء الأمر ولكن سرعان ما تبدلت الأحوال ، فقد روى المقريزى ، أن الكتاب النصارى الذين التحقوا بخدمة الأمراء الخاصكية (٦٤) ،

(٦٣) المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ق (٢) ص ٧٥٣ ؛ العينى ، عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، الحوادث من ٦٤٨ الى ٦٦٤ هـ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م ، ٦٨٩ - ٦٩٨ هـ تحقيق محمد محمد أمين ١٩٨٩ م ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛

Little (D.P.), Coptic Conversion to Islam under the Bahri Mamluks, BSOAS, XXXIX/3 London, 1976, p. 553.

(٦٤) الخاصكية ، جماعة من حاشية السلطان يأتون فى ترتيب البروتوكول المملوكى بعد الأمراء المقدمين ، كان عددهم فى أول الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا على الأربعمائة ، وقد أطلق عليهم هذا اللقب منذ عصر دولة المماليك البحرية ، وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه وفى خلواته بغير اذن وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة وامتازوا بحسن المظهر وأناقة الركوب والملبس ، وقد كان السلطان يقوم بارسالهم فى بعثات خاصة الى بعض الولايات ، كما عينوا ولاة على بلاد الشام وكان منهم عشرة من الدوادارية من حملة الدواة ، وعشرة من الجمدارية السقاة من حملة الكئوس ، وأربعة من الخازندارية ، وأربعة من البشمقدارية اى حملة النعال .
انظر : سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ انظر أيضا ؛

Ayalon, Studies on the Structure of the Mamluk Army, BSOAS, XV, 1953, pp. 213, 214-215.

أساء بعضهم معاملة مرءوسيهم من المسلمين وأثاروا بذلك شعور الكراهية نحو أهل الذمة ، وبلغ من غضب السلطان أنه أمر بأن ينادى فى القاهرة ومصر بألا يخدم أحد من النصارى واليهود عند أمير ، كما أمر الأمراء بأجمعهم أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام (٦٥) .

أما فى عهد السلطان الناصر محمد ؛ فعلى الرغم مما عرف عنه من تسامح مع أهل الذمة ، فان عصره شاهد العديد من المراسيم ؛ ففى بداية عصر الناصر محمد ، أمر باعادة كل من طرد من أهل الذمة الى وظيفته وحباهم بعطفه ومنع عنهم الضرر والأذى ، فتمتعوا فى عهده بالهدوء والطمأنينة وراحة البال ، اللهم الا اذا استثنينا بعض الحوادث العارضة التى كانت تؤدى الى تغيير خاطر السلطان والعامة عليهم ، ولكن تلك الحوادث كانت تزول بزوال الدافع اليها ، واستمر أهل الذمة يتمتعون فى عهده بتلك الطمأنينة حتى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م (٦٦) ، فقد شهد هذا العام أهم حوادث الاضطهاد التى تعرض لها أهل الذمة فى عصر المماليك ، وترجع هذه الأهمية الى حقيقة مؤداها أنه قبل هذا التاريخ لم يكن هناك ما يميز اليهود والنصارى عن سائر المصريين سوى الزنار بالنسبة للنصارى وعلامة توضع على عمائم أهل الذمة تمثلت فى اللون الأزرق للنصرانى والأصفر

---

(٦٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٣) ، ص ٧٥٣ .

(٦٦) المقريزى السلوك ج ١ ق (٣) ، ص ٧٥٣ ؛ على ابراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر بوجه خاص ، القاهرة ١٩٤٤ م ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ؛

Wiet (G.), L'Egypt Arabe de La conquéte Arabe a la Conquéte ottomane 642-1517 de L'ere Chrétienne dans L'Histoire de la nation Egyptienne, Tome IV, Paris, 1938, p. 473.

لليهودى والأحمر للسامرة (٦٧) ويبدو أن أهل الذمة لم يحرصوا على اثباتها على عمائمهم ، بدليل أن وزير المغرب عند زيارته لمصر فى القرن ٨ هـ / ١٤ م لم يستطع أن يميز المستخدم النصرانى الذى حسبه من أعيان المسلمين ، هذا فضلا عما كان يتمتع به أهل الذمة من مظاهر الحرية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الدولة (٦٨) .

خلاصة القول ان السلطان الناصر محمد أصدر فى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م فى أثناء سلطنته الثانية مرسومه الشهير الخاص بأهل الذمة ، بعد أن وضح فى كل من القاهرة والفسطاط مدى ثرائهم الفاحش ، وصاروا يمتطون الخيول ويلبسون الملابس المزركشة الزاهية ، ويتقلدون المناصب الرفيعة ، وقد فجر هذه القضية احد وزراء المغرب فى أثناء زيارته لمصر اذ صادف فى أثناء سيره فى شوارع القاهرة رجلا يمتطى جواداً حوله عدد من الرجال المترجلين الذين كانوا ينظرون اليه بخنوع وذل ويتوسلون بطلباتهم اليه ويقبلون قدمه فى حين أنه كان يدير رأسه عنهم متجاهلا اياهم ، وقد قيل للوزير المغربى ان ذلك الرجل نصرانى ، حينئذ تأثر الوزير كثيرا وذهب الى كل من الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار وتحدث معهما بشأن ما رأى وأدان ذلك بشدة وبكى كثيرا ، وتحدث بشأن النصارى فى اشمئزاز بقوله : كيف تطلبون العون من السماء والنصر على الأعداء مادام أن النصارى عندكم يمتطون الخيول ويلبسون هذه الثياب ، فى حين أن المسلمين يعانون من الفقر ، وقد أوضح الوزير بأن على سلاطين المماليك أن يعملوا

---

(٦٧) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٨٥ ؛ مارك كوهن المجتمع اليهودى ، ص ٦٧ .

(٦٨) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٨٥ .

على التقليل من شأن أهل الذمة مع التميز بينهم وبين المسلمين من خلال زى خاص ، وقد أثر حديثه هذا فى الأميرين ، فقاما بعقد مجلس حضره السلطان والأمراء والقضاة والفقهاء ، وطلب بطريرك النصارى وجماعة من أساقفهم وأعيان ملتهم ودعيا أيضاً ديان اليهود (٦٩) ، وأكابر ملتهم ، وبعد جدل طويل استقر الحال على ضرورة ارتداء النصارى لعمائم زرقاء ، واليهود لعمائم صفراء ، كما استقر الرأى على منعهم من ركوب الخيل أو البغال، فالتزموا بذلك (٧٠) .

وسمح لهم بما قرره الخليفة عمر بن الخطاب وقد قبل الطرفان ذلك ، واضطر بطرك النصارى أن يعلن على رءوس الأشهاد بأنه قد منع النصارى من مخالفة هذه الشروط ، كما أعلن رئيس اليهود ذلك ، وانفض المجلس وأرسل بيان بذلك الى

---

(٦٩) الديان ، الرئيس الدينى وهو معرب اللفظ الاسبانى (den) المشتق من الكلمة اللاتينية (decanus) ، والديان هو صاحب الدين ، وقد تعنى رجلا زاهدا أو ناسكا ، انظر المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٣) ، ص ٩١٠ هامش ، ص ٩١٠ هامش (٣) :

Dozy, (R.) Supplément aux dictionnaires arabes, Leiden, 1881, I, p. 482.

(٧٠) Quatremére, Histoire des sultans Mamluks de l'Egypte, Paris 1-845, II, pp. 177 - 178 ; Lane (poole), History of Egypt in the Middle Ages, London 1968, pp. 300-301 ; Perlmann, Notes on Anti-Christian, pp. 852-853 ; Wiet, Histoire de la nation, p. 473 ; Vermeulen (Urbain), The Rescript of al-Malik as-Salih Against the Dimmis, (755 - A.H / 1354 A-D) OLP , (9) 1978, pp. 180-181.

السلطان والأمراء وأرسلت منه الى مختلف الاقاليم فى كل من مصر والشام (٧١) .

وقد صور لنا ادباء هذا العصر ما كان يعقب هذه الموجات الغاضبة من تشديد على أهل الذمة ، والزامهم بلبس مغاير لما يرتديه المسلمون ، فقال على بن مظفر الوداعى :

لقد الزم الكفار شاشات ذلة

تزيدهم من لعنة الله تشويشا

فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما

ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا

---

(٧١) ابن حبيب ، درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٦٥٣ ح ، ميكروفيلم ٢٤٨٥٢ ، جـ ١ ورقة ٤٤٤ ؛ ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٩٧ ، ٩٨ ؛ ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، النجف ١٩٦٩ م ، جـ ٢ ، ٣٥٦ ؛ ابن أيبك ، كنز الدرر وجامع الغرر وهو الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت ويمر القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ؛ مجهول تاريخ سلاطين المماليك ، نشره Zettersteen ، ليدن ١٩١٩ م ص ٨٤ وما بعدها ؛ المقريزى ، الخطط جـ ٤ ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ؛ السلوك ، جـ ١ ، ق (٣) ص ٩٠٩ وما بعدها ؛ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصره من ذوى السلطان الأكبر ، القاهرة ١٩٧١ م ، جـ ٥ ، ص ٤١٦ ؛ العينى ، عقد الجمان ، حوادث وتراجم من ٦٩٩ ـ ٧٠٧ هـ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ على ابراهيم دراسات فى تاريخ المماليك ، ص ١٢٣ ؛ جمال سرور ، دولة بنى قلاوون ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ حياة ناصر الحجى ، أحوال العامة فى حكم المماليك دراسة فى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط (١) الكويت ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٨ ؛

Donald, Coptic Conversion, pp. 555-557.

وقال شمس الدين الطيبى :

تعجبوا للنصارى واليهود معا
والسامريين لما عمموا الخرقا

كأنما بات بالأصباغ منسهلا
نسر السماء فأضحى فوقهم فرقا (٧٢)

وفى أثناء سلطنة الناصر محمد الثالثة ، حاول الوزير ابن الخليلى عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م . تخفيف القيود التى فرضت على أهل الذمة فى مرسوم ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م وسعى لان يسمح للذميين بلبس العمائم البيضاء لقاء مبلغ من المال يلتزم به أهل الذمة للديوان علاوة على الجزية التى يدفعونها ، وكاد سعيه أن يحظى بالقبول لولا معارضة الشيخ تقى الدين بن تيمية الذى حال دون حدوث ذلك (٧٣) .

وفى عام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م صدر مرسوم آخر بالزام النصارى بلبس العمائم الزرق وأشياء أخرى كرد فعل للحريق الذى التهم أجزاء كبيرة من القاهرة والذى دبره بعض أهل الذمة

---

(٧٢) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٤٠٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ١ ، ق (١) ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٧٣) ابن حجر الهيثمى ، اتحاف تاريخ اخوان الصفا بنبذ منذ أخبار الخلافا ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٦ ؛ ميكروفيلم برقم ٨٤٢٣ ، ورقة ١٢٨ ؛ السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد يحيى الدين ط (٣) ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٤٨٥ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ ؛ ترتون ؛ أهل الذمة ، ص ١٣١ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧٥ .

ونودى بالقاهرة ومصر « من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل دمه ، وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق ، وألا يركبوا الخيول ولا البغال ولا يدخلوا الحمامات الا بلبس الجرس فى أعناقهم ولا يلبسوا ملابس مشابهة لما يرتديه المسلمون ، هم ونساؤهم وأولادهم ، ورسم للأمراء باخراج النصارى من دواوينهم ودواوين السلطان ، وكتب بذلك الى سائر الأقاليم ، فلم يتجاسر نصرانى أن يخرج من بيته ، وكان النصرانى اذا أراد الخروج ومغادرة بيته يستعير عمامة صفراء من أحد اليهود ويتعمم بها ليكون آمنا على نفسه من تعرض العامة له (٧٤) .ويلاحظ أن هذا المرسوم لم يتعرض لليهود ، وفى هذا دليل قاطع على أن اغلب المراسيم التى صدرت فى عصر المماليك ، كانت بشأن النصارى فقط ومع ذلك فقد حرص اليهود على الالتزام بها .

ويبدو أن هذا المرسوم سرعان ما سقط فى طى النسيان شأن ما سبقه من مراسيم وعاد أمراء المماليك الى الاعتماد على الكتاب النصارى والاستعانة بهم ، وقد أفضى هذا بدوره الى زيادة نفوذهم وتكبرهم على المسلمين ، حتى قيل ان بعض كتابهم مر أمام الجامع الأزهر راكبا وخلفه عدد من العبيد فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م . فشق ذلك على المسلمين ، وثاروا فى وجهه وأنزلوه عن فرسه وكادوا يقتلونه ، ورتبوا قصة على لسان المسلمين قرئت بدار العدل على السلطان الصالح صالح بحضرة الأمراء والقضاة وكبار رجال الدول ، وحضر بطريرك النصارى

---

(٧٤) المقريزى السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ٢٢٢ :

Perlmann, Notes on Anti-Christian, pp. 846-852 ; Vermeulen. The Rescript of al-Malik as-Salih, p. 180 ; Bosworth, The « Protected peoples » (Christians and Jews). in Medieval Egypt and Syria, BJRL, 62, 1979-80, p. 35.

ورئيس اليهود وأعيانهم ، وقرأ العلائى على بن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى عقد بين المسلمين وأهل الذمة ولما فرغ من تلاوته ، التزم بطريرك النصارى ورئيس اليهود باتباع ما ورد فيه (٧٥) .

وفى عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م حرم على اليهود والنصارى لبس العمائم الكبيرة والفراجى والجبب بالأكمام الواسعة « ... كهيئة قضاة الاسلام ... » (٧٦) ، وفى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م تجددت القيود على أهل الذمة ، فقد استدعى السلطان المؤيد شيخ بطرك النصارى وقد اجتمع القضاة ومشايخ العلم عند السلطان وحضر محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن العجمى وتكلم مع بطرك النصارى فى تهاونهم فى الملبس والهيئة واستقر الحال بأن لا يباشر أحد منهم فى ديوان السلطان ولا أحد عند الأمراء ، والتزم اليهود بذلك ، امتنعوا عن ركوب الحمير فيما عدا خارج القاهرة (٧٧) .

---

(٧٥) ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٩٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ٤٠٥ ؛ السلوك ، جـ ٢ ، ق (٣) ، ص ٩٢٢ وما بعدها ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ١٣ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٧ ؛

Vermeulen, The Rescript of al-Malik as-Salih Salih, pp. 181-182.

(٧٦) ابن حجر ، أنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى القاهرة ١٩٧٢ م ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ١١٩ .

(٧٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ق (١) ، ٤٨٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

وبعد مرور عشر سنوات ضج أهل الذمة بالشكوى من القيود المفروضة عليهم ، ورفعوا شكواهم فى عام ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م الى السلطان برسباى الذى عقد مجلس حضره الأمراء والقضاة والفقهاء ووصلوا فى النهاية الى ضرورة تخفيف تلك القيود المفروضة عليهم (٧٨) ، ثم ما لبثت هذه القيود أن تجددت على أهل الذمة مرة أخرى فى أيام السلطان الظاهر چقمق فى عام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م « ... لكونهم تعدوا فى ذلك وزادوا عن الحد ... » (٧٩) .

وفى عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م عقد السلطان الظاهر خشقدم مجلسا حضره الأمراء وكبار رجال الدولة والقضاة الأربعة لمناقشة الوضع الشرعى والقانونى لأهل الذمة ، فأعلن قاضى القضاة الشافعى علم الدين البلقينى أنه يجب فرض كل الشروط العمرية على أهل الذمة من يهود ونصارى فيما عدا الصيارفة والأطباء (٨٠) .

هذا وقد تعرض اليهود المصريون لمصادرات (٨١) وابتزازات مالية غير الجزية المفروضة عليهم ، وكان ذلك يحدث فى نطاق

---

(٧٨) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٨٢ .

(٧٩) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٠٧ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧٧ .

(٨٠) ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبعة محمد مصطفى ١٩٨٢ م ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ؛
Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 756.

(٨١) المصادرة ، عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو بالمطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض وفى عصر المماليك رادف لفظة المصادرة أربعة ألفاظ أخرى هى : =

اجراءات مالية عامة تسرى على جميع أفراد المجتمع المصرى بمختلف طوائفه (٨٢) ، ويمكن القول بان المصادرات التى تعرض لها اليهود هنا لم تكن من جراء تعصب دينى ، بل كان يلحق بهم ما لحق بالمصريين عامة من نكبات فى تلك الفترة ، باستثناء بعض الأوقات القليلة جدا التى تعرضوا فيها الى مخالفة السلاطين للمراسيم التى أصدروها بشأن بعض فئات أهل الذمة (٨٣) .

فقد حدث فى أثناء الفوضى الناتجة عن فرار السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م أن قبض على بطريرك النصارى ورئيس اليهود ورسم بمصادرة أملاكهما والزما بمبالغ من المال (٨٤) .

وفى عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م استقرت الأمور بعد مقتل السلطان فرج بن برقوق وتولى شيخ المحمودى السلطنة الذى وجد خزينة الدولة خاوية من جراء هذه الفتنة فعمد فى تلك السنة الى حصر اعداد أهل الذمة وضاعف الجزية المفروضة عليهم (٨٥) .

= الغرامة ، الحوطة ، العقوبة ، الجناية ، فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد ، وكان يسبق الجميع الترسيم انظر البيومى اسماعيل الشربينى ، المصادرات فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب جامعة المنصورة ، ١٩٩٥ م ، ١ ، ص ٤ .

(٨٢) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧١ .

(٨٣) البيومى اسماعيل ، المصادرات فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٣١ .

(٨٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٦٧٥ ، ٦٦٧ ؛ ابن الفرات وتاريخ ابن الفرات ، نشره قنسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين ببيروت ١٩٣٩ م ، م ٩ ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(٨٥) المقريزى السلوك ، ج ٤ ق (١) ، ص ١٤٧ ، ٢٨٩ ؛ حسن حبشى ، الاحتكار المملوكى علاقته بالحالة الصحية ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٩٦٤ ، ص ١٢٨ .

وفى عام ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م زادت جوالى أهل الذمة الى الضعف بعد أن نكل السلطان المؤيد باليهود والنصارى والزموهم بسداد عشرين الف دينار ، لأن ما سدد منها لم يكن وفقا للمتفق عليه (٨٦) .

وفى سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م أحضر السلطان الأشرف قايتباى بطرك النصارى ورئيس اليهود والزمهما بمبالغ من المال لتجهيز الجيش لقتال العثمانية (٨٧) . وفى عام ٩٠١ هـ /١٤٩٥م قام السلطان قايتباى بمصادرة أموال من اليهود والنصارى مرتين (٨٨) وفى عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م فرض ابنه الناصر محمد ضرائب جديدة فى صورة مظالم على جميع أفراد الشعب المصرى والمباشرين وقضاة القضاة وأعيان الناس من التجار وغيرهم وقد شملت الضرائب اليهود والنصارى وجمعت تلك الأموال بالضرب والترسيم والحبس (٨٩) .

وفى عام ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م أطلق السلطان الأشرف جان بلاط نار المصادرة وقاست أعيان الناس من الظلم والمضايقة ما لا يعبر عنه ، وعمت هذه المصادرات أهل الذمة من يهود ونصارى (٩٠) .

---

(٨٦) المقريزى السلوك ، ج ٤ ق (١) ص ٢٩٠ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

(٨٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط بولاق ، ١٣١١ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٨٨) ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ ، ٣٠٢ .

(٨٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ ؛ جمال جرجس يوسف ،

(٩٠) ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٤٤٢ ؛ جمال جرجس يوسف ، الاحتكار فى الدولة المملوكية الثانية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات جامعة عين شمس م ، ص ٢٢ .

نستنتج مما سبق أن أغلب المصادرات والابتزازات المالية التى تعرض لها أهل الذمة من اليهود والنصارى فى مصر كان يتم فى نطاق اجراءات مالية عامة شملت جميع أفراد المجتمع المصرى، أو حدثت نتيجة لسوء سلوك أهل الذمة أحياناً تجاه المسلمين وتعاليهم عليهم أو بسبب احتكارهم لكثير من الوظائف المهمة مما أدى الى وقوع صدام بينهم وبين المسلمين ، أضف الى ذلك عدم التزام أهل الذمة بالمراسيم التى كانت تصدر لتصحيح هذه الأوضاع . وفيما عدا ذلك فقد عاش اليهود فى المجتمع المصرى كجزء منه ، ويمكن القول أيضا أن الدولة المملوكية حافظت على اليهود وعملت على مساواتهم بالمسلمين فى كثير من الحالات ، لذلك لم يخرج اليهود على الدولة المملوكية الا فى حالات قليلة نادرة ، ابرزها ما حدث فى عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م عند هروب السلطان برقوق من منافسيه على السلطنة واضطراب البلاد وانتشار الفوضى ، فى جميع أنحاء الدولة ، وفى أثناء ذلك وصل الى القاهرة جماعة من أهل الشام والتركمان ونهبوا الناس وأخذوا أموالهم وممتلكاتهم وتصدى لهم التجار واليهود فى محاولة للدفاع عن حوانيتهم ، وقد انتهزت العامة تلك الفوضى لممارسة أعمال السلب والنهب واتهم اليهود بقتل أربعة أشخاص من العامة رمياً بالنشاب ، فهاجم العامة اليهود وقبضوا عليهم وارادوا معاقبتهم ، ولكن محمد بن الحسام والى القاهرة منعهم من ذلك ، ودافع عن اليهود وقال انهم لم يفعلوا شيئاً يعاقبون عليه ، وانما كان قصدهم الدفاع عن ممتلكاتهم فتم اطلاق سراحهم (٩١) .

خلاصة القول انه رغم تعدد المراسيم التى صدرت لالزام أهل الذمة بتلك القيود فان الالتزام بها كان يخف تدريجيا بمضى

---

(٩١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ق (١) ، ص ٩٠ .

الوقت حتى ينسى أمرها فيعاد تجديدها بعد فترة . كما كانت هذه المراسيم تصدر لتصحيح بعض الأوضاع القائمة بالفعل ، بسبب سيطرة أهل الذمة على الدواوين السلطانية مما كان يحول أحيانا دون اشتغال المسلمين فى هذه الدواوين ، لذلك كان المسلمون يطالبون بعزلهم واحلالهم محلهم ، كما كانوا أحياناً يقومون بترويج الشائعات ضدهم ، كذلك يلاحظ أن التعصب ضد أهل الذمة كان يأتى فى كثير من الأحيان بتحريض من رجال الدين ، ومع ذلك فلم يستطع سلاطين المماليك الاستغناء عن خدماتهم بسبب خبرتهم ودرايتهم بالشئون الادارية والمالية . كما التزمت الدولة المملوكية فى كثير من الأحيان بالدفاع عن مصالح رعاياها من أهل الذمة لأسباب مختلفة منها نفوذهم فى البلاط السلطانى ، وتأثير القوى السياسية الخارجية لصالحهم وخوف سلاطين المماليك من تمادى العامة فى أعمال السلب والنهب التى كانت تمتد أحياناً لتشمل دور المسلمين أيضا (٩٢) ، كما حدث فى عام ٧١٤ هـ / ١١١٤ م اذا ركب أحد سكان الحسينية فرساً فى يوم الجمعة وشق القاهرة شاهراً سيفه « ... فما وجد يهودياً ولا نصرانياً الا ضربه .. » فجرح عدداً منهم وقطع أيدى عدد آخر قبل أن يتم الامساك به وضرب عنقه (٩٣) .

وفى عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م عزل قاضى القضاة الحنفى عن « قضاء مصر » ... لأنه بالغ فى الحط على الكتاب النصارى .. » وكان اذا رأى ذمياً راكباً أنزله وأهانه ، واذا رأى عليهم ثياباً باهظة الثمن نكل بهم فسعى نصارى الدواوين فى عزله (٩٤) .

---

(٩٢) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧٩ .
(٩٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .
(٩٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ونقرأ أيضاً فى حوادث سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أنه نودى بالقاهرة ومصر ألا يتعرض أحد لليهود والنصارى (٩٥) . مما يدفع الى القول ان سلاطين المماليك وقفوا فى كثير من الأحيان موقفاً حازماً ضد كل من يحاول الاعتداء على أهل الذمة من يهود ونصارى .

هذا وقد شارك اليهود فى الأحداث الجارية فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المالك مشاركة فعالة ، وتأثروا بها وخضعوا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية نفسها التى خضع لهاباقى أفراد المجتمع وشاركوا فى العديد من المناسبات ذات الطابع السياسى ، مع بقية أفراد المجتمع المصرى فى التعبير عن رأيهم فى تلك الأحداث ولعل ما حدث فى أثناء احياء السلطان الظاهر بيبرس للخلافة العباسية والخروج للقاء الخليفة العباسى ابى القاسم أحمد حين قدم الى مصر ، خير دليل على ذلك فقد شارك فى هذا الاحتفال أهل الذمة فخرج اليهود وهم يحملون التوراة والنصارى وهم يرفعون الانجيل (٩٦) .

---

(٩٥) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

(٩٦) ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك جـ ١ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ ؛ بيبرس المنصورى ، التحفة المملوكية فى الدولة التركية ، نشرة عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط (١) ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٧ ؛ ابن أيبك ، كنز الدرر ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ م ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ اليونينى ، ذيل مرآة الزمان م ١ ، ط (١) الهند ، ١٩٥٤ م ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ؛
Hautecaeur et Wiet, Les Mosquées du Cairo, Paris, 1931, I, p. 117.

ومن المناسبات التى شارك فيها أهل الذمة من يهود ونصارى مع بقية أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك صلاة الاستسقاء ، فقد أدرك المصريون أهمية نهر النيل فى حياة مصر وحياة أهلها باعتباره الشريان الرئيسى لحياة البلاد وساكنيها ، ومن ثم فان القلق الذى كان يسود البلاد فى حالة انخفاض مياه النهر أو تأخر الفيضان كان يشمل جميع المصريين مسلمين ويهود ونصارى ، لذا كان أهل الذمة ينزحون مع غيرهم من أبناء مصر الى الصحراء لأداء صلاة الاستسقاء يحملون كتبهم المقدسة ويبتهلون الى الله تعالى أن يجرى مياه النيل (٩٧) ، كما حدث فى عام ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م عندما توقف فيضان النيل واختفى الخبز من الأسواق وبدأ شبح المجاعة يهدد البلاد ، فخرجت جموع المصريين ، ومن بينهم اليهود يحملون التوراة والنصارى يرفعون الانجيل الى الصحراء لصلاة الاستسقاء (٩٨) ، وتكرر ذلك فى أعوام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م و ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م (٩٩) ، و ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م (١٠٠) .

وشارك أهل الذمة أيضاً مع بقية أهل البلاد فى الاحتفالات الخاصة بتنصيب بعض السلاطين ، ففى عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م عندما عاد السلطان برقوق الى السلطنة ، خرجت طوائف الناس لاستقباله ، فخرج اليهود يحملون التوراة فى حين كان النصارى يرفعون أناجيلهم ومعهم الشموع الموقدة لاستقبال السلطان القادم

---

(٩٧) قاسم عبده ، أهل الزمة ، ، ص ١٥٠ ؛ انظر أيضا النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨ م .

(٩٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (٢) ، ص ١٢٤ .

(٩٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٣١ ، ٤٦ .

(١٠٠) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١١ .

من بلاد الشام (١٠١) ، كما خرجت الطوائف نفسهـا لاستقبال السلطان نفسه بعد عودته من رحلة صيد حيث اجتمع اليهـود والنصارى مع الشعب المصرى ومعهم الشموع للقائه (١٠٢) .

واسهم اليهود كذلك فى العديد من أعمال الخدمات العامة كصيانة النهر وحفر الترع والخلجان وبناء الجسور وما الى ذلك ، وكان اشتراكهم فى مثل تلك الأعمال يتم برغبتهم أحياناً وبتسخيرهم مثل غيرهم من المصريين أحياناً أخرى (١٠٣) ، ففى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥ م ركب السلطان المؤيد شيخ من قلعة الجبـل بأمرائـه ومماليكه وكبار رجال الدولة متوجها الى موقع الحفر فى أحـد الخلجان على النيل ، ونودى بخروج الناس للعمل فى الحفـر فخرجت جميع الطوائف للعمل فى أعمال الحفر ، وفى العام نفسه أيضاً ركب الأمير صارم الدين ابراهيم ابن السلطان للهدف نفسه وجمع له الناس من المسلمين واليهود والنصارى للعمل فى الحفر لمدة يومين (١٠٤) .

---

(١٠١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ م (١) ، ص ١٩٩ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(١٠٢) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ م (١) ، ص ٢٣٥ .

(١٠٣) Hautecaeur et Wiet, Les mosquées, I, p. 117.

(١٠٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

الفصل الثانى

اليهـود والوظائف المؤثرة
فى عهد سلاطين المماليك

شارك اليهود المصريون مشاركة فعالة وكبيرة داخل المجتمع المصرى ، ولم يكونوا مجرد أقلية متميزة أو منعزلة ، وانما امتزجوا داخل المجتمع المصرى ، شأنهم فى ذلك شـــأن باقى الأقليـــات الأخرى ، كما أنهم كانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع المصرى ، فرغم قلة عدد اليهود بالنسبة للمجتمع ككل فانهم لعبوا دورا كبيرا سواء فى مجال الطب أو فى تولى الوظائف الادارية بالاضافة الى الأعمال المصرفية . فقد استعان بعض سلاطين المماليك بالاطباء اليهود فصارت لهم منزلة رفيعة ومكانة متميزة فى قصور هؤلاء السلاطين.

ويفهم من بعض مصادر العصر المملوكى أن عدد الأطبـــاء اليهود كان ضخما بالنسبة الى عدد اليهود فى المجتمع المصرى ، اذ تروى المصادر التى ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث

عشر الميلادى « أن اكثر ما تعيش به اليهود والنصارى ، هو جباية الخراج والطب » (١) .

كما نوه ابن الاخوة الذى عاش ابان القرن الثامن / الرابع عشر الميلادى بأن المسلمين لا يعملون فى مجال الطب وذكر أن بعض الأماكن خلت تماما من الأطباء المسلمين ، ولم يوجد بها سوى أطباء من أهل الذمة (٢) ، وقد أكد هذه الرواية أحد الشعراء حين قال :

لعن النصارى واليهود لأنهم
سحروا الملوك وغيروا الأحوالا
وغدوا أطباء وحسابا لهم
فتقاسموا الأرواح والأموالا (٣)

ويبدو ان هذه الظاهرة لم تكن جديدة على العصر المملوكى بل شاعت منذ عصر مبكر بدليل ما ذكره الجاحظ عن الميل الى الاستعانة بأطباء من أهل الذمة (٤) .

---

(١) ابن سعيد المغربى ، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ص ٢٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ١ ، ص ٣٦٧ ؛
Goitein, The Midical Profession in the Light of the Cairo Geniza Documints, HUCA, XXXIV, 1963, p. 178 ; Ashtor, History of the Jews, I, p. 202 Behrens (A.D.), Fath Allah and Abu Zakariyya : Physicians unrer the Mamluks, Supplement aux. AI, Le Caire, 1987, p. 9.

(٢) ابن الأخوة معالم القربة ص ٢٥٤ .

(٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٩ .

(٤) يروى الجاحظ بصدد أسد بن جانى بأنه « كان طبيبا فأكسد مرة فقال له قائل : « السنة وبئة والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك صبر وخدمة ، ولك =

وكان لاحتكار أهل الذمة من اليهــود والنصــارى لمهنــة الطب (٥) ، أن ارتبطت هذه المهنة باليهود الى حد بعيد حيث استطاعوا من خلالها التأثير الواضح على رجال البلاط ، مما ترتب عليه ارتفاع مكانتهم بين أهل طائفتهم وتوليهــم الاشراف عــلى شئونهم (٦) .

وتحدثنا المصادر المعاصرة عن بعض الأطباء الذين كانوا فى الوقت نفسه زعماء دينيين للطوائف اليهودية ، مثل الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبى الحسن بن صموئيل الذى كان طبيبا وتولى رئاسة اليهود فى سنة ٦٨٤ هـ /١٢٨٥ م ، وكتب له ابن المكرم كاتب الدرج الشريف تقليــدا بذلــك (٧) ، وعبد اللطيف بن ابراهيم بن شمس الذى كان يعمل طبيبا بالاضافة الى كونه رئيساً لليهود (٨) .

= بيان ومعرفة فمن أين يؤتى هذا الكساد ؛ فقال أما واحدة فانى عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون فى الطب ، واسمى أسد وكان ينبغى أن يكون اسمى صليبا أو جبرائيل او يوحنا ، وكنيتى أبو الحارث ، وكان يجب أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو ابراهيم ، وعلى رداء قطن أبيض ، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ، ولفظى عربى وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل سابور » انظر الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، القاهرة ١٩٤٨ م ص ٦٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، العلوم العقلية ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١٤٨ .

(٥) Goitein, The Miedical Profession, p. 178.

(٦) Cohen (M.), Jews in the Mamluk, p. 436.

(٧) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٢٨ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٨ ، ص ٨ وعن هذا التقليد انظر الملحق رقم (٤) .

(٨) Cohen, Jews in the Mamluk, pp. 435-436.

استطاع بعض اليهود أن يتولى أيضا رئاسة الأطباء ، كما حدث فى عام ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م زمن السلطان فرج بن الظاهر برقوق الذى عهد الى علم الدين سليمان برئاسة الأطباء ،وكان أبوه يهوديا ، وقد نشأ سليمان هذا مسلما ، وعمل فى مهنة الطب، واستطاع بمهارته الفائقة أن يحوز شهرة واسعة بفضل حسن معالجته للمرض ، وصار من الأطباء البارعين فى مهنته (٩) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أيضا أن بعض أطباء اليهود استطاعوا أن يصلوا الى منزلة عالية ، وكانت لهم مكانة رفيعة ، الى درجة أن بعض سلاطين المماليك كانوا يلجئون اليهم عند الضرورة بل أن بعضهم صار طبيباً خاصاً لبعض سلاطين المماليك مثل السلطان الأشرف برسباى الذى كان طبيبه الريس زين الدين خضر الاسرائيلى ، والسلطان خشقدم الذى اتخذ من الريس محب الدين طبيبا خاصا له (١٠) .

ويبدو أن نساء العصر المملوكى كن يفضلن بدورهن الطبيب اليهودى عن اى طبيب آخر ، بدليل ما ذكره ابن حجر العسقلانى بصدد الطبيب اليهودى السديد الدمياطى اذ يقول ان « هؤلاء النساء ان لم يكن الطبيب يهوديا شيخا مائل الرقبة سائل اللعاب لم يكن لهن عليه اقبال » (١١) .

---

(٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ٥٩٨ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(١٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ص ١٨٥ ، ٤٥٢ .

(١١) ابن حجر ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، نشرة محمد جاد الحق ، ط (٢) القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ ؛
Behrens, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 12.

ومن الأطباء اليهود من كانت له مؤلفات طبية مهمة ، وصل الينا بعضها وفقد البعض الآخر ، وكان معظم هؤلاء الأطباء من أصحاب السلطة والثراء كما يستشف من وثائق الجنيزة (١٢) ، فقد أمدنا المستشرق الفرنسى أشتور فى كتابه عن تاريخ اليهود فى مصر بأسماء ستة عشر طبيبا يهوديا هم :

اسم الطبيب	تاريخ الوفاة
١ ـ داڤيد بن الناجيد حفيد موسى بن ميمون	لم يذكر تاريخ وفاته
٢ ـ مفضل بن ماجد بن أبى البشر	٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م
٣ ـ المهدب بن الموفق	٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م
٤ ـ ابن منصور سليمان بن حافظ	لم يذكر تاريخ وفاته
٥ ـ شله اللاوى عاش بعد عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩ م	ــــ
٦ ـ بهاء الدين عبد السيد بن المهذت اسحق بن يحيى	٧١٥ هـ / ٣١٨ م
٧ ـ شهاب الدين أحمد المغربى	٧١٨ هـ / ١٣١٨ م
٨ ـ عبد الدايم بن عبد العزيز	٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م
٩ ـ يشوعة بن مناحم	٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م
١٠ـ جمال الدين عبد الله	٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م
١١ـ السديد الدمياطى	٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م
١٢ـ نفيس بن داود بن عانان	٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م
١٣ـ صدقة بن عبد القاهر عاش عام ٧٥٨هـ/١٣٥٦م	ــــ
١٤ـ شرف الدين موسى	٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م
١٥ـ عوض	٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م
١٦ـ عوبديا الطبيب	لم يذكر تاريخ وفاته (١٣)

(١٢) Goitein The Miedical Profession, p. 193.

(١٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 203.

وبدراسة وفحص هذه الأسماء يتضح لنا أن المصادر العربية (١٤) قد أشارت الى اربعة أطباء منهم فقط وهم : المهذب ابن الموفق ، ونفيس بن داود ، وصدر الدين بن بديع بن نفيس ، والسديد الدمياطى ، وامدتنا فى الوقت نفسه ببعض الأسماء الأخرى التى خلت منها قائمة المستشرق الفرنسى آشتور مثل يوسف بن عبد السيد بن المهذب اسحاق بن يحيى الاسرائيلى ، وعبد السيد بن اسحاق بن يحيى ، وموسى بن كجك .

وكشفت لنا كذلك دراسة أسماء هؤلاء الاطباء الذين أشار اليهم آشتور أن بعضهم كان ينتمى الى أصول عربية مثل شهاب الدين احمد المغربى ، وجمال الدين عبد الله ، مما يدفع الى الاعتقاد بأن آشتور قد غالى فى ثبته ، فى محاولة منه للايحاء بكثرة عدد الأطباء اليهود زمن سلاطين المماليك، وللايحاء أيضاً باتساع نفوذهم وقوة تأثيرهم فى المجتمع المصرى آنذاك ، وقد دفع به هذا الى عدم تحرى الدقة فى التميز بين الأطباء اليهود وغيرهم من الأطباء المسلمين .

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار ايضا أن بعض هؤلاء الاطباء ربما كانوا من اصول يهودية واسلموا ، ولعل تجاهل آشتور لأسماء بعض الأطباء اليهود مرجعه الى تحولهم الى الاسلام ، فقد خلا ثبته من اسم الطبيب يوسف بن عبد السيد بن المهذب اسحاق ابن يحيى الاسرائيلى المتوفى سنة ٧٥٧ هـ / ١٢٥٦ م ، ومن المعروف أن هذا الطبيب كان فى الأصل يهودياً ثم اعتنق الاسلام

(١٤) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، القاهرة ١٨١٣ م ؛ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ٩٢٤ ١م ؛ الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، ط (١) ، القاهرة ١٩٢٩ م .

مع أبيه فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م وسمع معه من محمد بن عبد المؤمن الصورى ، وكان يوسف هذا ماهرا فى الطب (١٥) .

كما خلا ثبت المستشرق آشتور أيضا من اسم موسى بن كجك الشيخ شرف الدين الطبيب المتوفى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م، وكان أبوه يهوديا يعالج أهل العلم ويخدمهم ، فهدا الله ولده الى الاسلام ، واشتغل على يد الشيخ تاج الدين التبريزى والشيخ شمس الدين الأصبهانى ، كما اشتغل بالعلوم العقلية وكتب بخطه كثيرا ، وكان يعامل الطلبة معاملة حسنة (١٦) .

وخلا الثبت كذلك من اسم صدر الدين بديع بن نفيس الطبيب التبريزى الذى أقام بالقاهرة شريكا لعلاء الدين بن صغير فى رياسة الطب عام ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م ، تحت رعاية السلطان برقوق ، وكان بديع بن نفيس هذا يهوديا ثم تحول الى الاسلام ، وهو عم فتح الله بن مستعصم بن نفيس الذى ولى كتابة السر (١٧) فى أواخر دولة السلطان الظاهر برقوق (١٨) .

---

(١٥) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٤٦١ .

(١٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (١) تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ م ص ٥٦ ؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ ، ج ٥ ، ص ١٥١ .

(١٧) كتابة السر ، يولى من قبيل الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، ويحترز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصة الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يخفيه عن السلطان ، وبديوانه كتاب الدست وكتاب الدرج ، وهى رفيعة القدر ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٩ .

(١٨) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢١٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٢٦٦ .

هذا عن الاطباء فى عصر دولة المماليك البحرية . أما فيما يتعلق بأطباء اليهود فى عصر دولة المماليك الجراكسة فكان هناك أيضا الكثير منهم ممن اتخذوا من مهنة الطب مصدرا للارتزاق وتمتعوا بفضلها بمكانة اجتماعية مرموقة وقد عمل هؤلاء الأطباء جاهدين للحفاظ على المستوى المهنى وساعدهم على ذلك المسلمون أنفسهم (١٩) .

ويفهم من المصادر المعاصرة أن السلطان برقوق قرب أهل الذمة منه ، فقد جاء فى أحداث سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م أن السلطان العثمانى طلب من السلطان برقوق أن يرسل له طبيبا حاذقا ومواد طبية أخرى ، فاستجاب لطلبه وبعث اليه بالريس شمس الدين بن صغير (٢٠) .

ورغم أن المصادر العربية لم تمدنا بمعلومات كافية حول طرق عمل هؤلاء الاطباء اليهود فانه من الثابت أن هؤلاء الأطباء قد تخصصوا فى مختلف فروع الطب ، وبصفة خاصة فى الكحالة أى طب العيون . فقد جاء فى وثيقة يهودية ترجع الى عام ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦ م اشارة الى كحال أى طبيب عيون يهودى يدعى خلف الكحال (٢١) .

ويحدثنا المؤخ ابن اياس أيضا فى أحداث عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م عن استعانة السلطان الأشرف قايتباى بأحد الأطباء اليهود عندما أراد معاقبة مملوك له مارس اللواط مع أحد العسكر ،

---

(١٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 173.

(٢٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٤٦ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 173.

(٢١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 174.

وكان هذا الطبيب اليهودى قد ذاع صيته فى اجراء عملية الاخصاء ، فاستعان به السلطان فى اجراء هذه العملية الجراحية لهـذا المملوك ، الأمر الذى يعنى أن سلاطين المماليك الجراكسة كانوا يلجئون الى أطباء اليهود عند الضرورة فقط (٢٢) ، كما كـانوا يعاملون الطبيب اليهودى معاملة الطبيب المسلم ، فقد حدث فى عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م أن استدعى الطبيب اليهودى خضر لمعالجة أحد المرضى من أبناء المماليك ، فوصف له دواء غير أن المريض توفى بعد يومين ، فتم اعتقال الطبيب ومثل أمام المشرف عـلى الاطباء ، ورغم محاولات الاضرار به من قبل بعض المتعصبين ، فلم يصدر مرسوم بقتله وبقى حيا بل احتفظ بدينه أيضـاً (٢٣) وتكشف لنا هذه الحادثة عن مدى تسامح حكام المماليك الذيـن لم يقسوا على طبيب يهودى أخطـأ فى معالجـة أحـد المرضى المسلمين .

ويفهم من المصادر المعاصرة أن سلاطين المماليك لم يفرقوا أيضا فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين ، فقد حدث فى عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م أن أزداد مرض السلطان الأشرف برسباى ، واجتمع عنده الاطباء ، فشفى بعض الشىء وخرج فى موكب وخلع على الأطباء ، ثم عاوده المرض مرة أخرى وعجز عن القيام ، وتوهم أن الأطباء يقصرون فى تطبيبه ، وكان قد وقع خلاف بين الأطباء فى استعمال شىء من الدواء ، فاعتقد السلطان برسباى انه انتكس بسبب خلافهم هذا ، وطلب من عمر بن يوسف والى القاهرة أن

---

(٢٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٣ ، ص ٩٦ .

(٢٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ج ٣ ، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٨ ، وما بعدها .

Doris, Fath- Allah and Abu Zakariyya pp. 9-10.

يوسط الريس شمس الدين بن عفيف الأسلمى ، والريس زين الدين خضر الاسرائيلى ، فوسطا وحملا الى داريهما ليدفنا (٢٤).

وحدث أيضا فى عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م أن اشتد المرض بالسلطان خشقدم ، فظن أن الأطباء قصروا فى معالجته ، فغضب عليهم ووعدهم بالتوسيط ، كما فعل الأشرف برسباى بالريس خضر الاسرائيلى وابن العفيف (٢٥) ، مما يدل دلالة قاطعة على ان سلاطين المماليك كانوا لا يفرقون فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين .

وجدير بالذكر أنه وصلنا العديد من أسماء أطباء اليهود زمن المماليك الچراكسة نذكر من بينهم الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن أبى الشان الداوودى الاسرائيلى ، الذى توفى فى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، عن عمر يناهز التسعين عاما (٢٦) .

كما أمدنا المستشرق اليهودى آشتور نقلا عن وثائق الجنيزة بأسماء بعض أطباء اليهود الذين مارسوا مهنة الطب تحت حكم المماليك الچراكسة هم :

---

(٢٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ؛ السخاوى الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ ؛
Doris, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 16.

(٢٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ ؛
Doris, Fath Allah and Abu Zakariyya, p. 16.

(٢٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٢ ، ص ١٣٣ .

اسم الطبيب	
١ ـ اليعـازر الطبيب	عاشا فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى
٢ ـ يوسف الطبيب	
٣ ـ دافيد بن يعقوف	
٤ ـ وأبوه يعقوف	
٥ ـ صدقه هكاهان بن افراهام	
٦ ـ موشى هكاهان بن يروشاليم	
٧ ـ شموئيل بن موشى بن يشوعاه	أحد عشر طبيبا عاشوا ابان القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى
٨ ـ خلف	
٩ ـ يهوشوع بن يهودا	
١٠ ـ خضر	
١١ ـ افراهام بن فرج الله بن عبد الله الكافي	
١٢ ـ صدقه	
١٣ ـ شموئيل ركح	
١٤ ـ يوسف	القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى
١٥ ـ خضر	
١٦ ـ افراهام بن سعديا	
١٧ ـ العنـانى	
١٨ ـ شموئيل هكاهان	
١٩ ـ شموئيل بن يعقوف	نجهل تماما الوقت الذى خدموا فيه تحت حكم المماليك (٢٧)
٢٠ ـ يتسـحاق	
٢١ ـ يوسف الناجيد	
٢٢ ـ يوسف اسكندرانى	
٢٣ ـ افراهام ابنه	
٢٤ ـ يوسف المصرى المدعو عفيف بن عزر	

(٢٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 175.

كما أشارت المصادر العربية الى اسمين فقط من بين هؤلاء هما خضر ، وافراهام بن فرج الله بن عبد الله الكافى الاسرائيلى اليهودى (٢٨) .

وتكشف لنا كل هذه الأسماء عن وجود أعداد ضخمة من اليهود كانوا يمارسون مهنة الطب زمن المماليك الجراكسة .

وتمدنا المصادر التاريخية المعاصرة أيضا بأسماء بعض أطباء اليهود الذين لمعت أسماؤهم فى الناحية الثقافية مثل « موسى بن كجك » الذى برع فى الطب وغيره من العلوم الى جانب تأليفه لكثير من الكتب ، وقد أسلم ابن كجك فى أواخر أيام حياته (٢٩) ؛ ومنهم أيضا « أحمد بن المغربى الاشبيلى » الذى اعتنق الاسلام فى عهد الاشرف خليل بن قلاوون » وتولى رياسة الأطباء وكان ملما بالتنجيم والفلسفة (٣٠) ، ومنهم أيضا ابراهيم بن فرج الله بن عبد الله الكافى اليهودى العانانى الذى كان يجمع بين معرفة حاذقة بالطب وبين الالمام بأصول الديانة اليهودية من حفظه لنصوص التوراة وكتب الأنبياء (٣١) .

أما عن القاب الاطباء اليهود فقد كان للطبيب لقبان مشهوران هما المهذب (٣٢) ، والموفق (٣٣) يضاف اليهما لقب خضر الذى

---

(٢٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٨٥ ؛ السخاوى ؛ الضوء اللامع ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ج ٣ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٢٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ق (١) ، ص ٥٦ .

(٣٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٣١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣٢) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ٢٣٩ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٧٢٨ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٧٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٨٢ .

لقب به الكثير من الأطباء ، وعلى ما يبدو أنه لم يكن اسما حقيقيا ولكنهم اختاروه تيمنا ببطل أسطورة تنسب اليه المهارة فى الطب (٣٤) .

ولم يقتصر عمل اليهود المصريين على مهنة الطب فقط بل عملوا ايضا فى الجهاز الادارى للدولة ، وذلك منذ أن سمحت الدولة الاسلامية المبكرة باحلالهم محل المستخدمين البيزنطيين وتكونت منهم — النصارى بوجه خاص — طبقة من الخبراء فى شئون الادارة والمال ، ولم تستطع الدولة الاستغناء عنهم رغم العديد من المحاولات التى شنها ضدهم القضاة والفقهاء المسلمون ، بعد أن أصبحت الحاجة ماسة لوجودهم فى الدواوين بحيث أصبح لا يمكن الاستغناء عنهم فى دواوين السلطان والأمراء على حد سواء (٣٥) .

وتعد عبارة الأمير بيدرا نائب السلطان الأشرف خليل خير شاهد على أهمية استخدام أهل الذمة فى الوظائف الحكومية عندما أراد عقابهم فى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م اذ قال له : « ... ياخوند هؤلاء أصحاب دواوين يحفظون الأموال والخراج ، وليس للسلطان غنى عنهم . » (٣٦) .

---

(٣٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.

(٣٥) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٤ ؛ دراسات فى تاريخ مصر ، ص ٩٢ .

(٣٦) العينى ، عقد الجمان ، ج ٣ ، حوادث ٦٨٩ — ٦٩٨هـ/١٢٩٠ — ١٢٩٨م ، ص ١٨٣ ؛

Bosworth, The (Protected peoples), p. 33 ; Tritton, Islam and the protected, p. 326.

وقد أثار استخدام السلاطين لأهل الذمة سخط المسلمين بسبب تحكم هؤلاء فيهم وتعاليهم عليهم ، بل انهم استخدموا نفوذهم لصالح أبناء ملتهم ، مما أفزع المعاصرين الذين تعددت مؤلفاتهم فى معارضة استخدام أهل الذمة ، فابن النقاش يعارض استخدامهم والاستعانة بهم فى الكتابة عند الأمراء وفى البلاد وفى جباية الأموال (٣٧) .

ويبدى الأسنوى أسفه الممزوج بالدهشة من استخدام أهل الذمة قائلا « ... العجيب أنه لا يعرف فى اقليم من الاقاليم من الشرق الى الغرب توليتهم الا فى اقليم مصر خاصة ، فيالله العجب ما بال هذا الاقليم دون سائر الأقاليم مع أنه أعظم أقاليم الاسلام وأوسعها عالما وأكثرها علما ... » (٣٨) ويعكس لنا هذا القول موقف العلماء المسلمين الذين عارضوا استخدام أهل الذمة فى وظائف الدولة والأعمال الادارية .

---

(٣٧) ابن النقاش ، المذمة ، ورقة ٧٩ ؛ ابن بيدكين التركمانى ، كتاب اللمع فى الحوادث والبدع ، مخطوط مصور محفوظ فى برلين ، MS ١٨٦١م ORS ورقه ١١٧ ؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج ١ ص ٢٠٨ ؛ انظر الفصل الدال على غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم وخيانتهم ، ص ٢٢٨ ، ٢٤٢ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ ابن أيبك ، الدرر الفاخر ، ص ٤٧ ، ٥٠ ؛ الأبشيهى ، المستطرف فى كل فن مستظرف ، بيروت ١٩٨٦ م ، ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ جاك تاجر ، اقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ م ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٨) الأسنوى ، الكلمات المهمه فى مباشرة أهل الذمة ، نشره موشى برلمان ، بروكلين ، ١٩٦٩ م ، ص ٩ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٤ ؛ فوزى أمين ، المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الأول ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٢١١ ؛

Bosworth, The (Protected peoples, pp. 31-32; .

كما نادى بعض الفقهاء بضرورة مجادلة أهل الذمة وهدايتهم ، كتاج الدين السبكى الذى شدد النكير عل العلماء الذين يتقاعسون عن مناظرتهم ، وأشار الى أن هذا من الأمور المهمة قائلا « ... يأيها الناس بينكم اليهود والنصارى قد ملئوا بقاع البلاذ فمن الذى انتصب منكم للبحث عنهم ، والاعتناء بارشادهم ، بل هؤلاء أهل الذمة فى البلاد الاسلامية ، تتركونهم هملا ، تستخدمونهم ، وتستطبونهم ، ولا نرى منكم فقيها يجلس مع ذمى ساعة واحدة ، يبحث معه فى أصول الدين ، لعل الله يهديه على يديه ، وكان من فروض الكفايات ، ومهمات الدين أن تصرفوا بعض هممكم الى هذا النوع : فمن القبائح أن بلادنا ملآى من علماء الاسلام ولا نرى فيها ذميا دعاه الى الاسلام مناظره عالم من علمائنا بل انما يسلم من يسلم .. » (٣٩) .

وقد كان كارهو اليهود الذين أثاروا الرأى العام ضدهم كانوا فى معظمم من رجال الدين ، وكانت أقوال العلماء تجد دائما آذاناً صاغية لأنهم لم يكونوا فقط زعماء روحيين لطائفتهم بل كانوا أيضاً من ذوى أصحاب الوظائف المهمة فى الدولة ، ومن هنا كان تأثيرهم على السلاطين بالغ القوة كما كان الحال بالنسبة للفقيه الحنبلى تقى الدين أحمد بن تيمية الذى كان يعتبر وجود اليهود والنصارى على حد تعبير المستشرق آشتور خطرا اجتماعيا وسياسيا ودينيا على الاسلام ، لذا نجده يطالب بتطبيق الشروط العمرية بكاملها واعادة اليهود والنصارى الى حكمهم المطلوب مع اشعارهم دائما بأن ديانتهما لا تضارع الاسلام بأى حال من الأحوال فضلا عن ضرورة منعهم من تولى الوظائف المهمة مع تميزهم بارتداء زى خاص (٤٠) .

(٣٩) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٧٥ ، ٧٦ ؛ فوزى أمين ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٢ .

(٤٠) Ashtor, History of the Jews, I, p. 210.

ومع ذلك فان فحص مؤلفات (٤١) تقى الدين بن تيمية ينفى كل مزاعم المستشرق الفرنسى آشتور .

وبالرغم من كل محاولات العلماء والفقهاء للحد من سيطرة ونفوذ أهل الذمة فى المجتمع المصرى فقد استمر اليهود مثلهم مثل النصارى فى العمل فى الجهاز الادارى والمالى للدولة بسبب تراجع السلاطين والأمراء عن المراسيم التى كانوا يقومون باصدارها بشأن منع استخدام أهل الذمة فى تلك الوظائف ، وكانوا يتراجعون دائما ويقومون باصدار المراسيم التى تسمح بعودة أهل الذمة ثانية الى مباشرة أعمالهم ، فقد نودى فى القاهرة عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م بمنع استخدام أحد من اليهود والنصارى عند أمير ، وأمر الأمراء بأجمعهم ان يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الاسلام ، فمن امتنع عن الاسلام ضربت عنقه ، ومن أسلم استخدموه عندهم ، فاختفى أهل الذمة ، وصارت العامة تسبق الى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيوت اليهود والنصارى بأجمعهم واخرجوا نساءهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم ، فقام الأمير بيدرا النائب مع السلطان المنصور قلاوون فى أمر العامة ،

(٤١) ابن تيمية ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٠٠ م ؛ مجموعة الرسائل الكبرى ، القاهرة ١٩٠٥ م ؛ القواعد النورانية الفقهية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ط (١) ، القاهرة ١٩٥١ ؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تقديم على السيد صبيح المدنى ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ م ؛ مجموعة فتاوى شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية ، (١) القاهرة ١٣٢٨ هـ ؛ جامع الرسائل ، تحقيق محمد رشاد سالم ، القاهرة ١٩٦٩ م ؛ السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، القاهرة ١٩٧١ م ؛ كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ، بيروت ١٩٧٥ م ؛ المقياس فى الشرع الاسلامى ، ط (٢) بيروت ١٩٧٥ م ؛ مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ، اختصره بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن على الحنبلى وراجعه وفهرسه وقدم له أحمد حمدى امام ، القاهرة ١٩٨٠ م ؛ العصيان المسلح او قتال أهل البغى فى دولة الاسلام وموقف الحاكم منه ، القاهرة ١٩٩٢ م .

ونادى من نهب بيت نصرانى شنق ، وقبض على طائفة من العامة وشهرهم بعد ضربهم فكفوا عن النهب (٤٢) كما أشرنا من قبل .

وفى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م اصدر السلطان الناصر محمد ابن قلاوون مرسوماً بفرض القيود على أهل الذمة ، فرسم بعدم استخدام احد منهم فى الجهات السلطانية ولا عند الأمراء ، وان تغير عمائمهم ، فيلبس اليهودى عمامة صفراء والنصرانى زرقاء ، وكتب بذلك الى جميع الأعمال (٤٣) . كما ذكرنا من قبل .

وفى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م دار الحديث فى أمـــر اليهـــود والنصارى واعادة وقائعهم وانهم بعد التزامهم بالعهد العمـــرى يعودون الى ما نهوا عنه ، فاستقر الحال على انهم يمذعون مـــن الخدمة فى جميع الأعمال ، ولا يستخـــدم يهـــودى ولا نصرانى فى ديوان السلطان أو الأمراء ، ولا يكره أحد على الاسلام ، فـــان أسلم برضاه لا يدخل منزله ولا يجتمع باهله ، الا اذا أسلـــموا ويلازم أحدهم اذا أسلم المساجد ، واذا مروا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم ، وان يلجئوا الى اضيق الطرق ، ولا يكرموا فى مجلس ، وان تلبس نساؤهم ثيابا مغايرة اذا مررن في الطرقات ، وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية (٤٤) ، كما سبق أن نوهنا من قبل .

---

(٤٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٤٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٤٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٣٧٨ وما بعدها .

وبعد قراءة المرسوم بجامع عمرو والجامع الأزهر هاجت منه حفائظ المسلمين ، ونهضوا بعد صلاة الجمعة ، وثاروا على اليهود والنصارى ، وأمسكوهم فى الطرقات ومزقوا ثيابهم واعتدوا عليهم بالضرب مع اكراههم على الاسلام ، وزادوا فى الأمر حتى أضرموا النيران ، وحملوا اليهود والنصارى وألقوهم فيها . فاختفوا فى بيوتهم ، فلما شنع الأمر نودى فى القاهرة ومصر الا يعارض أحد من اليهود والنصارى ، فلم يرجعوا عنهم وحل بهم بلاء شديد ، منه أنهم منعوا من الخدمة بعد اسلامهم ، وامتنع اليهود والنصارى من مزاولة الطب وبذل النصارى جهدهم فى ابطال ذلك ، فلم يستجيبوا اليهم فازداد اليهود والنصارى خوفا على خوفهم ، وبالغوا فى الاختفاء (٤٥) .

وفى عام ٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م نودى بشوارع القاهرة الا يستخدم أحد من الأعيان ذميا فى ديوانه — أعنى من الكتبة وغيرهم — فمنعت هذه المناداة أهل الذمة من الاشتغال بالدواوين ، وكتب بذلك الى سائر الأقطار ، ثم عقد السلطان خشقدم ملجسا حضره القضاة الاربعة وحضره الدوادار (٤٦)

(٤٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ .

(٤٦) وردت هذه الوظيفة بكثرة على الآثار العربية ، وتتألف من كلمتين « دواة » العربية وهى ما يكتب منه ، و « دار » الفارسية بمعنى ممسك ، والمعنى الكلى ممسك الدواة أو الموكل بالدواة ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير ، وقد عرفت هذه الوظيفة فى عصر العباسيين ، وأطلق على صاحبها فى عصر الغزنويين والسلاجقة اسم « الدواتدار » وانتقلت الوظيفة عن طريق السلاجقة والاتابكية والأيوبين ، الى دولة المماليك حيث عرف صاحبها باسم دوادار واذ حذفت التاء فى « دواتدار » استثقالا فصارت « دوادار » ، وقد أخذت وظيفة الدودار فى عصر المماليك تتطور تدريجيا وتزداد أهميتها وتنظم اختصاصتها وتتفرع رتبتها ، شأنها شأن غيرها من الوظائف فى دولة المماليك ، انظر السبكى ، معيد النعم ، ص ٢٥ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ج ٥ ص ٤٦٢ ؛ حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٥١٩ وما بعدها .

الكبير، وجماعة من الأعيان، وقرئت العهود التى كتبت عليهم قديما بألا يباشروا فى ديوان أحد من الأمراء، عملا ولا يتعمموا بأكثر من عشرة أذرع، وأن تتميز ملابس نسائهم عن ملابس نساء المسلمين باللونين الأزرق والأصفر على رءوسهن عند مسيرهن بالأسواق والحمامات، فحكم قاضي القضاه علم الدين صالح البلقينى الشافعى بالزام أهل الذمة بذلك جميعه، ما عدا الصرف والطب، وأسلم بسبب ذلك جماعة من أهل الذمة، ثم سعوا بمال له صورة أوردوه للخزائن الشريفة حتى أبقاهم السلطان على حالهم الأول فى المباشرة بالدواوين (٤٧). وكانت مثل هذه الأوامر السابقة «عامة» أى أنها كانت تصدر ضد أهل الذمة بصفة عامة بل كانت فى واقع الأمر موجهة ضد النصارى، كما سبق أن نوهنا من قبل.

والمعلومات التى وصلت الينا بشأن المستخدمين اليهود فى هذه الفترة تبرهن على أن اليهود عملوا بالوظائف الادارية والمالية، ففى كتابات المؤرخين العرب وفى كتب التراجم توجد شخصيات يرد بينها أسماء بعض مستخدمى الدواوين من اليهود والنصارى (٤٨).

وقد أكد المستشرق الفرنسى آشتور فى كتابه عن تاريخ اليهود فى عصر المماليك على عدم وجود معلومات واضحة عن تولى

(٤٧) ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة . ج ١٦ ، ص ٢٨١، ٢٨٢، ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ؛ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ١٣٣ ،

(٤٨) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢١٦ ؛ ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ ؛
Ashtor, History of the Jews, I, pp. 203-204.

أحد اليهود أحد المناصب الادارية أو المالية الرفيعة فى الدولة المملوكية (٤٩) .

وعلى الرغم من زعم المستشرق الفرنسى آشتور ، فقد أمدتنا المصادر المعاصرة بالعديد من المعلومات بشأن المستخدمين اليهود من ذوى الوظائف المهمة الذين كثيراً ما كانوا ينافسون المسلمين ، كما عمل بعضهم على استغلال وظائفهم مما أثار حنق جموع المسلمين ، ففى عام ٨٠١ هـ / ١٣٨٩ م استدعى السلطان برسباى الريس فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى ريس الأطباء ، وخلع عليه واستقر به فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين محمود الكلستانى بحكم وفاته (٥٠) . مما يدفع الى الترجيح بأن اليهود قد عملوا أيضا فى بعض وظائف السلك الادارى لا سيما وان المراسيم التى كانت تصدر بشأن تحريم استخدام أهل الذمة لدى السلاطين أو الأمراء أو فى دواوين الدولة كانت تشير دائما الى اليهود والنصارى وذلك على الرغم مما زعمه المستشرق الفرنسى آشتور من عدم توافر معلومات بصدد اشتغال اليهود فى الوظائف الادارية والمالية ، وربما يرجع ذلك الى اعتماد هذا المستشرق بصفة أساسية على وثائق الجنيزة التى خلت من الاشارة الى اشتغال أحد من اليهود فى احدى الوظائف الادارية أو المالية ابان عصر المماليك .

أما فيما يتعلق بطبقة المستخدمين اليهود فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة فيلاحظ انه قل التعصب ضدهم فى المجتمع المصرى ابان القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ،

---

(٤٩) Ashtor, History of the Jews, I, p. 205.

(٥٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

ويفهم مما ذكره آشتور أن المستخدمين اليهود كانوا على صلة وثيقة ببعض الأنشطة المتصلة ببعض الخدمات ، وأنه كان ليهود مصر صلات عديدة مع البلاد الاخرى ، فقد تاجروا مع التجار الذين كانوا يأتون من أوربا (٥١) .

كما كان هناك من اليهود من يأتى من دول البحر المتوسط ويقيمون بين اليهود فى مصر ، ومن ثم فقد وجد من بين اليهود من يجيد اللغات الاوربية ويعمل فى مجال الترجمة ، فقد أشار آشتور الى وجود بعض اليهود ممن عملوا كمرشدين ورافقوا السياح الأوربيين فى رحلاتهم الى الشرق سواء كانوا سواحا يهودا أو سواحا نصارى ، كما عمل بعض هؤلاء المترجمين من اليهود فى خدمة المؤسسات التجارية الاوربية بل وفى خدمة المماليك أنفسهم (٥٢) ، اذ يروى الرحالة طافور الذى زار مصر فى سلطنة الأشرف برسباى أن مترجم السلطان كان يهوديا ثم أسلم ، وكان اسمه قبل الاسلام حايم ثم تغير وأصبح صايم بعد اسلامه (٥٣) .

ونجد أيضا فى الاتفاقيات التجارية التى أبرمت فى تلك الآونة بين الدولة المملوكية والدول الاوربية الأخرى ما يشير أحيانا الى السماح للتجار الاوربيين بتشغيل بعض اليهود من ابناء هذه الدول ، ففى الاتفاقية التي أبرمت عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠ م بين مملكة ارجون وبين السلطان برسباى تم الاتفاق على السماح

---

(٥١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 176.

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 176.

(٥٣) طافور ، رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

للقنصل الكتالونى بتشغيل كل من يستطيع القيام بأعمال الترجمة سواء أكان مسلما أو يهوديا أو نصرانيا ، ولدينا بالفعل اشارة الى مترجم يهودى كان يعمل فى خدمة المماليك عندما وصل الى مصر وفد من ملك فرنسا فى سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م واستقبلـه فى الاسكندرية مندوب عن السلطان وكان بصحبته مترجم يهـودى ، كان يعمل فى خدمته ، استعان به أيضا المندوب الفرنسى حينما أراد التعبير عن شكره لهذا الاستقبال (٥٤) .

ويلاحظ كذلك أن أغلب المعلومات المتوافرة لدينـا حـول المستخدمين اليهود فى عصر المماليك الجراكسة تتعلق ببعض اليهود ممن عملوا فى مجال الادارة المالية . فقد جاء فى أحد المصـادر المعاصرة اشارة الى يهودى كان يعمـل صيرفيـا بالاصطبـلات الشريفة (٥٥) ، وهناك اشارة أخرى تتحدث عن يهودى آخر كان يعمل صيرفيا فى ديوان السلطان نفسه (٥٦) ، وقد أكد هـذه الحقيقة المستشرق الفرنسى آشتور فى كتابة عن تاريخ اليهود ، وذكر أن هناك الكثير من اليهود الذين كانوا يعملـون فى الادارة المالية لدى سلاطين المماليك (٥٧) .

---

(٥٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ ؛

(٥٥) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣١٦ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.
موضوع الاصطبلات الشريفة تتمثل فى مباشرة اصطبلات السلطان والتحدث فى أنواع الخيول والبغـال والدواب والجمال السلطانية ، وعليقها وعدتها ، ومالها من الاستعلامات والاطلاقات ، وكل ما يبتاع لها أو يباع فيها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٥٦) الديوان السلطانى أو الديوان الخـاص بالنظـر فى أموال السـلطان والتحدث فى جهاته ومضافاته ، انظر القلقشـندى ، صـبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢١٧ .

(٥٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.

ويفهم أيضا من الفتاوى التى أصدرها فقهاء مصر فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أنه كان يعهد بالاشراف على موارد الدولة المملوكية الى اليهود الذين كانوا يتولون الاشراف على نظام الالتزام ، فقد جرت العادة أن تعهد الدولة لمن يقدم لها مبلغا كبيرا من المال بمهمة جمع بعض الأموال لفترة محدودة ، وكان وزراء العصر المملوكى يعهدون أحيانا بحقوق هذا الالتزام الى آخر يطرح مبلغاً أكبر حتى ولو كان ذلك فى أثناء فترة الالتزام الأول الذى تم الاتفاق عليه ، ومن المعروف أن الالتزام كان يعد بالنسبة لليهود مصدراً مهماً من مصادر الرزق لأن الملتزمين كانوا يقومون فى أغلب الأحيان بتشغيل يهود آخرين كمستخدمين لديهم، ومن هنا كان حرص الفقهاء على أن يكون التنافس بين أبناء مختلف الطوائف مشروعا حتى تسير أمور الالتزام كما ينبغى ، وقد شدد هؤلاء الفقهاء على ضرورة احترام الاتفاقيات المبرمة وحرصوا بأنه اذا أبرم أحد اتفاقا مع دولة المماليك فلا يجوز أن يأتى يهودى آخر ويتقدم بسعر مرتفع ليستولى على حق الطرف الأول (٥٨) .

ولدينا كذلك بعض المعلومات عن قيام بعض اليهود بجباية المكوس (٥٩) فى الاسكندرية وعن قيامهم بجباية المكوس على

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 177-178.

(٥٩) المكوس جمع مكس ، وفى مصطلح مؤرخى مصر الاسلامية كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات ، أو لموظفى الدولة ، خارج عن الخراج الشرعى ، وقد عرفت هذه الأموال فى مصر باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية وأنواعها ما كان يؤخذ فى الثغور البحرية والبرية على المتاجر الآتية من الخارج ، وما كان مقررا بالقاهرة والفسطاط على مختلف المحاصيل مثل حقوق ساحل الغلة التى كانت عبارة عن ضريبة تفرض على القمح ، ونصف السمسرة وهى عبارة عن مكس يجمع من كل سمسار او دلال ، وكانت هناك =

التوابل ، ومن المعروف أنه فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كان هناك الكثير من اليهود ممن عملوا فى جباية المكوس (٦٠) .

وعمل اليهود أيضا فى دار السكة (٦١) بمدينة القاهرة ، ويفهم مما ذكره المقريزى أن هذه الدار كان يشرف عليها فى العصر الفاطمى قاضى القضاة (٦٢) ، كما اكد على هذه الحقيقة القلقشندى الذى أشار أيضا الى أن الوضع استمر على هذا المنوال بعدها بقليل (٦٣) ، حتى بداية العصر المملوكى حيث عهدت دولة المماليك بادارة دار سك النقود فى القاهرة والأقاليم الأخرى

= رسوم ترخيص اجبارية على الحمامات والحوانيت والمطاحن والمخابز وغيرها يطلق عليها الأموال الهلالية أو المال الهلالى ، وهناك مكس معدية الجسر بالجيزة وغيرها ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١١ ؛ ج ٢ ، ص ١٢١ ـ ١٢٤؛ السلوك ، ج ١ ، ص ٢٦٧ هامش (٤) ؛ الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ٨٨ ؛ هامش (١) ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٦٨ ، ٤٧١ ؛
Rabie (H.), The Financial System, pp. 101-104.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 177.

(٦١) المقصود بالسكة هى الختم على النقود المتعامل بها بين الناس بطابع من حديد ينقش عليه اسم الخليفة ، وتعد السكة من شارات الخلافة ، بل من شارات الملك على الاطلاق ، وهى كما يقول ابن خلدون « ... ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس فى النقود عند المعاملات » ، انظر ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ط (٥) بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٦١ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارات الاسلامية ، ص ٥٠ .

(٦٢) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

(٦٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

الى كبار المستخدمين ، فسار الحال على هذا المنوال حتى عصر السلطان الظاهر بيبرس فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى (٦٤) .

اما القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى فقد انتقلت ادارة دار سك النقود المركزية الى الادارة السلطانية المتمثلة فى ناظر الخاص (٦٥) وفى عهد المماليك الجراكسة عهد بهذه الوظيفة أحيانا الى ناظر الخاص أو الى أحد الأشخاص ، فقد جاء فى احداث سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م أن السلطان الغورى سلم دار الضرب الى شخص يدعى جمال الدين ، فلعب فى أموال المسلمين واتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين ، حتى أنه أصبح لا يحصل اى من الناس على درهم أو دينار ، فلما شنق جمال الدين خلع السلطان الغورى على المعلم يعقوب اليهودى وقرره فى دار الضرب ، فصار على منوال سابقه طوال فترة حكم الغورى (٦٦)، واخذ يغش فى العملة وقام بخلط الفضة بنسبة كبيرة من النحاس تزيد عن المقرر ، بحيث أن العملة كان يظهر غشها فى يوم

---

(٦٤) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٠٨ ؛
Ashtor, History, of the Jews, II, p. 178.

(٦٥) ناظر الخاص هو الذى ينظر فى خاص أموال السلطان ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٥ .

(٦٦) ابن طولون ، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، القسم الثانى ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٥ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ .

صدورها نفسه عن دار الضرب ، وبالتالى كانت قيمتها تقل ، الأمر الذى ادى الى الاضطراب والانهيار الاقتصادى (٦٧) .

ومع هذا فقد أشار المستشرق الفرنسى آشتور الى أن الوثائق التى ترجع الى العصر المملوكى قد خلت تماما من الاشارة الى أى من اليهود حتى هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام ، ممن عملوا فى دار سك النقود (٦٨) . ومن الواضح أن هذا المستشرق اليهودى قد جانبه الصواب بصدد هذا الموضوع لأن المصادر المملوكية تضمنت العديد من المعلومات عن بعض اليهود ممن عملوا فى أواخر عصر المماليك فى ادارة دار الضرب بالقاهرة ، فقد جاء فى أحداث عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م أن السلطان الغورى خلع على المعلم يعقوب اليهودى وقرره متحدثا على دار سك النقود ، كما كان ابن نصر الله ، فألبسه كاملية (٦٩) صوف أزرق ، ونزل من القلعة وهو فى غاية العظمة (٧٠) .

وجدير بالذكر أن بعض فقهاء العصر المملوكى قد حذروا من تولية الضيارف فى بيت المال من بين أهل الذمة كالسبكى الذى

---

(٦٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٨٩ ؛ عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور اليهود فى اقتصاديات دمياط فى القرن السادس عشر ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، عدد خاص ٥٧ ، أبحاث ندوة تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م ، ١٩٩٢ ، ص ٣٧٢ .

(٦٨) Ashtor, History of the Jews, II, 178.

(٦٩) الكاملية وجمعها كوامل ، نوع من الملابس الخارجية كالعباءة انظر :

Dozy, Suppltment aux dictionnaires, pp. 489-490 ; Asytor, L'évolution des Prix dans le Proclie orienla la basse-époque, JESHO, IV Part (1), 1961, p. 41.

(٧٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

ذكر : « ... انه لا يجوز ، واكثر الصيارف يخلطون فيصيرون عامة أموالا الخلق جراما » (٧١) .

كما أشارت وثائق الجنيزة الى يهودى آخر من طائفة القرائيين كان يعمل صرافا لدى أحد سلاطين (٧٢) المماليك (٧٣).

خلاصة القول أن اليهود فى عصر سلاطين المماليك شغلوا عدة وظائف مهمة فى مجال الطب ، وفى الجهاز الادارى والمالى ، كما عمل بعضهم فى بلاط بعض سلاطين المماليك وفى وظائف شتى .

---

(٧١) السبكى ، معيد النعم ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧٢) لم يذكر اشتور اسم هذا السلطان .

(٧٣) Ashtor History of the Jews, II, pp. 171-172.

الفصل الثالث

مدى التزام اليهود بالشروط العمرية

موقف الدولة من ذلك

رغم حرص سلاطين المماليك على إثبات التزامهم بالعدالة تجاه أهل الذمة من يهود ونصارى عملا بتعاليم الدين الاسلامى (١) ، لقوله ﷺ : « من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار » (٢) ، وقوله ايضا : « من آذى ذميا فقد آذانى » (٣) ، وقوله كذلك : « من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة » (٤) . كما قال عمر بن الخطاب فى كتابه الى عمرو بن

(١) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٤ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٥٣ .

(٢) لم يرد هذا الحديث فى الصحيحين الا انه ذكر فى الجامع الصغير للسيوطى ، انظر السيوطى ، الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٦ هـ ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

(٣) السيوطى ، الجامع الصغير ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤) أبو داود ، سنن أبو داود ، تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة بدون تاريخ ، القاهرة بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

العاص فى أثناء ولايته على مصر مشيرا الى الحديث السابق ذكره : « ان معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله خصمك (٥) .

ومع ذلك فقد مارس بعض سلاطين المماليك على أهل الذمة ضغوطا شتى اما ارضاء لنزعة دينية لديهم وإما لرغبة منهم فى الظهور بمظهر حماة الدين الاسلامى ، أو مراعاة لمشاعر العامة أو ارضاء لرجال الدين المسلمين ذوى النفوذ الواسع آنذاك (٦).

فقد فرضت على أهل الذمة بعض القيود ، تضمنت ما اصطلح على تسميته « بالعهد العمرى » أو « الشروط العمرية » (٧) ، وهى تنقسم الى قسمين مستحق ومستحب ، أما المستحق فيضم ستة شروط :

— عدم ذكر الاسلام بذم له أو قدح فيه .

— عدم ذكر الله بطعن له أو تحريف فيه .

— عدم ذكر الرسول بتكذيب له أو ازدراء .

(٥) على عبد الواحد وافى ، حقوق الانسان فى الاسلام ، ط (٥) ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٢٢ ؛ المساواة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٣١ ، ٣٢ ؛ شعبان محمد عبد الله ، موسى بن عزرا واثره فى نقد الشعر والنثر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٦م ، ص ١٣ .

(٦) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٦٤ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٩٣ .

(٧) ابن قيم الجوزية ، شرح الشروط العمرية مجردا من كتاب احكام أهل الذمة ، تحقيق صبحى الصالح ، ط (١) دمشق ١٩٦١م ، الفصل الأول وما بعده ؛

Tritton, Islam and the Protected Religions, TRAS, I, 1927, p. 479.
Doris, Locations of Non-Muslim Quarters in Medieval Cairo AI, XXII, 1986, p. 124.

ـ الا يصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح .

ـ ألا يفتنوا مسلما عن دينه أو يتعرضوا لماله أو دمه .

ـ الا يعينوا أهل الحرب ...

وهذه الشروط ملزمة فاذا نقضوها نقض عهدهم (٨) ، ومع ذلك فقد وجدت بعض الحالات التى تجرأ فيهـا البعض عـلى شخصية الرسول ﷺ (٩) وكان هؤلاء يعرضـون على قضـاة المسلمين ممن ينتمون الى المذهب المالكى ، الذى يفرض فى حالة المساس بشخصية الرسول (ﷺ) عدم الأخذ بمبدأ التوبة على عكس ما تتجه اليه بقية المذاهب الأخرى ، وتؤكد المصادر العربية أن قضاة المالكية كانوا يتشددون فى أحكامهم المتعلقة بهذا الأمر أساسية ومهمة لحامية الاسلام (١١) .

ونظرا لخطورة التهم لم يكن لنواب القضاة صلاحية الفصل فى القضايا من هذا النوع من تلقاء أنفسهم بل كانوا يرفعونها الى قاضى القضاة باستثناء حالات نادرة نظرها نواب القضاة ، وكانت الدولة المملوكية ترى فى التشدد فى الحكم على المارقين ضرورة أساسية ومهمة لحامية الاسلام (١١) .

---

(٨) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ قاسم عبده أهل الذمة ، ص ٢٦ ؛ **Gril, Une émeute anti-Chrétienne à Qûs, p. 257.**

(٩) ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٣٧ ، ٣٨ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٧ ، ص ٩٦ ، ابن اياس بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(١٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٤٠١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط (١) ، ١٩٦٦م ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ .

(١١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٨١ .

وكانت العقوبة المعتادة فى مثل هذه التهم القتل عن طريق قطع الرأس علانية وأمام الشهود من العامة والوجهاء فضلا عن القضاة ونوابهم ، وبعد ذلك تحرق جثة المارق ويعلق رأسه على رمح يدار به على الأحياء المجاورة مع المناداة عن الجريمة المقترفة والحكم الصادر ضدها (١٢) .

ومع ذلك فيستشف من المصادر المملوكية أنه تمت محاكمة بعض أفراد أهل الذمة أمام القضاء الاسلامى بتهمة الاساءة الى شخصية الرسول (ﷺ) وقد عرض عليهم التحول الى الاسلام مع رفع العقوبة عنهم غير أن معظم هؤلاء لم يرضوا بهذا الاختيار وفضلوا عقوبة الموت (١٣) .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الشروط العمرية المستحقة أن نشير هنا الى جريمة الزنا ، فقد انتشر الزنا فى عصر سلاطين المماليك ، كما وجدت البغايا اللائى كن يسمين بنات الخطأ والخواطىء (١٤) ، وقد كثر عددهن فى الديار المصرية على عصر سلاطين المماليك ، وكان لهن لباس خاص يعرفن به ، وهو لبس الملاءات والطرح وفى أرجلهن سرافيل من أديم أحمر (١٥) ، وقد

---

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ١٢٢ ، ٢١٠ .

(١٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ احمد عبد الرازق ، المرأة فى زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥ ؛
Abd Al-Raziq (A), La Femme Au temps des Mamlouks en Egypte, Le Caire 1973, p. 79.

(١٥) المقريزى الخطط ، ج ٢ ، ص ٩٦ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٥ ؛

اعترفت الدولة بهن وفرضت عليهن ضرائب مقررة (١٦) وجمعت من هذه الضرائب على حد زعم المؤرخ ابن تغرى بردى « جملة مستكثرة » (١٧) ، كما جعلت الدولة المملوكية للبغايا ضامنة عرفت باسم ضامنة المغانى ، تذهب اليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها عندها . وكانت هذه الضامنة تتعهد بدفع مال الى الدولة فى مقابل أن تتولى جمع ضريبة المغانى ، التى كانت تجمعها من النساء البغايا فى مقابل أن تحميهن الدولة (١٨) . وهكذا انتشر البغاء فى مصر زمن سلاطين المماليك ، ووقفت البغايا بالأسواق تحت أعين المارة (١٩) .

وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من البغاء فى البلاد ، فأبطل المكوس المقررة على البغايا ، ومنع البغاء فى القاهرة وسائر البلاد ، كما حبس البغايا حتى يتزوجن ، وأمر بألا تزيد مهورهن عن أربعمائة درهم يعجل منها مئتان رغبة فى تيسير زاوجهن (٢٠) .

---

(١٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ص ١٥٠ ، ١٥٢ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٧ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٦ ؛

(١٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٤٧ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٦ ؛
Abd Al-Raziq, La Femme, pp. 79-80.

(١٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ١٠٢٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٦ .

(١٩) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٦ .

(٢٠) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٧٨ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٩٩ هـ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٣٦ .

والزنا عند فقهاء الاسلام من الجرائم التى لا تغتفر لا سيما اذا حدث الزنا بين رجل ذمى وأمرأة مسلمة (٢١) ، اذ ان مثل هذه الحوادث كثيرا ما كانت تحدث من فترة الى أخرى ، ويلاحظ فيها أن تطبيق الحد كان يتم بكل شدة على الذمى فى حين كان يتم التساهل فى عقوبة المرأة المسلمة ، فى سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م ضبط أحد اليهود يزنى بأمرأة مسلمة من طبقة المماليك ، فحكم عليها بالسجن فقط وحكم على اليهودى بالقتل ، وبعد قتله حرقت جثته وصودرت أملاكه (٢٢) .

وفى سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م ضبط فى القاهرة ذمى وأمرأة مسلمة فى واقعة زنا ، فحكم برجم الاثنين ثم حرق الذمى ودفنت المرأة (٢٣) . ولدينا أيضا بعض المعلومات بصدد وقوع الزنا بين أهل الذمة أنفسهم ففى عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م نظر نائب القاضى الحنفى قضية يهودى متزوج ارتكب الفاحشة مع يهودية ، وقد عنى به بعض خواص السلطان حتى حكم القاضى برفع الرجم عنه ، بناء على مذهب الحنفية الذى يقضى بأن الكتابى المتزوج لا يرجم (٢٤) .

هذا ومن المعروف أن الشريعة اليهودية قد نهت عن الزنا لأنه رذيلة يجب الابتعاد عنها ، كما نصت على ضرورة عقوبة

---

(٢١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٦٥ ؛ النووى منهاج الطالبين ، ص ١١٧ ، ١١٢ ، ١٢٩ ، خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، النجف ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٢٣) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٥٧ .

(٢٤) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١١ .

الزانى بالقتل (٢٥) ، فقد جاء فى سفر التثنية « ... لا تكن زانية من بنات اسرائيل ولا يكن مأبون من بنى اسرائيل لا تدخل اجرة زانية ولا ثمن كلب الى بيت الرب الهك عن نذر ما لانها كلهيما رجس لاله الرب الهك ... » (٢٦) .

اما فيما يتعلق بالعقوبات التى حددتها الشريعة اليهودية على الزانى فكانت تتمثل فى الرجم وهو عقوبة الزانى والزانية ، والحرق وتنفذ عقوبة الحرق بالنار عادة مع الزانى أو الزانية ويكون ذلك أمام جماعة بنى اسرائيل (٢٧) .

اما فيما يتعلق بالقسم الثانى من الشروط العمرية اى القسم المعروف بالشروط المستحبة فكانت تشتمل ايضا على ستة شروط تمثلت فى :

- لبس الغيار (وهو الملابس ذات اللون المخالف للون ملابس المسلمين لتمييزهم عنهم) .
- الا تعلو ابنيتهم فوق ابنية المسلمين .
- الا تعلو أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .
- الا يجاهروا بشرب الخمر واظهار صلبانهم .
- أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.
- أن يمنعوا من ركوب الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير .

---

(٢٥) الفت جلال ، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٧٤ .

(٢٦) سفر التثنية ، الاصحاح الثالث والعشرون ، ١٧ ، ١٨ .

(٢٧) الفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٤ .

وهذه الشروط الستة المستحبة لا تلزم بعقد الذمة ، ولا يكون ارتكابها نقضا للعهد ، وتؤلف هذه الشروط بقسميها صورة « العهد العمرى » أو « الشروط العمرية » (٢٨) .

وسواء أكان صحيحا أن هذه الشروط كانت منسوبة الى الخليفة عمر بن الخطاب أم الى الخليفة عمر بن عبد العزيز فانها كانت الأساس في فرض القيود على أهل الذمة (٢٩) .وكان على اليهود حسب الشروط الواردة فى هذا العهد الا تعلو أبنيتهم فوق أبنية المسلمين ومع ذلك ففى كثير من الأحيان لم تحترم هذا الشرط، بدليل أن المصادر المعاصرة للدولة المملوكية أو السابقة عليها اشارت الى تجاهل اهل الذمة لهذاالشرط ، وبخاصة فى الأماكن الجديدة التى لم يسبق لهم البناء عليها ، كما كان مسموحا لهم بترميم دور العبادة الموجودة بالفعل ، وكانت مثل هذه الترميمات تتم حينما يتولى الحكم سلاطين من المماليك أقل تعصبا ، ذلك لأنها كانت تتم تحت حماية هؤلاء المماليك (٣٠) .

---

(٢٨) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ؛ الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ١٠٦ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٢٦ ، ٢٧ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ٦٠ ؛

Gril, Une émeute Anti-Chrétienne à Qûs. p. 257.

(٢٩) فيليب خورى حتى ، تاريخ العرب ، م (١) ط (٣) ١٩٥٢م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٥٥ ؛ عبد المنعم أحمد بركة ، الاسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الاسلامى وفى العصر الحديث ، ط (١) الاسكندرية ١٩٩٠ م ، ص ١٨٨ .

(٣٠) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

وقد كان اليهود غالبا ما يقدمون الى السلاطين والأمراء طلبا بذلك ، فاذا تمت الموافقة عليه لم يكن يلتفت الى سبب تهدم هذه الدور الدينية ، وما اذا كانت سقطت من نفسها أم انها خربت بيد أحد ، وأحيانا كان السلاطين يعطون الموافقة على ترميم جزء من هذه الدور ، وأحيانا ما كانوا يوافقون على اعادة بنائه كاملا (٣١) ، ففى عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م اشتعلت النيران فى احدى الكنائس بالفسطاط وحصل النصارى على موافقة باعادة بناء الكنيسة بالكامل ، كذلك وافق السلطان الناصر على ترميم كنيسة النصارى الا أن النصارى استغلوا هذه الموافقة وأقاموا بناء فخما فقام المسلمون بحرق هذه الكنيسة بالكامل (٣٢) .

ومن المعروف أن مثل هذه الترميمات أو عمليات البناء للدور الجديدة كانت تتم بناء على موافقة القضاة ، فضلا عن موافقة السلطان والأمراء الذين كانوا يمدونهم بالأدوات اللازمة لذلك (٣٣) .

وكان البعض من أهل الذمة يسعون أيضا الى رشوة بعض القضاة فى سبيل الحصول على فتاوى تبيح لهم اجراء عملية الترميم المطلوبة كما زعم المستشرق آشتور (٣٤) ، مع أن طبقة المتعممين

---

(٣١) Ashtor, History of the Jews, II, 208-209.

(٣٢) المقريزى ، السلوك ، ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٣٢٠ .

(٣٣) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق محمد أسعد طلس ، القاهرة ١٩٦٠م ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣٤) بالرجوع الى المصادر العربية المعاصرة لم نجد اشارة الى حدوث رشوة على الاطلاق كما زعم آشتور .

كانت تبذل دائما ما فى وسعها لمنع اهل الذمة من ترميم دور العبادة الخاصة بهم ، وكانت العامة تساندهم فى ذلك بالاضافة الى دورها الفعلى فى تخريب دور عبادة أهل الذمة (٣٥) .

لذلك كان السلطان المملوكى ينتدب من حين لآخر بعض كبار الأمراء وبصحبتم المحتسب والوالى وبعض قضاة الاسلام للتفتيش على دور عبادة اهل الذمة للكشف عما استجد فيها من بناء ، ولكن مثل هذه الحملات التفتيشية كانت تتم دائما بناء على تظلمات يتقدم بها بعض المسلمين (٣٦) .

وفى عام ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م عندما اشتد الخلاف حول ما أحدثه اليهود من بناء حول أحد معابدهم أرسل السلطان الأشرف برسباى ناظر الأوقاف وبصحبته بعض القضاة لكشف ذلك ، وانتهى الأمر بالحكم بهدم ما استجد ، وصدر الأمر الى الوالى بتنفيذ الهدم ليلا خوفا من العامة (٣٧) ، مما يؤكد أن العامة كانت تجد فى مثل تلك الامور فرصة للسلب والنهب ، ويدل أيضا على ان سلاطين المماليك والقضاة قد أدركوا ذلك وعملوا على منعه .

وفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م توجه المحتسب ومعه القاضيان الشافعى والمالكى فى جماعة من الناس ، الى معبد اليهود بقصر الشمع فوجدوا منبرا يضم ثلاث عشرة درجة يبدو عليها الترميم

---

(٣٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٢ .

(٣٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٥١٨ .

(٣٧) ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٨٢ .

الحديث ، وبينما كانا يتشاوران فى أمرها ، اكتشف فوق الدرجة التى يقفان عليها نقشا مازالت آثاره باقية ، وقد طالب القاضى الشافعى بفحص هذه الكتابة ، فاذا بها اسمان : أحمد ومحمد وثار خلاف بين القضاة حول ما يجب اتباعه ازاء ذلك ، فرأى البعض معاقبتهم ، على حين اكتفى آخرون بهدم المنبر ، وفى العام التالى عوقب اثنان من يهود المعبد بسبب ذلك بالموت (٣٨) ، ثم تولى الشيخ أمين الأقصرى مهمة تحديد أماكن عبادة اليهود ، وأغلق العديد من هذه الأماكن مؤقتا باغلاق أبوابها الى ان يتم تجديد وضعها بعد ذلك (٣٩) .

وفى عام ٨١٦ هـ / ١٤٥٦ م دبت الحياة مرة أخرى فى دور العبادة الخاصة بأهل الذمة ، ووفقا للوثيقة المحفوظة فى أرشيف الطائفة اليهودية القرائية فى القاهرة التى قام بنشرها ريتشارد جوتهل ، فقد الغيت بعض أوامر التفتيش على دور عبادة أهل الذمة فى ذلك العام ، وكان ذلك قبل تولى السلطان اينال (٤٠) .

ومنع أهل الذمة أيضا من عدم تعلية دورهم على دور جيرانهم المسلمين ومن حمل السلاح (٤١) ، فقد كان من بين مهام رؤساء أهل الذمة التى لا يمكن التجاوز عنها (٤٢) .

---

(٣٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٠ ، ٣٦ ؛ قاسم عبده أهل الذمة ، ص ٨٣ ؛
Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 426.

(٣٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١ ؛
Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 430.

(٤٠) Cohen, Jews in the Mamluk Environment, p. 430.

(٤١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ؛ ابن طلحة ، العقد الفريد ، ص ١٨ ؛

(٤٢) ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ؛ العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، بيروت ١٩٨٨م ، ص ١٤٤ .

وهناك رايان فقهيان فى مسالة عدم السماح لأهل الذمة ببناء أبنية تعلو على ابنية المسلمين المجاورة لهم ، أولهما يقضى بحظر ذلك ، والآخر يقضى بحظر ابنية مساوية لبيوت المسلمين المجاورة لهم ، وقد كان الفقهاء القدامى يميلون الى الأخذ بالراى الاول (٤٣) ، غير انه فى العصور الوسطى المتأخرة تشدد الفقهاء فى ذلك ومنعوا أهل الذمة من بناء المنازل المساوية فى الارتفاع لمنازل المسلمين (٤٤) ، ولكن حتى هؤلاء المتشددون كانوا يعترفون بأن من حق اهل الذمة الاحتفاظ بالمنزل الذى يعلو على منازل المسلمين ، اذا كان قد اشتراه من مسلم ، أما فى حالة انهيار هذا المنزل فكان محظورا عليه عند اعادة البناء تجاوز الارتفاع المنصوص عليه (٤٥) ، بدليل ما حدث فى عام ٧٠١ / ١٣٠١ م عندما منع اهل الذمة من بناء منازل تعلو على منازل المسلمين ، وما حدث ايضا فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م عندما اتخذت الدولة موقفا اكثر تشددا ، وقامت بمنع أهل الذمة من بناء منازل مساوية فى الارتفاع لمنازل جيرانهم من المسلمين (٤٦) .

وقد وصل الحال فى بعض الأحيان الى منع اليهود من ترميم منازلهم اذ يوجد لدينا مرجع مسيحى يرجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى جاء فيه أن المسلمين كانوا يحظرون

---

(٤٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٦ .

(٤٤) النووى ، منهاك الطالبين ، ص ١٢٢ .

(٤٥) Kofler (Hans), Handbuch des Islamichen Staats-und verwaltung Srechtes von Badr-Ad-Din Ibn Gama ah, Islamic, VI, Leipzig, 1934, p. 349.

(٤٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣٨٤ .

على اليهود احياناً القيام بترميم منازلهم الآيلة للسقوط (٤٧) ، ومع ذلك فقد أشارت المصادر العربية الى أن سلاطين المماليك لم يستغلوا « الشروط العمرية » فى الأساءة الى أهل الذمة ، كما جاء أيضا فى مجموعات الفتاوى لربانى مصر فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، التى يفهم منها أنه سمح ببناء المنازل وأن بعضهم كانوا يمتلكون المنازل التى تصرفوا فيها بالبيع والشراء مع بعضهم البعض ، ومع غيرهم من أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك (٤٨) .

ويستشف من هذه الفتاوى أيضا انه كان يسمح لليهود بشراء الأراضى فى مصر ، وأن بعضهم كانوا من ملاك الأراضى ، وان هذه الأراضى آلت اليهم عن طريق الميراث ، وأن بعضها الآخر انتقل عن طريق المنح والعطايا ، وأن جميع الأحكام المتصلة بنقل ملكية الأراضى من غير اليهود الى اليهود ، فضلا عن القضايا المتصلة بملكية اليهود للأراضى ، كانت تعرض أمام مجالس القضاء الاسلامية (٤٩) .

وتتحدث الوثائق اليهودية كذلك عن منزل كان يقع فى حارة بحى زويلة بالقاهرة ويعرف بمنزل أشجار النخيل كان يطل على الطريق العام ، ويمتلكه خمسة أخوة من اليهود قاموا ببيعه الى أحد أمراء المماليك (٥٠) .

---

(٤٧) Kabatik (Martin), Beschreibung der Stadt Jerusalem und ihrer umegbung, ZOPV, Band XXI, Leipzig, 1898, p. 57.

(٤٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 220.

(٤٩) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٦ ، ٣٨ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ؛ وعن أمتلاك اليهود للأراضى انظر مجموعة وثائق دير سانت كاترين مرسوم رقم ٤٦ ، ٤٩ ، وثيقة بيع رقم ٢٥٥ ، ورقم ٢٩٥ .

(٥٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, London, 1983, IV, p. 80.

ويستشف أيضا من احدى الوثائق العربية الخاصة بطائفة القرائين بالقاهرة المؤرخة بسنة ٨٣٩ هـ / ١٤٤٠ م أن احد اليهود يدعى زين الدين عبد الكافى بن علم الدين، الشهير بالداوؤدى ابتاع منزلا بحارة زويلة ، وقد شهد على عقد البيع اثنان من المسلمين هما على بن حسن القاهرى وعلى بن محمد (٥١) ، مما يؤكد على انه كان مسموحا لليهود بامتلاك وشراء الأراضى فى مصر ؛ كما يشير أيضا الى حسن العلاقات السائدة بين المسلمين واليهود بدليل وجود شهود من بين المسلمين على هذا العقد

أما فيما يتعلق بدور عبادة اليهود فيفهم من مصادر العصر المملوكى أن بعض حجرات منازل اليهود كانت تخصص لغرض العبادة (٥٢) ، ويستشف كذلك من وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى انه فى الحالات التى كانت تقتضى فيها الضرورة القيام بترميم أحد المعابد القائمة بالفعل فان اليهود كانوا يقومون بذلك بحذر شديد ، وأنهم كانوا ينتهزون اللحظة المناسبة لتقديم طلبهم الى الدولة المملوكية ، وبعد صدور الموافقة على هذا الطلب كانوا ينفذون ما ورد فيه بكل دقة (٥٣) .

أما بخصوص ملابس اليهود (٥٤) فقد ألزم القسم الخاص بالشروط المستجبة من الشروط العمرية أهل الذمة يلبس الغيار ،

(٥١) Richards (D.S.), Arabic Documents from the Karaite Community in Cairo, JESHO, XV, 1972, pp. 152-153-154.

(٥٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٥١٩ .

(٥٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 210.

(٥٤) وسوف نتحدث فى الباب الرابع الفصل الأول عن ملابس اليهود بالتفصيل .

ومن المعروف أن هذا الشرط لم يطبق الا فى فترات متقطعة من عصر سلاطين المماليك ، حيث حرم عليهم أحيانا لبس الفراجى والجبب بالأكمام الواسعة كهيئة قضاة الاسلام (٥٥) ، كما اشترط فى ثيابهم أن تكون قصيرة وغير طويلة (٥٦) ، وفرض عليهم أيضا تصغير العمائم بحيث لا يزيد طول عمامة أحدهم عن عشرة أو سبعة أذرع (٥٧) ، مع تلوين هذه العمائم باللون الأزرق للنصارى والأصفر لليهود والأحمر للسامره (٥٨) . وأن تلبس المرأة ازارا من اللون نفسه وخفين أحدهما أبيض والآخر أسود (٥٩) .

والواقع أن ارتداء اليهود للون الأصفر لم يكن يمثل اى تحقير لمن يرتديه ، لأنه سبق للرسول (ﷺ) والخلفاء الأول أن ارتدوا الملابس الصفراء (٦٠) ، كما ارتدى صلاح الدين الأيوبى عمامة وسترة صفراء (٦١) .

---

(٥٥) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٤١ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ .

(٥٦) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٥٧) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٠٦ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٠٧ .

(٥٨) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٥٩) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٤ ـ ٩٦ ؛ ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ اليهود فى مصر ، ص ٧٣ .

(٦٠) ابن الهمام ، شرح فتح القدير ، ط (١) بولاق ١٣١٦ هـ ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٦١) أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٢٨٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

وقد روى كثير من حجاج أوربا الذين كانوا يذهبون الى الاماكن المقدسة عبر الاراضى المصرية زمن سلاطين المماليك أن قانون العمائم التى كان يرتديها أهل الذمة والذى صدر فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م كان يطبق فى جميع أنحاء الدولة المملوكية (٦٢).

كما اتفق هؤلاء على أن عمائم اليهود كانت صفراء اللون وعمائم النصارى كانت ذات لون أزرق كما جاء فى أقوال رحالة زار بلاد المشرق فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى، الذى كتب يقول ان عمائم المسلمين كانت بيضاء وعمائم اليهود صفراء وعمائم النصارى زرقاء وعمائم السامره حمراء (٦٣) ، واكد هذه المعلومات أيضا الرحالة چون دى موند فيل (٦٤) ، كما ذكر الرحالة اليهودى ميشولام أن اليهود كانوا يرتدون فوق رءوسهم عمائم صفراء فى جميع أنحاء الدولة المملوكية (٦٥) وهو ما يؤكده أيضا رحالة ايطالى يهودى زار مصر فى عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م (٦٦) .

وتشير المراجع المسيحية التى ترجع الى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الى أن المسلمين كانوا يرتدون عمائم بيضاء وأن عمائم النصارى كانت صفراء وعمائم اليهود كانت ذات لون أزرق مشرب بلون رمادى (٦٧) ،

---

(٦٢) Ashtor, History of the Jews, II, 210.

(٦٣) انظر : Ashtor, History of the Jews, II, p. 211.

(٦٤) Wright (Thomas) Early Travels in Palestine, London, 1848, p. 183.

(٦٥) Adler, Jewish Travellers, p. 163.

(٦٦) Adler, Jewish Travellers, PP. 163-164.

(٦٧) Ashtor, History of the Jews, pp. 210-211.

أما الراهب يعقوب فقد ذكر أن المسلمين كانوا يرتدون عمائم بيضاء والنصارى عمائم سوداء (٦٨) .

ويبدو أن هذا التضارب الذى نجده أحيانا فى كتابات الرحالة الأجانب بصدد ألوان عمائم عصر السلاطين المماليك مرجعة الى التباس الأمر على هؤلاء الرحالة الأوربيين لأن ألوان هذه العمائم كانت تتبدل فيما يبدو من وقت لآخر . فقد جاء فى خطاب بالعبرية أرسل من فلسطين بعد سقوط الدولة المملوكية بسنوات قليلة الى ان اليهود كانوا يرتدون عمائم خضراء (٦٩) ، مع أن العمائم الخضراء كانت خاصة بطبقة الأشراف فى المجتمع المصرى منذ عصر السلطان الأشرف شعبان الذى ألزم جميع الأشراف بلبس العمائم الخضراء تمييزا لهم (٧٠) .

خلاصة القول ان القوانين الخاصة بالالوان المميزة لملابس أهل الذمة كانت ترسل الى كل أنحاء الدولة المملوكية ليتم تنفيذها على الفور ، بدليل ما ذكره الرحالة الألمانى ارنولد فون هارف الذى زار مصر فى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م من أن أهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يرتدون العمائم وفقا للقانون السائد فى ذلك الحين (٧١) .

---

(٦٨) Liber, Peregrinations Fratris Jacobi De Verona, ROL ,III, Paris, 1895, p. 211..

(٦٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 212.

(٧٠) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ١٠٧ .

(٧١) Letts (M.), The pilgrimage of Arnold Von Harff, London, 1946, p. 113.

أما فيما يتعلق بالشرط الخاص بضرورة ارتداء أهل الذمة للمناطق (٧٢) ، التى تخالف تلك التى ترتديها المرأة المسلمة ، فيعد فى الواقع أقدم من الشرط الخاص بلون العمائم لأن المؤرخين العرب أشاروا الى أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى استن هذا القانون ، كما شدد عليه كل من الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز والخليفة العباسى المتوكل (٧٣) ، وشدد على ارتدائه أيضا بعض قضاة المسلمين فى العصور الوسطى (٧٤) .

والمناطق جمع منطقة وهى تعنى الزنار (٧٥) ، وهو فى الأصل عبارة عن حبل غليظ ، غير أن أهل الذمة كانوا يتحايلون

---

(٧٢) المنطقة نوع من الأحزمة التى توضع حول الوسط ، ويكون غاليا من الذهب أو الفضة وأحيانا من الجلد أو القماش ، كما جاء فى دوزى أنه لا يجوز للرجل التحلى بالذهب والفضة الا فى ثلاثة مواضع هى الخاتم والمنطقة وحلية السيف انظر .

Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vétements chez les Arabes, Amsterdam, 1845, pp. 420-421.

والمنطقة أطلق عليها فيما بعد اسم حياصة ، وكان السلطان هو صاحب الحق الوحيد فى منح الأحزمة الى الأمراء العظام كجزء من ثبات التشريف وكان من المألوف أن ترصع بالأحجار الكريمة ، والحياصة هى القطعة الوحيدة من ملابس الرجال التى أباحتها الشريعة الاسلامية وسمحت بصنعها من الفضة أو الذهب انظر ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧٣) الطبرى ، تاريخ الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧١ م ، ج ٩ ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٧٤) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١٢٢ ، ١٢٩ ؛ خليل بن اسحق مختصر خليل ، ص ٩٦ .

(٧٥) زنار جمعه زنانير وهو حزام أو وشاح تميز بلبسه أهل الذمة فى العصور الوسطى ، انظر :

Dozy, Dictiinnaire détaillé, pp. 196-198.

سعيد عاشور ، العصر المماليكى ،ص ن ٤٤٦ .

على ذلك ويصنعون المناطق المنسوجة من الحرير ، الأمر الذى حدا بأحد قضاة المسلمين الى أن يحدد سمك الحَبل المستخدم فى هذا الزنار ، واشترط بأن يكون سميكا فى حجم الأصبع (٧٦) .

ويفهم من ابن الاخوة أيضا أنه كان لزاما على اليهود أن يرتدوا عمائم صفراء ، أما النصارى فكان لزاما عليهم ارتداء الزنار (٧٧) ، كما روى الرحالة المغربى ابن سعيد فى منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى أن النصارى كانوا يتميزون عن المسلمين بارتداء الزنار ، أما اليهود فكانوا يتميزون من خلال علامة صفراء على عمائمهم (٧٨) .

وحينما أوصى السلطان الناصر محمد بضرورة التشدد مع اهل الذمة والزامهم بالشروط العمرية فى عام ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م نص على ضرورة التمييز بين المسلمين واهل الذمة ، من حيث لون العمامة والزم النصارى فقط بضرورة ارتداء الزنار (٧٩) . أما فى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م فقد صدر مرسوم سلطانى بالزام جميع اهل الذمة بارتداء الزنار المصنوع من غير الحرير (٨٠) . ومع ذلك فقط لاحظ احد الرحالة الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى أن الفارق الوحيد المميز بين المسلمين واهل الذمة فى

---

(٧٦) ابراهيم بن شرف ، شرح الوقاية ، ص ٢٤٧ .

(٧٧) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص ٩٥ ، ٢٢٢ .

(٧٨) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .

(٧٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٨ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٣٣ .

(٨٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ .

الهيئة والملبس كان ينحصر فقط فى لون العمامة (٨١) . وعلى ذلك يمكن القول بأن باقى القيود التى فرضت على ملابس أهل الذمة لم تكن تنفذ ولم تكن ملحوظة بدرجة واضحة ، بدليل أن الرحالة الأوربيين الذين كانوا يهتمون بأدق التفاصيل لم يسجلوا لنا فى كتب رحلاتهم شيئا يذكر بصدد الاختلاف بين ملابس المسلمين وملابس أهل الذمة زمن سلاطين المماليك ، باستثناء ألوان العمائم .

كما فرضت الشروط المستجبة أيضا على أهل الذمة عدم ركوب الخيل وسمح لهم بركوب البغال والحمير ، وقد أكد على ذلك بعض مؤرخى العصر المملوكى اذ يذكر كل من مفضل بن أبى الفضائل والقلقشندى أن أهل الذمة كانوا يستخدمون الحمير فى تنقلاتهم بالاكف عرضا أى من جهة واحدة (٨٢) . وأكد على هذه الحقيقة أغلب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر زمن سلاطين المماليك ، فقد ذكر أحد الرحالة اليهود ممن زاروا مصر خلال الثمانينيات من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه لم يكن مسموحا لأى يهودى أو نصرانى فى مصر بالسير راكبا داخل المدن حتى ولو كانت وسيلته الحمير ، لذلك كان اليهود والنصارى مضطرين الى ترك حميرهم خارج أبواب المدن (٨٣) ، كما روى الرحالة فليكس فابر الذى زار مصر فى أواخر العصر

---

(٨١) Dopp. Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du moyen age, BSRGE, Tome 23, 1950, p. 129.

سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٧ .

(٨٢) ابن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٦ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٦٤ .

(٨٣) Adler, Jewish Travellers, p. 163.

المملوكى أنه كان محظوراً على اليهود والنصارى السير داخل المدن وهم راكبون الحمير ، بدون الحصول على اذن من السلطان وفى هذه الحالة فقط كان يسمح لهم بركوب الحمير واستخدامها فى تنقلاتهم داخل المدن (٨٤) .

وقد أمدتنا مؤلفات بعض فقهاء المسلمين التى وضعت فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بتفسير لذلك فقد جاء فيها أنه لم يكن مسموحا لليهود أو النصارى بالركوب داخل المدن حتى ولو كانت وسيلة انتقالهم هى الحمير الا فى بعض الحالات الخاصة كالمرض وغيره وحتى فى مثل هذه الحالات كان لزاما عليهم الترجل من فوق الحمير اذا مر احدهما بأحد من المسلمين (٨٥) .

وقد سرى هذا الوضع ايضا على حجاج النصارى الذين كانوا يذهبون للحج فى فلسطين زمن سلاطين المماليك فقد كانوا ينتقلون من مدينة الى أخرى على ظهور الحمير ، كما كانوا يستخدمون فى اثناء زياراتهم لسائر اقاليم الدولة المملوكية الحمير والبغال (٨٦) .

هذا ومن المعروف أن ركوب الخيل فى العصر المملوكى اقتصر فقط على طبقة المماليك وعلى رجال البلاط ، وحسبنا دليلا على ذلك أنه فى السنوات الأولى من حكم المماليك الجراكسة اعلن فى

---

(٨٤) Félix (Fabri), Voyage en Egypte, p. 171.

(٨٥) ابن الهمام ، الفتح القدير ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ ؛ النووى ، منهاج الطالبين ، ص ١١٧ .

(٨٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 214.

القاهرة مرات عديدة أنه من غير المسموح لأحد فى المدينة بركوب الخيل عدا قادة الجند (٨٧) . ومثل هذه الأوامر المتغيرة بين الحين والآخر تقدم لنا الدليل على ان هذه الأوامر لم تكن تنفذ بصورة صارمة فى معظم الأحيان ، بدليل اننا نقرأ فى أحداث سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م أن المماليك كانوا يقفون فى شوارع القاهـرة وينزلون العامة من فوق خيولهم ولا يسمحون بذلك الا لكبار القادة ولرجال البلاط المملوكى فقط (٨٨) .

وقد ذكر آشتور انه كان يسمح بركوب الخيـل للمماليـك فقط (٨٩) . وكان يسمح أحيانا بركوب الخيل لبعض كبار القوم من غير العسكر علامة على تمييزهم ، كما يفهم من كتابات بعض المؤرخين العرب (٩٠) .

وبالنسبة لمواريث اهل الذمة فقـد أكـدت أوراق البردى ووثائـق ديرسـانت كاترين فى سينـاء وكتابـات مؤرخى مصر الاسلامية ، وا نمواريث أهل الذمة كانت تخضع لأحكام الشريعة الاسلامية ، وان تلك المواريث كانت تعود الى أهل ملتهم فى حالة عدم وجود وارث للمتوفى (٩١) . ومع ذلك فان هذا لم يحـدث دائما بدليل ان مرسوم السلطان الناصر محمد الذى اصـدره فى اعقاب أحداث ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م ، ومرسوم السلطان الصالح

---

(٨٧) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ .

(٨٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣١٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٤١٨ .

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 217.

(٩٠) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٥٣ .

(٩١) سيده كاشف ، مصر الاسلامية وأهل الذمة ، ص ١٢٧ .

صالح بن محمد بن قلاوون الذى جدد المرسوم السابق قد انتزع من أهل الذمة هذا الحق (٩٢) ، وحددت الدولة المملوكية فى مرسوم عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أن سلطة الأشراف على مواريث أهل الذمة يجب أن تكون من خلال الادارة الرسمية للدولة المملوكية ، طبقا لتعاليم الشريعة الاسلامية ، لذلك فان الورثة كانوا يحصلون على أنصبتهم طبقا للشريعة الاسلامية وما تبقى كان يذهب الى بيت المال (٩٣) باعتباره من المواريث الحشرية التى كانت تعد جزءا من بيت المال . ومن المعروف أنه كان للمواريث الحشرية ديوان خاص يختص بتركات من يموت ولاوارث له ، وأن عادة هذا الديوان جرت بأن يقوم كاتبه كل يوم بكتابة تعريف بمن يموت بمصر والقاهرة من رجال ونساء وأطفال ، ويهود ، ونصارى ، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة ، ولناظر الدواوين ومستوفى الدولة ، وكان هذا الديوان يغلق من وقت العصر ، فمن توفى بعد العصر كان يضاف فى الغد (٩٤) .

ومن المعروف أيضا أن هناك قاعدة أساسية فى الفقه الاسلامى تقول « لا يتوارث مسلم وكافر » وقد أضر هذا المبدأ بطبيعة الحال باليهود والنصارى الذين تحولوا الى الاسلام ، لذا أجاز بعض الفقهاء توريث المسلم لغير المسلم (٩٥) .

---

(٩٢) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٨ .

(٩٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٧ .

(٩٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٤ ، ج ١١ ، ص ٣٩٧ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٥ ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ؛ ابن كثير ، البداية ج ١٤ ، ص ٢٥٠ .

(٩٥) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ٧٦ ؛ خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٩٥ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

وقد اختلفت الآراء الفقهية بشأن ميراث اهل الذمة من يهود ونصارى ، فأصحاب المذهب المالكي والمذهب الحنبلي يمنعان توارثهما ، أما أصحاب المذهب الشافعي والمذهب الحنفي فيقولان بأن أهل الذمة يعدون من طائفة واحدة ومن ثم فيمكنهم التوارث (٩٦) . وتجمع المذاهب الأربعة على أنه يجوز للمسلم أن يوصي ببعض ما له للنصراني أو اليهودي (٩٧) .

وفي بعض الأحيان كانت الدولة تترك أمر تشريع مواريث اهل الذمة لرؤساء طوائفهم فكانوا يقومون بتوزيع الميراث طبقا لتشريعهم الديني الخاص الذي ينص على أن أول من يرث الميت ولده الذكر ، واذا تعدد الذكور من الأولاد فللبكر حظ اثنين من اخواته ، ولا فرق بين المولد بنكاح صحيح أو غير صحيح من الاولاد في المواريث ، اذ نص تشريعهم الديني على ضرورة اعطاء كل منهم نصيبه بصرف النظر عن النكاح الذي ولد منه ، ولا يحرم البكر من امتيازه بسبب كونه من نكاح غير شرعي ، أما البنات فمن لم تبدأ منهن الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذه السن تماما ، وليس لها شيء بعد ذلك ، واذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابيه ، واذا لم يكن له ابن انتقل الميراث الى البنت فأولادها وهكذا ، ويرى القراءون (٩٨) أن يكون للبنت نصيب مع الولد ، سهمان للولد وسهم للبنت ، فاذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله ، وأحق الأصول بميراث الميت أبوه وله كل التركة فان لم يكن له أب فجده ، واذا لم يكن له أصول انتقل الميراث الى

---

(٩٦) أبو عبد الله ، رحمة الامة ، ص ٩٨ .

(٩٧) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٠١ .

(٩٨) انظر الباب الثالث الفصل الأول .

درجات الأقارب الفرعية من الذكور (٩٩) ، واذا كان هناك ميراث بغير صاحب كانوا يوظفونه لصالح الطوائف اليهودية (١٠٠) .

وقد أفتى بذلك القاضي المالكي خليل بن اسحق الجندي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م (١٠١) فذكر انه يجب تسليم تركة الذمى لبنى دينه الذين يعيشون معه (١٠٢) ، كما كانت مراسيم تعيين رؤساء طوائف أهل الذمة فى مصر المملوكية تتضمن بعض النصوص الصريحة التى تدل على أنه من بين مهام هؤلاء الرؤساء الفصل فى المنازعات التى تنسب حول الميراث بين أبناء طوائفهم (١٠٣) .

وفى بعض الأحيان كان البعض يلجأ الى كتابة وصيته أمام مجالس القضاء الدينية لليهود ، وغالبا ما كان المورثون يشترطون فى وصاياهم بأن يكون نفاذها بعد موتهم ، كما كانوا يحتفظون لأنفسهم بحق تغيير بعض نصوصهاأو الغاء البعض الآخر ماداموا أنهم على قيد الحياة (١٠٤) . وهذا القانون يتشابه فى الواقع

---

(٩٩) أحمد شلبى مقارنة الأديان « اليهودية » القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، ٢٧٦ .

(١٠٠) Ashtor, History, of the Jews, II, p. 223.

(١٠١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ق (٢) ، ص ٤١ .

(١٠٢) خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٩٦ ، ٢٩٥ .

(١٠٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٤ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٥ .

(١٠٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 232-233-234.

مع التشريع الاسلامى الذى ينص بدوره على حق الموصى فى تغيير أو الغاء وصيته ماذام أنه مازال على قيد الحياة (١٠٥) .

ويستشف من بعض الفتاوى الخاصة بأوقاف اليهود أنه كان يتم تخصيص جزء من الميراث لفقراء اليهود ، وجزء آخر لفقراء المسلمين ، ويفهم أيضا من بعض الفتاوى الأخرى التى ترجع الى نهاية العصر المملوكى انه كان يتم تخصيص جزء من الميراث لليهود وجزء آخر لفقراء مكة او لفقراء الخليل (١٠٦) .

ويبدو أن اشراف رؤساء طوائف أهل الذمة من يهود أو نصارى على مواريث بنى جلدتهم ظل سائدا طوال عرصرى السلطان برقوق وابنه فرج ، وأن احدا من المسلمين لم يعترض على تحويل تركة النصرانى الذى يموت ولا وارث له الى البطريرك ليتم استثمارها فى شتى امور الطائفة ، كما يستشف من خطاب أرسله امبراطور الحبشة الى السلطان برقوق (١٠٧) .

وفى عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م طرأ تغيير مهم فى هذا الصدد فقد أخذ السلطان برسباى من رؤساء طوائف أهل الذمة حق تقسيم التركات وتم نقله الى ديوان المواريث‌بل وطبق ذلك عليهم بأثر رجعى كما طلب منهم تقديم ما يثبت ملكيتهم لأموالهم

---

(١٠٥) برهان الدين ابراهيم ، الاسعاف فى أحكام الأوقاف ، بدون تاريخ ، ص ٣٠ ؛ محمد قدرى ، قانون العمل والانصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف ، ط (٢) بولاق ١٨٩٥ م ، ص ٢٥ ، ٢٦ ؛

(١٠٦) Ashor, Hisory of the Jews, pp. 232-233.

(١٠٧) Ashtot, History of the Jews, p. 224.

وممتلكاتهم (١٠٨) ، ولعل السبب فى قيام السلطان الأشرف برسباى بهذا الاجراء هو ما اشتهر به من رغبته فى جمع المال بكل السبل والوسائل المتاحة .

ولدينا رواية للرابى موشى مصرانى بصدد احدى الفتاوى الخاصة بتحايل اليهود على قانون الميراث تعود الى ما بعد سقوط الدولة المملوكية يفهم منها أن المسئولين عن بيت المال كانوا يحتفظون بتركة من يموت ولا وارث له ، وحينما يأتيهم من يطالب بنصيبه فى التركة كانوا يطلبون منه أجراً عن فترة الحراسة وكان هؤلاء المستخدمون يسعون دائما الى مصادرة هذه التركات فى معظم الأحيان ، حتى فى حالة وجود بعض الورثة ، غير أنه فى حالة وجود بعض العاملين من اليهود فى بيت المال كان يصعب كثيرا على المستخدمين المسلمين أن يتعرفوا على شيء من أملاك وتركات اليهود الذين ماتوا ، وفى حالة توصلهم الى معرفة شيء عن ذلك كان اليهود يشهدون أمام قضاة المسلمين بأن لهم أقارب ، وكان هؤلاء القضاة يقبلون شهادتهم ، كما جرت العادة أنه فى حالة وجود أحد من المستخدمين اليهود فى بيت المال فانه كان يسهل عليه التصرف على أغلب مواريث اليهود ، وكان يسعى بالتالى الى تقسيم تلك التركات اليهودية بعيداً عن أعين بيت المال (١٠٩) .

ويلاحظ بالنسبة لأوقاف اليهود أن اهتمام سلاطين المماليك لم يقتصر على أوقاف المسلمين فقط بل حظيت أوقاف أهل الذمة أيضا برعايتهم واهتمامهم (١١٠) ، وكان التصرف فيها يتم وفقا

---

(١٠٨) المقريزى : السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ١٠٣٨ .

(١٠٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 227.

(١١٠) محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ١٢٩ .

للشروط التى حددتها تعاليم الشريعة الاسلامية ، ومن اهم هـذه الشروط أن تكون موقوفة على أعمال الخير ، فقد ذكر ابن قيم الجوزية : « ان وقفوه على معين أو جهة يجوز للمسلم الوقف عليها كالصدقة على المساكين والفقراء واصلاح الطرق والمصالح العامة ، أو على أولادهم وانسالهم وأعقابهم فهذا الوقف صحيح حكمه حكم وقف المسلمين على هذه الجهات ، لكن ان شرط استحقاق الأولاد والاقارب بقائهم على الكفر لم يصلح هذا الشرط ... » (١١١) .

ومن المعروف أن القضاء الاسلامى والقضاة المسلمين لم يضعوا أية عقبات أمام اليهود فى مجال الوقف وان كانوا قد طالبوهم أحيانا بتخصيص جزء من الوقف لصالح فقراء المسلمين (١١٢) .

ويفهم من المؤرخ ابن دقماق أنه كان يوجد وقف يعرف ببنى عطا اليهودى فى سوق المعاريج الذى كان سكنا لليهود (١١٣) .

كما أشار السخاوى فى حوادث عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م الى تحويل أحد المنازل التى وقفت على تعليم الأطفال الى كنيس يهودى (١١٤) .

أما فيما يتعلق بامتلاك اليهود للعبيد ، فتتضمن المصادر التاريخية بعض الشكاوى المتعلقة بامتلاك أهل الذمة لعدد كبير

---

(١١١) ابن قيم قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، نشره صبحى الصالح ، دمشق ١٩٦١ م ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(١١٢ Ashtor. History, of the Jwes, II, p. 234.

(١١٣) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(١١٤) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٦ ، ٣٨ .

من العبيد ، وبخاصة العبيد الذين يتبعون المستخدمين النصارى ويسيرون خلفهم فى الطرقات (١١٥) وجدير بالذكر أن الدين الاسلامى حرم على اليهود امتلاك عبيد من المسلمين (١١٦) ، ولا شك أن ذلك كان أمرا طبيعيا لأن الرق لا يجرى على مسلم . وفى الصيغ المختلفة للعهد العمرى يرد حظر على امتلاك أهل الذمة لعبيد من بين المسلمين (١١٧) .

وقد وجد من بين قضاة المذهب المالكى من أصدر فى هذا الصدد حكما متشددا بعدم جواز امتلاك اليهود لعبيد من طائفة أخرى ، بل ذهب بعضهم الى القول بعدم جواز امتلاكهم لعبيد من غير بنى عقيدتهم واشترطوا فى حالة امتلاكهم لعبيد من بنى عقيدتهم أن يكون العبد بالغا (١١٨) .

والحق أن أهل الذمة قد التزموا فى معظم الأحيان بما حدده الفقه الاسلامى ولم يتجهوا الى شراء عبيد من المسلمين ، بل جرت العادة أنه فى حالة اعتناق أحد مواليهم الاسلام يتم عتقه على الفور (١١٩) . كما فرضت دولة المماليك بدورها العديد من القيود على شراء العبيد ، ففى عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م صدر

---

(١١٥) المقريزى ، الخطط ، ح ٢ ، ص ٤٩٩ .

(١١٦) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٧٢ .

(١١٧) حظر الحاكم على أهل الذمة طبقا لما يرويه المقريزى شراء العبيد أو الجوارى مطلقا مسلمين أو غير مسلمين ، المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(١١٨) خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(١١٩) النووى ، منهاج الطالبين ، ص ٧٦ ، ٧٧ ؛
Tritton, Non-Muslim Subjects, pp. 38-39.

مرسوم يقضي بقصر شراء الرقيق من الترك على المماليك فقط(١٢٠)، ومع ذلك فمن الواضح أنهم كانوا يتجاوزون هذا الشرط فى بعض الأحيان بدليل أنه تقرر فى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م منع اهل الذمة من شراء عبيد من بين المسلمين او جارية مسلمة ، ثم رسم بعد ذلك بحظر امتلاكهم العبيد على الاطلاق .

الأمر الذى يكشف لنا أن أهل الذمة قد اعتادوا فى بعض الأحيان شراء جوار من المسلمات ومن غيرهن ، بدليل أن ناظر الجوالى طالب نصار القاهرة فى عام ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م باحضار مالديهم من الجوارى حينما بلغه أنهم يشترون الجوارى المسلمات وينصرونهن « ... فمن وجدها مسلمة فى الأصل ردها الى الاسلام ، أمر صاحبها ببيعها ... » (١٢٢) .

ويتضح من الفتاوى التى أصدرها الفقهاء اليهود فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى بأن قوانين امتلاك العبيد استمرت باقية حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، ويفهم منها ايضاً أن المرسوم الصادر فى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م لم يستمر العمل به طويلا فقد ورد فى بعض هذه الفتاوى أشارات الى امتلاك اليهود لبعض الجوارى على الرغم من المراسيم المتعددة التى أصدرتها الدولة المملوكية وحظرت فيها على اليهود شراء العبيد أو الجوارى ، ولكن من الواضح أن اليهود كانوا يتحايلون دائما على

---

(١٢٠) السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(١٢١) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ .

(١٢٢) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، نشر وليم بوبر ، كاليفورنيا ، ١٩٣٠ م ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٥ .

هذه القوانين كما يتضح لنا من الفتاوى التى صدرت ابان تلك الفترة (١٢٣) .

بقى أن نتعرض لموضوع تعرض اليهود للاضطهادات (١٢٤) والذل والهوان تحت حكم المماليك كما جاء فى بعض الدراسات ، فقد زعم مارك كوهن أن حكم المماليك كان معاديا لليهود والنصارى ، ودلل على ذلك بتعدد المراسيم الصادرة عن بعض العلماء المعروفين بعدائهم لأهل الذمة ، بالاضافة الى كره الشعب لليهود والنصارى ، كما زعم أيضا أن الاضطهاد والعداء لأهل الذمة لم يكن ينفجر عادة تجاه النصارى أولا بل تجاه اليهود ثم النصارى بعد ذلك (١٢٥) . وهو حكم جائر وخاطىء ولا ينسحب على عصر سلاطين المماليك بأكمله ، بل على فترات قصيرة كان يحدث خلالها بعض الاضطهادات قصيرة الأجل نتيجة لسلوك أهل الذمة تجاه المسلمين كما حدث فى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م عند مرور وزير المغرب بالقاهرة فى طريقه الى الحجاز وألمه لما وجد ما عليه أهل الذمة فى مصر من نعمة وهناء وحرص أهل الدولة عليهم(١٢٦).

أما فيما يتعلق بالمراسيم التى كانت تلزم أهل الذمة بالشروط العمرية فقد كانت تصدر بين الحين والآخر وكانت تحض على منع استخدام أهل الذمة فى الجهاز الادارى وضرورة طردهم من دواوين السلطان والأمراء ، وهذه بدورها كانت تختص بالدرجة الأولى بالنصارى من دون اليهود كما أشرنا سالفاً .

وبالنسبة لمقولة كره الشعب لأهل الذمة فهى غير صحيحة أيضا والدليل على ذلك مشاركة المسلمين لأهل الذمة طوال العصر

---

(١٢٣) Ashtor, History of the Jews, III, P. 236.

(١٢٤) Doris, Locations of Non-Muslim, p. 124.

(١٢٥) Cohen, Jews in the Mamluk Environment, pp. 445-446.

(١٢٦) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ق (٢) ، ص ٩٠٩ .

المملوكى فى احتفالاتهم وأعيادهم ومواسمهم ، وحتى فى حالة وجود العداء فى بعض الأحيان فإنه كان يرجع دائماً إلى تفرد أهل الذمة بالوظائف وتطاولهم على المسلمين ومحاولة تعطيل مصالحهم لصالح بنى جلدتهم .

وسوف يلاحظ الدارس لأحوال اليهود فى المجتمع المصرى بوضوح أنه لم تحدث أية اضطهادات لهم طوال العصر المملوكى الا فيما ندر ، وكما جرت العادة أنه اذا حدث واشتدت الازمة ضد النصارى فان الموقف كان يبدو هادئا بالنسبة لليهود ، بدليل أن النصرانى كان يعمد الى استعارة العمامة الصفراء لأحد جيرانه اليهود ليلبسها فى الطريق اذا ما أراد الخروج من داره حتى يسلم من العامة المتشددين ((١٢٧) .

خلاصة القول ان اليهود لقوا من محاسن المسلمين فوق مالقيه النصارى (١٢٨) وكانت الأوطان العربية والاسلامية موطنا وملجأ لهم على مر العصور ، ولم يعرف التاريخ بلدا عربيا أو اسلاميا اضطهد اليهود (١٢٩) ، وشهادة اليهود أنفسهم بحسن هذه المعاملة خير دليل على ذلك (١٣٠) ، فقد أشار الرحالة اليهودى مشولام بن مناحم الذى زار مصر عام ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م فى عصر المماليك الجراكسة بسماحة الاسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتميزهم عن غيرهم فى كثير من الأعفاءات المالية

---

(١٢٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(١٢٨) محمود نعناعة ، المشكلة اليهودية وهل تحلها اسرائيل ، جزءين ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(١٢٩) الأب طانيوس منعم ، خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والاسلام ط (٢) بيروت بدون تاريخ ، ص ٥٢ .

(١٣٠) حسن ظاظا ، اليهود ليسوا تجارا ، ص ١٤٨ .

وخصوصا المكوس ، وذكر أيضا أن اليهود كانوا يعاملون معاملة حسنة فى الاسكندرية ولم يكونوا يدفعون مكوساً على بضائعهم بخلاف غيرهم من أهل الدول الأخرى (١٣١) . ولو كانت هناك اضطهادات تعرض لها اليهود لذكرها الرحالة اليهودى وندد بها .

وهذا يعنى ببساطة أن اليهود تمتعوا تحت حكم المماليك بكل ما تمتع به اخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات باستثناء بعض فترات الشدة القصيرة الأجل التى كانت تعمد الدولة خلالها الى الزام أهل الذمة بالشروط العمرية والتى كثيرا ما استثنى اليهود منها كما سبق أن أوضحنا .

---

(١٣١) Adler, Jewish Travellers, p. 162.

الباب الثانى

أحوال اليهـود الاقتصـادية

الفصل الأول : حرف وصناعات اليهود فى العصر المملوكى

الفصل الثانى : النشاط التجارى لليهود فى العصر المملوكى

الفصل الأول :

حرف وصناعات اليهود في العصر المملوكي

من يرغب في التعرف على الوضع الاقتصادي لدولة المماليك ، والبحث في أساليب معيشتهم ودورهم في الحياة الاقتصادية في مصر إبان تلك الفترة ، وفقا للظروف التي خلقتها نظام الحكم المملوكي بصدد أنشطة اليهود الاقتصادية ، عليه أن يبادر قبل كل شيء بالبحث حول مدى مشاركة اليهود في الحياة الاقتصادية زمن سلاطين المماليك ، خاصة وأنهم كانوا يمثلون جماعة ذات طابع ديني خاص ، وعلى الباحث أن يحاول التعرف أيضا على أسس وأساليب الحكم المملوكي وسياسته الاقتصادية في تغيير البناء الاجتماعي للطوائف اليهودية (١) .

ويجب ، فيما يختص بالنقطة الأولى ، أن نضع في الاعتبار أن هذه الفترة قد شهدت صدور بعض المراسيم التي كانت تمنع استخدام أهل الذمة من يهود ونصارى في دواوين الدولة ، كما

(١) Ashtor; History of the Jews, I, P. 172.

صدرت بعض المراسيم الأخرى التى كانت تحد من النشاط الاقتصادى لأهل الذمة وتمنعهم من مزاولة الحرف (٢) ومع ذلك فان هذه المراسيم لم تكن تتجاوز فى معظم الأحيان حدود الاعلان . ولم توضع فعليا فى حيز التنفيذ ، بل كانت تظل دائماً مجرد حبر على ورق لأنها كانت تصدر فى أوقات خاصة تتسم بالشدة والتزمت تجاه اهل الذمة ، ورغم أن المعلومات المتوافرة لدينا عن وضع اليهود الاقتصادى زمن سلاطين المماليك البحرية ليست كثيرة ، فانه يمكن أن نقرر بدقة أن أساليب معيشتهم ومصادر رزقهم كانت متعددة ، الامر الذى جعل وضعهم الاقتصادى غنيا ومتنوعا وان كان نشاطهم الزراعى ضئيلا للغاية (٣) .

ويستشف من وثائق الجنيزة أن معظم يهود مصر زمن سلاطين المماليك كانوا يصنفون ضمن أبناء الطبقة الوسطى ، وهى الطبقة التى كانت تضم صغار التجار والحرفيين ، وأنهم لم يصنفوا مطلقا ضمن طبقة الأثرياء ، والا كان سلاطين المماليك قد التفتوا اليهم عند فرض المكوس (٤) ، وان كان هذا لا ينفي بالطبع وجود اثرياء يهود من ذوى المكانة الأجتماعية المتميزة بدليل ما روته المصادر التاريخية فى أحداث عام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م من أن أحد

---

(٢) عن هذه المراسيم انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ؛ وأيضا السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٤ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ؛ صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 173.

(٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 174.

اليهود حكم عليه بالقتل مع مصادرة أملاكه ، كما ذكرت أيضا أنه عثر لديه على مليون درهم ومجموعة من الأحجار الكريمة (٥).

ومن المرجح أيضا أن الوضع الاقتصادي لليهود فى مصر كان أحسن من وضعهم فى بلاد الشام ، فقد عثر بين وثائق الجنيزة على خطاب ارسله أحد يهود حبرون فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى نيابة عن جماعته الى رؤساء الطوائف اليهودية فى مصر ، إذ كان يهود فلسطين طوال العصور الوسطى تابعين لاخوانهم فى مصر ، يصف فيه فقرة ويطلب عون اخوانه اليهود فى مصر (٦) . وقد كان معروفا أن يهود مصر من الوجهاء وانهم كانوا أحسن حالا من غيرهم (٧) .

أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى ليهود مصر في عصر المماليك فقد أمدتنا وثائق الجنيزة بمعلومات مهمة تكشف لنا عن أوضاع اليهود طبقا لوظائفهم ومهنهم ، ومدى تفوقهم فى بعض

---

(٥) ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٦) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 330.

(٧) حسبنا دليلا على ذلك انه بعد قيام بعض قراصنة البحر باسر مجموعة من اليهود توجهوا بهم مباشرة الى مصر لعلمهم بأن بامكان يهودها القيام بفداء هؤلاء الأسرى ، ومن الثابت أيضا أن يهود القدس كانوا يأتون دائما الى مصر قبل ذهابه الى الأراضى المقدسة بالقدس لجمع نفقات السفر ، وقد استمر هذا لجمع التبرعات ، فقد جاء فى احدى وثائق الجنيزة أن احد اليهود اتجه إلى مصر الوضع طوال دولة المماليك ، انظر .

Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 87-103, 161 ; Ashtor, History of the Jews, I, pp. 175-176.

الأعمال والحرف (٨) التى كانت مفتوحة أمام جميع أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك (٩) .

فقد عمل اليهود (١٠) فى العصر المملوكى فى العديد من الحرف والصناعات ، مثل حرفة الصياغة ، وصناعة الحلى من الذهب والفضة وصناعة الأمشاط وصناعة الحلوى والكعك وصناعة الحرير وصناعة السكر ، ومهنة التنجيم ، وحرفة الخياطة وحرفة طحن الحبوب وصناعة النسيج بالاضافة الى بعض المهن المتعلقة بالمال كالاقراض بالربا وأعمال الصرافة .

---

(٨) Goitein, The Main Industries of the Mediterranean Area as Reflected in the Recotds of the Cairo Geneza, JESHO, IV,, part II, 1961, p. 172 ; A Mediterranean Society, Economic Foundations, Press Berkeley and Los Angeles, California, 1967, I, p. 101.

(٩) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

ومن المعروف أن عددا كبيرا من اليهود عملوا فى دول المشرق الاسلامى بالعديد من الحرف والصناعات ، وطبقا لما ذكره المقدسى فى نهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كان معظم عمال الصباغة فى بلاد الشام من اليهود ، وعلى ذلك فلم تكن الحرف مصدر العيش لعدد كبير من اليهود فحسب ، بل كان اليهود فرعا من فروعها الرئيسية . انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٦ ، ص ١٨٣ .

(١٠) أمدنا المستشرق اشتور باحدى وثائق الجنيزة غير المؤرخة وقد اتضح من خلالها أن اليهود مارسوا العديد من الحرف والصناعات مثل صناعة السكر والحلوى ، وصناعة الزجاج وتجارة الزيت والعسل والأعمال المصرفية والطب والخياطة والسمسرة وصناعة الخمور والنسيج ، انظر :

Ashtor, History of the Jews, I, P. 177.

ولدينا وثيقة ثانية من وثائق الجنيزة غير مؤرخة تضم بدورها قائمة ببعض أسماء دافعى المكوس وفقا للعنوان الذى يتصدرها .وتشتمل على أسماء ستة وخمسين يهوديا من بينهم .(١٨) يهوديًا ذكر نوع حرفة كل منهم الى جانب اسمه أما باقى الأسماء فقد خلت من اشارة الى مهنة كل منهم ، من هذه الحرف

وفيما يتعلق بحرفة الصباغة (١١) ، فقد برع اليهود فى هذه الحرفة فى دول المشرق ، حيث ظلت هذه الحرفة مصدرا اقتصاديا مهما لهم حتى القرن الثالث عشر الهجرى/التاسع عشر الميلادى، ولفظة صباغ كانت من الألفاظ المشهورة لديهم ، فقد تضمنت وثائق الجنيزة القاهرية أسماء العديد من الصباغين من العصر الفاطمى والأيوبى والمملوكى من بينهم ميخال بن يشوع الصباغ وجميع بن يوسف الصباغ ، كما أشارت هذه الوثائق الى اثنين من الشركاء كانا يعملان فى مدينة الفسطاط بحرفة الصباغة ، أحدهما يدعى افراهام الصباغ ، والثانى حلفون وقد هاجر احدهما الى فلسطين ووكل الى شريكه رعاية أملاكه وأسرته بالفسطاط ؛ ونقرأ فى وثائق أخرى من الفسطاط عن دار ابن الفضل الصباغ وعن يوسف الصباغ والشيخ محرز الصباغ (١٢) .

ونتيجة لانتشار حرفة الصباغة حذرت كتب الحسبة التى دونت زمن سلاطين المماليك من أساليب الغش فى مجال الصباغة وموادها وأشارت الى ما يقوم به الصباغون فى حوانيتهم من

والصناعات التى وردت فى هذه الوثيقة المذكورة نجد صناعة السكر وحرفة الصباغة والطب وصناعة الأشربة وتجارة البذور والصيرفة وصناعة الحلوى وحرفة الخياطة والرفا ، وصناعة الزجاج والذهب والفضة ، وصناعة العسل . كما أشارت هذه الوثيقة الى أحد الزياتين وأحد اليهود الذى عمل فى الشرطة انظر :

Gotthell, R., Fragmants from the Cairo Genizah freer collection, Lindon, 1927, pp. 66-71 ;

انظر الوثيقة بالملحق رقم (٥) .

(١١) صباغ ، هو الذى يصبغ أو يلون الثياب أو القماش ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ٢ ، ص ٧٠٣ .

(١٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 180.

صبغ الحرير الأحمر وغيره من الغزل والثياب بالحناء عوضا عن الفوة فيخرج الصبغ حسنا مشرقا ، فاذا أصابته الشمس تغير لونه وزال اشراقه ، كما أشارت الى البعض الآخر من الصباغين الذين يدكنون الثياب بالعفص والزاج اذا أرادوا صبغها باللون الكحلى ثم يدلونها فى الخابية فتخرج صافية اللون شديدة السواد ، فاذا مضى عليها مدة تغير لونها ونقص صبغها (١٣) ، كذلك حذر السبكي الصباغ من أن يصبغ بمحرم مثل الدماء ، وذكر انه كثر الصبغ بالدماء فى زمنه (١٤) .

وكانت صناعة الحلى من الذهب والفضة والنحاس من الحرف الشائعة فى العصور الوسطى ، بل كانت من أهم الصناعات زمن سلاطين المماليك ، وقد أشارت وثائق الجنيزة الى العديد من أشكال ومجموعات التحف المعدنية المزينة بالأحجار الكريمة التى وردت بصفة خاصة فى قوائم جهاز العرائس وفى غيرها من الوثائق (١٥) وكانت منطقة صياغ الذهب تقع على الطريق الرئيسى لحى بين القصرين ، كما يفهم من كتابات بعض الرحالة الذين ذكروا أيضا أن عددا كبيرا من اليهود كانوا يعملون فى صياغة الذهب وأن أعمالهم تركزت فى حي الصاغة المذكور (١٦) .

---

(١٣) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٧٢ ؛ ابن الأخوة معالم القربة ، ص ٢٢٤ .

(١٤) السبكى ، معيد النعم ، ص ١٣٦ ؛ حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، ج ٣ ، ٧٠٣ .

(١٥) Goitein, The Main Industries, pp. 183-187 ; A Mediterranean Society, I, pp. 103-108.

(١٦) الحسن بن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة مراجعة على عبد الواحد ، الرياض ، ١٩٧٩ م ، ص ٥١٨ ؛ فيت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١١٦ .

وعمل اليهود كذلك فى مجال صناعة الأمشاط ، ولدينا قصيدة شعرية للشاعر يوسف بن تنحوم الاورشليمى يهنئ فيها صدوق بن شموئيل الديان المعروف بابن الأمشاطى بمناسبة زواجه فى عام ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م ، ولفظة الأمشاطى تعنى هنا صانع الأمشاط ، تلك الحرفة التى كانت منتشرة بين يهود مصر زمن سلاطين المماليك (١٧) .

ومن الحرف التى مارسها اليهود بكثرة حرفة الخياطة التى وصلنا عنها عدة اشارات مهمة ترجع الى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى تذكر أسماء بعض اليهود الذين احترفوا الخياطة لدى بعض أصحاب الصناعات من المصريين (١٨) وعمل اليهود أيضا فى مجال صناعة الحلوى والكعك اذ يذكر الفقيه المغربى ابن الحاج الذى زار مصر فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى أن كثيرا من اليهود كانوا يعملون فى هذه الصناعة ، وحذر المسلمين من الشراء منهم خوفا من الدنس الموجود فى فم اليهودى (١٩) ، واشار أيضا الى أن بعض الطحانين (٢٠) المسلمين كانوا يستعينون ببعض الصبية من اليهود والنصارى ، للقيام بنقل الغلة من البيوت واعادتها اليها ثانية (٢١) .

---

(١٧) Ashtor, History of the Jews, I, p. 183.

(١٨) Ashor, History of the Jews, I. P. 183-184.

(١٩) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢٠) الطحان ، هو الذى يقوم بطحن الغلال ، ويقال له أيضا الدقاق ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٧٣٩ .

(٢١) ابن الحاج ، المدخل ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

وتفوق اليهود فى صناعة الحرير كما يفهم من وثائق الجنيزة، ويرجع ذلك الى أن هذه الصناعة كانت تعد من أقدم الصناعات المحلية فى فلسطين (٢٢) ، وقد كانت صناعة الحرير فى العصور الوسطى فى الشرق على درجة عالية من الرقى ، خاصة فى بلاد الشام حيث كان انتاج الحرير وتصديره من الأنشطة المهمة ، ويعرف ناسج الحرير فى العربية باسم القزاز (٢٣) ، وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بأسماء العديد من القزازين (٢٤) مثل بيت افراهام القزاز الذى ورد فى وثيقة ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى (٢٥) .

وكان يطلق عليه أحيانا الحريرى مثل الرابى يوسف بن الحافظ الحريرى الذى أشارت اليه احدى وثائق الجنيزة من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كما تضمنت

---

(٢٢) Goitein, The Main Industries, p. 177 ; A Mediterranean Society, I, pp. 103, 104.

(٢٣) القزاز هو الحائك ، والقزازة صنعة نسيج الحرير خاصة ، وقد تستعمل للنسيج عموما ، وايضا الحياكة ويطلق لفظ القزاز أيضا على بائع القز ، انظر ، حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ص ٨٩٢ ؛ أحمد عبد الرازق ، أضواء جديدة على صناعة النسيج فى مصر الاسلامية من خلال أوراق البردى العربية ، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش ، العدد الحادى عشر ، ١٩٩٤ م ص ١٢٩ .

(٢٤) سلامة اليهودى القزاز الذى ورد اسمه فى وثيقة ترجع الى الفسطاط فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وأبو الفضل القزاز بن أبو البركات فى وثيقة ترجع الى عام ٥٨٥هـ/١١٨٩ م ،
انظر : Mann, The Jews in Egypt, II, p. 320; Ashtor, History of the Jews, I, p. 184.

(٢٥) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 320 ; Ashtor, Histiry of the Jews I, p. 184.

أسئلة الرابى افراهام بن موسى بن ميمون وورود خمسة أسماء لشركاء كانوا يعملون فى محل للصباغة وبيع الحرير ، أما بخصوص أماكن صناعة الحرير فيبدو أنها تركزت فى أماكن سكن الأقباط التى كانت تضم عددا من اليهود ، كما أشارت وثائق الجنيزة غير المؤرخة الى بعض أماكن الغزل الخاصة بيهود الفسطاط كدار الغزل القديمة ، ودار الغزل المعروفة (٢٦) .

وعن عمل اليهود فى صناعة السكر فى مصر ، أمدتنا المصادر اليهودية والمصادر العربية بالعديد من الاشارات التى تدل على مدى حرص اليهود على القيام بهذه الصناعة (٢٧) ، فقد زودنا المؤرخ ابن دقماق فى كتابه الانتصار بقائمة تشتمل على ستة وخمسين مطبخا للسكر من بينهم ستة مطابخ كانت ملكا لليهود (٢٨) ، وقد استمر وجود هذه المطابخ بالمدينة خلال القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى وفقا لرواية المقريزى ، وقد وافقه فى ذلك كل من ابن دقماق وابن سعيد (٢٩) .

ومهنة التنجيم من الأعمال التى مارسها أيضا اليهود فقد حدثنا ابن دقماق عن أن أحد اليهود يدعى خلف المنجم ، أقتنى حانوتا كان يمارس فيه التنجيم على مدى أكثر من أربعين عاما حتى عرف المكان باسم سقيفة خلف المنجم (٣٠) .

---

(٢٦) Ashtor, History of the Jews, pp. 180, 184

(٢٧) Ashtor, History of the Jews, I, p. 185.

(٢٨) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(٢٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٨ ؛ ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ ، ١٠٨ ؛ ابن سعيد ، النجوم الزاهرة ، ص ٢٩ ؛ عاصم رزق ، مراكز الصناعة ، ص ٢٤ .

(٣٠) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤٩ .

أما فيما يتعلق بدور اليهود فى الحياة الاقتصادية فى عصر المماليك الجراكسة ، فقد تأثر أيضا بالوضع السياسى والاقتصادى للبلاد ابان هذه الفترة التى غلبت عليها الاضطرابات والقلاقل بسبب ثورات المماليك وتمردهم ، هذا فضلا عن الازمات الاقتصادية التى توالت على البلاد وأثرت سلبيا على الاقتصاد مما حال بدوره دون استقرار النظام المالى لدولة المماليك الجراكسة (٣١) فعندما تولى المماليك البحرية حكم مصر عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ، اتبعوا السياسة النقدية التى سار عليها اسلافهم الأيوبيون ، والمتمثلة فى ضرب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية (٣٢) ، ولكن يلاحظ أنه فى السنوات الأولى لحكمهم حدثت تغيرات مهمة فى السياسة النقدية ترجع أهميتها الى استعمال النحاس بكثرة على حساب الفضة التى قل

---

(٣١) عن الأزمات الاقتصادية والأوبئة والمجاعات انظر المقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشره محمد مصطفى زيادة ، جمال الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٠ ؛ السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٧٥ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ؛ وعن الطواعين انظر السيوطى ، حسن المحاضرة ، احداث ٧٩٠ هـ ، ٨١٠ هـ ، ٨١٦ هـ ، ٨١٩ هـ ، ٨٢٢ هـ ، ٨٣٣ هـ ؛ وعن الثورات وحركات التمرد انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) احداث ٧٩٠ هـ ؛ ابن قاضى شهبة ، تاريخ ابن قاضى شهبة ، م ١ ، ج ٣ ، تحقيق عدنان درويش ، أحداث ٧٧٩ ، ٨٥١ هـ ؛ وعن تغيرات العملة ، انظر ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ؛ وانظر أيضا :

Balog (Poul), The coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York 1964 ; Ashtor, Les métaux Précieux et la balonce des payements du proche - Orient à la basse époque, Paris, 1971.

(٣٢) رأفت محمد النبراوى ، السكة الاسلامية فى مصر عصر دولة المماليك الجراكسة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٣٢ .

تداولها ، أما الدنانير الذهبية فى العصر المملوكى البحرى فكانت تميز بعيار مرتفع واختلاف فى أوزانها (٣٣) .

وبعد أن استطاع السلطان برقوق أن يؤسس دولة المماليك الجراكسة فى سنة ٧٨٤ — ٩٢٢ هـ / ١٣٨٢ / ١٥١٧ م ، صارت النقود الذهبية التى ضربت فى فترة حكمه تتميز باختلاف أوزانها التى كانت تتراوح ما بين ٩٠ر٥ جرام و ٢٢ر١٥ جرام ونتيجة لهذا الاختلاف فى الوزن تم التعامل بها بالوزن وليس بالعدد ، وظل سعر الذهب آخذاً فى ارتفاع حتى وصل سعر الدينار المصرى الى تسعين درهما والدينار الأفلورى (٣٤) الى سبعين درهما وذلك فى عام ٨٠٦ هـ / ٤٠٤ م ووصل سعر المثقال الذهب (٣٥) نحو المائة درهم والدينار الأفرنتى (٣٦) خمسة وسبعين درهما ،

---

(٣٣) Balog, The Coinage, pp. 17-246 ;
رأفت النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٣٢ .

(٣٤) الدينار الأفلورى هو العملة الذهبية التى ضربتها فلورنسا سنة ٦٥٠ / هـ ١٢٥٢ م ، وأطلق عليها اسم فلورين ، وعرفت فى الأسواق الشرقية باسم افلورى ، ولكن لم يكن لها رواج البندقى ، وقد استخدمت فى دفع مرتبات أرباب الوظائف فى بعض المنشآت الدينية بمصر فى العصر المملوكى الجركسى ، النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤٠ .

(٣٥) ويقصد بالمثقال وحدة حسابية للوزن تبلغ ٢٥ر٤ جرام اى اثنان وسبعون حبة من الشعير النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤٤ .

(٣٦) اطلق عليه بعض التسميات هى البندقى والدوكة والشخصة ، وفى نهاية القرن ٨ هـ/١٤ م سيطرت هده العملة على الأسواق المصرية ، ومنذ سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م كثر تداولها فى مصر وغيرها من بلاد الشرق واصبحت هى النقد المرغوب فيه التجارة الدولية بصفة عامة وفى كل بلاد الشرق بصفة خاصة ، انظر النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٣٤١ .

وهكذا كانت سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م من أصعب السنوات التى مرت على الديار المصرية على حد قول المقريزى (٣٧) .

وفى عهد دولة المماليك الجراكسة اختفت العملة الفضية وصار نظام التعامل بالفلوس النحاسية ، وذلك بسبب ندرة المعادن النفيسة (٣٨) ، ويبدو أن ندرة الفضة كانت نتيجة لاكتناز سلاطين المماليك والقادة العسكريين كثيرا من خام الفضة عن طريق تحويله الى حلى وتحف فضية لتزيين قصورهم (٣٩) .

وقد قام السلطان الظاهر برقوق بسك عملات فضية جديدة سميت الدراهم الظاهرية صدرت فى عام ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م (٤٠) ويذكر القلقشندى فى أحداث عام ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م أن ورود الفضة قد توقف من أوربا الى مصر الأمر الذى ترتب عليه التقليل من ضرب الدراهم فى مصر (٤١) .

أما عن أسباب قلة الدراهم الفضية بمصر بعد عام ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧ م فيرجع الى عدة أسباب منها : بطلان ضربها الا فى القليل

---

(٣٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٣) ، ص ١١٢٧ ؛ النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٣٨) Ashtor, Hisoire des Prix, p. 247.

(٣٩) Ashtod, Les métaux Prtcieux, p. 41.

(٤٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ٦ .

Balog, The Coinage of the Mamluk, p. 13 ; Bacharach (L.J.), Studies ; on the Fineness of Silver Coins, JESHO, XI, Part III, Leiden, 1968, p. 310.

(٤١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ ؛ ابن حجر ، أنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

النادر ، واستهلاك الفضة فى صناعة السروج الآنية وغيرها ، وقيام أمراء السلطان واتباعهم بصهر الدراهم المتداولة وتصنيعها محليا ، وانقطاع وصول معدن الفضة من بلاد الفرنجة الى مصر ، وقيام الفرنجة بجمع الدراهم المتداولة فى مصر ثم يقومون بصهرها واستخدامها فى أغراض أخرى (٤٢) .

اما المستشرق آشتور فيوضح أن الفضة المصرية كان يجرى تهريبها إلى أوربا بواسطة التجار النصارى ، وقد نتج عن ذلك أزمة مالية خطيرة وظلت مصر تفتقر الى معدن الفضة على مدى خمسة عشر عاما (٤٣) ، حتى قام السلطان المؤيد شيخ بضرب عملات جديدة فى عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م (٤٤) .

وتعرضت العملات الذهبية بدورها فى عصر المماليك للتلاعب فى العيار والتغيير فى الوزن والتبديل فى الحجم كما سبق أن ذكرنا ، وبخاصة فى زمن المماليك الجراكسة ، مما جعلها لا تحوز ثقة التجار وغيرهم ، فقد أشار القلقشندى الى أن العبرة فى وزن الدنانير كانت بالمثاقيل وذكر أيضا عن الدنانير التى تم سكها فى مصر عصر سلاطين المماليك : « ان الغالب فيها نقص أوزانها ، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كلفة ضربها (٤٥) .

---

(٤٢) النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٨٥ .

(٤٣) Ashtor, Les métaux précieux, p. 44 ; Bacharach, Studies on the Fineness, p. 310.

(٤٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ؛ Ashtor, Histoire des prix, p. 274 ; les métaux, p. 45.

(٤٥) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ .

وذلك على العكس مما ذكــره المستشرق آشتــور من أن العملات الذهبية لمصر بالمقارنة مع العملات الأخرى فى ذلك الوقت كانت مستقرة للغاية ، بسبب ثبات قيمتها ووزنها بالنسبة لسعر التبادل الدولى باستثناء بعض الفترات القليلة (٤٦) .

وهكذا لم يكن سعر العملة فى دولة المماليك الجراكسة فى مستوى واحد بصفة دائمة ، بل كان مرتبطاً بالتغيرات المتتالية التى تطرأ على النظام المالى ، كذلك أدت التغييرات فى قيمة العملة الى عدة ظواهر سلبية انعكست على الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

وقد أشار كل من المقريزى ، والسيوطى ، وابن حجــر ، وابن إيــاس الى الــكثير مــن حــالات المجاعــة والأوبئــة التى أصابت مصر فى فترة المماليك الجراكسة كما سبق أن اشرت من قبل ، وبالطبع ففى أوقات هذه الأزمات كانت الطبقات المتضررة هى الطبقة الوسطى من المستخدمين وأصحاب الحرف الحرة ، فقد كانت رواتب معظــم هــذه الطبقــات تنخفــض بصــورة ملحوظة (٤٧) ، والمثال على ذلك ما جاء بشــأن رواتب مؤذنى عشرة مساجد فى مصر خلال العصور الوسطى المتأخرة (٤٨) .

وتعد المعلومات التى وصلتنا بشأن الأســواق فى القاهرة التى أغلقت فى زمن المقريزى (٤٩) ، دليلا واضحا على ذلك فقد

---

(٤٦) Ashtor, Hisiry of th Jews, II, 147.

(٤٧) Ashtor, History of the Jews, II, 147.

(٤٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٣) ، ص ١٠٠ وما بعدها .

(٤٩) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٤ ؛
Raymond et Wiet, Les marchés du Caire, traduction annotée du texte de Maqrizi, Le Caire, 1978, pp. 155-156-184-195-196.

أدى تدهور أوضاع الطبقات الأخرى الى تدهور أوضاع التجار بطبيعة الحال ، ومن ثم فقد فقدت أغلب هذه الطوائف مصادر رزقها كما أدى انخفاض الطلب على الشراء الى تدهور أوضاع التجار وأصحاب الحرف ، الذى شكل اليهود جزءاً منهم (٥٠) . وقد وصلنا عن اصحاب الحرف من اليهود معلومات جاءت من مصادر متعددة ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، والنصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، منها ما رواه القس الألمانى برنارد بريد نباخ الذى زار مصر فى الثمانينيات من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى من أن اليهود فى القاهرة يتعيشون من وراء الأشتغال ببعض الحرف أو عن طريق ممارسة التجارة (٥١) ، وان كان فاته أن ينص صراحة على أنواع هذه الحرف .

كما اشار آشتور الى أن اليهود فى مدينة بلبيس كانوا من اصحاب الحرف وذلك عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م (٥٢) وفى الجنيزة وجدت بعض الوثائق غير الكاملة تتضمن بعض المعلومات عن هذا الموضوع ، منها واحدة ترجع الى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، وأخرى ترجع الى تاريخ مقارب ، يحمل كل منهما توقيع « أبو النضر الخياط بن محفوظ » ، وان كنا لا ندرى شيئا عن مكان تسجيلها ، وبالتالى لا نعرف مكان هذا الخيط (٥٣) .

---

(٥٠) Ashtor, History of the Jews, II. p. 148.

(٥١) Larrivaz (Félix), Les saintes pérégrinations de Betnard de Breydenbach, 1483, Le Caire, 1904, p. 56.

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 151.

(٥٣) Ashtor, The Jews and the Mediterranen Economy 10th - 15th Centuries, London, 1983, pp. 23 - 24 - 25

وعمل اليهود كذلك فى بعض الحرف الأخرى ، ففى احدى الفتاوى التى ترجع الى العصر المملوكى ما يشير الى أن بعض اليهود كانو يعملون فى طحن القمح (٥٤) ، وقد أكد ذلك الفقيه المغربى ابن الحاج (٥٥) .

وعمل اليهود ايضا فى زمن المماليك الچراكسة فى مجال القروض المالية ، فقد تضمنت احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اشارة الى بعض اليهود الذين كانوا يعملون فى عمليات الاقراض ، كما عملوا أيضا فى مجال الملاحة فقد اشير فى وثيقة ترجع الى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى الى يهودى كان يعمل ربانا لاحدى السفن واشير الى آخر كان يعمل ملاحا ابان فترة المماليك الچراكسة (٥٦) .

واستمر اليهود يعملون فى زمن المماليك الچراكسة بصناعة السكر فقد أشار السخاوى فى معرض ترجمته للفقيه شمس الدين محمد عبد المنعم الجوجرى الذى عاش فى القاهرة ومات بها عام ٨٨٩ هـ / ١٤٨٤ م ، انه كان يعمل بالتجارة ، وكان أحيانا ما يجالس بعض اليهود فى بعض ورش صناعة السكر (٥٧) .

ووصلنا ايضاً ضمن وثائق الجنيزة خطاب مرسل من دمشق الى القاهرة فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس

---

(٥٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 152.

(٥٥) ابن الحاج ، المدخل ، جـ ٤ ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٩ .

(٥٦) Ashtor, History of the Jews II, p. 154.

(٥٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٨ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

عشر الميلادى ، يهدى كاتبه الذى سافر من القاهرة الى بلاد الشام ، السلام الى اهارون اليهودى طاهى السكر المعروف بابن صنيعه (٥٨) .

وعمل اليهود كذلك فى مجال صناعة النسيج ، فقد ذكر المؤرخون العرب معلومات عن وجود كثير من الأفراد مسلمين ويهود ونصارى ممن كانوا يعملون فى صناعة النسيج فى مدينة الاسكندرية ، التى كانت فى عصر المماليك البحرية من اهم مراكز صناعة النسيج حيث وصل عدد ما بها من الأنوال فى عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م الى ١٤٫٠٠٠ نول ، بيد أن هذا العدد تناقص تناقصا كبيرا فى عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م حيث اقتصر على ٨٠٠ نول فقط (٥٩) ، مما يدل على مدى التدهور الذى لحق بصناعة النسيج الذي انعكس بدوره على عدد اليهود ممن احترفوا هذه الصناعة .

أما فيما يتعلق بالتجارة والصرافة فيقول المستشرق آشتور انها كانت قدرا مفروضا على اليهود ، فلم يكن لليهود رغبة خاصة فى العمل بالتجارة والصرافة ، غير أن تطور الاقتصاد الوطنى للبلاد التى كانوا يقيمون فيها ، وفقد اليهود لأغلب الوظائف ذات الطابع الاقتصادى ، وتفاقم الأزمات الاقتصادية المتعاقبة وقد تسببت جميعا فى ابعاد اليهود عن العديد من الصناعات واضطرتهم

---

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 155.

(٥٩) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ق (٢) ، ص ٩٠٩ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٥١٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٧١٤ ؛ Darrâg (Ahmad), L'Egypte Sous le régne de Barsbay, Damas, 1961, p. 71.

الى ترك أماكنهم واعمالهم (٦٠) ، والحق ان هذه العبارة فيها من التجنى الشيء الكثير لأنه من الثابت من خلال معرفتنا بتاريخ اليهود قبل الاسلام وبعده وفى كل زمان ومكان أنهم أقبلوا على الاشتغال بالتجارة وأعمال الصرافة (٦١) ، وأنهم كانوا مشهورين بخبرتهم وبراعتهم فى هذا المجال ، أضف الى ذلك حبهم الشديد لجمع المال ، ولا شك أن هذين المجالين عادا عليهم بالأموال الطائلة وذلك على العكس من زعم المستشرق آشتور بأنهم لم يكونوا شديدى الرغبة فى ممارسة هذه المهنة .

أما عن الازمات الاقتصادية المتعاقبة فى دولة المماليك والتى قيل أنها أبعدت اليهود عن بعض الصناعات وعن عمليات الانتاج الأساسية ، فان هذه الازمات التى تعرضت لها دولة المماليك ، انعكست آثارها على افراد المجتمع المصرى كلهم وليس على اليهود فقط ، ويلاحظ أيضا أن اليهود لم يتركوا أماكنهم نتيجة

---

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 155.

(٦١) الصيرفى من وظائف كتاب الأموال ، وهو الذى كان يتولى قبض الأموال وصرفها ، وهو مأخوذ من الصرف ، وهو صرف الذهب والفضة فى الميزان ، وكان يقال أيضا الجهبذ ، وقد يجمع شخص واحد بين مهمة الصيرفى والجابى ، انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٧٢٣ ؛ وقد اختلفت التفسيرات حول وظيفة الجهبذ ، فالبعض لم يفرق بين الجهبذ والصراف أو أنه صاحب مصرف أو تاجر أو أنه الناقد الخبير لغوامض الأمور العارف بالنقد ، ويرى أحد الدارسين أن الجهابذة أيضا كانوا فى الأصل تجارا مثل الصيارفة وانهم عملوا فى أول الأمر بالصيرفة ثم ارتقى بهم الحال دون سائر الصيارفة ، فأصبحوا كتاب خراج فى أقاليم الدولة المختلفة ، ثم تطور الأمر بهم وزاد ورقى حالهم فأصبحوا بيوتا مالية كبيرة تعمل لحساب الخلفاء والوزراء وكانوا يقومون بدور الوسطاء بين الخلفاء وكبار التجار الذين كان الخلفاء يقترضون المال منهم . انظر نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٤٣ .

للازمات الاقتصادية ؛ بل ان الظروف التى حتمت ذلك كانت عامة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع المصرى من مسلمين ويهود ونصارى.

بقى أن نشير الى أن أصحاب الحرف المتنوعة كانوا يندرجون تحت نظام خاص بكل حرفة وهو ما عرف بنظام الأصناف (٦٢) أو الطوائف ، ومن المعروف أن الطائفة الحرفية كانت تعنى « مجموعة من الأشخاص يمارسون نشاطا حرفيا واحداً فى المدينة وكان لها نظام يكفلها » (٦٣) أطلق عليه أصحاب الأصناف أو أصحاب الحرف أو أهل الصنايع (٦٤) .

وقد وجد نظام الطوائف (٦٥) هذا منذ العصر الفاطمى ، فقد ذكر المقريزى أنه كان يوجد « فى كل سوق من أسواق القاهرة على أرباب كل صنعة من الصنايع عريف يتولى أمرهم » (٦٦) ،

---

(٦٢) الأصناف جمع صنف وان كانت تعنى لغويا الأنواع أو الأشياء المميزة عن بعضها ، انظر حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مصر الاسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، ١٩٨٧ ، ص ٤ .

(٦٣) حسين رمضان ، طوائف الحرفيين ، ص ٤ .

(٦٤) عبد العزيز الدورى ، نشوء الأصناف والحرف فى الاسلام ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد الأول ١٩٥٩ م ، ص ١٤١ .

(٦٥) وقد أطلق البعض على الأصناف والطوائف لفظة نقابة مثل برنارد لويس فى بادئ الأمر ثم عاد وسحب كلامه فى عام ١٩٦٨ وقد أشارت سيرة الظاهر بيبرس الى وجود نظام طوائف للحرف ، انظر سيرة الظاهر بيبرس ، خمسون جزءا فى خمس مجلدات ط (١) مطبعة عبد الحميد حنفى ، بدون تاريخ ، م (١) ج ٩ ، ص ٤٩٩ .

(٦٦) المقريزى ، اغاثة الأمة ، ص ٨١

وعبارة ارباب كل صنعة تعنى الطائفة الحرفية التى تضم داخلها الأشخاص العاملين فى صنعة من الصنائع .

وقد خضع العاملون فى الصناعات المختلفة ، مثلهم مثل التجار فى الاسواق لرقابة الدولة المتمثلة فى المحتسب الذى كان يقوم بتعيين العرفاء على كل نوع من فروع الحرف ، وكان يتولى الحسبة فى العصر المملوكى مسلم قادر ... ويفهم ذلك من سياق ما جاء بسجل الحسبة فى العصر المملوكى الذى أورده القلقشندى (٦٧) ، وليس كما زعم المستشرق آشتور ان نسخة تقليد المحتسب لم يأت فيها اى ذكر لشرط أن يكون المحتسب من المسلمين .

(٦٧) اذ جاء به « ... خذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس الغيار وشد الزنار ففى ذلك اظهار لما فى الاسلام من العزة ... » انظر القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٦٠ وما بعدها ؛ وعن هذا الموضوع انظر أيضا ابن الإخوة معالم القربة ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

النشــاط التجـارى لليهود في العصر المملـــوكى

رغم أن التجارة كانت تعد ضمن الحرف التي مارسها اليهود في عصر سلاطين المماليك ، فانني خصصت لها فصلا مستقلا نظرا للدور الذى لعبه اليهود فى هذا المجال .

كانت القاهرة فى العصر المملوكى من افضل البلاد تجاريا على مستوى العالم ، حيث كان يسهل على الانســـان أن يثرى فيها بسرعة على حد تعبير أحد الرحالة الذين شاهدوها ابـــان هذه الفترة (١) .

ويبدو أن ثروة مصر واتســاع تجارتها فى العصر المـــلوكى الأول قد اجتذبت كثيرا من يهود القسطنطينية وبغـــداد ودمشـــق وعكا وصور وحلب والأندلس ، فضلا عن البلاد الأوربيـــة مثل

---

(١) Adler Jewish Travellers, p. 228.

فرنسا وايطاليا وغيرهما ، ويبدو كذلك أن هؤلاء اليهود الذين كانوا قد استقروا فى مصر وصارت لهم سيطرة ونفوذ على النشاط المصرفى والأعمال المالية (٢) .

وان كان المستشرق آشتور يرى أن فترة دولة المماليك البحرية كانت بمثابة فترة اضمحلال بالنسبة للنشاط التجارى لليهود فى مجال التجارة الداخلية للدولة ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب منها ازدياد الاحتكار التجارى الذى تأسس على فرض قيود على الدلالين (٣) ، وبطبيعة الحال لم تكن هذه المشكلة تخص اليهود وحدهم بل تأثر بها التجار عامة ، حقيقة ان التجار من غير اليهود استطاعوا أن يجدوا لأنفسهم مخرجا عن طريق مشاركة رجال الدولة ، وهو ما لم يكن باستطاعة اليهود أن يفعلوه لذا تعرضوا لصعوبات كثيرة . وأشار أيضا الى أن سبب تقلص تجارة اليهود يرجع الى قيام رجال الدولة بالعمل فى التجارة من خلال وكلائهم ، الأمر الذى ضيق من التنافس الحر بين كافة المواطنين الذين احترفوا ومارسوا مهنة التجارة (٤) .

ويفهم من وثائق الجنيزة أن معظم تجار اليهود كانوا من صغار التجار ومن متوسطى الحال ، كما يستشف من الأعمال التى كانوا يقومون بها ، ومن السلع التجارية التى كانوا يتعاملون

---

(٢) Clerget (M.), Le Caire, étude de géographie urbaine et d'histoire economique, Le Caire, 1934, I, p. 217 ;
سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤٢ .

(٣) الدلالون جمع دلال وهو الشخص الذى يتوسط بين البائع والمشترى ، انظر الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦٤ هامش (١) .

(٤) Ashtor, Histoty of the Jews, I, 186.

فيها ، ويستشف من هذه الوثائق أيضا أن تجار اليهود قد اضيروا بشدة من جراء السياسة الاقتصادية لدولة المماليك (٥) .

وقد اشتغل اليهود بتجارة العطور والأدوية والعطارة ، وكان يطلق على من يشتغل بها اسم العطار ، ومن المعروف أن العمل بالعطارة قد شكل بالنسبة لليهود أحد المصادر المهمة للكسب (٦) ، فوجد من بينهم من تخصص فى بيع منتج واحد من العطارة مثل النشادر والعنبر (٧) ، أو غيرهما كما وجد بينهم من كان يتجول بين المدن والقرى أى أشبه بالدلال ، وكان يعمد فى بعض الأحيان الى طرق الأبواب ليقنع النساء بقيمة ما يقدمه لهن من تركيبات علاجية بسبب عدم امتلاكه لحانوت يمارس فيه مهنته فقد كان العطار ياسمى اليهودى يمارس التجارة فى أوائل العصر المملوكى عن طرق السعى والطواف فى انحاء البلد حتى يتمكن من بيع بضاعته (٨) .

---

(٥) Ashtor, The Jews in the Mediterranean Trade in the later Middle Ages, HUCA, IV, 1984, p. 176.

(٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 186.

(٧) العنبر مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع ، اذا سخنت خرجت منها رائحة طيبة ويرى البعض أنه مادة بحرية تقذفها الأمواج الى الشاطيء ، أو انه مستخرج من الحوت ، ويقال ايضا انه مادة نباتية غير أن اغلب الاراء متفقة على أن مصدره بحرى من المحيط الهندى ، وهو يستخدم فى الطب والعطر ، انظر الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٤٩ ، ٥٠ هامش ١٥ ؛ ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٩٩ .

(٨) Ashtor, History of The Jews I, p. 187 ;

هذا وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بأسماء العديد من العطارين اليهود فى العصر الفاطمى نذكر منهم : .

— ابو سعيد نثانئيل بن صدقة العطار رابى وورمان .

كما ذاعت شهرة اليهود أيضا فى مجال بيع الخمور والاتجار فيها فى جزيرة العرب قبل الاسلام وبعده ، فقد أشاد الشعراء العرب بنبيذهم المعطر فى قصائدهم الشعرية (٩) .

وفى مجموعة وثائق الجنيزة فى القدس ، توجد وثيقه تنص على الغاء الكميات المطلوبة بين تاجرى خمر فى الفسطاط (١٠) ، وهذا يؤكد اشتغال اليهود فى هذه التجارة ابان العصر المملوكي .

وقد سئل ابن تيمية سؤالا بشأن اليهود الذين يقيمون فى مدينة كبيرة ويبيعون الخمر للمسلمين ويثرون من وراء ذلك ، فكان رده انهم يستحقون على ذلك العقوبة التى تردعهم وأمثالهم عن ذلك ، وينقضى هذا عهدهم فى مذهب الامام أحمد وغيره ، واذا انتقض عهدهم حلت دماؤهم وأموالهم وحل بهم ما يحل

– ابو على العطار الفسطاط ، وأبو على العطار العسقلانى ، انظر :
Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 286-287.
– وهليل العطار بن نحمان الحسيد الفسطاط انظر .
– والشيخ أبو الفخر العطار الفسطاط انظر :
Mann, The Jews in Egypt, II, p. 293.
– وأبو سعيد العطار ، وصدقة بن اهارون العطار . انظر :
– وابن اسحق الاعزازى العطار انظر : .
Ashtor, History of the Jews I, p. 187.
مما يؤكد امتهان اليهود لحرفة العطارة .

(٩) ومن الأبيات التى تدل على ذلك :

أنا حنين ومنزلى النجف ... وما نديمى الا الفتى القصف
اقرع بالكاس ثغرياطية ... مترعة تارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها ... بيت يهود قرارها الخزف
والعيش غض ومنزلى خصب ... لم تغذنى شقوة ولا عنف

انظر الأصبهانى ، كتاب الأغانى القاهرة ١٩٠٥ م جـ ٢ ، ١١٦ ، ١١٧ .

(١٠) Ashtor, Histiry of the Jews, I, p. 188.

بالمحاربين الكفار ، وللسلطان أن يأخذ منهم هـذه الأمـوال التى قبضوها من أموال المسلمين بغير حق ، ولا يردها الى من اشترى منهم الخمر ، وهذا بخلاف اذا ما باع ذمى لذمى خمرا سرا فانه لا يمنع من ذلك ، ويجوز للامام أن يخرب المكان الذى يباع فيه الخمر (١١) .

ومن المعروف أن الخمور كـانت قـد انتشرت بين مختلف طبقات الناس فى العصر المملوكى ، فعصرت الخمور فى شتى أنحاء البلاد وبيعت طوال السنة على رءوس الأشهاد ، حتى أن ما عصر منها فى خزانة البنود (١٢) ، فى سنة واحدة قد بلغ اثنين وثلاثين ألف جرة ؛ كما ذكر الكثيرون من الأوربيين الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك أن الخمور كانت متوافرة فى البلاد ، وأنهم لم يلقوا أية صعوبة فى الحصول على نبيذ فاخر فى أى وقت ، فضلا عن أن كثيرا من أهل البلاد كانوا يتظاهرون بشربه (١٣) .

(١١) ابن تيمية ، مجموعة فتاوى ابن تيمية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ مقالة ٥١٠ بعنوان مسئلة فى اليهود بمصر من أمصار المسلمين ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨ ؛ وكذلك فتوى رقم ٤٩٤ ، ص ٢٦٤ .

(١٢) كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية ، بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوق وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم مماليك تلك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة . ثم اخترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع عام ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ، وجعلت بعـد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان الى أن زالت الدولة الفاطمية . وقد اتخذها ملوك بنى أيوب سجنا تعتقل فيه الأمراء والمماليك ، ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ، واستمرت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون . انظر المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ص ٤٢٣ ، وما بعدها ؛ السلوك ، جـ ١ ق (٣) ص ٧٩٥ ، هامش (٤) .

(١٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣١ .

وقد عرفت مصر في ذلك العصر أنواعا عديدة من الخمور ، منها نبيذ القمز وكان يصنع من لبن الخيل المخمر ، وشغف بـه السلاطين كثيرا (١٤) والمزر وهو شراب يعمل من القمح (١٥) ، والنبيذ التمر بغاوى الذى كان يصنع عن طريق مزج عشرة أرطال من الزبيب الى أربعين رطلا من الماء ثم يوضع المزيج في جرار تدفن في زبل الخيل أياما حتى يتخمر (١٦) ، والأقسما التى كانت تعمل من الزبيب ، والبوزا التى كانت تعمل من الدقيق أو من الأرز أو من الشعير أو الذرة العويجة (١٧) ، والقند وهو عسل قصب السكر اذا تجمد ، واسمه فارسى معرب ، أى كند (١٨) وواضح من أسماء بعض هذه الأنبذة أنها ارتبطت ببعض أسماء المماليك مثل التمر بغاوى نسبة الى الأمير تمربغا ، والبشتكى نسبة الى الأمير بشتاك ، ومن المعروف أن المماليك شغفوا بشرب الخمر وأسرفوا فى تقديمها فى أفراحهم وولائمهم (١٩) ، وروى عن بعض السلاطين أنهم كانوا يجلسون فى أيام محددة لشرب الخمر

---

(١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٦٠٧ هامش (٢) ؛ عبد المنعم ماجد ، نظم سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر جزءان القاهرة ١٩٦٤ ، ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص ١١٧ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الارستقراطية المملوكية فى مصر زمن سلاطين المماليك البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٨ ، ص ١٥٦ ص ١٥٧ .

(١٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ١٠٥ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٦ .

(١٦) المقريزى ، السلوك جـ ٣ ، ق (٢) ص ٨٢٦ .

(١٧) ابن تغرى بردى ، منتخبات ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ؛ اسماعيل عبد المنعم الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٦ .

(١٨) اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٥٧ .

(١٩) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٦ .

وقيل كذلك عن ابى بكر بن محمد بن قلاوون انه عكف فى نصره على الشراب ومعه ندماؤه من الأمراء حتى لا يكاد الواحد منهم يفيق ساعة واحدة (٢٠) ، وروى ايضا بصدد السلطان فرج بن برقوق انه عند عودته من الصيد كان يشق شوارع القاهرة وهو لا يكاد يثبت على فرسه من شدة السكر (٢١) .

وحاكى امراء المماليك سلاطينهم فى الشغف بتعاطى الخمور ، بل تجاهر بعضهم بشربها أمام الناس (٢٢) ، واعتادوا أن يتهادوا بها فى أفراحهم (٢٣) ، فقد بلغ ما استهلكه بعض الأمراء من الخمر خمسين رطلا فى اليوم الواحد (٢٤) ، وكان الناس يعتقدون انه اذا حج أمير فانه سوف ينتهى عن شرب الخمر ، ولكنه كان لا يتوب (٢٥) ، ويفهم من المصادر المملوكية انه كان اذا احتاج أحد السلاطين او الأمراء الى كمية كبيرة من الخمر لحفل أو ظرف طارئ كانوا يقومون بتوزيعها على التجار اليهود والنصارى ذوى الشهرة فى صناعتها ، خاصة عندما تعوزهم الحاجة الى كميات كبيرة منها فى مناسبة ما ، ويطلبون اليهم توفيرها وقتما شاءوا لاحياء مجالسهم ومناسباتهم الاجتماعية ، ويحصلون على مرادهم من كميات الخمر مهما كانت ضخمة بتوزيع الكمية المطلوبة على اكثر من بيت من بيوت الخمر لتجهيزها سريعا (٢٦) ، واذا

---

(٢٠) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .

(٢١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٥٠ .

(٢٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ق (١) ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢٣) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٥٠٠ .

(٢٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٥٢ .

(٢٥) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٢ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٨٠ .

(٢٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ص ٢٧٢ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ٦١٧ .

تأخروا فى توريدها كماحدث فى عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م ، « كانت تجبى منهم بعنف وعسف وضرب » (٢٧) .

وشاع أيضا شرب الخمر بين عامة المصريين من غير المماليك ، فاذا وقع هجوم على كنايس أهل الذمة أو بيوتهم ، أسرع العامة الى نهب ما بها من خمور واحتسائها فى الحال قبل أن ينتزعها منهم منافس **(٢٨) .**

واعتبرت الخمور فى كثير من الحفلات والأفراح الشعبية متممة للمغانى (٢٩) ، وروى أن أحد فقهاء القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى تحدى أصحابه على أن يشرب الخمر وسط المجلس الدينى وهو على المنبر ، فاتفق مع شخص على ذلك وتظاهر بالسعال واستأذن الحاضرين فى شرب دواء « يصرف البلغم والخلط » فأحضر له ذلك الشخص زجاجة الخمر وشرب ما فيها عن آخره » (٣٠) .

ومع ذلك فقد وجد من بين سلاطين المماليك من حاربه الخمور ومتعاطيها بل عمد بعضهم الى اراقة الخمور وتحريم تعاطيها فى مختلف أنحاء البلاد اظهارا للتوبة ، كما حدث فى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م فى سلطنة الظاهر بيبرس ؛ وفى ذلك يقول أحد الشعراء :

لقد كان حد السكر من قبل صلبه
خفيف الأذى اذ كان فى شرعنا جلدا

---

(٢٧) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٧٢ .
(٢٨) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٢ .
(٢٩) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٣٣ .
(٣٠) الجوبرى ، المختار فى كشف الأسرار ، دمشق ١٨٨٤ ، ص ٣٥ .

فلما بـــدا المصـــلوب ، قلت لصـــاحبى

الا تب ، فان الحد قد جـــاوز الحــــــدا (٣١)

وتكرر ذلك فى السنوات ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م (٣٢) ، ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م (٣٣) و ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (٣٤) ، وسنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م (٣٥) وسنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م (٣٦) وسنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م (٣٧) ، وسنة ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م (٣٨) ، وسنة ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م ، ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م (٣٩) ، وفى ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ، ولكن هذه الأوامر لم تكن لتستمر طويلا وسرعان ما يعود الناس بعدها الى التجاهر بشرب الخمر ، « ولم ينتهوا عما هم فيه »(٤٠).

وعمل عدد كبير من الباعة اليهود أيضاً فى تجـــارة الزيت ، الذى كان يعد من الضروريات المهمة للغاية ، فقد أشارت وثائـــق

---

(٣١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٠٦ : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ص ٣٢٦ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٦٧ .

(٣٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ق (٢) ، ص ٥٩٥ .

(٣٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ق (٢) ، ص ٥٩٧ .

(٣٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ١ (٢) ، ص ٦٢٣ .

(٣٥) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ق (١) ، ص ٤٢٤ ؛ أحمد محمد عدوان ، الوضع الاقتصادى فى مصر ، ص ٢٢١ .

(٣٦) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ق (١) ، ص ٢٧٢ .

(٣٧) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧١ م ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٣٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٤ ق (٢) ، ص ٧٦٨ .

(٣٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤٠) ابن اياس ، بـدائع الزهـور ، ج ٥ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ اسماعيل عبد المنعم ، الأمراض الاجتماعية ، ص ١٨١ .

الجنيزة التى ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الثالث عشر الميلادى الى الزيات (٤١) ، ويقصد به من يقوم ببيع الزيت ، كابن الزيات ، وخلف الزيات ، كما جاء فى احدى الوثائق اشارة الى حانوت كان متخصصا فى بيع الزيتون والحبوب بحى اليهود فى الفسطاط (٤٢) .

وعمل اليهود كذلك فى تجارة النسيج بمصر ، فقد جاء فى وثائق الجنيزة انهم كانوا يتاجرون فى المنسوجات ، وانهم كانوا يقومون كذلك بتصديره الى بلاد الشام (٤٣) .

ونقرأ أيضا فى وثيقة من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى عن ثلاثة من تجار النسيج هم الكاهن البزاز (٤٤) ، بيان البزاز ومكارم البزاز (٤٥) .

(٤١) الزيات : هو عاصر الزيت وتاجره وصانعه ، وربما أطلقت على صاحب معصرة الزيت . انظر حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٤٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 188.

(٤٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 189 ; David (A), Jewish lief in Egypt, p. 18.

(٤٤) من المعروف أن البز هو الثياب الرفيعة من الكتان ، والبزاز هو بائع الثياب أو تاجرها ، ومن المعروف أيضا أن أبا بكر الصديق كان يعمل بزازا ، انظر حسن الباشا . الفنون والوظائف ، جـ ١ ، ص ٣٠١ ؛ وان محمد بن طغج الأخشيدى يعد أول من اهتم فى القرن ٤ هـ ؛ ١٠ م بالمتاجر الخاصة بالثياب والمنسوجات فأنشأ قيسارية البز بمدينة الفسطاط ، وقد لعبت هذه القيسارية دورا مهما فى التصدير الى الخارج ، وكان نصيب العراق منها فى أيام الدولة الفاطمية عظيما ، ويفهم كذلك من حديث المؤرخ ابن دقماق عن قيسارية بدر الخفيفى بالفسطاط أنه كان يوجد للبزازين أسواق خاصة بهم فى المدن المصرية ، وأن وجه قيسارية البز كان فى سوق البزازين ، وأن مدينة المحلة كانت تضم قياسر وبزازين البز ، وتجارته كانت غاية فى الرواج ، انظر ابن دقماق ، الانتصار جـ ٤ ، ص ٤٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، أضواء جديدة ، ص ١٢٦ .

مما يعنى أنه كان للبزازين أسواقا خاصة بهم فى المدن المصرية ، وأن خرقة

(٤٥) Mann, The Jews in Egypt, I. p. 178.

وقد خضعت حرفة البز والبزازين ، شأنها شأن بقية الحرف لاشراف المحتسب الذى كان يشترط الا يتحدث فى البز الا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات (٤٦) ، وكان يحلف البزازون فيما يباع بينهم (٤٧) ، كما كان المحتسب يتفقد موازينهم وأذرعتهم ويمنعهم من مشاركة المنادى والدلال ويراعى حسن معاملتهم مع المشترين وجلابى البضائع (٤٨) ، وكان يشترط أيضا على البزاز أن يعمل ذراع خشب طوله بعرض الابهام ، اربعة وعشرون اصبعاً محزوزة ، وينقش على طرفه الأول اسم الامام ، وعلى الطرف الثانى اسم المحتسب ، ليتعيشوا به وليرتفع الشك فى طول أمتعة الناس وعرضها (٤٩) .

ويبدو كذلك أن بعض تجار اليهود قد تخصصوا فى تجارة الحرير ، فقد اشتكى تاجر يهودى فى خطاب غير مؤرخ من صعوبات بيع الحرير فى الاقاليم المصرية ، كما عثر فى قوائم أحد هؤلاء التجار على كشف حساب يرجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى لتصنيع كمية الحرير (٥٠) .

وكانت تجارة الحرير تخضع لاشراف المحتسب ، الذى اشترط على الحريرى عدم صبغ القز قبل تبييضه حتى يتغير لونه بعد ذلك ، وقد يفعلونه حتى يزيد لهم ، ومنهم من يثقله

---

(٤٦) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦١ .

(٤٧) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٠

(٤٨) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٦٢ .

(٤٩) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٨٠ ؛ احمد عبد الرازق ، اضواء جديدة ، ص ١٢٦ .

(٥٠) Ashtor, History of The Jews, I, p. 189.

الحرير بالنشا ومنهم من يثقله بالسمن أو الزيت ومنهم من يجعل في ظهره عقدا من غيره (٥١) .

ومن اليهود من عمل أيضا فى تجارة الأقمشة الغالية ، فقد كان بالقاهرة عدة حوانيت لليهود فى سوق الجملون تخصصت فى بيع الأقمشة الغالية (٥٢) ، وسوق الجملون معروف بحوانيته الزاخرة بالبضائع الثمينة ، وهناك سوق الجملون الصغير الذى روى المقريزى انه تجول فى حوانيته وذكر أنه كان يضم تجار الأقمشة البزازين ، المتخصصين فى بيع ثياب الكتان المصنوعة من الخام الأزرق وأنواع الطرح المختلفة ، وأصناف ثياب القطن ، وكان يتم بذه السوق بيع الأقمشة بالمزاد احياناً ، كذلك وجد به بعض الخياطين وعدد من البابيه الذين كانوا يقومون بغسل الثياب وصقالها ، ووجد به أيضا حوانيت الضببين (٥٣) .

وسوق الجملون الكبير الذى كان يقع بوسط سوق الشرابشيين (٥٤) ، ويصل من البندقانيين (٥٥) ، وحارة

---

(٥١) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص ٧١ .

(٥٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م (١) ، ص ١٠٢ .

(٥٣) Raymond (A), Les marchés du Caite, pp. 184-185.

(٥٤) الشرابشيين ، لفظ فارسى من كلمة ، سربوش ومعناها غطاء للرأس وهى معربة عامية بمعنى طربوش ، محمد التونجى المعجم الذهبى ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٣٤١ ، والشرابشيين مفردها شربوش وهو شىء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامه ، وقد بطل استخدامه فى دولة الجراكسة انظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vétements, pp. 220-222 - 223.

(٥٥) يفهم من سياق كلام المقريزى من يقومون بعمل وصناعة قسى البندق انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

الجودرية (٥٦) ، وكان يوجد به حوانيت سكنها البزازون ، وهذا السوق عرف أيضا بحوانيته الزاخرة بالبضائع الثمينة ومن هنا اقتضت الضرورة وضع حماية شديدة عليه فى مواجهة اللصوص وخاصة فى أوقات الازمات ، وفى نهاية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بنى له بابين على جانبه كانا يغلقا ليلا ، وكان يوجد الى جواره فندق الصرف (٥٧) .

وكما كان التجار اليهود يقومون بنقل المنتجات الصناعية المصرية الى بلاد الشام ، فقد كان تجار الشام ينقلون بدورهم بعض المنتجات الى مصر ، وكانت صناعة الصابون فى كل من بلاد الشام أو فلسطين من الصناعات المهمة لذا كان يقوم بعض تجار اليهود بنقل الصابون من بلاد الشام الى مصر (٥٨) .

أما الباعة الجائلون فقد كانوا يجوبون القرى المصرية فضلا عن طائفة منهم كانت تحصل على أجورها فى مقابل عملها فى الحوانيت الضخمة فى المدن الكبيرة ، وكان هؤلاء الجوالون يعودون الى منازلهم فى أيام السبت وفى أوقات متباعدة فى أيام الأعياد ، وقد كتب« يتسحاق بن مئير لطيف » فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى فى خطاب

---

(٥٦) عرفت بهذا الاسم نسبة الى الطائفة الجودرية أحد طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية وهو جودر خادم عبيد الله المهدى ، اختطوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك الى أن بلغ الحاكم الفاطمى انهم يهزءون بالمسلمين ، فسد عليهم ابوابها واحرقهم ليلا ، انظر المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ .

(٥٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات جـ ٩ م ١ ، ص ٩٠ ؛

(٥٨) Raymond, Les marches du Caire, pp. 195-196. Ashtor, History of the Jews, I, p. 189.

ارسله من القديس ، أن اليهود كانوا يعملون في التجارة في القرى وفي دمشق ثم يعودون أدراجهم بسلام ذلك لأن الطرق كانت آمنة للغاية (٥٩) . وكان لليهود نصيب كبير في تجارة البنكر ، فقد اشارت العديد من وثائق الجنيزة الى هذه التجارة (٦٠) .

وجدير بالذكر انه فرضت قيود كثيرة على اليهود بالنسبة لكل انواع التجارة السابقة بسبب سياسة الاحتكار التى طبقتها الدولة المملوكية ، وما ترتب على ذلك من فرض مكوس باهظة ، وقد انعكست هذه الاجراءات على تجارة المحاصيل التى كانت بدورها تجارة مهمة في الدول الزراعية في كل من مصر وبلاد الشام ، ومن المعروف أن اليهود عملوا في العصور السابقة على العصر المملوكي ، في كل من مصر وبلاد الشام في تجارة المحاصيل كما يفهم من وثائق الجنيزة (٦١) .

غير أن الحال تبدل في العصر المملوكي الأول حيث تركزت تجارة المحاصيل في ايدى الأمراء من أصحاب السلطة والنفوذ ، كما تركزت في أيدى أبناء السلاطين ، الذين أحضروا كميات ضخمة من المحاصيل من الوجه القبلي الى بولاق وجمعوها هناك في أهراء (٦٢) ضخمة ثم قاموا بنقلها بعد ذلك بواسطة السفن

(٥٩) Ashtor, History of the Jews, I, p. 160.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, p. 190.

(٦١) Ashtor, History of the Jews, I, pp. 190, 191.

(٦٢) الاهراء ، المخازن والشون ، وهناك أهراء سلطانية كانت تخزن فيها الغلال الخاصة بالسلطان ولا تفتح الا في حالات الشدة والمجاعات ، انظر خليل بن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ١٨٩١ م ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ؛ عاشور : العصر المماليكى ، ص ٤١٥ .

والى بلاد الشام والحجاز (٦٣) ومن المعروف أنه فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى والنصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى انخفض مستوى التجارة الخارجية فى دولة المماليك ، وتقلص بالتالى عدد اليهود المشاركين فيها (٦٤)

ووصلنا كذلك بعض المعلومات عن اليهود الذين عملوا فى تجارة الأحذية ، ففى خطاب باللغة العبرية ارسل فى الفترة الموازية لنهاية عصر المماليك من القدس الى ايطاليا ، يأتى ذكر تجار الأحذية اليهود الذين يجوبون القرى ، ويروى كاتب هذا الخطاب كيف أن أهل القرى كانوا يستقبلون هؤلاء التجار بحفاوة ويقدمون لهم الأطعمة ويعطونهم اجرهم كاملا (٦٥) .

أما بالنسبة لتجارة الكارم ، فيلاحظ أن الأصل اللغوى لمصطلح الكارم لا معنى له فى العربية ، ومدلوله مازال غامضا حتى الآن ، بعد أن تعددت الافتراضات حول أصله اللغوى ، اذ يرى البعض أنه اشتق من كلمة Kanima وهو اسم لمقاطعة كانت تسكنها بعض قبائل الزنوج فى غرب السودان (٦٦) . ويرى القلقشندى الذى اعتنق هذا الأصل أن هذه الكلمة مشتقة

---

(٦٣) Poliàk, Les révoltes pipulaires en Egypte à l'époques res Mamlouks et levrs Causes économiques, REI, Cahier III, 1934, pp. 234-260.

(٦٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 191.

(٦٥) Ashtor, History if the Jews, II, p. 151.

(٦٦) Fischel (W.) The Spice Trade in Mamluk Egypt, JESHO, I, Leiden, 1958, p. 158.

من كلمة كانم (٦٧) وهى حسب زعمه عرقة من السودان ، منهم طائفة مقيمة بمصر تتاجر فى البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف لذلك بهم (٦٨) . وقد أيد هذا الرأى المستشرق كاترمير فى تأصيله لهذه اللفظة (٦٩) ، منذ ما يزيد على مائة عام وتبعه فى ذلك كثير من الباحثين الأوربيين ، وبعدها دخلت هذه اللفظة فى المعاجم العربية وان كان فيشيل يرى أن هذا الرأى يعد ضعيفا الى حد كبير لأنه ليست هناك سمات عرقية أو جغرافية تتصل بتجار الكارم فى مصر يمكن ربطها بتلك التى فى غرب السودان (٧٠) .

---

(٦٧) يقع اقليم الكانم فى السودان الأوسط الى الشرق والشمال الشرقى من من بحيرة تشاد ، انظر ابراهيم على طرخان ، امبراطورية البرنو الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٤٥ : وكانم بكسر النون من بلاد البربر فى اقصى الغرب فى بلاد السودان انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٦٠ ؛ وبلادهم ـ أى الكانم ـ بين افريقية وبرقة وتمتد جنوبا الى سمت الغرب الأوسط ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينة دالا أو زالا ـ وآخرها بلدة كاكا وبينهما ثلاثة شهور انظر ابن فضل العمرى ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٩ ؛ ويرجع تاريخ ظهور مملكة كانم الى الازمنة السحيقة ، وقد كثرت الروايات والأساطير حول أصول هذه المملكة غير أن التاريخ المحقق لظهور مملكة كانم يرجع الى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ؛ ثم نمت واتسعت خلال القرنين ٣ ـ ٤ هـ/٩ ـ ١٠ م ، ابراهيم طرخان امبراطورية البرنو الاسلامية ، ص ٤٦ .

(٦٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٦٩) Quatremére Mémoirés gégraphiques historiques sursu l'Egypte, II Paris, 1811, pp. 27-28-285 ; Subhi (Labil), Encyclopedia of Islam, IV, Leiden, 1990, p. 640, art, Karimi.

(٧٠) انظر : Fischel, The Spice Trade, p. 158.

أما ليتمان فيرجح أن أصل هذه التسمية يرجع الى الكلمة الأمهرية Karkuma (٧١) وهى نوع من التوابل كان تجار الكارم يقومون بتصديره الى اثيوبيا ، ونظرا لأن تجار الكارم كانوا فى المقام الأول يديرون تجارتهم عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر ، فقد رجح ليتمان أنه ربما ارتبطت كلمة كارم باسم نوع من أنشطتهم التجارية (٧٢) . على حين ذهب بلوشيه الى الترجيح بأنها مشتقة من الأصل السريانى Karkuna (٧٣) .

أما جاستون فيت فيذكر أن الاشتقاق اللغوى لكلمة كارم ليس له دلالة فى اللغة العربية ، ويبدو أن اسمه القديم Kanim مشتق من كلمة Kapam وهو اسم لشعب من جنوب السودان ، وأن الكارمية هم التجار المتخصصون فى توابل الكارم ، ويرى أيضا أن Karim أو Karam ذات أصول آشورية اشتقت من كلمة Karkuma التى وجدت على أحد النقوش بمعنى الأصفر ، ويؤكد على أن هذا التفسير الآشورى لا يستند الى اية دلائل مقنعة (٧٤) .

على حين يرى صبحى لبيب أن الكارميين اسم لمجموعة من التجار المسلمين كان نشاطهم يمتد عبر مراكز التجارة فى دولة الايوبيين والمماليك خاصة فيما يتعلق بتجارة التوابل (٧٥) .

---

(٧١) Littmann. (E.), Recensiones, ORIENTALIA, VII, 1939, p. 176.

(٧٢) Littmann, Recensiones, p. 175 ; Subhi, Karimi, p. 640.

(٧٣) Blochet (E.). Histoire de Makrizi, Revue de l'orient latin VIII, 1900 - 1901, p. 540.

(٧٤) Wiet (G.) Les marchands D'epices sous les sultans mamlouks, Cahiers d'histoire Egyptienne, 1955, pp. 86-87.

(٧٥) Subhi (Labib), Karimi, p. 640.

والتفسير الجديد لكلمة « كارم » الذي أورده جواتين مفاده ان أصل هذه الكلمة ليس عربيا ولكنه هندى ، لأن لغة جنوب الهند « التامل » تشتمل على كلمة « كاريام » وهى تعنى أشياء أخرى ، الأعمال أو الأشغال . وهناك تفسير جديد أورده الشاطر بصيلى فى مقال له عن الكارمية ورد فى ذلك التفسير أننا اذا اقتطعنا لفظة كارم قسمين لوجدناه يتكون من « كار » فى المقطع الأول ثم « يم » فى المقطع الثانى ، وكار معناه الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة و « يم » معناه المحيط أو البحر البعيد الشواطىء ، أو النهر الكبير ثم سقط حرف الياء من « كاريم » فأصبحت «كارم» وأن معنى الكلمة حسب هذا التفسير هو حرفة التجارة فى البحار (٧٦) .

هذا وقد استدل البصيلى من تفسيره لتجارة الكارم على أن هذه التجارة قديمة وسابقة أيضا على العصر الفاطمى ، وقد ظل نشاطها فى المحيط الهندى واستمرت عدن مركزا لنشاط تجارها حتى انتقل مركز تجارة العالم من المحيط الهندى الى البحر المتوسط وانتقلت مراكز تجارة العالم الى سواطىء هذا البحر ، وكان من الطبيعى أن يتخذ العاملون فى هذه التجارة مراكز لهم على مقربة من هذا البحر ، ولهذا جاء هؤلاء التجار الى مصر واتخذوا منها موطنا لهم فى سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م (٧٧) .

---

(٧٦) عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ؛ أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة ، المجلة التاريخية المصرية م ٢٢ ، ١٩٧٥م ، ص ٣٦ ؛ الشاطر بصيلي ، الكارمية ، المجلة التاريخية م ١٤ ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٢٢٠ ؛

Goitein, New Light on the Beginings of the Karim Merchnts, JESHO, I, 1958, p. 182.

(٧٧) الشاطر البصيلى ، الكارمية ، ص ٢١٧ ؛ عطية القوصي ، تجارة مصر ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

وكان الفلفل والبهار من أهم سلع تجارة الكارم ، وبالاضافة الى هاتين السلعتين المهمتين ، تاجر الكارمية فى سلع أخرى كالحاصلات الزراعية ، والملبوسات ، والحرير الخام ، والخشب والدقيق والسكر ، والاسلحة ، وأدوات الزينة وبضائع اليمن الغالية الثمن ، واحتفظت التوابل طوال الوقت بمكان الصدارة فى تجارة الكارمية ، وكانت اليمن وبخاصة عدن مركز تجارة الكارم ونقطة الانطلاق الرئيسية لهم فى العهد الفاطمى ، وكانت توابل الهند تصل الى اليمن اما على أيديهم أو على أيدى تجار الهند ، وكانت تجمع فى عدن وتصدر الى عيذاب ، وكان ذلك يتم فى مواسم معينة من السنة ، ويعتبر يوم وصول قوافل الكارمية الى مصر حدثاً مهماً تؤرخ به الأحداث فى البلاد (٧٨) .

كذلك كان العاج وجلب الرقيق الى مصر من أهم صادراتهم ، وكان التاجر الكارمى فى العادة عند وصوله لبعض المناطق التى يجلب منها تجارته مثل الهند ، يرسل الى زوجته وأولاده أو من يعولهم يزف اليهم بشرى بضائع قيمة ثمينة ، مما يدل على أن بعض بضائعهم كانت ذات قيمة كبيرة ونادرة (٧٩) .

ويستشف من وثائق الجنيزة أن ذروة النشاط التجارى لتجار الكارم كان فى الفترة الأيوبية والملوكية (٨٠) ، كما تظهر وثائق الجنيزة بوضوح أنه على الأقل فى العصر الفاطمى كان

---

(٧٨) Fischel, The Spice Trade in Mamluk Egypt, pp. 161-132.
عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ١٠٢ .

(٧٩) زين العابدين عبد الرحيم السراج ، دولة كانم الاسلامية ، من القرن التاسع الميلادى الى الرابع عشر الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٦٧ .

(٨٠) Goitein, New light, pp. 181-183 .
عطية القوصى ، تجارة مصر فى البحر الأحمر ، ص ٩٧ .

الهندوس والمسلمون والنصارى واليهود يعملون معا فى عمليات التجارة بين الهند والغرب ، كما أن تجارة الكارم كانت تحمل الركاب والبضائع واليهود (٨١) .

وأغلب المعلومات التى وصلتنا عن تجار الكارم تأتى من خلال التراجم الذاتية لهؤلاء الكارميين فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، فضلا عن بعض المعلومات المتناثرة فى المصادر التاريخية للمؤرخين العرب التى ترجع الى نهاية العصور الوسطى ، ولا شك فى ان هؤلاء التجار قد عملوا بنشاط فى تجارة التوابل وفى سائر أنواع المتاجرات الأخرى التى تأتى من الهند الى عدن ثم الى مصر ، وكانت فى حوزتهم كل مقاليد التجارة الخاصة بتجارة الهند (٨٢) ، كما كانوا يملكون مخازن كثيرة فى الفسطاط (٨٣) ، وفى قوص بصعيد مصر (٨٤) كذلك كان الحال بالنسبة لعدن وتعز وزبيد فى اليمن (٨٥) ، وكانوا أيضا يملكون السفن التجارية بالاضافة الى بعض السفن الحربية بهدف حماية قوافلهم من قراصنة البحار (٨٦) .

وقد حرصت الدولة المملوكية على تعيين مستخدمين لتجار الكارم كان من أهم اختصاصاتهم جباية المكوس المفروضة

---

(٨١) Goitein, New Light, pp. 181-183.

(٨٢) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ص ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ١ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ؛ الدرر الكامنة ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٨٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٨٤) Garcin (J.C.), Un centre musulman de la haute-Egypte médiévale Qûs, Institut Fransais d'Archéologie orientale du Caire 1976, p. 230.

(٨٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١١٧ .

(٨٦) Ashtor, Histiry of the Jews I, p. 197.

عليهم (٨٧) ، غير أن دولة المماليك لم تكن تهتم فقط بتجارة الكارم لأنها تجبى من ورائها مكوسا كثيرة بل كان يوجد بين هؤلاء التجار من يمتلك ثروات هائلة كان السلاطين يلجئون إليهم فى أوقات الشدة والمحن طلبا للقروض ، اذ تروى المصادر أن احد هؤلاء التجار قام باقراض السلطان الناصر محمد مبلغ ستة عشر ألف دينار (٨٨) ، كما اقرض ثلاثة من تجار الكارم وهم برهان الدين ابراهيم المحلى وشهاب الدين أحمد بن محمد بن مسلم ونور الدين على بن الخروبى السلطان برقوق فى سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٦ م الف ألف درهم فضة (٨٩) .

وتشير المصادر العربية أيضا الى المكانة الاقتصادية المهمة التى كان يتمتع بها تجار الكارمية فى البحر الأحمر ومصر اذ عن طريقهم امتد نفوذ مصر التجارى الى المحيط الهندى ، كما لعب هؤلاء الكارمية دوراً مهما فى اقامة علاقات تجارية وصلات طيبة بين مصر واليمن واستطاعوا الوصول الى أعلى المناصب (٩٠) .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم هل شارك اليهود فى تجارة الكارم ؟ هناك بعض المعلومات المتفرقة التى تشير الى وجود بعض تجار الكارم من بين اليهود الذين ظلوا حتى بعد اعتناق

---

(٨٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٢ .

(٨٨) المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ ؛ نعيم زكى فهمى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م ، ص ١٩٢ .

(٨٩) ابن حجر ، أبناء الغمر ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٩٠) الخزرجى ، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، مصر ١٩١١ م ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ ؛ صبحى لبيب ، التجارة الكارمية ، ص ١٦ ، ١٧ .

الاسلام مخلصين لدينهم ، فقد حدثنا المقريزى عن تاجر يهودى من تجار الكارم اعتنق الاسلام (٩١) .

ووصلنا أيضا خطاب ضمن وثائق الجنيزة يرجع الى العصر المملوكى ومدون بالعربية بحروف عبرية يضم أسماء العديد من المسلمين واسم نصرانى واحد ، نقرأ فيه لفظة الكارمى مرتين إحداهما مع اسم نصر الله بن الكارمى والثانية مع اسم فرج الله الكارمى (٩٢) .

ونظرا لأهمية تجارة الكارم وتأثيرها البالغ على سلاطين المماليك واليمن ، فقد رجح أحد الباحثين أن التجار المسلمين سيطروا سطرة كاملة على هذه التجارة ولم يدعوا لغيرهم من أهل الذمة مكانا فيها ، كما ذكر انه لا يوجد لدينا معلومات مؤكدة عن وجود تجار يهود للكارم ، خاصة من بين هؤلاء الذين احتفظوا بأصلهم وعقيدتهم (٩٣) .

وقد ورد فى أحد المراجع ما يفيد وجود احدى العائلات اليهودية لقبت باسم بيت الكارم ، ولم يرد فى هذا المرجع ذكر للمصدر الذى استقى منه هذه المعلومات (٩٤) .

كما يعتقد فيشيل أن تجار الكارم كانوا من تجار المسلمين فقط ، ومع ذلك فلدينا وثيقة بالعربية اليهودية جاء فيها عبارة

---

(٩١) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٩٢) اشتور ، خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥ .
(٩٣) اشتور خطاب من عصر المماليك ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٩٤) Lane (A.), Pottery and Glass Fragments form the Aden Litteral with Historical Notes, JRAS, I, 1948, p. 1.
عطية القوصى ، أضواء جديدة ، ص ٢٩ .

« وهذا يتصل بالكارمين من رفاقنا اليهود » (٩٥) . ولدينا أيضا بقايا خطاب من وثائق الجنيزة يقرأ فى السطر الأخير منه « وقد خرج فى الكارم من أصحابنا اليهود » (٩٦) ومع ذلك فان هذه المعلومات لا تعد دليلا قاطعا على اشتغال اليهود بتجارة الكارم .

ويرى جاستون فييت أن جميع تجار الكارم من المسلمين ، كانوا يلقبون برؤساء الكارمية أو رؤساء التجار ، على أن واحدا منهم كان يهوديا (٩٧) ، فى حين يرى Clerget أن غالبية هؤلاء التجار كانوا من اليهود (٩٨) ، وهذا يخالف تماما ما ذهب اليه جاستون فييت الذى يؤكد أن هؤلاء التجار كانوا من بين المسلمين ومن أهل التقوى ، كما يستشف من سيرة حياتهم (٩٩) ، وقد دلل هذا المستشرق على رأيه بثبت ضمنه أسماء العديد من تجار الكارم نجد بينهم اثنين فقط يرجعان الى أصول غير اسلامية، أولهما كان والده نصرانيا ثم اعتنق الاسلام وهو سدر الدين حسن ابن السويدى الذى عمل بتجارة الكارم فيما بين القاهرة واليمن فى عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦ م ، والآخر عز الدين عبد العزيز بن منصور الكولامى ، الذى كان والده يهوديا من حلب ثم تحول الى الاسلام (١٠٠) .

(٩٥) Ashtor, The Karimi Merchants, JARS, Paris 1-2, 1956, p. 55.

(٩٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 198.

(٩٧) Wiet (G,) Les marchands d'epices, p. 130.

(٩٨) Clerget, Le Caire, II, pp. 321-322.

(٩٩) Wiet, Les marchands d'epices, p. 130.

(١٠٠) Wiet, Les marchands d'epices, pp. 107-119 ; Fischel, The Spice Trade in Mamluk, p. 166.

المقريزى ، السلوك ، جـ ٢ ق (١) ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

وهناك مجال واحد من مجالات التجارة فى مصر لم يشارك فيه اليهود وهو تجارة الرقيق ، ومن المعروف أن اليهود اشتغلوا فى بدايات العصور الوسطى فى تجارة الرقيق فى اوربا وفى بلاد الشرق وفى بلاد أخرى (١٠١) ، أما فيما يتعلق باشتغال يهود مصر فى تجارة الرقيق فليس لدينا معلومات عن هذه الفترة (١٠٢) ، كما تخلو أغلب وثائق الجنيزة التى وصلت الينا فى الفترة من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى الى القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى من أية معلومات عن اشتغال اليهود بتجارة الرقيق سواء فى حوض البحر المتوسط أو على المستوى الافريقى أو الهندى (١٠٣) .

ويحق لنا أن نتساءل هنا هل بحث التجار اليهود الذين لم يجدوا فى التجارة ربحا كافيا عن وسيلة أخرى للرزق ؟ وهيل تحول بعضهم للاقراض بالربا ؟ أو بالعمل بالنشاط المصرفى بمختلف صوره ؟ الواقع أن ظاهرة اخذ الربا كانت شائعة عند اليهود قبل الاسلام بدليل أن القرآن الكريم وجه اليهم بسببها أشد تقريع وأعنف تأنيب (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) (١٠٤) .

(١٠١) Goitien, Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza records , ARABICA Revue d'études Arabes, Leiden, 1962, pp. 1-20.

Ashtor, History of the Jews, I, p. 200.

(١٠٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 200.

(١٠٣) Giitein, Letters and Documents on he India Trade in Medieval Times, 16 XXXVII, (1), 1963, p. 197.

(١٠٤) سورة النساء ، آية رقم ١٦٠ ، ١٦١ : اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام ، القاهرة ١٩٢٧ م ، ص ١٨ .

وقد أكد ابن قيم الجوزية فى كتابه هداية الحيارى على أكلهم الربا واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت وشدة الحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب والذل والصغار والخزى ، والتحيل على الأغراض الفاسدة .. فإلى الله إيابهم وعلى الله حسابهم (١٠٥) .

وقد كان الربا محرما بين اليهود بعضهم البعض ، ومباحا بينهم وبين الملل الأخرى لاعتقادهم باستباحة أموال الأديان الأخرى (١٠٦) . وقد انتقدهم غازى بن الواسطى (١٠٧) فى ذلك بمقاله « رد على أهل الذمة » (١٠٨) .

أما عن النشاط التجارى لليهود فى عصر دولة المماليك الجراكسة فمن الواضح أن عدد اليهود الذين عملوا بالتجارة فى هذه الفترة كان يفوق عددهم فى عصر المماليك البحرية ، يؤكد ذلك المعلومات التى وصلتنا من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى والنصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى من خلال بعض المراسلات التى دارت بين يهود مصر ويهود بلاد الشام بصدد النشاط التجارى بينهم (١٠٩) .

---

(١٠٥) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق أحمد حجازى السقا ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٥٩ .

(١٠٦) وافى ، حقوق الانسان فى الاسلام ص ٣٦ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدين الاسرائيلى أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ٢٣٧ .

(١٠٧) الشيخ غازى بن الواسطى خدم الملك الأشرف المظفر موسى فى حمص ، ومن بعده ابنه المنصور ابراهيم ، ثم رحل الى مصر وعاش فى أيام السلطان الظاهر بيبرس وانقطعت أخباره بعد ذلك ، انظر :

Gottheil (R.), An Answer the Dhimmis, JAOS. 41, 1921, p. 409 ;

(١٠٨) Gottheil, An Answer, p. 475.

(١٠٩) انظر : Ashtor, History of the Jews, II, 157.

كما نجد فى المصادر الاسلامية والمراجع اليهودية معلومات بشأن النشاط التجارى لليهود فى هذه الفترة ، يمكن الإستدلال منها على اشتغال اليهود بتجارة المنسوجات والملابس ، فقد كانت لهم فى القاهرة حوانيت متعددة فى سوق الجملون (١١٠) ، ومن اليهود من عمل أيضا بتجارة الكحل ، ففى وثيقة ترجع الى عام ٩١٧ هـ / ١٥١١ م كتبت فى القاهرة ، نقرأ اسم رابى يعقوب المعروف باسم الكحلى أى الذى كان يبيع الكحل (١١١) .

ومن اليهود من عمل أيضا فى تجارة الأغذية ، فقد جاء فى خطاب يرجع الى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى الاشارة الى يهودى عمل بتجارة الجبن ، ومارس كبار اليهود أيضا تجارة الحنطة ، بل وعملوا فى مجال الأحجار الكريمة فقد جاء فى مصدر عبرى يرجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى اشارة الى تاجر أحجار كريمة كان يقيم بالقاهرة (١١٢) .

وعمل كثير من اليهود فى تجارة الخمور فى زمن المماليك الجراكسة ، ولكنهم لم يكونوا وحدهم فى هذه الصناعة ، فقد نافسهم فى ذلك النصارى والأوربيون الذين تم أسرهم فى مصر (١١٣) ، لأن هذه التجارة كانت مربحة لليهود ، وكان أكثر

---

(١١٠) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٠٣ ؛ ابن الفرات ، تاريخ الفرات ، جـ ٩ م (١) ، ص ١٠٢ ؛
David (A), Jewish Life in Egypt, p. 18.

(١١١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 159.

(١١٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 159.

(١١٣) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، جـ ٩ ، م ١ ص ٩ .

المشترين للخمور من بين أمراء المماليك وسلاطينهم ، فقد روى الرحالة الألمانى أرنولد فون هارف الذى زار مصر فى نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه تقابل مع بعض المماليك من أصل ألمانى ، وقد تنقلوا معه على منازل اليهود والنصارى ، وشاهد الخمر فى الأماكن التى مر بها ، وحكى أيضا ان هناك بعضا من المسلمين كانوا يشاركون اليهود فى تناول الخمر ، وكان لليهود حانات للخمور (١١٤) .

ومن المعروف أن بعض سلاطين المماليك لجئوا فى أوقات الازمات والشدائد الى اراقة الخمور وتحريم تعاطيها فى مختلف أنحاء الدولة المملوكية فى محاولة منهم لاظهار التوبة (١١٥) .

أما عن نصيب اليهود فى تجارة البحر المتوسط ، فيلاحظ أنه لم يكن لهم نصيب كبير فى هذه التجارة ، ففى جنوة جرى اضطهاد لليهود وطردوا مرة تلو الأخرى من المدينة ، ولم يكن يسمح لهم بالبقاء فيها أكثر من ثلاثة أيام ، كما كان حالهم أكثر سوءاً فى مدينة البندقية (١١٦) .

ومع ذلك فمن الصعب القول بأنه لم يكن للتجار اليهود أى دور فى التجارة مع أوروبا والغرب ، لأن تجار اليهود لم يكونوا جميعا من بين تجار التجزئة بل كان يوجد بينهم العديد من التجار الأثرياء الذين ارسلوا تجارتهم فيما وراء البحار واشتروا بضائع من بين ما كان يصل الى سواحل مصر ثم باعوها لتجار التجزئة بعد ذلك فى الداخل ، بدليل اشارة بعض الوثائق التى ترجع الى

---

(١١٤) Arnold (V.H.) The Pilgrimage of Arnold, pp. 118-119.

(١١٥) انظر : ص ١٢٥ من هذا الفصل .

(١١٦) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 167-168.

النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى الى الصلات التى كانت لهؤلاء التجار مع تجار ايطاليا (١١٧) ، كما اشارت بعض وثائق الجنيزة الى مجموعة من تجار اليهود الاثرياء الذين كانو يستعينون بيهود آخرين كوكلاء تجاريين لهم فى البلاد الاخرى (١١٨) .

وعمل اليهود ايضا فى مجال الأعمال المصرفية (١١٩) التى كانت تدر عليهم أرباحا عالية .

---

(١١٧) David (A), Jewish Life in Egypt, p. 18 ; Ashtod, History of the Jews, II, pp. 169-170.

(١١٨) David (A.), Jewish Life in Egypt, 18-19.

(١١٩) انظر الباب الاول الفصل الثانى .

الباب الثالث

البنية الداخلية لجماعات اليهود

فى العصر المملوكى

التقسيم الطائفي الديني

الربانيون ، والقراءون ، والسامرة

انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم الى فرق دينية تدعى كل فرقة أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه عن غيرها ، وتركز الاختلاف بين تلك الفرق حول الاعتراف بأسفار العهد القديم « التوراة » والتلمود أو انكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم (١) .

وكان اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك ثلاث طوائف هم : الربانيون ، والقراءون والسامرة (٢) ، فقد ذكر السخاوى

(١) على عبد الواحد وافى ، اليهودية واليهود بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٨٧ .

(٢) وعن الفرق اليهودية ، انظر مراد فرج ، القراءون والربانيون ، القاهرة ١٩١٨ م ، ص ١٣ ، ٤٢ ، ١١٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ـ القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٤٧ ؛ وما بعدها ؛ حسن ظاظا الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ٢٩٥ وما بعدها ؛ سيده كاشف ، مصر الاسلامية ، ص ٥٧ ؛ محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ١٣٧ ؛ سلوى ميلاد ، وثائق أهل الذمة ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

فى أحداث عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م أن السلطان جقمق استدعى عبد اللطيف من الربانيين وفرج أحد مشايخ القرائيين وابراهيم كبير السامرة بالاضافة الى بطرك الملكية وبطرك اليعاقبة لأمور تتعلق بطوائفهم (٣) ، وهذا دليل على وجود الفرق الثلاث فى عصر المماليك .

والربانون أو الربانيون أو الربيون هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم ، وتعنى كلمة « ربانيم » بالعبرية الامام الحبر الفقيه ، وقد عربت هذه الكلمة الى « ربانى » ووردت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ... » (٤) ، وقد سمى أبناء هذه الفرقة « ربانين » اشارة الى اتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم فى المشنا (٥) ،

---

(٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٤٠ .

(٤) قرآن كريم ، سورة المائدة ، آية رقم ٤٤ .

(٥) المشنا ، كلمة عبرية تنطق « مشنة » بكسر فسكون ففتح وهو اسم كتاب عبرى فقهى بمنزلة التفسير للتوراة ولكن للربانيين فيه اعتقاد خاص دون القرائين وهو أنه سنة عن موسى عليه السلام ، أوحى بها الله اليه فى أثناء الأيام الاربعين التى قضاها فى طور سيناء وأمره ألا يكتبها وأن يبلغها شفويا ، ولذا فهى تعرف بالتوراة الشفوية وتقسم « المشنه » ستة أقسام تعرف ب سداريم وهى لفظة ارامية تعنى الاوامر وهذه العناوين الستن ، هى « زرعيم » أى الزراعة والبذور و « موعيد » أى الأعياد ، وناشيم ومعناها النساء ، ونزيكين ومعناها الجروح ، وقوداشيم ومعناها المقدسات والأشياء المقدسة ، وتوهاروث ، ومعناها المطهرات عن الطهارة والنجاسة وما يتعلق بهما ؛ انظر ابن النديم ، الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٤٠ ؛ جواد على ، علم ابن النديم باليهودية والنصرانية ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، م ٨ ، ١٩٦١ م ، ص ٩٠ ، ٩١ ؛ مراد فرج القراءون والربانون ، ص ٣٦ الى ٣٨ .

والتلمود (٦) ، وتقيدوا بذلك حتى
صار هذا الاسم سمة عامة لهم (٧) .

وكانت رئاسة اليهود لواحد من الربانيين وهم اكبر طوائف اليهود فى تلك الآونة ، وكان له حق الأشراف على أبناء الطوائف الثلاث (٨) .

---

(٦) التلمود بالعبرية « المعرفة » أو « التعليم » ومصدرها العبرى لمد ، ومنها تلميذ بمعنى التلميذ لانه يعلم الفقه والدين وتفسير التوراة ويقسم قسمين المشنة وهى النص أو المتن والجمارا وهى التفسير أو الشرح ؛ والتلمود هو الاسم الجامع للمشنة والجمارا معا ، والمشنة عبارة عن مجموعة تقاليد اليهود فى شتى نواحى الحياة اليهودية مع بعض الايات من كتاب التوراة ، وهناك تلمودان يعرف اولهما بالتلمود الفلسطينى واليهود يسمونه الأورشليمى والثانى التلمود البابلى ، انظر شاهين مكاريوس ، تاريخ الاسرائيليين ، مطبعة المقتطف بمصر ، ١٩٠٤ م ، ص ١١١ ، ١١٢ ، مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ٣٩ ؛ صبري جرجس التراث الصهيونى والفكر الفرويدى ، ط (١) ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ؛ ص ١٠ احمد سوسه ، العرب واليهود فى التاريخ « حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثارية ، ط (٢) ١٩٧٢ م ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ؛ أنور الجندى ، المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فى غزو الفكر الاسلامى ط (٢) القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ٢٥ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية واليهودية المسيحية ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م ، ص ١٠١ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة فى الشرائع غير الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ ؛ رشاد عبد الله الشامي الشخصية اليهودية فى أدب احسان عبد القدوس ، دار الهلال ، ١٩٩١ م ، ص ١٤٤ ؛ محمود مزروعة ، دراسات في اليهودية ، ط (١) القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٧) قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٠٩ .

(٨) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤٧ ؛ المقريزى ، السلوك ج ١ ق (٣) ص ٧٢٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ج ١١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٠١ ؛
Bosworth, Christian and Jewish, p. 210 ; Clerget Le Caire étude, p. 217 ; Gottheil, An Eleventh-Century, p. 539.

وكان عليه تنظيم العلاقة بينهم وبين الدولة ، فضلا عن تنظيم شئونهم الدينية والاجتماعية (٩) ، والقضائية (١٠) ، وتشير المصادر المعاصرة لدولة المماليك الى أن الربانيين انفردوا عن القرائيين بشروح لغوامض التوراة التى وضعها أحبارهم ، كما اباحوا تأويل نصوص التوراة (١١) .

أما الفرقة الثانية من فرق اليهود فى مصر فهى « القرائيين » (١٢) ، والكلمة مشتقة من المصدر « قرأ » بفتح وضم ممدود والألف ساكنة ، بمعنى قرأ - دعا - نادى - وذلك لأنهم لم يؤمنوا بغير (المقرا) أى ما يقرأ فيه وهى التوراة التى لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود كما أنهم لم يتقيدوا بما جاء فى التلمود (١٣) ، ويعتقدون بسابق القدر ، ويعتمدون على الأهلة فى تقويمهم وحساب أعيادهم ومواسمهم مما أوجد فروقا فى هذه

---

(٩) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ١٢٧

(١٠) Adler, Jewish Travellers, p. 229 ; Clerget, Le Caire étude de géographie, p. 217.

(١١) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٧ ؛ ابن حزم ، اليهودية ، تحقيق وتعليق محمود على حماية ط (١)، القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٧٢ ، ٧٣ ؛ Gottheil, An Eleventh-Century, p. 537.

(١٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ص ١٤١ ؛ ابن الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٥٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٦ ؛ محمد محمود نمر ، الأحوال الشخصية للطوائف غير الاسلامية من المصريين فى الشريعتين المسيحية والموسوية ، ط (١) القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٤٨ ، ٤٩ ؛ ابن يحيى المغربى ، افحام اليهود ، ص ١٧٤ .

(١٣) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤١ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٨ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين التطيلى ، ترجمة وتعليق عزرا حداد بغداد ١٣٨٤ هـ ، ملحق رقم (٢) ، ص ١٩٥ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١١ .

الناحية بينهم وبين الربانيين (١٤) . وقد شبههم بعض المؤرخين العرب بالمعتزلة فى الاسلام (١٥) ، والحقيقة أن هذا التشبيه لا يطابق الواقع ، ولعل السبب فى ذلك هو الخلط بينهم وبين الفريسيين (١٦) .

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن أصل هذه الفرقة يرجع الى عنان بن داود ، فقد حدث أن توفى حاخام العراق الأكبر ورأس الجالوت فى الدولة الاسلامية ، وكان اسمه « الجاؤن سليمان » ويبدو أنه لم يترك ولدا يخلفه فى وظيفته وكان أحق المرشحين لهذا المنصب ابن أخيه عنان بن داود فعارض فى انتخابه أكبر رجلين باقيين على رأس اليهود فى الدولة الاسلامية، واختارا لزعامة يهود العراق الأخ الأصغر لعنان بن داود واسمه حنانيا (١٧) ، وقد وجد اليهود فى ثورة عنان هذه ضالتهم المنشودة

---

(١٤) ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ص ١٠٢ ؛ أبى الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ط (١) ١٩٠٧ م ، ج ١ ؛ ص ٨٨ .

(١٥) قاسم عبده ، أهل الذمة ص ١١٠ .

(١٦) الفريسيون ، الفريسيون ، وبالعربية فروشيم هم الربانيون أنفسهم وهم جمهور اليهود غير القرائين ، وللتسمية معنيان الاول الاعتزال أى أنهم كالمعتزلة فى الاسلام ، وقد حافظوا على التوراة والتلمود وتشددوا فى الطهارة والأطعمة الحلال وقد بدأ اعتزالهم وقت ختام النبوءة أيام تعقب الروم لهم ، فاسلموا أنفسهم رهينة فى يد الايمان فبعضهم تغالى وتفانى وهم الأسيين وقد انفردوا بانفسهم والبعض الاخر وهم الجمهور ظلوا على ما هم عليه لم يستهينوا بأمر الحياة هذا هو المعنى الأول بحسب تفسيرهم لكلمة فروشيم من فرش بمعنى فسر ، ميز ، فرق ، والمعنى الأخر قيل لهم ذلك لانهم يعلمون بالتفسير اى التفسير الوارد بالمشنا والتوفيق بينه وبين التوراة انظر مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٧) الشهرستانى ، الملل والنحل ، صححه وعلق عليه أحمد فهمى محمد ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ج ٢ ، ص ٢٢ ؛ ابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ط (١) ١٣٤٧ هـ ، ص ٨٢ ؛ اليهودية ، ص ٧٠ ، ٧١ ؛ أبى الفداء ، المختصر ،

لنصبوه على راس حركتهم ، فأسرع الربانون بالشـكوى الى الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور الذى أمر بحبس عنـان ، ويروى بعض المؤرخين أن عنان هذا لقى الامام أبا حنيفة النعمان فى السجن فأشار عليه أن يدعى أنه صاحب دين وليس ثائرا على راس الجالوت ، وبعد اطلاق سراحه رحل الى فلسطين هـو وأتباعه حيث شيدوا لهم كنيس (١٨) ، وان كان بعض الباحثين المحدثين يرفض رواية السجن هذه ويرجحون أنه لا صحة لها من أساسها وينفون ما زعمـه باحثو الربـانيين من تأثر القرائين بالشيعة ، وأن عنان كان تلميذا للمعتزلة الذين وقفـوا موقـف الحذر من الروايات الشفوية الاسلامية ، وتحرجوا من اعتبـار الحديث مصدرا أساسيا للتشريع الاسلامى ، ويزعمون أن ذلك جوهر رفض عنان للتلمـود وليس حقـده على الربانيين بسبب الصراع على منصب رئيس الجالوت كما قيل (١٩) .

ص ٨٨ ؛ دوزى ، ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الاسلام ، ترجمة كامل كامل كيلانى ، ط (١) ، ١٩٣٣ م ، ص ٣٥٢ ؛ جواد على ، علم ابن النديم باليهودية ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(١٨) بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ص ١٩٢ ؛ يوسف رزق الله ، نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق ، بغداد ١٩٢٤ م ، ص ١٠٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٩٦ ؛ أحمد سوسه ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨ م ؛ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ ؛ وافى ، اليهودية واليهود ، ص ٩٤ ؛ ابن يحيى المغربى ، افحام اليهود ، ص ١٧٤ ؛ عبد الغنى عبود ، اليهود واليهودية والاسلام القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٦٩ ؛
Cohen (Martin) Anan Ben David Karaite Origins, JQR, 1963, p. 132.

(١٩) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٩٥ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ١١٢ .

ويرجح البعض عودة نشأة هذه الفرقة الى فترة سابقة على عصر عنان والى أن جذور تاريخ القرائيين يمتد الى أعماق التاريخ اليهودي (٢٠) ، كما ذكر المقريزى أن العانانية نسبة الى عانان بن داود ، وأشار بأنها فرقة غير القرائيين الذين يرجع تاريخ نشأتهم الى فترة سابقة فى التاريخ اليهودى (٢١) .

وقد اعتبر مؤرخو عصر المماليك الربانيين والقرائين بمثابة الفرقة الواحدة ، وذلك رغم أنه كان لكل من الفرقتين معابدهما الخاصة ، فقد اتفق القراءون والربانيون على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة كما اتفقوا على نبوة موسى وهارون ويوشع ، وعلى نبوة ابراهيم واسحق ويعقوب .. وهو (اسرائيل) وأبنائه الأثنى عشر (الأسباط) ، ولم يعترف القراءون بغير هؤلاء (٢٢) .

وهناك العديد أيضا من الاختلافات بين القرائين والربانيين نذكر منها : رءوس الشهور وتحديد موعد شهر أبيب (أغسطس) فقد اختلف اليهود فى تحديد بداية الشهور ، ففى الوقت الذى يذهب فيه القراءون الى تحديد رأس الشهر برؤية الهلال ، نجد أن الربانيين ينكرون ذلك ، بل لم يتقيدوا برؤية الهلال ، واعتمدوا على الحساب ، لأنهم أى الربانيون يعتقدون أن تحديد بداية الشهر برؤية الهلال قد يخلق مشاكل كثيرة ، خاصة فيما يتعلق

---

(٢٠) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ٤٣ .

(٢١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٦ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٢ .

(٢٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤١ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٣ ، انظر أيضا مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٣ ؛ ١١٦ ؛

Gottheil, An Eleventh-Century, p. 537.

بالأعياد نظرا لأهمية معرفتها فى جميع الأماكن فى آن واحد اذ يترتب على ذلك تأدية الطقوس الدينية فى مواعيد محددة ، لذا فان الاعتماد على رؤية الهلال ، قد يفضى الى الابلاغ عن حلول الأعياد فى أوقات متفاوته (٢٣) ، ويروى بصدد أخذ الربانيين بطريقة الحساب ، أن السامريين ، لعدواتهم للربانيين خدعوهم عدة مرات باطلاق الدخان قبل رؤية الهلال فلما اكتشف الربانيون ذلك لجئوا الى الحساب فى تقويمهم ، وان كان بعض الربانيين يرفضون ذلك ، وقالوا ان السبب فى اتخاذهم أسلوب الحساب يرجع الى أن علماءهم أدركوا أن آخر أمرهم الى الشتات فخافوا أن يسبب اعتمادهم على رؤية الهلال اختلافا فى مواسمهم ونزاعا فيما بينهم فاستخدموا الحساب لهذا الغرض (٢٤) .

هذا ومن المعروف أن القرائين يلتزمون بعدد أيام كل عيد حسب ما ورد فى التوراة ، أما الربانيون فقد أضافوا يوما الى أيام كل عيد ، فيما عدا صيام يوم الغفران ، الذى يصومونه يوما واحدا دون زيادة ، ويرجع ذلك الى اتباعهم نظام الحساب فى تحديد رءوس الشهور سواء اتفق ذلك مع رؤية الهلال أم لم يتفق ، وقد أضافوا هذا اليوم احتياطا لما قد يقع من الخطأ بين الحساب والرؤية . أما القراءون فلم يجدوا أنفسهم فى حاجة الى زيادة هذا اليوم لاتباعهم رؤية الهلال ، فظلت أيام أعيادهم كما حددتها المقرأ (٢٥) .

---

(٢٣) المقريزى ، الخطط ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٣ ؛ محمد الهوارى ، الاختلاف بين القرائين والربانيين فى ضوء الجنيزة ، القاهرة ١٩٩٤ م ، ص ٣٧ ــ ٤٠ .

(٢٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٧١ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ .

(٢٥) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ، محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانين ، ص ٤٣ .

ونظام الحساب فى معرفة بداية الشهور ، وما نجم عنه من اختلاف التقويم بين القرائين والربانيين تبعته مشاكل كثيرة ، فقد أصبحت مواسمهم وأعيادهم وبعض أيام صومهم لا تتطابق زمنيا عند الفرقتين (٢٦) .

أما عن أحكام النجاسة والطهارة فقد أسقط الربانيون النجاسة عن جميع الناس فى فترة الشتات (٢٧) ، وقالوا أنه لا نجاسة من أبرص ولا حاجة للتطهر من ميت ، فأسقطوا بهذا القول جميع النجاسات ، وقد أتفق عنان مع الربانيين فأسقط بدوره النجاسة من الميت فى فترة الشتات ، وهناك من يربط ذلك بتأثر عنان بالفكر الاسلامى ، اذ أن فكرة نجاسة المسلم بعد وفاته غير موجودة فى الاسلام (٢٨) .

وبالنسبة للذبائح من الحيوانات والطيور ، فقد اختلف الربانيون والقراءون فى كيفية معرفة الطائر الذى يجوز أكله ، والطائر غير الطاهر المحرم أكله ، فقال الربانيون ان الطائر يعرف بعلامات معينة ، وتابعهم العنانيون فى ذلك ، الا أنهم اختلفوا فيما بينهم بصدد هذه العلامات ، وقد حرم عنان أكل جميع الطيور عدا اليمام وأفراخ الحمام ، والذبيحة من البهائم الطاهرة فى رأيه هى التى يجوز أكلها عند اليهود ، وهى التى تذبح بالطريقة

---

(٢٦) محمد الهوارى . الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(٢٧) المشتتون The Dispersed أى اليهود الموجودون فى المنفى أو الشتات ، والشتات dispersed ترجمة عربية لكلمة الدياسبورا التى تستخدم للاشارة لوجود اليهود فى المنفى أى خارج فلسطين ، انظر المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ٢٢٦ ، ٢٦٥ .

(٢٨) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القرائين والربانيين ، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

الشرعية بحيث يقطع الحلقــوم والمرىء والأدواج (٢٩) ، امـــا الطيور ، فقد اختلفوا فى ذبحها ، فقيل عن الربانيين أنهم فرقوا بين ما يأكله الكاهن وبين مايأكله سائر الناس ، فاذا كان الطائر مما سيأكله الكاهن ذبحوه من القفا ، أما اذا كان الطائر مما سيأكله عامة الناس ذبح بطريقة ذبح البهائم نفسها ، وان كان عنان لم يفرق بين ما يأكله الكاهن ، وما يأكله الناس من الطيور فكلهـــا تذبح من القفا (٣٠) ، وذهب بعض القرائين الى تحريم أكل لحم الطيور (٣١) ، وان كانوا فى فترة متأخرة حددوا عددا من الطيور المنزلية وسمحوا بأكلها ، وحرم عنان أيضا أكل لحم البقر طوال فترة السبى (٣٢) كما حرم أكل لحم الخراف لأنه طبقا لشريعتهم فان الخراف تندرج تحت ما تحرمه التوراة (٣٣) .

---

(٢٩) يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، مصر ١٩٤٨ م ، ص ١٠٢ : الهوارى الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣٠) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦١ .

(٣١) مراد فرج ، الفراعون والربانون ، ص ١٦٦ .

(٣٢) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين : السبى البابلى : كان التهجير الاجبارى لقيادات شعب ما أمرا شائعا فى العصور القديمة ، وبعد سقوط مملكتى يسرائيل ويهوذا العبرانيتين على يد الأشوريين والبابليين قام الغزاة بتهجير بضعة آلاف من القيادات العبرانية . وقد اندمج اليهود المهجرين الى آشور ، أما الذين هاجروا الى بابل فقد اشتغلوا بالتجارة وتأثروا بالحضارة البابلية تاثرا عميقا خلاقا ، وقد تم السبى البابلى على يد ملك بابل نبوخذنصر على ثلاث دفعات ٣٠٢٣ نسمة فى عام ٥٩٧ ق.م ، ٧٣٢ نسمة فى عام ٥٨٦ ق.م ، و٤٧٥ نسمة فى عام ٥٨١ ق.م فيكون المجموع ٤٦٠٠ نسمة ، المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٩٥ ، ص ٢١٢ .

(٣٣) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

ويحرم القراءون أكل اجزاء من الحيوان الطاهر ، كالإلية بكاملها والشحم أو الدهن الذى يغطى الأحشاء (٣٤) ، فى حين اجاز الربانيون أكل هذه الأجزاء ، كما حرم الربانيون أكل عرق النسا من البقر والغنم وسائر الحيوانات ، ولم يحرموه من الطيور. أما القراءون فقد حرموا أكل عرق النسا من جميع البهائم والطيور (٣٥) .

ومن الوصايا الواردة فى التوراة والتى أثار تفسيرها خلافا بين اليهود ، وصية وردت ثلاث مرات فى التوراة تقول « لا تطبخ جديا بلبن أمه » أى الرضيع ، وقد حرم القراءون طبخ الجدى بلبن أمه وصغير البقرة بلبن أمه ، وكذلك فى الماعز أى أنه لا يطبخ فرع من أصل ، والحكمة فى ذلك هو الشفقة الآلهية لما يراه . المحرمون من غلظة وقسوة فى طبخ الحيوانات بلبن أمهاتهم ، وقد رأى الربانيون وبعض المخالفين الآخرين ، تحريم أكل اللحم باللبن مطلقا (٣٦) ، أى خلط اللحم باللبن . هذه نماذج على سبيل المثال لا الحصر من الاختلافات بين القرائيين والربانيين ، أما فيما يتعلق بالاختلافات الخاصة بالزواج والطلاق والأعياد فسوف نتناولها بالتفصيل فى الباب الرابع الفصل الأول الخاص بالأوضاع الاجتماعية لليهود من هذه الدراسة .

---

(٣٤) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث ، ٩ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٦٢ .

(٣٥) سفر التكوين الاصحاح الثانى والثلاثون ، ٣٢ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٥ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٦٢ .

(٣٦) مراد فرج ، القراءون والربانون و ص ١١٨ .

وعن الفرقة الثالثة من فرق اليهود أى السامرة ، فهى باللغة العبرية « شومرون » التى تعنى عاصمة مملكة يسرائيل التى يوجد فيها جبل جريزيم الذى كان يحج اليه السامريون فى عيد الفصح (٣٧) ، وقد شكلت السامرة أقلية صغيرة العدد فى مصر أيام سلاطين المماليك كما يتضح من الوثائق التى تحت أيدينا (٣٨) ، هذا فضلا عن أن بعض المصادر المعاصرة قد أشارت الى أن السامرة ليست من اليهود (٣٩) ، ومع هذا فقد عاملهم سلاطين المماليك على أساس أنهم فرقة يهودية ينطبق عليها شروط أهل الذمة (٤٠) .

وقد نشأت هذه الطائفة فى فلسطين بعد سقوط مملكة اسرائيل التى انشقت بعد وفاة سليمان على يد ملك آشور « تفلث فلاسر » عام ٧٣٨ ق.م الذى أجلى اليهود عن فلسطين الى نواحى شمال ايران الحالية ، وأحل محلهم بعض القبائل فى سكنى عاصمة المملكة وهى مدينة السامرة القديمة التى يعيشون

---

(٣٧) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٣ ؛ كمال الصليبى ، التوراة جاءة من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزاز ، بيروت ١٩٨٥ م ، ص ٢٠١ . ٢٠٤ ؛ المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ٢١١ .

(٣٨) العمرى ، التعريف ، ص ١٤٤ ؛ القلقشندى صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩١ .

(٣٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ ؛ السلوك ، ج ١ ص ٧٢٨ هامش ٢ ، ٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٦٨ ؛ انظر أيضا حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ .

(٤٠) العمرى ، التعريف ، ص ١٤٤ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٣ .

حولها والتى قامت على أنقاضها مدينة نابلس (٤١) ، ويذهب بعض الباحثين اليهود الى أن نشأة هذه الفرقة ترجع الى أيام السبى البابلى عام ٥٨٦ ق.م (٤٢) . وفى هذا التاريخ بنى السامريون هيكلهم فوق جبل جرزيم (٤٣) .

وقد اشتدت العداوة بين هذه الفرقة وبقية اليهود عندما رفضوا المساهمة فى بناء الهيكل الثانى ، اذ كانوا يعتبرون أن المكان المقدس لليهودية هو جبل جرزيم وليس جبل صهيون وأورشليم ، وقد أضاف هؤلاء الى التوراة عبارات توحى بقدسية هذا الجبل ، ومن المعروف أن السامرة يصعدون جبل جرزيم ثلاث مرات فى السنة حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قربانا على المذبح فى أعلى الجبل ، وهم لا يحجون الى القدس ذلك لأن جبل جرزيم يحتل فى قدسيتهم مكان القدس ، وهم يقدمون الشاة فى عيد الفصح محتفظين بعظامها سليمة (٤٤) .

وترى السامرة أن اليهود ضلوا عن طريق اليهودية الصحيح لذا فهم يعيشون فى عزلة ولا يتزاوجون مع بقية اليهود ، وقد كان من نتيجة هذه العزلة أن انتشر الجهل بينهم (٤٥) ، ومن المعروف

---

(٤١) سفر الملوك ، الاصحاح ، ١٧ : ٢٤ ، ٢٤ ؛ ابن حزم . اليهودية ، ص ٦٧ ؛ بنيامين التطليلى ، رحلة بنيامين ، ص ١٨٥ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ ؛ محمد بحر ، اليهودية ص ١٤١ .

(٤٢) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٣ ، ١٨ .

(٤٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٧ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٤ ؛ لأزار يورشالمى ، السامريون ، مجلة الكليم ، العدد الثالث والثلاثون ، ١٦ يونية ١٩٤٦ م ، ص ١٠ .

(٤٤) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، مركز بحوث الشرق الاوسط ، القاهرة ١٩٨٤ م ص ٨٨ ؛
Adler, Jewish Travellers, p. 174.

(٤٥) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤١ .

أيضا أن هذه الفرقة لا تؤمن الا بأسفار موسى الخمسة مما دفع بعض المصادر العربية الى القول بأن لهم توراة تخصهم غير التوراة التى بأيدى كل من القرائين والربانيين (٤٦) .

كذلك أنكر السامرة نبوة كل من أتى بعد موسى عليه السلام باستثناء هارون ويوشع ، وكانوا يتخذون من جبل جرزيم بالقرب من نابلس قبلة لهم ويحجون اليه ، وكانوا أيضا شديدى الحرص على حرمة السبت فلا ترى عندهم فيه نارا أو نورا ، وهم مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة وبوجود الملائكة ، وظهور المسيح فى آخر الأيام ، ولهم لهجة عبرية خاصة بهم ، ولغة خطية مغايرة يزعمون أنها جاءتهم صحيحة من عهد النبى موسى عليه السلام (٤٧) .

---

(٤٦) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٧٢٨ ، هامش ٢ ، ٣ ؛ عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ٨٨ ؛

Goldzihe (Ign), Ueber Muhammedani Sche Polemik Gegen Ahl al Kitab, ZDMG, XXXII, 1878, p. 383.

(٤٧) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٤١ ؛ ابن حزم اليهودية ، ص ٦٧ ، ٦٨ ؛ الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ٢ ص ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ٩١ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٨٩ ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٧ ، ١٨ ؛ وافى ، اليهودية واليهود ، ص ٨٩ ، جواد على ، علم ابن النديم باليهودية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٤٨ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤١ ؛ دوزى ، نظرات فى تاريخ الاسلام ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٠١ ؛ أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ ، ص ١٨٦ ١٨٧ ؛ العرب واليهود ، ص ١٥٢ ؛ عبد الغنى عبود ، اليهود واليهودية والاسلام ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٦٩ ؛

Gottheil, An Eleventh-Century, p. 538.

وتعد طائفة السامرة أغنى أغنياء طوائف اليهود فى القاهرة، وقد اشتغلوا بمعظم المناصب العليا فى دولة المماليك (٤٨) .

أما فيما يتعلق بوضع الطوائف اليهودية فى مصر وهل زادت أعدادها أم نقصت ، وهل انضم اليها مهاجرون جـــدد من دول مجاورة بعد أن وصل الى مسامع هذه الطوائف مدى تميز الوضع، الذى كان يتمتع به اليهود فى أرض مصر وبخاصة فى عهد السلطان الناصر محمد ، فيلاحظ أن مصر كانت بالنسبة للهجرة اليهودية : ملجأ لمعظم المهاجرين من اليهود الذين وصلوا الى مصر من دول الغرب ومن افريقيا وأسبانيا ، بل ويمكن القول إن هجرة أسبانيا وشمال افريقيا لمصر قد استمرت طوال العصور الوسطى ، وكان معظم المهاجرين من التجار ، وكانت تدفعهم طموحاتهم الى إمكانية الكسب السريع نظرا لتجمع الأسواق العالمية فى مصر ، يضـــاف الى ذلك أن وضع اليهود فى مصر كان أفضل بكثير من وضعهم فى الدول الأوربية (٤٩) .

وتكشف احدى وثائق الجنيزة عن وجـــود ثبت كبير يحتوى على اسماء بعض الشخصيات اليهودية ضمن الطوائف اليهودية فى مصر ، يرجع تاريخه الى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وهو يضم أسماء كل من أسحق المايوركى ، وابن رابى ريتشا بن الليدى ، وابن آدم منقوسا (٥٠) ، بالاضافة الى طبيب يهودى من اسبانيا وصل الى مصر وشهر اسلامـه ، وقـــد كان هذا الطبيب يقطن مدينة صقلية (٥١) ، كما أمدتنا وثائـــق

---

(٤٨) Adler, Jewish Travellers, p. 227.

(٤٩) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.

(٥٠) Ashtor, History of the Jews, pp. 223-224.

(٥١) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ، ص ١٨٧ .

الجنيزة بشهادة مكتوبة باللغة الآرامية يرجع تاريخها الى عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م وتحمل توقيع ابراهام بن يوسف بن حسن وتشير وثائق الجنيزة التى ترجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الى يهودا بن شاؤول الأسبانى الذى عاش فى مدينة الاسكندرية (٥٢) .

وتقرا أيضا فى احدى وثائق الجنيزة التى يرجع الى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى اسم يهودى كان يعيش فى القاهرة ، وهو شلمانى اليهودي ، وكان يلقب بابن الكازرونى نسبة الى مدينة كازرون (٥٣) فى فارس الواقعة بين شيراز والبحر ، والتى كانت فى العصور الوسطى إحدى المدن التجارية المهمة التى عاش بها عدد كبير من اليهود (٥٤) .

وفى هذه الفترة أيضا وفد على مصر مهاجرون من فارس وبابل واستوطنوا بمصر ، كما تم أسر عدد من اليهود على أيدى المماليك فى أثناء سقوط عكا عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م ، وقام سلاطين المماليك بنقل معظمهم الى مصر وقاموا بتشغيلهم فى أعمال كثيرة وخاصة فى أعمال البناء ، بدليل ما ذكره آشتور عن حالة الأسرى اليهود الذين عمل معظمهم فى مجال البناء فى عصر الناصر محمد بن قلاوون ، وكانوا يتقاضون أجورا مناسبة ، ولم يكن هناك حراسة عليهم ، وكان كل أسير يعمل حسب طاقته واذا شعر بالتعب

(٥٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.

(٥٣) كازرون بتقديم الزاء واخره نون مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، وكازرون بلدة عامرة كبيرة وكانت ثياب الكتاب تصنع بها ، وكلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال ، وبها سماسر كبار وسوق كبيرة ومعظم الدور والجامع على تل يصعد اليه وللسماسرة فى البلد قصور حصينة حسنة ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ م ، م ٤ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٥٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 221.

ذهب الى داره لكى يتناول طعامه ويستريح . وذكر أيضا ان هؤلاء الأسرى كانو يجلسون احيانا فى مكان متسع يقام فيه حفلات السمر لتسليتهم ، كما كانت تتوافر لهؤلاء الأسرى المعابد الدينية الخاصة بهم والمزودة برجال الدين حتى يتمكنوا من تأدية طقوسهم الدينية بكل حرية ، وكان السلطان يصدر أوامره بمنح هؤلاء اليهود أجازات فى يوم السبت حتى يحافظ لهم على قدسية هذا اليوم ، وفقا لمعتقداتهم كما كان يمنحهم من وقت لآخر الامتيازات والهدايا سواء أكانوا مرضى أو أصحاء (٥٥) .

ويعتبر الشماع (٥٦) هو أهم قسم من الصلاة مأخوذة من سفر التثنية ، وكلمة (شماع) أى اسمع هى أول كلمة من آية التوحيد عند اليهود « اسمع يا اسرائيل ، الرب الهنا الرب واحد » (٥٧) .

وتتكون نصوص الصلاة التى تسمى الآن « عميدة » بمعنى وقوف بما يسمى « شيمونه عسره » وهى مجموع تسع عشرة بركة (وكانت فى الأصل ثمانى عشرة) وهى أهم قسم فى الصلاة بعد الشماع ، وكانت تقرأ غيبا من الواحد الى الآخر ، وقد وردت أكثر ألفاظها وعباراتها فى الكتاب المقدس (٥٨) .

---

(٥٥) Ashtor, History of the Jews, I, p. 223.

(٥٦) ويقسم الشماع الى ثلاثة أقسام الأول مأخوذ من التثنية ٦/٤ ـ ٩ والقسم الثانى مأخوذ من التثنية ١١/١٣ ـ ٢١ ، والقسم الثالث مأخوذ من العدد ١٥/٣٧ ـ ٤١ .

(٥٧) سفر التثنية ، ٦/٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٧٣ .

(٥٨) سفر الخروج ، ٢٨/٣ تحتوى على ١٧ كلمة ، وهى عدد الكلمات فى البركة الرابعة ، والكلمات فى اشعيا ٥٥/٨ أو ٦/١٣ يعادل عدد الكلمات فى البركة الخامسة ، وهو ١٥ وعدد الحروف فى الأمثال ٤/٢٢ أو المزامير ١٠٣/٣ يعادل عدد كلمات البركة الثامنة وهو ٢٧ . انظر حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٧٥ .

وجدير بالذكر أن اليهود تأثروا ببعض عـادات المسلمين كعادة خلع الحذاء عنددخول المعبد ، فقد كان اليهـود القراءون لا يدخلون المعبد بأحذيتهم ، ولو على سبيل الزيارة ، وانما كانوا يتركون أحذيتهم خارج المعبد بجوار الباب ويجلس الجميع عـلى الأرض المفروشة بالسجاد أو الحصير داخل المعبد ، أما اليهود الربانون فقد كانوا يدخلون المعبد بأحذيتهم (٥٩) ، وان كان بعض اليهود يعتقدون أن موسى بن ميمون سمح لهم بدخـول المعـابد مرتدين الأحذية ، فقد جاء فى بعض الفتاوى أن هذه العادة ترجع الى أهل البلد المتبعة ، فاذا كان الاحترام يقتضى الوقوف أمـام العظماء بحذاء فيجب فى هذه الحالة أن تؤدى الصلاة بالحذاء ؛ أما اذا كان الاحترام يحتم خلع الحذاء فيجب عندئذ خلعه قبل دخول المعبد (٦٠) .

ومن العادات التى انتشرت بين اليهود وأخذوها أيضا عن المسلمين عادة غسل الأرجل قبل صلاة الصبح ، وقد أعترف بنقل هذه العادة موسى بن ميمون (٦١) ، لأنها لم تكن عادة يهودية بل نتيجة لتأثر اليهود بالجو الاسلامى المحيط بهم .

كما أكد المقريزى أيضا على الاستعانة بالأسرى اليهود فى أعمال البناء فذكر أنه فى عـام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م شرع فى بنـاء مسجد كبير بالقاهرة ، فخرج الأسرى اليهود لنقل أحجار البناء ، وكل المستلزمات الضرورية لهذه المهمة (٦٢) .

(٥٩) Adler, Jewish Travellers, pp. 159-161-222.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, I, p. 243.

(٦١) Ashtor, History of the Jews, I, p. 373.

(٦٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ .

اما عن معابد اليهود فى مصر ابان العصر المملوكى ، فقد احصى لنا المؤرخ نفسه ما يقرب من احدى عشرة كنيسة فى القاهرة والفسطاط واقاليم البلاد المصرية وجميعها كانت محدثة فى ظل الاسلام على حد قوله (٦٣) ، وكانت « كنيسة دموة » بالجيزة تعد اعظم معابدهم ، وكان اليهود يعتقدون بأنها بنيت فى الموضع الذى كان يأوى اليه موسى عليه السلام حين كان يبلغ الرسالة الى فرعون ، وكان بفناء تلك الكنيسة شجرة ضخمة ، تقول الأساطير اليهودية انها نبتت فى المكان الذى غرس فيه موسى عصاه ، وقد أراد السلطان الاشرف شعبان استخدام أخشابها فى بناء مدرسته التى شيدها تحت القلعة غير أن الذين ذهبوا لقطعها وجدوها غير صالحة لهذا الغرض . كما ذكر المقريزى أيضا أن أغصان وأوراق هذه الشجرة جفت ، لأن يهوديا زنى بيهودية تحتها فتكورت أغصانها وأصبح منظرها بشعا ، وكان اليهود يحجون الى تلك الكنيسة عوضا عن حجهم الى بيت المقدس فى عيد الخطاب والأسابيع (٦٤) .

ويخبرنا المؤرخ اليهودى المصرى يوسف بن اسحق السمبرى أن اليهود فى عصر المماليك كانوا يرسلون فى أعياد « الخانوكا » خطابات الى جميع طوائف مصر يدعونهم فيها للحج الى هذا المعبد فى دموه فى السابع من شهر آذار (مارس) وهويوم وفاة النبى موسى ، وللصوم والصلاة فى المكان نفسه . وفى اليوم الثامن كان

---

(٦٣) المقريزى ، الخطط طبعة لبنان ١٩٥٩ م ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٥ ؛

Glerget (M), Le Caire, p. 217 ; Schreiner (M), Bemer Kungen Zur Chronik des Josef B. Isak Sambari, ZDMG, XLV, 1891, p. 296.

(٦٤) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ص ٣٥٤ ؛

Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 299.

اليهود يقومون بنصب الأفراح والأعياد ويعدون هناك وليمة كبيرة (٦٥) .

أما عن كنيسة جوجر ، فتقع بالفسطاط ، وكانت تحظي أيضا بمكانة كبيرة فى قلوب اليهود الذين نسبوها الى نبى الله الياس وزعموا أنه ولد بها ، وكان يرعاها طوال اقامته على الأرض حتى رفعه الله اليه (٦٦) .

ويعد معبد المصاصة (٦٧) ، ثالث المعابد الذى كان يعظمه اليهود ، وكان يقع بحى المصاصة فى الفسطاط ، وكان اليهود يزعمون أنه بنى قبل الاسلام بحوالى ستمائة وعشرين عاما ، وكان مجلسا لنبى الله اليلس ؛ وأنه رمم فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٦٨) .

ويذكر المقريزى أيضا أنه كان يوجد بالفسطاط كنيستان الأولى ليهود فلسطين وتسمى كنيس الشاميين (٦٩) الأورشلميين، وهذا المعبد كان يخدم اليهود الذين هاجروا من الشام الى مصر لأن هؤلاء كانوا يتمسكون بعاداتهم المتبعة فى بلادهم سواء فى

---

(٦٥) Schreimer. Josef b, Isak, Cambari, p. 297.

(٦٦) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ ؛

(٦٧) خط المصاصة بالفسطاط كان له خمس مسالك الأول يسلك اليه من درب عمار من أسفل سقيفة خيره ، والثاني يسلك اليه من درب السلسلة والثالث يسلك اليه من الدرب الجديدة مهره ، والرابع يسلك اليه من درب الكرمة . والخامس يسلك اليه من محرس ، وهذا الخط كان مسكن الوزراء ، وسكنا لشرف الدين الفائزى والصاحب بهاء الدين بن حنا ، وآخر من سكنه الصاحب علم الدين زنبور ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(٦٨) المقريزى ، الخطط ج ٣ ، ص ٣٦٤ ؛
Schreiner. Josef bB. Isak Sambari. p. 299.

(٦٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ . ص ٤٦٤ ؛ بنيامين ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

الحياة أو الصلاة (٧٠) وكان هذا الكنيس يضم صحفاً بالية ممزقة من أسفار التوراة وكان الناس فى عصر المقريزى ينسبون هــذا الكنيس الى عزرا الحبر المصلح المشهور لا الى النبى ـــ الذى عاش فى القرن الخامس ق.م غير أن الحقيقة أن الكنيس ينسب إلى إبراهيم بن عزرا الأديب والعالم الأندلسى الذى عــاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، ودليل ذلــك أن عزرا الحبر لم يزر مصر مطلقا ، وقد عثر فى هذا الكنيس على العديد من الأوراق المخطوطة التى أرسل أغلبها الى جامعــات أوربا وأمريكا ، وهذه المخطوطات تشتمل على نصوص يرجــع بعضهــا الى ما قبــل المســيح والبعض الآخــر الى العصر الفاطمى (٧١) ، وكان منقوشــا على باب هذا الكنيس باللغــة العبرية أنها شيدت فى القرن الأول قبل الميلاد (٧٢) ويفهم من المؤرخ ابن دقماق أنها كانت تقع فى منطقة قصر الشمع بجوار خوخة خبيص (٧٣) .

(٧٠) Ashtor, History of the Jews, p. 246.

(٧١) اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ، ١٧ ، هامش (١) :

Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 298.

(٧٢) بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٧٣) الخوخة الكوه أو الفتحة الصغيرة فى باب كبير ، والكوة فى البيت ينفذ منها الضوء ، والخوخة باب صغير فى بوابة كبيرة لسور أو حصن أو فندق وكانت العادة فى العصور الوسطى فى مصر وغيرها أن يجعل هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى ، فلا تكون هناك حاجة الى فتح البوابة الكبيرة الا عند الضرورة ، وهذا اللفظ أطلق على باب فى سور القاهرة نفسه دون وجود بوابة كبيرة ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (١) ص ٢١٥ ؛ ص ٣١٥ ؛ ابن منظور ، لســان العرب ، طبعة بولاق ١٣٠١ هـ ، ج ٣ ، ص ٤٩٠ ؛ سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، طبعــة ١٩٨٠ ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

أما الكنيس الثانى فكان خاصا بيهود بابل لذا عرف بمعبد البابليين أو بمعبد العراقيين أو بمعبد الكنيستين ، وقد أشار المقريزى الى انه كان يقع بجوار قصر الشمع أيضا مثل كنيس الشاميين (٧٤) . ووجود مثل هذه المعابد دليل على الفروق والاختلافات العقائدية بين اليهود العراقيين والشاميين بالمدن الكبرى الأمر الذى استوجب وجود كنيس مستقل لكل طائفة منهما .

وكانت المعابد اليهودية متصلة بمحاكم (٧٥) خاصة بكل طائفة ، فقد ورد فى وثيقة غير مؤرخة أن هناك محكمتين تمثلان ثلاث طوائف من معبد الأورشلميين ومعبد البابليين ، ومعبد مدينة الملك الذى كان يعرف أيضا بمعبد القاهرة (٧٦) .

وكانت حارة الجودرية بالقاهرة تضم أيضا كنيسا يهوديا تعرض للخراب عقب قيام الخليفة الحاكم بأمر الله باحراق الحارة بعد أن نمى الى علمه أن اليهود كانوا يجتمعون فيها ويغنون أشعاراً تنال من المسلمين ودينهم ونبيهم ، وأمر بنقل اليهود الى حارة زويلة (٧٧) فسكنوها وظلوا بهاطوال العصر المملوكى ،

(٧٤) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ٢ ، ص ٤٧٠ ؛ اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛
Schreiner, Josef b. Isak Sambari, p. 298.

(٧٥) عن مجالس القضاء المتعلقة باليهود انظر بالتفصيل الفصل الثانى من هذا الباب .

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 243.

(٧٧) زويلة : طائفة من البربر قدموا مع المعز لدين الله الفاطمى فاختطوا داخل القاهرة بهذا المكان وهو بحرى القصور الى الغرب ، فعرفت هذه الحارة باسم حارة زويلة ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤ .

ومنذ حريق الجودرية هذا فان أحدا من اليهود لم يسكن هــذه الحارة أو يقيم فيها (٧٨) .

ووجد لطائفة اليهود القرائيين كنيسان فى حــارة زويلة ، أحداهما يعرف بابن شميخ (٧٩) ، كما وجــد أخران لطائفـــة الربانيين بالحارة نفسها عرف الأول باسمهم ، والثانى باسم كنيس « دار الحدرة » . كذلك وجد لطائفة السامرة كنيس واحد بحارة زويلة (٨٠) .

وقد لعبت هذه المعابد دوراً مهماً فى حياة الطوائف اليهودية، ففيها كان اليهود يقيمون الصلاة ويتعلمون التوراة ، بالاضافـــة الى المدارس الخاصة بتعليم أطفالهم . وتعتبر الصلاة من أهـــم العبادات فى تجسد علاقة الانسان بربه ، وهى الوسيلـــة التى يلجأ اليها الانسان فى حـــالات الضـــيق لبعث الاطمئنـــان الى نفسه (٨١) .

وكانت الصلاة فى بادىء الأمر عبارة عن نداء باسم الرب ثم تطورت الى نوع من مناجاة الرب مباشرة أو عن طريق الكاهن ،

---

(٧٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ ، طبعة صادرة ، ج ٢ ، ص ٥ ؛ قاسم عبده أهل الذمة ، ص ١٣٨ ؛

(٧٩) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٠٨ ؛ المقريزى ، الخطط ج ٢ ، ص ٣٦٤ ؛ اسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون ، ص ١٦ ؛
Adler Jewish Travellers, p. 171 ; Le caire, p. 217.
Ashtor, The Jews and Mediterranean, p. 57.

(٨٠) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ؛
Schreiner, Josef b. Isak Sambari, pp. 299-300 ;
Ashtor, The Jews and Mediterranean, p. 57.

(٨١) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وكانت الصلة وطيدة فى العصور القديمة بين الصلاة وتقديم القرابين ، فتقديم القربان يتطلب الخضوع التام الى الرب ، وكانت الصلاة للتعبير عن هذا الخضوع والخشوع ، ثم أصبحت الصلاة فيما بعد علاقة بين الرب والعبد لا تحتاج الى وسيط ، ويمكن أن تؤدى فى أى مكان ولكن يفضل أن تكون فى القدس ، وتكون القبلة المعبد (٨٢) .

والصلاة على نوعين فردية ، أى شخصية ، ومشتركة أى عمومية ، أما الفردية فهى صلوات ارتجالية من أفراد ، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم ، ولدينا أمثلة متعددة من هذا القبيل فى الكتاب المقدس مثل صلاة موسى من أجل بنى اسرائيل وشفاء مريم ، وصلوات صموئيل وايليا واليشع وداود ويونان (يونس) ودانيال وعزرا وهذا النوع من الصلاة يتلى فى أى مكان، فان يونان صلى فى جوف الحوت ودانيال فى جب الأسود ، والصلاة المشتركة هى صلوات تؤدى باشتراك جملة اشخاص علنا وعموماً ، فى أماكن خاصة ومواعيد محددة حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة (٨٣) .

ولم تكن هناك أوقات محددة للصلاة ، ولكن حددت فيما بعد للتنظيم . وقد حددت صلاة الصبح وبعد الظهر والمغرب(٨٤)، وقد ذكرت بعض النصوص أن الصلاة سبع مرات فى اليوم ولا يوجد فى العهد القديم وصف دقيق لطريقة الصلاة ولكن بعض

---

(٨٢) حسين ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٧١ ؛ محمد بحر اليهودية ، ص ١٢٤ .
(٨٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .
(٨٤) سفر المزامير ، مزمور ٥٥ : ١٧ .

النصوص تصف الصلاة بالوقوف والركوع (٨٥) ، والسجود وتكون الأيدى ممدودة أو مرفوعة والوجه بين الركبتين والجلوس، وهناك أنواع من الصلوات فى أوقات المحن كصلاة الاستسقاء (٨٦) .

أما عن مواقيت الصلاة ، فتكون صلاة الصبح من الفجر الى حوالى ثلث النهار ، وصلاة بعد الظهر بعد أن تنحرف الشمس من نقطة الزوال الى قبيل الغروب ، وصلاة المساء بعد غروب الشمس الى طلوع الفجر ، وتعتبر صلاة الصبح أهم هذه الصلوات ، ولا يسمح لليهودى أن يزاول أى عمل أو يتناول أى طعام الا بعد صلاة الصبح (٨٧) .

أما عن طقوس الصلاة ، فتبدأ بشىء يقابل الوضوء وهو غسل اليدين فقط ، ويتحتم تغطية الرأس ووضع شال صغير على الكتفين وشال كبير اذا كان يصلى جماعة فى المعبد كصلاة السبت والأعياد ، ولهذا الشال فى طهارته أحكام خاصة أهمها انه لا تلمسه النساء ، ويخصص له موضع معلوم فى المنزل ، ويجب على اليهودى لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة وهى ثلاث عشرة سنة ، ويبقى عنده الى أن يموت فيكفن عادة فيه ، كذلك لا بد من لبس التفلين (٨٨) .

---

(٨٥) سفر دانيال ، ٦ : ١١ .

(٨٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٨٧) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٨٨) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والتفلين عبارة عن علبتين صغيرتين لونهما أسود تغلفان ببعض نصوص العهد القديم ، ويربطان برباط أسود فى الذراع الأيسر أو الرأس ويلبسان عند الصلاة فى الصبح عدا أيام السبت وأيام الأعياد ، انظر محمد بحر ، اليهود ص ١١٦ .

ولا عجب فى هذا فقد كان ابراهام بن موسى بن ميمون يميل الى الآراء الصوفية الاسلامية واراد أن يدخل على الصلاة اليهودية بعض التعديلات منها الزامه اليهود بالاغتسال قبل دخول المعبد مثلما كان المسلمون يقومون بالوضوء قبل كل صلاة ، بيد أن هذه العادة قد اثارت حمية بعض اليهود ، وانتشرت أيضا بين اليهود فى العصور الوسطى عادة طهارة المستحلم ، فقد اشترط رجال الدين فى الطوائف اليهودية ضرورة الاستحمام والتطهر قبل الصلاة ، وحرم على يهود مصر دخول المعبد دون تطهر ، وكان اليهودى المخالف لذلك يتعرض لعقاب شديد (٨٩) ، وهذه أيضا عادة اسلامية وتأثر بها اليهود نتيجة لامتزاجهم وتعايشهم داخل المجتمع المسلم .

ونتيجة لتأثر ابراهام بن موسى ميمون بالمسلمين فقد حاول أيضا أن يعدل من طريقة جلوس اليهود فى المعبد ، عن طريق الجلوس على ركبهم مثل ما يفعله المسلمون أثناء تأديتهم للصلاة ، ولكن كافة محاولات ابراهام فى هذا الشأن لم يكتب لها النجاح (٩٠) .

وكان اليهود فى مصر فى العصر المملوكى يخالفون تعاليم موسى بن ميمون على عكس يهود الشام وبابل فقد اضافوا مثلا فى بركات الفجر قولهم « لا تبعدنى عن أرض اسرائيل » (٩١) .

---

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 373-374.

(٩٠) Ashtor, History of the Jews, III, p. 373.

(٩١) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 373-374.

وقد تمسك موسى بن ميمون بما ورد فى التلمود الذى يقضى بالدعاء بصوت مرتفع ، وقد فعل ذلك يهود مصر (٩٢) الذين كانوا يبدءون الصلاة بعبارة « تاج الملوك يعطى لك » بدلا من عبارة « نحترمك ونقدسك » (٩٣) .

اما عن بركات السادسة عشرة فقد كانوا يستهلونها بعبارة « الأب الرحمن » مثلما كان يفعل يهود فارس وذلك بصوت منخفض (٩٤) .

وبالنسبة لصلاة الثمانى عشرة الخاصة بصلاة عميدة فكان يجب اجراؤها جهرا وفقا لأحكام الجمارا وأن يكررها الواعظ بعد ذلك بصوت مرتفع ، وهذا ما كان يفعله يهود مصر ، ولكن يبدو أن جمهور المصلين كانوا يتبادلون الحديث فيما بينهم فى أثناء ترديد الواعظ للبركات بصوت مرتفع اعتقادا منهم أنهم قاموا بأداء ما عليهم ، فقد جاء فى الفتاوى التى ترجع الى عصر المماليك شكوى من أن جمهور المصلين لم يكونوا ينصتون لما يقرا عليهم من التوراة ، فضلا عن قيامهم بتبادل الحديث كل مع زميله (٩٥) ، لذلك رأى موسى بن ميمون ضرورة ادخال تعديل يقضى بأنه فى أيام السبت والأعياد يجب على الواعظ أن يصلى بصوت مرتفع هو والمصلون ، وقد طبق موسى بن ميمون هذا التعديل بالفعل على صلاة المغرب فى أيام السبت والأعياد فقط ، نظرا لأنه كان يجتمع فى هذه الأيام فى المعابد جمهور كبير من المصلين ، وقد اشار

---

(٩٢) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(٩٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 374.

(٩٤) حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ١٨٩ .

(٩٥) دافيد بن زمره ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، خزانة الكتب تل أبيب ، ١٩٦٧ بالعبرية ، ج ١٤ ، ص ١٠٠ .

ابن ميمون الى أنه فى بعض الأوقات كان يتم التخلى عن الصلاة بصوت منخفض فى صلاة العصر التى تأخرت حيث كان يخشى من ان تغرب الشمس قبل اتمام الصلاة (٩٦) وقد تم الغاء الصلاة بصوت منخفض فى الايام غير الدينية (٩٧) .

وقد أحيا جمهور المصلين اليهود الاشعار والاغـــانى التى استحدثها الواعظ وقاموا بإدخالها بين فصول الصلاة ، كما اكثروا من الصلوات على الذين ماتوا من وقت قريب (٩٨) .

ومن الأشياء التى سببت قلقا لرابى ابراهام بن موسى بن ميمون عدم النظام والتركيز فى أثناء الصلاة ، ولذا كان يطلب من المصلين اليهود أن يقفوا فى صفوف منتظمة فى أثناء تأدية صـــلاة الثمانى عشرة الخاصة بالعميدة ، وان يقف الواعظ أمام الصف الأول (٩٩) . مما يدفعنا الى القول بأن ابراهام بن موسى بـــن ميمون كان متأثرا فى ذلك بالعادات الاسلامية المتبعة فى صـــلاة الجماعة التى كانت تقام فى الجوامع حيث يقف المسلمون فى صفوف منتظمة .

وقد اشترط إبراهيم أيضاً على الواعظ ضرورة الوقوف فى أثناء ترديد هذا الجزء من الصلاة ، وتأثرا ابراهام ايضا بالمسلمين فى اثناء صلاتهم من حيث رفع الأيدى وبسطها للدعاء والتوسل الى الله ، وان كان البعض يؤكد انتشار هذه العادة فى أيام العهـــد

---

(٩٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 375.

(٩٧) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ١٦٥ .

(٩٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمره ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٩٩) Ashtory, History of he Jews, II, p. 376.

القديم ، ولكنها أبطلت فيما بعد حتى لا يتشبه اليهود بالنصارى الذين كانوا يمدون أيدهم ويبسطونها على هيئة صليب (١٠٠) .

أما فيما يتعلق بالأماكن التى أقامت فيها طوائف اليهود فى مصر ، فقد عاش هؤلاء فى الفسطاط وقاموا بسكنى الأحياء القديمة المجاورة لقصر الشمع (١٠١) فى الحى المعروف بالمصاصة (١٠٢) . ويستشف من وثائق الجنيزة أنه كانت هناك منازل مجاورة لقصر الشمع (١٠٣) ، كما وجدت أيضا منازل لليهود بزقاق محط اللبن (١٠٤) ، وزقاق اليهود (١٠٥) .

وتشير المصادر العربية أيضا الى سوق المعاريج (١٠٦) ، الذى أطلق عليه هذا الاسم نظرا لوجود درجات سلم يمكن من خلالها الوصول الى ضفاف النيل (١٠٧) ، وهذا المكان كان يقع

---

(١٠٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 376.

(١٠١) عن هذا القصر انظر المدخل ص ٢٦ هامش ٣ .

(١٠٢) وعن المصاصة انظر ، ص ١٥٢ من هذا الفصل .

(١٠٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 237.

(١٠٤) كان هذا الزقاق يقع بجوار قصر الشمع ، وهو غير نافذ وبأوله على يسرة من دخله كنيسة الملكيين وعلى يمينه من صار بأقصاه مسجد ذو بابين أحدهما من هذا الزقاق والثانى من زقزق يدخل اليه من مسجد القبة ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ١٥ .

(١٠٥ ، ١٠٦) عبارة عن ساحل بازاء المعاريج القديم الذى فى ظهر قيسارية هشام وكان آثار المعاريج قائمة سبع درج وحول ساحل البيما الى ساحل البورى ، فعرف ساحل البورى بالساحل الجديد ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ الخرر ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(١٠٧) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

الى الشمال الغربى من قصر الشمع (١٠٨) ، وقد سكنه اليهود ايضا (١٠٩) .

واشار ابن دقماق كذلك الى منزل الناجيد أو بيت رئيس اليهود ، فذكر أن الناجيد قام بفتح باب فى سور قصر الشمع وقام بالدخول من هذا الباب (١١٠) ، كما سكن اليهود فى السوق الكبيرة(١١١)، التى كانت تقع إلى الجنوب من قصر الشمع(١١٢).

وذلك على الرغم من زعم البعض أن موسى بن ميمون لم يسكن فى الفسطاط بل سكن فى مدينة القاهرة (١١٣) ، كذلك كان الحال بالنسبة لابنه الذى لم يسكن فى الفسطاط بل سكن القاهرة (١١٤) ، وسكن يهود العصر المملوكى أيضا فى حى زويلة (١١٥) ، وفى الجزء الشرقى من حى زويلة حيث أقامت طائفة اليهود القرائين (١١٦) ، ويفهم من المصادر المعاصرة أيضا أن طائفة السامرة اتخذت من حى زويلة سكنا لها (١١٧) . كما

---

(١٠٨) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ ، ٣٤٣ .

(١٠٩) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٤١ .

(١١٠) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(١١١) سوق مشهورة قصبة واحدة ، وكان يتصل بها مسالك كثيرة ، انظر ابن دقماق الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٥ .

(١١٢) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٦ .

(١١٣) Ashtor, History of the Jews, I, p. 240.

(١١٤) Mann Jews in Egypt, II, p. 247.

(١١٥) عن حى زويلة انظر ، ص ١٥٣ من هذا الفصل ، هامش (٥) .

(١١٦) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(١١٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

امدتنا وثائق الجنيزة ببعض المعلومات عن وجود منازل لليهـود بالقرب من معبد دموه بالجيزة (١١٨) .

أما فيما يتعلق بطوائف اليهود فى مدينة الاسكندرية (١١٩) ، فيفهم من بعض المراجع أن الكثيرين منهم عملوا فى مجال التجارة ، كما اعتادوا فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى الحج الى بيت المقدس ، ونسمع أيضا فى بداية هذا القرن عن تلميـذ حكيم يدعى « اسحق بن يافث الحزان » سكن مدينة الاسكندرية وقام بنقل تفاسير رابى تنحوم الأورشليمى من كتاب « طوائف » وأنه انتهى من هذا العمل فى عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م (١٢٠) .

---

(١١٨) عن معبد دموه انظر ص من هذا الفصل ، انظر أيضا المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ ؛

David, Jewish Life in Egypt, p 17.

(١١٩) David (A.), Jewish Life in Egypt, p. 17 ; Golb (Norman), The Topography of the Jews of Medieval Egypt, JNES, 33, 1974, p. 117 ;

فى سنة ٣٣٢ ق.م احتل الاسكندر الأكبر المقدونى البلاد المصرية وأسس مدينة الاسكندرية وجعلها عاصمة البلاد وظلت من سنة ٣٣٢ ق.م الى سنة ٦٤١ م عاصمة للقطر المصرى فى المدة التى كانت فيها مصر تحت الحكمين اليونانى والرومانى وفى سنة ٦٤١ م احتل عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ونقل العاصمة الى مدينة الفسطاط فقل شأنها وأخذت تضمحل بعد ذلك لانتقال حركتها التجارية الى مدينة رشيد حتى أصبح سكانها فى بداية القرن ١٩ لا يزيدون عن ستة آلاف نفس ، ولما جدد محمد على حفر ترعة الاسكندرية وسماها الترعة المحمودية عام ١٨١٧ م عادت الحياة الى مدينة الاسكندرية وأنشأ بها الأرصفة الجديدة ودار الصناعة وأقام قصر راس التين وزاد انتعاشا حتى وصل عدد سكانها الى عشرين الف نفس واستمر فيها العمران بعد ذلك انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥ ؛

(١٢٠) Ashtor, History of the Jews, I, 247.

أما عن معابدهم فقد وجد معبد قديم لهم عرف باسم « ابيزراديل » عثر عند ترميمه بين أحجار الأساس على حجر مكتوب عليه العبارة التالية « أنا يهوذا بن رابى شاؤول بن اسحق اشتريت وقمت ببناء ... للتغفير عن ذنوبى وذنوب اجدادى ... » (١٢١) .

كما أشارت بعض المصادر المعاصرة الى وجود معبدين ليهود الاسكندرية أحدهما كبير والآخر صغير (١٢٢) ، وعلى هذا يمكن القول بان معبد « ابيزراديل » كان بمثابة المعبد الرئيسى لطوائف اليهود فى الاسكندرية .

وعاش اليهود أيضا فى مدينة المحلة الكبرى (١٢٣) ، التى وجدت فيها أكبر طائفة يهودية بعد القاهرة والاسكندرية (١٢٤) :

---

(١٢١) Benzion, (Taragan) Les Communautée Israélites d'Alexandrie, Alexandrie, 1932, p. 70.

(١٢٢) Ashtor, History of the Jews, I, p. 248.

(١٢٣) من جملة المدن المصرية القديمة التى وردت فى كتاب أحسن التقاسيم للمقدسى وهى بالاسم نفسه المحلة الكبرى ، انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦ ، ١٧ ؛ وفى نزهة المشتاق للادريسى المحلة الكبرى ، مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارة قائمة وخيرات شاملة ، انظر الادريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٩ م ج ١ ، ص ٣٤ ؛ ووردت فى الانتصار هى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية ، وهى مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جوامع ومدارس وقياسر ، وفنادق وبساتين ، انظر ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

ويشقها نهر النيل والمحلة الآن من أكبر المدن المصرية وأشهرها فهى مركز تجارى عظيم للقطن والمحصولات الزراعية الأخرى ولنسج الاقمشة القطنية ، وقد زادت شهرة هذه المدينة وزاد عدد سكانها بسبب المحالج والمعامل الكبيرة ، انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(١٢٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 251.

فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على ثبت بطوائف يهود مصر الذين تبرعوا من أجل فداء الأسرى اليهود قبل قيام الدولة المملوكية بسنوات قليلة ، واحتلت فيه طوائف يهود مدينة المحلة الكبرى المكانة الأولى ضمن جملة المتبرعين لهذا الغرض (١٢٥) .

وسكن اليهود أيضا فى مدينة دمياط (١٢٦) ، التى أطلق عليه بالعبرية اسم « جزيرة حنس » أو « جزيرة كفتور » (١٢٧) هذا وتقع دمياط على فرع نهر النيل فى ذلك المثلث المحصور بين اشتوم ودمياط الواصل الى البحر المتوسط وبين الفرع الواصل الى تنيس ، وكان يخرج أسفلها خليج الزعفران المتجه الى البحر المتوسط ، ودمياط عند القلقشندى مدينة زادت عمارتها ، وسكنها التجار وغيرهم وزادت حتى صارت بندرا كبيرا للمسلمين ، وفيها زهاء ثلاثمائة بستان ومتنزهات ، وأصبحت بلدا عامرا بالأسواق والفنادق والجوامع والمدارس وبها جماعة كبيرة من التجار وأصحاب الأموال » (١٢٨) .

---

(١٢٥) Mann, the Jews in Egypt, II, p. 290.

(١٢٦) Ashtor, History of the Jews, I, p. 248.

مدينة دمياط هى من ثغور مصر القديمة واقعة على الشاطىء الشرقى لفرع النيل الشرقى المعروف بفرع دمياط وبينها وبين مصب هذا الفرع فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كم وهى من المحافظات القديمة التى يتولى ادارتها محافظ باعتبار أنها من الثغور ، أنشئت عام ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م . محمد رمزى القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٨ .

(١٢٧) Mann, the Jews in Egypt, II, p. 69.

(١٢٨) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ؛ ابن الجيعان ، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، الناشر مكتبة الكتب الأزهرية ، ١٩٧٤ م ، ص ٦٢ ؛

David (A.), Jewish Life in Egypt, p. 17.

وفى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عاش فى دمياط طبيب يدعى السديد الدمياطى (١٢٩) ، وكان تلميذا للطبيب الشهير علاء الدين بن النفيس الذى توفى عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م بعد أن تلقى منه السديد أساسيات الطب ، وقد حقق السديد الدمياطى نجاحا كبيرا فى الطب ، حتى قال عنه أهل دمياط انه ليس له مثيل فى هذا القرن ، لذا اختاره السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليكون طبيبه الخاص ، ويفهم من المصادر العربية أن السديد هذا كان على دراية ببعض العلوم الأخرى غير الطب مثل الحساب والفيزياء ، كما كان على علاقة طيبة مع المثقفين المسلمين فى تلك الآونة ، ومن بينهم المؤرخ المشهور صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى الذى توفى عام ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م (١٣٠) .

وكانت دمياط فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى احدى المدن التى وجد بها تجمع سكانى يهودى ، فقد أشار أحد اليهود ويدعى « داود هرنوبانى » زار دمياط بعد الفتح العثمانى فى سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م بأنه نزل ضيفا فى منزل يهودى يدعى رابى مردخاى (١٣١) .

كما أكد هذه الحقيقة أحد اليهود الربانيين من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فذكر أن اليهود كانوا يسكنون مدينة دمياط بأعداد كبيرة بسبب موقعها الجغرافى القريب من البحر وبالتالى كانت السفن التجارية تصل اليها مما أعطى اليهود

---

(١٢٩) انظر الفصل الثانى من الباب الأول .

(١٣٠) ابن أيبك الصفدى ، الوافى بالوفيات ، اسطنبول ١٩٤٩ م ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(١٣١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 423.

فرصة للبيع والشراء من خلال البضائع التى كانت ترد على متن هذه السفن (١٣٢) .

وتعد مدينة سنباط (١٣٣) احدى القرى الواقعة بالقرب من فرع النيل بدمياط ، واحدة من المدن التى سكنها اليهود أيضا (١٣٤) .

وسكن اليهود فى مدينة بلبيس (١٣٥) أيضا وكانت تقع على طريق القوافل التجارية بين مصر والشام وأصبحت فى العصر

(١٣٢) دافيد بن زمره ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(١٣٣) تعتبر مدينة سنباط من المدن الصغيرة شمال غرب منية اثنا وتقع على الجانب الشمالى لفرع دمياط ، وقد ذكرها أشتور بأنها مركز تجارى غنى ، وقد سكنتها طوائف اليهود طوال العصور الوسطى ، انظر :

Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 34.

وردت فى القاموس الجغرافى بأنها من القرى القديمة ، يزرع بها الكتان وفيها سوق عامرة وتجارات وأرباح وأموال ممدودة ونعم ، محمد رمزى . القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٥٨ .

(١٣٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 250.

(١٣٥) وردت بلبيس باسم بلبيس فى كتاب المسالك لابن خرداذبة ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر الى الرملة بفلسطين وذكر أنه بينها وبين الفسطاط ٢٤ ميلا ، انظر ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٠ ، ٢٢٠ ؛ ووردت أيضا فى المسالك لابن حوقل ضمن مدن مصر ، انظر ابن حوقل المسالك والممالك ، ليدن ١٨٧٣ م ، ص ٢٠٢ ؛ كما جاءت فى أحسن التقاسيم للمقدسى بأنها قصبة الحوف كثيرة القرى والمزارع ، انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبعة ليدن ١٨٧٧ م ، ص ١٩٥ ؛ وفى صبح الأعشى للقلقشندى أنها مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى محطة رحال الدرب الشامى ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ ، وأشار ابن دقماق فى كتابه الانتصار ، أنها مدينة بها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين وبها نخيل كثير ويمر بها نهر من النيل فى أيام زيادته ، انظر ابن دقماق الانتصار ،

المملوكى من المدن التجارية الكبرى فى مصر ، وضمت عددا من الأسواق الكبرى والبساتين (١٣٦) ، وقد سكنتها فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى طائفة يهودية ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على عدة خطابات كتبت بأيدى بعض يهود هذه المدينة (١٣٧) .

كما ذكر المؤرخ اليهودى يوسف بن اسحق السمبرى أن معظم يهود بلبيس قد أسلموا فى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م وأن المعبد اليهودى فى هذه المدينة تحول الى مسجد ،وأشار أيضا الى أنه رأى فى أحد مساجد بلبيس بعض الكتابات العبرية مما يدل على أن هذا المسجد كان فى الأصل معبداً يهودياً ، وكان اليهود يطلقون على هذه المدينة « جوشان مولبا » (١٣٨) وهو الاسم نفسه الذى عرفت به عند العرب « جوشان » (١٣٩) .

ج ٤ ، ص ٥١ ؛ وذكر المقريزى فى خططه أنها سميت فى التوراة أرض جاشان وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم ، وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى أيام العرب ثم قاعدة الاعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية الى آخر عهد الحكم الجركسى ثم قاعدة ولاية الشرقية الى عام ١٨٣٢ م ، وفى عام ١٨٧١ م سمى مركز بلبيس ، انظر المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ؛ محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ١ ق (٢) ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ؛ مساحتها ١٨٥٠ فدان عبرتها ١٢٠٠٠ دينار ، كانت لمماليك الحلقة ، والآن باسمهم وأملاك وأوقاف ، انظر ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ١٤ .

David, Jewish Life in Egypt, p. 17.

(١٣٦) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ٥١ .

(١٣٧) Ashtor, The Jews and the Mediterranean, p. 23.

(١٣٨) Ashtor, History of the Jews, I, p. 249.

(١٣٩) المقريزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

وهناك كذلك قرية بنها العسل (١٤٠) التى تقع على فرع دمياط وتبعد حوالى ٤٥ كجم شمال القاهرة ، وقد وجد بها بعض طوائف اليهود فى عصر دولة المماليك البحرية ، فقد عثر على وثيقة كتبت فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى تشير الى اسم أحد اليهود ممن سكنوا هذه القرية ، ولدينا أيضا وثيقة طلاق كتبت فى الفسطاط عام ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م باسم ست الدار بنت اسحق احدى سكان قرية بنها العسل (١٤١) .

ويبدو أن بعض طوائف اليهود اقاموا أيضا فى كل من دموه وجوجر وسمنود (١٤٢) ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على خطاب أرسله موسى بن ميمون الى هذه الطوائف بشأن فدية الأسرى (١٤٣) ، مما يؤكد سكنى بعض طوائف اليهود بها .

---

(١٤٠) بهارزق ، كانت باسم الأمير سيدى ابى بكر بن الاشرف شعبان والآن باسم أمير المؤمنين ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٢٥ .

(١٤١) Ashtor, History of the Jews, I, p. 249.

(١٤٢) تعتبر سمنود من القرى القديمة ، وردت فى قوانين الدواوين من أعمال المرتاحية ، انظر ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ١٤٨ ؛ وسمنود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة فى الآخر ، وهى مدينة صغيرة من الاعمال الغربية ، كان لها عمل مستقر فى اول الأمر ثم اضيفت الى عمل الغربية ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ ؛ ابن دقماق الانتصار ، ج ٤ ، ٩١ ؛ وقد وردت فى التحفة السنية لابن الجيعان بأن مساحتها ٤٥٦٥ فدانا بها رزق ٦٧ فدانا عبرتها ٢١٠٠٠ دينار كانت باسم الأمير تيبغا الأشرفى والآن للديوان المفرد ، ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٨٠ ؛ وهى مدينة حسنة كثيرة الداخل والخارج عامرة آهلة وبها مرافق وأسعار رخيصة ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق (٢) ص ٧٢ ، ٧٤ .

(١٤٣) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 317.

وتعد مدينة قوص واحدة من المدن المصرية التى سكنها اليهود منذ العصر الفاطمى (١٤٤) ، وكانت قوص تعد من مدن الصعيد الكبرى ، كما كانت احدى المحطات التجارية المهمـــة بالنسـبة للتجارة الهندية (١٤٥) .

أما فيما يتعلق بتنظيم الطوائف اليهودية فى مصر فقد غلب على معظم شئون الطوائف الطابع الدينى ، لذا كان حكماء التوراة هم أصحاب المشورة ، يشاركهم رؤساء الطوائف ، ولا توجد اى اشارة فى مجموعة الفتاوى الخاصة بموسى بن ميمون ولا ابنـه ابراهام ، عن الاجتماعات العامة التى تنظمها الطوائف (أى اجتماع

---

(١٤٤) تعتبر قوص أعظم مدن الصعيد وتقع على النيل . انظر المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٦ ؛ وقوص مركز اسلامى فى صعيد مصر ، ويحدد الجغرافيون العرب موقع المدينة ما بين خط عرض ٢٥ وخط طول ٦٠ . أما عن الصناعات التى اشتهرت بها هذه المدينة وفقا لرواية الرحالة ابن بطوطة التى زارها مرتين : الأولى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م والثانية سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م فى أثناء عودته من رحلته الى الصين اذ يقول « انها غنية ليس فقط بثرواتها الروحية وانما أيضـا بمواردها الكثيرة وحدائقها وأسواقها الغنية » . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ١٩٦٠ م ، ص ٥٢ ، صـ ٢٨٢ ؛ واشار القلقشندى الى أنها مدينة جليلة ذات ديار فائقة ورباع أنيقة ومدارس وحمامات يسكنها العلماء والتجار وذووا الأموال ، وبها البساتين والحدائق المستحسنة انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ وذكر المستشرق الفرنسى كلـود كاهن نقـلا عن Garcin قائمة بالسلع المصدرة من مدينة قوص الى مدينة عدن فذكر العمائم والمناديل والملايا والفوط القوصية ، انظر :

Garcin, Un centre musulman, pp. 1-4, 228 ;

وكانت مدينة قوص ، قاعدة لاقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة الى قوص ، من عهد الدولة الفاطمية ، الى آخر ايام حكم المماليك انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ٤ ق (٢) ، ص ١٨٩ .

(١٤٥) Ashtor, History of the Jews, I, p. 250.

كبار القوم) وان كانت المراجع اليهودية قد اشارت الى اجتماعات المحكمة الشرعية والى رؤساء الطوائف ، ونجد فى هذه المراجع بعض التنويه أحيانا الى بعض تلاميذ الحكماء الذين اشتركوا فى هذه الاجتماعات وليس الى أعضاء المحكمة الشرعية (١٤٦) .

وعن الموضوعات التى كان يتم مناقشتها فى أثناء هذه الاجتماعات ، فنلاحظ أنها كانت تنحصر فى كيفية تنظيم الطوائف والعلاقات بين اليهود وغير اليهود ، وترتيبات العبادة والعادات والتقاليد الدينية المتبعة وفقا لما جاء فى الشريعة اليهودية ، وكانت نتائج تلك الاجتماعات يتم الاستقرار عليها عن طريق الاستشارات والمشاورات والمناقشات التى كانت تتم فى سرية تامة وفى حالة وجود اختلاف كان القرار النهائى يعتمد على التصويت ويؤخذ برأى الأغلبية ، وكان هدف الحكماء ونواب القضاة من تلك القرارات هو اصدار تشريعات أو قوانين صالحة لمدة ثلاثة أعوام فقط (١٤٧) .

ويستشف من وثائق الجنيزة ايضا أن القائمين على الطوائف اليهودية كانوا يختصون ببعض الموضوعات الادارية دون الحاجة الى أخذ مشورة القضاة أو الحكماء فقد جاء فى احدى هذه الوثائق التى ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى أن القائمين على تلك الطوائف كانوا يؤجرون بعض الاراضى دون الرجوع للقضاة أو الحكماء (١٤٨) .

---

(١٤٦) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 388-389.

(١٤٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 389.

(١٤٨) Mann, Texts and Studies in Jewis History and Literature, I, New York, 1972, pp. 431-432.

ويفهم مما ذكره بعض الرحالة اليهود أيضا أن القائمين على تنظيم وادارة الطوائف اليهودية كانوا من الشيوخ والوجهاء وعلية القوم ، فمثلا فى المدن الكبرى بمصر كانت تدار شئون الطوائف بواسطة مجلس لرؤساء العائلات ، وكان هؤلاء يقومون بعمل لجان مصغرة ، لاختيار من يمثل الطوائف اليهودية أمام الدولة المملوكية وكان اختيار هذا الممثل يتم بتوكيل واحد من شيوخ العائلات وبموافقة من الدولة المملوكية وبتأييد من الطوائف(١٤٩) .

ويمكن القول ان الحكم فى الطوائف كان يتركز فى أيدى رؤساء الأسر المهمة الى جانب أعضاء لجنة الاشراف على الطوائف التى كانت تضم بعض الشخصيات ذات الوضع الاقتصادى والاجتماعى المتميز من التجار أو الأثرياء أو الأطباء (١٥٠) .

ولدينا بعض الخطابات التى كتبت فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى تشتمل على معلومات عن الأطباء اليهود الذين شكلوا طبقة متميزة داخل الطوائف اليهودية وكان لهم وضع خاص ، كما جرت العادة على توريث مقاعد الشيوخ الذين توفوا لابنائهم ، اذ جاء فى أحد الأسئلة التى وجهت الى الرابى موسى بن ميمون أن رجلا ورث عن أبيه منصبه لكن بعد وفاء الوالد أرادوا عزله عن هذه الوظيفة خوفا من أن يتسبب فى الحاق الضرر بأفراد الطوائف بيد أن عم هذا الرجل سارع باعطاء المشرفين على شئون الطوائف اليهودية وعدا بعدم الخروج عن مهام الوظيفة الأمر الذى ساعد هذا الابن على الاستمرار والبقاء فى المنصب الذى ورثه عن أبيه (١٥١) .

---

(١٤٩) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

(١٥٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.

(١٥١) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

وكانت مهام هذا المنصب الذى يعد من المناصب المهمة والحساسة داخل الطوائف تنحصر فى الاشراف على صدقات الفقراء وفى بعض الأحيان كان يتم إلغاؤه وفى هذه الحالة كان يقوم بشئونه الحكماء والقضاء بانفسهم (١٥٢) .

وقد كانت الطوائف اليهودية فى مصر تقدم لأبنائها الخدمات المتنوعة مثل باقى الطوائف اليهودية فى الشام ، وقد تمثلت هذه الخدمات فى تقديم الصدقات للفقراء كل أسبوع وفى اعانة المحتاجين، وفى مساعدة عابرى السبيل ، وفى دفع الجزية عن العاجزين عن سدادها ، وافتداء الأسرى ، وتعليم الصبيان الفقراء واليتامى ، وفى المعاونة فى نفقات الزواج بالنسبة للمحتاجين ، والقيام بدفن الموتى ، ودفع رواتب الحاخامات ورؤساء الطوائف. وصيانة المعابد ، وكان كل هذا يتم من خلال مصدر الايراد الوحيد للطوائف والمتمثل فى التبرعات (١٥٣) التى كان يتم تحصيلها من عشية السبت الى عشية السبت التالى (١٥٤) ، وفى أواخر العصر المملوكى انشغلت الطوائف اليهودية عن مساعدة الفقراء (١٥٥) .

وكان كاتب الطوائف يتولى عملية التسجيل فى سجل خاص بالطوائف ، ويدون فيه كل ما يتعلق بشئون الطوائف والمصروفات وشئون البيع وتأجير الأوقاف اليهودية ، وكان يشغل فى الغالب

---

(١٥٢) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .

(١٥٣) روفائيل أهارون شمعون ، نهر مصر ، بالعبرية ، مطبعة فرج حايم ، بدون تاريخ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ؛ مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٩ ، ٥٠ ،

(١٥٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ ، ج ٣ ، ص ٥١٠ ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ .

(١٥٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.

منصب كاتب المحكمة الشرعية ، لذا كان يقوم أيضا بكتابة وثائق الزواج والطلاق وجمع الضرائب من الموردين (١٥٦) .

ويستشف من بعض الفتاوى التي ترجع الى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، أن هذا الكاتب كان يتقاضى فى مقابل كتابة وثيقة الزواج بعض الدنانير الذهبية ، أما بالنسبة لكتابة وثيقة الطلاق فكان يحصل على أكثر من ذلك ، وكان هؤلاء الكتاب يتوخون الأمانة فى كل ما يقومون به من أعمال لأنه يفهم من مجموعة الفتاوى أنه كان بامكانهم اصدار نسخ طبق الأصل من وثائق الطلاق والزواج القديمة ، وفى الطوائف اليهودية الكبرى كتلك التى كانت بالقاهرة كانت توجد وثائق طبق الأصل وكان هؤلاء الكتاب يعملون ساعات اضافية ينالون عنها أجرا اضافيا (١٥٧)

أما فيما يتعلق بالضرائب التى كان الكتاب يقومون بتحصيلها بصفتهم كتابا للمحكمة الشرعية ، فقد كانوا يقومون بنقلها الى الناجيد الذى كان بدوره يقوم بدفع أجورهم ، وكانت سجلات الطوائف تكتب فى الغالب باللغة العربية وهى اللغة الرسمية للطوائف ودواوينها (١٥٨) .

وكان الوعاظ يحتلون مكانة اجتماعية متميزة بين أفراد الطوائف لأن اليهود فيما يبدو أحبوا أفراد تلك الفئة بسبب الأغانى والمزامير التى كانوا يقومون بانشادها ، وبمرور الوقت

---

(١٥٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
(١٥٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 390.
(١٥٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

أصبح هؤلاء الوعاظ يتمتعون بمكانة متميزة ، كتلك التى كان يحظى بها الحاخامات (١٥٩) . وكان يشترط فيمن يشغل وظيفة الواعظ أن يتمتع ببضع صفات معينة أهمها الاتزان فى أفعاله ، لذا كان الواعظ الذى يقوم بأعمال تخل بواجبات وظيفته يتم عزله فورا من هذا المنصب (١٦٠) .

كما كان للطوائف اليهودية جزار شرعى « شوحيط » ومراقب على الصلاحية الشرعية للمآكل « الكشروت » يسمى الحارس الشومير (١٦١) . وقد شدد الحكماء ورؤساء الطوائف اليهودية على ضرورة الاشراف على الجزارين ، اذ يفهم من احدى وثائق الجنيزة،التى ترجع الى منتصف القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى أن بعض الجزارين كانوا لا يذبحون وفقا للشريعة اليهودية ، ومن ثم فقد أرسل رئيس الطوائف اليهودية رابى يهوشوع تحذيرا الى اليهود المقيمين فى الفسطاط يحذرهم من التعامل مع مثل هؤلاء الجزارين الذين يخالفون الشريعة اليهودية (١٦٢) .

وتكشف لنا أيضا وثيقة اخرى ترجع الى أواخر العصر المملوكى عن الوضع المالى المتدهور الذى آلت اليه الطوائف اليهودية مما اضطر المشرفين عليهاالى الاقدام على بيع بعض

---

(١٥٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٤٧٤ .

(١٦٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٩٩ .

(١٦١) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٩ .

(١٦٢) **Ashtor, History of the Jews, fragments from the Cairo Genizah, III.**

وثيقة رقم ٤٩ تحذير من رئيس الطائفة رابى يهوشوع من التعامل مع الجزارين الذين لا يذبحون طبقا للشريعة اليهودية ؛ ترجع الى منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م ، ص ٨٤ و ٨٥ وعن الوثيقة انظر الملحق رقم (٦) .

الممتلكات ومقتنيات المعبد (١٦٣) ، كما تشتمل وثيقة ثالثة على بعض المعلومات الخاصة بصندوق الهبة وكيفية سداد المصاريف والخسائر بل وكل ما يتعلق بالمعبد سنويا (١٦٤) .

وقد كانت الطوائف اليهودية تتحمل دفع الجزية للدولة المملوكية كمعونة منها للفقراء وفى بعض الأحيان كان يعفى الفقراء من دفعها على أن تقسم على أعضاء الطوائف القادرين ، وفى أحيان أخرى كانت تجمع تبرعات القادرين فى صناديق خاصة ثم يتم دفعها مباشرة للدولة (١٦٥) .

وكان لدى الطوائف اليهودية مصادر مالية أخرى مثل أموال الأوقاف التى كانوا يؤجرونها ، غير أن الأموال المتحصلة من هذه الأوقاف كانت قليلة بسبب أن المسئولين كانوا يتهاونون أحيانا فى تحصيل ايجار الأوقاف ، كما كانت قيمة الايجار فى بعض الأحيان لا تذكر فقد كشفت لنا احدى الوثائق غير المؤرخة عن المصاعب التى كانت تواجه طوائف القاهرة فى تحصيل ايجار هذه الأوقاف مما اضطر الطوائف فى نهاية الأمر الى عمل توكيل لجمع الايجارات المتأخرة الى أحد الأشخاص الذين كانت الطائفة مدينة له ببعض الأموال (١٦٦) . وهذا يعنى أن نقص الموارد المالية للطوائف اليهودية كان يدفعها أحيانا الى تأجير أوقافها للاستفادة من عائدها المادى .

---

(١٦٣) Mann, Texts and Studies, I, p. 434.

(١٦٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 393.

(١٦٥) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٦ ، ص ٤٩٨ .

(١٦٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٧٣٨ .

اما عن أعداد اليهود فى بصر زمن سلاطين المماليك فقد عكست لنا أقوال الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى حقيقة هذه الأعداد التى يبدو أنها انخفضت ابان هذه الفترة ، فقد ذكر الرحالة اليهودى ميشولام الذى زار مصر فى سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م ، انه وجد بالقاهرة حوالى ثمانمائة أسرة يهودية ، وحوالى خمسين اسرة من السامرة (١٦٧) ، فى الوقت الذى أشار فيه الرحالة عوبديا الذى زار مصر سنة ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م الى أن عدد اليهود فى القاهرة كان يقدر بحوالى سبعمائة اسرة يهودية ، منها حوالى مائة وخمسين اسرة من اليهود القرائين ، وخمسين اسرة من السامرة ، والباقى من اليهود الربانيين (١٦٨) .

أما الرحالة Jean Thenaud الذى زار مصر فى عام ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، فقد قدر عدد اليهود فيها بعشرة آلاف يهودى لهم حاراتهم ومعابدهم واسواقهم (١٦٩) .

ويبدو أيضا أن باقى الطوائف اليهودية التى عاشت فى بعض المدن المصرية كانت ذات أعداد صغيرة ، اذ يذكر الرحالة ميشولام انه شاهد فى أثناء زيارته للاسكندرية حوالى ستين اسرة يهودية معظمهم من الربانيين ، مع انه كان بها فى الماضى ما يقرب من أربعة آلاف يهودى من اصحاب المنازل (١٧٠) ، أما الرحالة

---

(١٦٧) Adler, Jewish Travellers, p. 171.

(١٦٨) Adler, Jewish Travellers, p. 225.

(١٦٩) Schefer. Le voyage d'outremer de Jean Thenoud, Paris, 1864, p. 51.

(١٧٠) انظر : Adler, Jewish Travellers, p. 161.

عوبديا فقد قدر عدد يهود هذه المدينة بحوالى خمسة وعشرين أسرة يهودية فقط ، لم يطرأ على مهنهم أى تغيير (١٧١) .

وقد بلغت طوائف يهود بلبيس طبقاً لما رواه الرحالة ميشولام حوالى خمسين أسرة كان من بينهم اثنان من أعيان الطوائف اليهودية فى هذه المدينة هما ملمد هاكومين ونجله داود (١٧٢) .

أما الرحالة اليهودى عوبديا فقد قدر عدد اليهود بها ما يقرب من ثلاثين أسرة (١٧٣) ، وعن عدد يهود مدينة الخانكة (١٧٤) روى الرحالة ميشولام أنهم كانوا يقدرون بحوالى عشرين أسرة (١٧٥) . وهذا يدل على أن أعداد اليهود أخذت فى التدهور والتناقص فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ويمكن ارجاع ذلك الى التدهور العام الذى أصاب

---

(١٧١) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(١٧٢) Adler, Jewish Travellers, pp. 175-176.

(١٧٣) Adler, Jewish Travellers, p. 222.

(١٧٤) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خانقاه سرياقوس أنه فى سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٤م أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون خانقاه أى دارا للصوفية يقيمون فيها لعبادة الله بصحراء سرياقوس وبنى بجوار الخانقاه مسجداً وحماما وعمر قصورا وبيوتا جليلة وتمت هذه العمارة فى سنة ٧٢٥ هـ ١٣٢٦م . وقد أقبل الناس على البناء والسكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، ثم قال المقريزي وتزايدت فى العمارة والسكان حتى أنشىء فيها عدة حمامات غير حمام الخانقاه وهى بلدة عامرة الى اليوم ، وقد بقيت هذه البلدة تابعة الى ناحية سرياقوس وفى سنة ٩٣٣ هـ/١٥٢٦م فصلت سرياقوس بزمام خاص بها وبذلك أصبحت قائمة بذاتها ويقال لها الخانقاه أو الخانكاه السرياقوسية انظر محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ج ١ ق (٢) ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١٧٥) Adler, Jewish Travellers, p. 175.

البلاد المصرية بعامة ، هذا ويرجع احد الباحثين المحدثين اسباب تناقص أعداد اليهود فى مدينة الاسكندرية الى التدهور الاقتصادى والسياسى خصوصا بعد هجوم ملك قبرص الصليبى بطرس لوزجنان عليها وتخريبها فى زمن السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م ، وهناك عوامل أخرى أدت الى نقصان أعداد اليهود فى مصر كلها مثل الهجرة الى الخارج ، والعدد المحدود للأسرة اليهودية ، واعتناق أعداد كبيرة من اليهود للدين الاسلامى ، فضلا عن المجاعات والأوبئة التى قضت أيضا على عدد منهم (١٧٦) .

أما الحجاج النصارى الذين زاروا القاهرة فى العصر المملوكى فقد ذكروا أن عدد اليهود بها كان أقل من عدد النصارى (١٧٧) .

هذا وقد أمدتنا بعض المراجع العبرية التى ترجع الى نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بأسماء بعض الشخصيات اليهودية من أعيان الطوائف فى مدينة القاهرة مثل رابى يهوشع اللحمر ، ورابى صدقاين عوفرى ورابى سليمان النيثى ، ورابى يعقوب دفرو (١٧٨) .

كما نقرأ أيضا فى احدى الوثائق التى ترجع الى عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م اسم سيدة ثرية تدعى عزيزة باليمازر أرملة

---

(١٧٦) قاسم عبده ، اليهود فى مصر ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(١٧٧) Malcolm, The Pilgrimage of the Arnold, pp. 112-113.

(١٧٨) Adler, Jewish Travellers, p. 173.

المدعو رابى يوسف ياديع ، وتتحدث هذه الوثيقة عن قيام هذه السيدة بتوزيع ثروتها من خلال وصية لها على اثنين من بناتهما وهن « ست » و « ملاح » وقد تم تحرير الوصية في حضور كل من زوج الابنة شموئيل وشقيقها موسى بن اليعازر ، بالاضافة الى شاهدين يهوديين هما مائير بردافيد ويوسف هليفى براهارون (١٧٩) .

---

(١٧٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 420.

الزعامة الدينية والقضاء اليهودى

فى عصر سلاطين المماليك

كان القضاء الاسلامى يقوم على أساس الشريعة الاسلامية ، اما أهل الذمة فكان لهم قضاؤهم الخاص ، الا اذا احتكموا الى القاضي المسلم (١) . وجرت العادة ان تعرض القضايا التى تقع بين المسلمين والذميين على قضاة المسلمين ، وكان هؤلاء يحكمون فيها وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية (٢) ، سواء أكانت الخصومة بين ذميين أم بين بعض هؤلاء وهؤلاء لقوله تعالى « ... وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٤ ؛ محمد سلام مدكور ، القضاء فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٢٦ ؛ أحمد عبد الرازق ، تاريخ وآثار مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ٢٨ ؛

(٢) الكندى ، كتاب الولاه ، ص ٢٥١ ، ٣٩٠ .

ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » (٣) . الى غير ذلك من الآيات التى تفيد كلها وجوب الحكم بما أنزل الله .

أما فيما يتعلق بالقضايا التى كانت تقع بين أهل الذمة فيما بينهم ، فقد أجاز الفقهاء تقليد أحدهم للنظر فيها (٤) .

وقد منحت الدولة المملوكية كافة الحقوق لليهود بتطبيق قوانينهم الخاصة فى مختلف أوجه الحياة ، ولم تكن هناك حاجة لتدخل الدولة المملوكية فى خلافات هذه الطوائف مادام أنهم لم يخلوا بالنظام العام أو لم يقترفوا جرائم جنائية ، وساد اتجاه بين فقهاء المسلمين بعدم التدخل فى خلافات أهل الذمة والسماح بتعيين قضاة لليهود يفصلون فى منازعاتهم بصفة خاصة ، وان كانت أحكامهم غير ملزمة (٥) .

والقضاء بين اليهود كان أمرا يخص القاضى الذى اختاروه من بينهم ولم يكن ذلك من اختصاص القضاة المسلمين ، فاذا ما اتجه أصحاب الخصومة الى قاضى مسلم فكان له الاختيار فى الحكم بينهم أو رفض ذلك ، ويذكر السبكى أن هذا الرأى يمثل المذهب المالكى والشافعى (٦) .

---

(٣) قرآن كريم ، سورة المائدة آية رقم ٤٩

(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٠٦ .

(٥) Ashtor, History of the Jews, II, p: 237.

(٦) السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط (١) ١٩٠٦ م ، ج ٤ ، ص ٤٧ ؛ عبد الخالق حسين محمد ، النظم القضائية بمصر فى عهد سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٨١ م ص ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

ولكن قبل أن نتطرق الى تفاصيل القضاء اليهودي ينبغي أن نشير الى أنه كان يوجد على رأس هذا النظام شخص يدعى الناجيد (٧) ، وقد أشارت اليه المصادر العربية باعتباره رئيس اليهود ، وكانت واجباته وحقوقه تماثل واجبات رئيس طوائف اليهود فى بابل ورئيس النصارى الكاثوليك ، والناجيد هذا كان مسئولا عن كل اليهود بمختلف طوائفهم « الربانيين والقرائيين والسامرة » وجرت العادة أن تمنح هذه الوظيفة للربانيين فقط ، ومن ثم فقد ألزمت الدولة المملوكية الناجيد بمهمة تعيين أحد المرموقين لرئاسة القرائيين فضلا عن تعيين رئيس لطائفة السامرة (٨) .

---

(٧) الناجيد كلمة عبرية بمعنى الزعيم والأمير وكانت تطلق على رؤساء اليهود فى مصر والاندلس ، وهى بمكانة البطريرك لدى الاقباط ، وكان يقابلها لفظ (رأس الجالوت) التى كانت تطلق على رؤساء العراق بالعراق انظر ، بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين ، ص ١٧٢ ، هامش ٥ ؛ نشأت هذه الوظيفة فى الأندلس ثم انتقلت الى مصر منذ العصر الفاطمى ، وكان من أبرز اختصاصاته الاشراف على النشاط الدينى وشئون الزواج والطلاق ، وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى بما فى ذلك تصرفاتهم ازاء المسلمين ومن حقه تعيين أو اقالة الخطباء الدينيين والجزارين . وتحديد صلاحيات القضاه ، واستمرت هده الوظيفة طوال العصرين الفاطمى والأيوبى ومنه انتقلت الى العصر المملوكى ، انظر ،

Mann, Second Supplement to The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, HUCA III, 1926, p. 303 ; Encyclopaedia Judaica, art, NAGID, pp. 758-760.

مارك كوهن ؛ المجتمع اليهودى ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٨) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ١٤٧ ؛ العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٤٤ ؛ المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ، ص ٧٢١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤١ ؛ انظر الملحق رقم (٧) ورقم (٨) .

Bosworth, Christian and Jewish, p. 210 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 240 ; Cottheil, An Eleventh-Century, p. 528 ; Clerget, Le Caire, p. 217 ; Adler, Jewish Travellers, p. 229, Encyclopaedie Judaica, art NAGID, p. 761.

وقد امدنا المستشرق آشتور فى كتابه عن تاريخ اليهود بثبت باسماء من تولى وظيفة الناجيد من سبط داود ، واشار ايضا الى أن منصب الناجيد قد شغله هؤلاء حتى نهاية العصر المملوكى ، ولم يشذ عن ذلك فى مصر سوى شموئيل بن حنانية الذى لم يكن من سبط داود (٩) .

ويفهم من الوثائق المعاصرة الخاصة بمستخدمى دولة سلاطين المماليك (١٠) ، ان من ابرز اختصاصات الناجيد الأشراف على النشاط الدينى لمختلف الطوائف التابعة له على قدم المساواة رغم أنه كان ربانيا (١١) ، كما أن دولة المماليك اعترفت بالناجيد كرئيس للقضاء اليهودى . وقد امدتنا المصادر العربية والمراجع اليهودية بمعلومات عن اختصاصاته القضائية وصلاحياته فى اصدار الأحكام وفض المنازعات والخلافات بين اليهود ، والقضاء فى المسائل الخاصة بالزواج والطلاق ، كما يستشف من المصادر التاريخية أن الناجيد اخذ على عاتقه الزام اليهود بتطبيق بعض الشروط العمرية ، مثل ضرورة اخلائهم منتصف الطريق امام المسلمين (١٢) .

---

(٩) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 240.

وان كان لم يمدنا بتاريخ تولى هذا الناجيد .

(١٠) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٥ ؛ ابن الفرات تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ١٨ ؛

Gottheil, An Eleventh-Century, p. 52.

(١١) سيدة اسماعيل ، مصر الاسلامية ، ص ١٠٥ .

Wiet, Le Caire, p. 217 ; Adler ; Jewish Travellers, pp. 172-229.

(١٢) العمرى ، التعريف بالمصطلح ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٥ ؛ ٣٨٦ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٤١ ؛

Ashtor, History of the Jews, II, p. 240 ; Encyclopaedia Judaica, art NAGID, p. 761.

وكان من مهام الناجيد أيضا القاء الوعظ الوارد عن الرابى دافيد حفيد موسى بن ميمون فى كتاب المواعظ ، ولم ير يهود مصر فى ذلك أية غضاضة ذلك لأن « الناجيديم » لم يبتعدوا عن اليهود ولم يعزلوا أنفسهم فى أبراج عاجية ، كما فعل رؤساء الطوائف اليهودية فى بابل ، فقد كانوا منخرطين فى حياة الطوائف اليهودية فى مصر وكانت دورهم مفتوحة دائما أمام اليهود ليس فى مصر بل أمام اليهود الوافدين من أماكن أخرى ، وكان يعاون الناجيد فى أعماله نائب (١٣) .

وقد أمدنا القلقشندى بمرسومين لتعيين أحد اليهود فى وظيفة الناجيد ، أولهما يرجع الى عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م أى فى العصر الأيوبى ؛ والآخر من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى (١٤) ، ويتألف كل مرسوم منهما من قسمين شأن بقية المراسيم الأخرى التى كان يصدرها سلاطين المماليك لتعيين أحد الولاة أو الحكام ويتضمن القسم الأول العلاقة بين الدولة المملوكية واليهود ، أما القسم الثانى فيتناول تحديد وظائف الناجيد واختصاصاته مع بعض التعليمات الأخرى ، بالاضافة الى ديباجة تمهيدية تتضمن بعض المديح والتفخيم ، وكان المرسوم يسلم الى الناجيد فى يده فى احتفال رسمى (١٥) .

---

(١٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 244 ;
يوسف هقير ، منصب الناجيد فى شمال افريقيا فى نهاية القرن ٩ هـ /١٥ م ، مجلة صهيون بالعبرية ، م ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

(١٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٧٤ ؛ ج ١١ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ ج ١٢ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(١٥) Bosworth, Christian and Jewish, p. 211 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 240.

وكان يتم انتخاب الناجيد فى مدينة القاهرة فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى بواسطة اليهود ومن بينهم ، وبعد عملية الانتخاب كان السلطان المملوكى القائم فى دست السلطنة يقوم باصدار مرسوم بذلك حتى يضفي الشرعية على هذا الانتخاب، كما كان الحال بالنسبة لتعيين رؤساء الطوائف الدينية فى مصر (١٦) .

وقد أكد آشتور هذه الحقيقة عند اشارته الى اقالة أحد الناجيدين بقوله : فاجتمع اليهود وعينوا عليهم ناجيدا (١٧) .

وجرت العادة أيضا ابان هذا العصر أن يخلف الناجيد ابنه الذى كان أشبه بولى العهد ، وكان من الطبيعى أيضا أن يفضل الناجيد ابنه البكر ، بل حدث أحيانا أن تولى أبناء الناجيد مهام هذه الوظيفة فى حياة آبائهم (١٨) .

وكان الناجيد ينعت ببعض الألقاب مثل « تاج وزينة الوزراء » (١٩) ، لأن الناجيد كان يدعى أحيانا « بوزير

---

(١٦) ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور ، ص ٢١٦ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ص ٣٨٥ ، وعن مرسوم تعيين الناجيد ، انظر ابن الفرات ، م ٨ ، ص ١٨ .

Gottheil, An Eleventh-Century, pp. 530-532.

(١٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 242.

(١٨) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 200 ; Ashtor, Hisliry of the Jews, II, p. 243.

(١٩) التاج الأكليل الذى يوضع على الرأس ، واضيف هذا اللفظ الى كثير من الألقاب ؛ ويرمز اللقب الى أن اللقب أعلى الطائفة التى ينتمى اليها وزينتها ومن هذه الألقاب المركبة « تاج الأئمة » و « تاج الرؤساء » و « تاج الوزراء » ، انظر حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٢ ؛ أما لقب وزير الوزراء فمن المعروف أن لقب الوزير كان من

الوزراء » (٢٠) ، وحدث فى بعض الأحيان أن عهد بمنصب الناجيد الى احد اطباء اليهود المقربين من رجال البلاط ومن سلاطين المماليك مما يعد خروجا على مبدأ التعيين فى هذه الوظيفة عن طريق وراثة المنصب ، وتمدنا احدى وثائق الجنيزة ببعض التفاصيل الخاصة بتعيين أحد الناجيدين ومن الطريف أن كاتب الوثيقة نفسه كان ناجيدا ابن ناجيد ، وهو يشير فى هذه الوثيقة الى كيفية اختياره لتولى مهام هذه الوظيفة ، وروى أنه قد تم انتخابه عقب وفاة والده ، وأن تعيينه جاء من قبل رئيس المدرسة الدينية فى فلسطين ، ثم صدر مرسوم سلطانى لاضفاء صفة الشرعية على توليه هذا المنصب (٢١) .

ويبدو أنه كان يصحب صدور المرسوم السلطانى بتعيين ناجيد بعض الرسوم الأخرى كالاحتفال بمن يقع عليه الاختيار لتولى هذا المنصب ، فقد حرص سلاطين المماليك على تكريم الناجيد بالصورة نفسها التى كانوا يكرمون بها الوزراء بعد تعيينهم فى منصب الوزارة (٢٢) .

وطبقا للتقاليد المرعية فى الدولة المملوكية كان المعين فى منصب رسمى يخلع عليه بخلعه تتناسب مع مكانة الوظيفة التى

القاب الوظائف وكان يرد ضمن القاب الوزراء من العسكريين والمدنيين على السواء ، وكان يأتى فى سلسلة الألقاب ليدل على الوضع الخاص بالشخص ، وقد دخل لفظ « الوزير » فى تكوين بعض الألقاب المركبة ، مثل « وزير آل محمد » و « وزير خير المرسلين » و « وزير الوزراء الذى كان من القاب علي بن جعفر فلاح سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م انظر حسن الباشا ، الألقاب الاسلامية ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

(٢٠) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 254.

(٢١) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 253.

(٢٢) يوسف هقير ، منصب الناجيد ، ص ١٢٤ ؛
Ashtor, History of the Jews, II, p. 253.

تولاها كنوع من التكريم له ، ويفهم من بعض المرجع اليهودية أن الناجيد كان يحظى أيضاً بخلعه عند شغله لهذا المنصب (٢٣) .

وكان اليهود يكنون للناجيد احتراماً شديداً إذ كان يشبه من وجهة نظرهم رئيس كل طائفة « روش هجولاى » وهـو أعلى منصب دينى بالنسبة للطوائف اليهودية ، وكان الناجيد يليه فى المرتبة ومن ثم يطلق عليه « ناجيد هجولاى » (٢٤) .

وقد روى بعض الرحالة الذين وفدوا الى مصر من ايطاليا فى العصر المملوكى أن الناجيد قابلهم بترحاب شديد ، وقدم لهم كل المساعدات المطلوبة ، رغم أن المراسيم الخاصة بتعيين الناجيد قد جاءت غفلا من الاشارة الى قيامه باستقبال اليهود الوافدين الى مصر ، ويفهم أيضا من أحد المراجع العبرية أنه من ضمن أعباء الناجيد تمثيل اليهود أمام السلطان وأمراء المماليك (٢٥) .

كما كانت الدولة المملوكية تلجأ الى الاستعانة بالناجيد كلما ساء وضعها الاقتصادى ، وذلك عن طريق الزامه بسداد مبلغ محدد لها كما حدث فى سنوات ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م ، ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م (٢٦) .

---

(٢٣) Encyclopaedia Judaica, art NAGID, p. 761.

(٢٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 243-244.

(٢٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 244.

(٢٦) المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ، ق (٢) ، ص ٦٧٥ ؛ ج ٤ ، ق (١) ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٩ ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ؛ ابن أياس ، بدائع الزهور ، ط بولاق ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

وكان الناجيد فى هذا العصر يقوم أيضا بأعمال أخرى بالاضافة الى القضاء مثل صياغة القوانين التى تحكم حياة طوائف اليهود ، كما كان يقوم أحيانا بعمليات فداء الأسرى من قراصنة البحر على شواطىء مصر ، كما يستشف من بعض وثائق عصر سلاطين المماليك (٢٧) .

وكان للناجيد مقر فى القاهرة يعمل فيه مستخدمون (جاؤون) (٢٨) ، أو كما كانوا يسمون بلغة العصر المملوكى كتبة ، أهمهم جميعا المقدم (٢٩) الذى كان لوظيفته أهمية كبرى ، وكان عمله ينحصر فى الاشراف على كل ما يجرى داخل الطائفة اليهودية ، وكان يعين من قبل الناجيد ويعد مسئولا أمامه (٣٠) .

وكانت مهام المقدم تختلف تبعا لمؤهلاته ومواهبه ، فقد استطاع المقدم أن يتولى القضاء أحيانا ، وأن يبت فى أحكام الدين

(٢٧) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 232, II, pp. 364-365.

(٢٨) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

وقد ذكر Clerget فى كتابه Le Caire أن الجاؤون مهمته دينية الى جانب الاشراف على الأسواق ، انظر : Clerget, Le Caire, p. 217 ;

وان كان عبد الوهاب المسيرى قد ذكر فى موسوعته أن الجاؤون Gaon وجمعها بالعبرية « جاؤونيم » تعنى « نيافة » أو « سمو » وكانت تستخدم للاشارة الى رؤساء وقادة الأقلية اليهودية فى بابل من القرن السادس حتى القرن الحادى عشر الميلادى ، انظر المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ١٤٩ .

(٢٩) لفظة « مقدم » تعنى من يقف فى المقدمة ، وفى وثائق الجنيزة تدل على مهام كثيرة ومتنوعة مثل امامة الصلاة فى الكنيس ، كما تعنى كبير الحزانين ، وكبير الأطباء ، وفى حوالى عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م نجد لفظة المقدم استخدمت للدلالة على المسئول عن ادارة شئون الطائفة المحلية ، انظر مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٢ .

(٣٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 245.

ويشرف على السلوك العام داخل الطائفة ، ويعلم الصغار والكبار ، وكان يستمد سلطته كما نوهنا من قبل من الناجيد فى مصر (٣١) .

ويستشف من خطاب للناجيد شموئيل بن حنانيا تضمن بعض المعلومات عن المقدم ونواب القضاة اليهود (٣٢) ، أن المقدم كان يصدق على ما يصدره القضاة من أحكام (٣٣) .

ويفهم من وثائق القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى أن الناجيد كان يتقاضى راتبه من سلاطين الأيوبيين (٣٤) ، أما فى العصر المملوكى فقد تبدل الحال وصار الناجيد يحصل على راتبه من أبناء طائفته ، فقد جاء فى احدى وثائق القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن الناجيد كان يقوم بتحصيل بعض الضرائب فى مقابل إعداده لعقود الزواج والطلاق لبعض أبناء الطائفة ، وانه كان يقوم بدفع أجور الكتبة ثم يحتفظ بالباقى لنفسه ، وليس من المستبعد أنه كان للناجيد مصادر دخل أخرى الى جانب ما كان يحصل عليه من أبناء الطوائف (٣٥) .

ويفهم من وثائق هذا العصر أن الناجيد كان يكافأ بتعويض عما بذله من جهد فى بحث القضايا بين المتقاضين اليهود من عائد

---

(٣١) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٣ .

(٣٢) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 287.

(٣٣) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 38.

(٣٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 245 ; Mann, The Jews in Egypt, I, p. 38.

(٣٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 246 ; Encyclopaedia Judaica, art. NAGID, pp. 761-762.

الخدمات القضائية ولو أن ذلك كان يتعارض مع تقاليد المشنا التى تمنع تحصيل أية أموال من المتقاضين اليهود (٣٦) .

ويفهم من وثائق الجنيزة أيضا أن الناجيد المعزول من وظيفته كان فى امكانه العودة الى منصبه مرة ثانية عن طريق الوساطة والصلات القوية ببلاط السلطان ، فقد حدث فى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م أن عزل الرابى داود الناجيد عن منصبه ، فذهب الى فلسطين وبعد أن استقرت الأمور اعيد مرة ثانية الى منصب الناجيد فى عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م بفضل صلاته القوية بأحد اليهود الأثرياء الذين كان بدوره على صلة وثيقة بالقاضى فخر الدين بن لقمان الذى توسط له لدى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، فاستجاب السلطان لطلب القاضى فخر الدين وأعاد الناجيد داود مرة أخرى الى وظيفته (٣٧) .

أما فيما يختص بالقضاء اليهودى الذى كان يترأسه الناجيد (٣٨) ، فتشير المراجع اليهودية الى ان احد اليهود من ايطاليا قد زار مصر فى أواخر العصر المملوكى ، وذكر أن الناجيد كان يدير شئون اليهود بمختلف طوائفهم سواء أكانوا من القرائين أو من الربانيين أو السامرة ، وكانت له الكلمة العليا فى كل ما يخص شئونهم ولا ترد له أحكام كما كان يتبعه السجن الخاص باليهود (٣٩) . وأشار يهودى إيطالى آخر مر بمصر فى طريقه

---

(٣٦) Cohen, Jews in the Mamluk, p. 443.

(٣٧) Ashtor History of the Jews, III, Fragments From the the Cairo Genizah,

وثيقة رقم ٣٦ بعنوان تقرير عن بذل مجهود فى بلاط السلطان المملوكى ، أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث الميلادى ، انظر الملحق رقم (٩) .

(٣٨) Clerget, Le Caire, p. 217.

(٣٩) Adler, Jewish Travellers, p. 229.

الى القدس للحج أن الناجيد فى مصر كان يحكم كل اليهود وأنه كان يستمد قوته وسطوته من السلطان نفسه وذكر كذلك أن الناجيد كان يتمتع بصلاحية اصدار أوامر الحبس وانزال العقوبات بالمذنبين من اليهود (٤٠) ، هذه المعلومات أكدتها أيضا بعض الوثائق التى وصلتنا من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى اذ تشير بدورها الى أن الناجيد كانت له صلاحية الحبس وانزال العقوبات مثله فى ذلك مثل « رأس الجالوت » (٤١) ، الأمر الذى يدفع الى الترجيح بأن سيطرة الناجيد على القضاء اليهودى لم تتزعزع حتى أواخر العصر المملوكى ، بل نستطيع القول ان الناجيد هو الذى أعطى قوة للأنشطة القضائية داخل الطوائف . ولدينا وثائق عديدة من الجنيزة ترجع الى العصر المملوكى تؤكد على أنها دونت تحت اشراف الناجيد نفسه مما يدل أيضاً على مدى السلطة التى كان يتمتع بها بدلا من رؤساء المدارس الدينية فى كل من فلسطين ودمشق والقاهرة (٤٢) ، ويعنى كذلك أن الناجيد قضى على نفوذهم وحل محلهم . ومن المؤكد أن سطوة الناجيد استمرت حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، يشهد بذلك العديد من الكتابات وبعض السندات وصكوك البيع وجلسات المحاكم وغيرها من الوثائق التى وصلت الى أيدينا (٤٣) .

ويفهم أيضا من كتابات هذا العصر أن الناجيد استمر طوال العصر المملوكى فى تعيين قضاة الطوائف الذين يبدو أنهم كانوا

(٤٠) Adler, Jewish Travellers, pp. 172-229 ; Encyclopadie Judaïca, art NAGID, p. 761.

(٤١) انظر المدخل ، ص (٢١) هامش (٥) .

(٤٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 248.

(٤٣) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 232.

ينتخبون من بين أفراد الطائفة نفسها ثم يقوم الناجيد بالتصديق على هذا الاختيار (٤٤) .

أما فيما يتعلق بتشكيل مجالس القضاء ، فمن المعروف إن تشكيل هذه المجالس لم يكن واحدا فى جميع الأقاليم المصرية ، فبالنسبة للطوائف ذات العدد الكبير نسبيا كانت جلسة القضاء تتألف من ثلاثة أعضاء من القضاة الخبراء ، على حين كانت بعض المجالس الأخرى تضم قاضياً خبيراً واحداً بالإضافة إلى اثنين من وجهاء اليهود ، ففى خطاب عبرى دون فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى نجد أن أحد القضاة يشكو من الصعوبات التى واجهته فى أداء وظيفته ، بسبب الخلاف الذى نشب بينه وبين قرينية الآخرين لدرجة أن المتخاصمين الماثلين أمامهم احتجوا على اختلافهم هذا بقولهم : « لن نقبل حكما منكم حتى تتفقوا فيما بينكم » (٤٥) .

وبالأضافة الى جلسات القضاء المكونة من ثلاثة أعضاء ، كان هناك ما يعرف بنظام التحكيم الذى يلجأ إليه بعض اليهود أحيانا للفصل فى بعض قضاياهم ، وقد استمرت هذه المجالس تمارس عملها حتى فى الوقت الذى انخفض فيه عدد اليهود فى المجتمع المصرى (٤٦) .

وكان فى القاهرة مجلس قضاء مركزى يشرف عليه الناجيد بنفسه على اعتبار أنه كان بمثابة قاضى القضاة ، اذ يروى الرحالة

(٤٤) Adler, Jewish Travellers, P. 172 ; Ashtor, History of the Jews, II, p. 248.

(٤٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 248 ; Mann The Jews , Egypt, II, pp. 372-373.

(٤٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 248.

اليهودى الايطالى ميشولام الذى زار مصر فى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه كان للناجيد أربعة قضاة وكاتبان (٤٧) ، وكما تتحدث المصادر العربية عن ديان اليهود (٤٨) ، الذى يصاحب الناجيد أمام قضاة المسلمين (٤٩) .

لذا يرجح أن ديان اليهود ، المشار اليه فى المصادر العربية كان فى العصر المملوكى يأتى فى المرتبة التالية (٥٠) بعد الناجيد مباشرة ، وكان مجلس القضاة الذى يراسه الناجيد بمثابة محكمة عليا تعرض عليها التظلمات والخلافات المعادية (٥١) .

وكانت وظيفة الديان الرسمية تتمثل فى الفصل فى القضايا المدنية التى كان معظمها عبارة عن خلافات مالية بين المتخصامين (٥٢) ، وقد اكدت وثائق الجنيزة القضائية ذلك

واشارت الى أن القضاة فى مصر كانوا يكرسون معظم وقتهم للنظر فى القضايا المالية التى نشأت فى الغالب عن الشراكة فى العمل ، والنظر فى الأحوال الشخصية ، والاشراف على الخدمات الاجتماعية (٥٣) ، كذلك كانت مجالس القضاء تنظر فى قضايا الأحوال الشخصية لليهود التى تتعلق بالمواريث والزواج والطلاق

---

(٤٧) أنظر : Adler, The Jewish Travellers, p. 172.

(٤٨) المقريزى ، الخطط : ج ٢ ص ٤٩٨ ، السلوك ، ج ١ ص ٩١٠ .

(٤٩) انظر الباب الأول الفصل الأول ، ص ٥٥ هامش (١) .

(٥٠) Mann, The Jews in Egypt, I, pp. 218-287.

(٥١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 250.

(٥٢) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 97 ; II, pp. 98-143-243-275.

(٥٣) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٥ .

والمعاملات الشرعية عندهم بصفة خاصة ، وكان لكل طائفة من طوائف اليهود مجالس القضاء الخاصة بها (٥٤) .

وكان الكاتب « السوفير » يعد من بين المستخدمين المساعدين فى مجالس القضاء ، وكان يقوم بدور مهم فى الإدارة اليومية لهـذه المجالس ، وقد انحصرت مهامه فى تحرير الصكوك والعقود والبراءات للخصوم ، ونسخ العقود الخاصة بالزواج والطلاق ، وتسجيل مجمل الشهادات القضائية ، وتشهد وثائق الجنيزة على مواظبة هؤلاء الكتاب وحرصهم على عملهم (٥٥) .

أما فيما يتعلق بمجالس القضاء اليهودية فى الاقاليم ، فكانت تختص بالاشراف على تنفيذ الوصايا الدينية وتعاقب كل من يخالفها ، وقد استطاعت مجالس القضاء فى الاقاليم فى معظم الأحيان أن تفرض الالتزام الدينى بين مختلف طوائف اليهود (٥٦) .

وجرت العادة أن تعقد مجالس القضاء فى المعابد ، وقد امدتنا وثائق الجنيزة بوصف هذه المجالس القضائية التى عقدت فى معبد الأورشليمين وفى معبد البابليين فى الفسطاط (٥٧) ، وفى المعبد كان يعلن ايضا عن الأحكام التى كانت تتمخض عنها المجالس القضائية بكافة أنواعها ، كما كان يعلن عن السرقات التى تحدث بغرض العثور على الجناة . وجرت العادة أن تعقد جلسات القضاء اليهودى فى مصر يوم الخميس من كل أسبوع ، وفى بعض

---

(٥٤) رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٤٧ .

(٥٥) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٦ .

(٥٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 251.

(٥٧) Mann, The Jews in Egypt, I, p. 97, II, pp. 98-143.

الأحيان كانت تعقد أيضا فى يوم الاحد طبقا للتقاليد القديمة التى تنسب الى عزرا الكاتب أحد أبناء العهد القديم (٥٨) .

وفى جميع الأحوال كانت مجالس القضاء تبدأ فى الصباح ، ويفهم أيضا من بعض الوثائق التى ترجع الى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى أنها كانت تعقد أحيانا فى المساء . وحتمت العادة بالنسبة لجلسات القضاء فى مصر ضرورة الرجوع إلى أحكام وفتاوى موسى بن ميمون ، ومن ثم لم يكن لأحد من هؤلاء القضاة حق الاستعانة او القياس بفتاوى فقهاء التوراة اذا كان فيها ما يخالف فتاوى موسى بن ميمون (٥٩) ، ومع هذا فقد وجدت بعض الاستثناءات والخروج عن مضمون فتاوى موسى بن ميمون التى نصت على سبيل المثال بأنه لا يجوز أن يسمع القضاة أقوال المتقاضين من خلال مترجم ، الا اذا كانوا على درجة اتقان معينة من اللغة المتحدث بها ، ومع ذلك فقد خالف بعض القضاة هذا النص بالنسبة لبعض الحالات التى يكون فيها الأمر متعلقا باعترافات شهود ، وأجازوا اللجوء الى مترجم لسماع الأقوال والدليل على ذلك أنه عندما سئل أحد كبار الربانيين فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى فى هذا الأمر أفتى بقوله « انه حتى ولو كان بالاشارة فيمكن للمتخاصمين أن يدلوا بأقوالهم (٦٠) . وقد اكد هذا الرأى الأئمة المسلمون بقولهم إذا كان القاضى لا يعرف لسان الخصم لاختلاف لغتهما فلا بد للقاضى ممن يترجم له عن الخصم » (٦١) .

---

(٥٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 97.

(٥٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 251.

(٦٠) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 252.

(٦١) ابو عبد الله : رحمة الامة ، ص ١٦٠ .

وكانت أحكام القضاء نهائية لذا كان المحكوم عليه يعطى مهلة حتى يتسلم الحكم كتابة ، وكانت لديه فرصة للتظلم من الحكم الصادر ضده أمام جلسة قضاء أخرى يطلق عليها رد المحكمة (كالاستئناف فى العصر الحديث) وذلك فى حالة اعتراض أحد الحاخامات المساعدين على الحكم لذا كان يطلب من هؤلاء الحاخامات أحياناً الإدلاء ببعض الفتاوى فى القضايا المنظورة أمام مجلس القضاء (٦٢) .

وكان العرف السائد فى ذلك الوقت هو عرض القضايا على الناجيد وعدم الفتاوى فيها بمعرفة فقهاء اليهود الا اذا لجأ اليهم طرفى الخصومة ، مع الأخذ فى الاعتبار بأن الحاخام قد لا يستجيب لذلك الطلب (٦٣) .

وقد عرف نظام الاستئناف بين المسلمين أنفسهم من خلال نظر المظالم الذى عرفه الفقهاء بأنه « جلب المتظلمين الى التناصف وزجر المتنازعين عن التجاحد » (٦٤) وهو يحتاج حسب قول ابن خلدون الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى ، لأن متوليه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن امضائه (٦٥) ، خاصة اذا كان الظلم من قبل ذوى الجاه والسلطان من الولاة والحكام وعمال الخراج أو كتاب الدواوين

---

(٦٢) Ashtor, Histoty of the Jews, II, pp. 252-253.

(٦٣) Ashtor, History of he Jews, II, p. 253.

(٦٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ ؛ ابو يعلى ، الأحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ٥٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٨ .

(٦٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٢ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٨ .

وغيرهم ، وهذا النوع من القضاء يشبه فى مضمونه محاكم الاستئناف فى الوقت الحالى (٦٦) .

أما فيما يتعلق بمضمون القضايا فيلاحظ أن أغلب القضايا التى كانت تعرض أمام مجالس القضاء اليهودى كانت تتعلق بنزاعات مالية ، وكان يحكم فى بعضها بالزام المدين بدفع المستحق عليه ، وكان يقضى فى البعض الآخر بالزام المدين بغرامات مالية ، وكانت تعرض على جلسات القضاء أحيانا بعض قضايا التعدى سواء أكان معنويا أو ماديا (٦٧) . هذا الى جانب قضايا الأحوال الشخصية (٦٨) .

وقد سادت فى مصر وجهة نظر فقهاء بابل التى تقول بانه لا يجوز فرض الغرامات كعقوبة على الجرائم الجنائية الا من خلال القضاة المصرح لهم بذلك ، ومن ثم يصبح من غير الجائز للقضاة خارج فلسطين فرض الغرامات المتعلقة بقضايا التعدى ، وقد أفتى موسى بن ميمون بضرورة نفى المتهم بايقاع الضرر على اقرانه أو الزامه بدفع تعويض مناسب لهم (٦٩) .

وكانت عقوبة الجلد من بين العقوبات المفروضة ايضا على المدنيين ، وكانت هذه العقوبة تفرض فى حالة المظالم التى تنتهك فيها الحدود أو قضايا الاخلال بنظام الطائفة الداخلى ، ذلك لانه كان من أهم اركان وظيفة الناجيد ونوابه هو الحفاظ على النظام الدينى داخل الطائفة ، وكان ذلك سببا فى رضى سلاطين المماليك

---

(٦٦) أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٨ .

(٦٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 253.

(٦٨) رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٤٧ .

(٦٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 254.

عن رؤساء الطوائف ، لأنهم كانوا يمارسون دورهم على أكمل وجه ، وقد نوهت مراسيم التعيين بهذا الأمر ، وكانت لعقوبة التحريم (٧٠) دور مهم فى حفظ الطابع الدينى للطائفة وفرض الطاعة والنظام على أفرادها (٧١) . وتمدنا بعض وثائق الجنيزة بالعديد من الحوادث التى فرضت فيها عقوبة التحريم ، الأمر الذى يبرهن على ازدياد عدد المخالفين الذين كانت تصدر مجالس القضاء بشأنهم أحكام التحريم ، ومن هذه المخالفات الاستيلاء على خطابات تخص آخرين (٧٢) ، أو قذف الأبرياء بما ليس فيهم (٧٣) .

وقد كان حق اللجوء الى المحاكم اليهودية عنصراً مهما من عناصر الحكم عند اليهود ، ومن ثم فقد بذل زعماء الطائفة فى مصر جهودا عظيمة للحفاظ عليه بدليل أن من كان يلجأ من اليهود الى غير هذه المحاكم كانت تفرض عليه عقوبات نجد صدى لها فى بعض الوثائق التى عثر عليها فى الجنيزة التى امدتنا بوصف لبعض هذه العقوبات التى فرضت على اليهودى الذى كان يلجأ الى المحاكم غير اليهودية (٧٤) . ونجد أيضا فى بعض صكوك البيع وفى بعض الوثائق الأخرى خاصة فى كتابات بعض القرائيين ، وفى بعض كتابات الربانيين اشارات عديدة تحتم ضرورة عدم اللجوء الى المحاكم غير اليهودية (٧٥) ، ومن المعروف أيضا أن موسى بن ميمون كان قد افتى بأن كل من يلجأ الى قضاء غير يهودى ويخضع لأحكام تخالف الشرع اليهودى يعد آثما ومارقا بتوراة موسى ، ومع هذا

---

(٧٠) لم يمدنا اشتور بمعلومات بشأن هذه العقوبة .

(٧١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 254.

(٧٢) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 170.

(٧٣) Mann, The Jews in Egypt, I, 141;

(٧٤) Ashtor, History of the Jews, I, p. 255.

(٧٥) Mann, The Jews in Egypt, II, p. 212.

فإن أحكام القضاء اليهودى لم تكن نهائية ولم يكن لها قوة التنفيذ الملزمة من جانب سلاطين دولة المماليك الذين كانوا ينظرون الى أحكام القضاء الخاصة بأهل الذمة على أنها أحكام اختيارية (٧٦) ، لاسيما وقد افتى بعض فقهاء المسلمين بإمكانه قبول القضاء الاسلامى دعاوى المتخاصمين من اليهود اذا وافق الطرفان على ذلك ، وقد استمر هذا الوضع طوال عصر سلاطين المماليك فى مصر (٧٧) .

وعلى الرغم من حظر الشريعة على اليهود اللجوء الى محاكم غير يهودية فقد عهد الكثيرون من اليهود فى مصر الى التقدم بشكاواهم الى القضاء الاسلامى ، وذلك لتنفيذ العقود التجارية ، وقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحية أنواع كثيرة من الصكوك الموقعة فى مجالس قضاء غير يهودية ، وكان قضاة المسلمين يراعون من جهتهم قضاة اليهود ، ويمتنعون عن البت فى قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأحوال الشخصية ، لذلك ليس بغريب أن تسود العدالة أحكام قضاة المسلمين ، كما كان شهود المسلمين موضع وثقتهم (٧٨) .

وقد كانت وسائل الضغط التى تسلكها طوائف اليهود لمنع أفرادها من اللجوء الى المحاكم غير اليهودية محدودة للغاية ،

---

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 256.

(٧٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ، ج ١٢ ، ص ٤٢٤ ؛ عطية مصطفى مشرفة : القضاء فى الاسلام بوجه عام وفى العهد الاسلامى بوجه خاص ، ط (١) ١٩٣٩ م ، ص ١٤٠ ؛ احمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٦ ؛ تاريخ وآثار مصر ، ص ٣٨ ؛

Anzeigen, The Governords and Judges of Egypt, or Kitab el « Umara », ZDMG, 86 Band 1914, p. 310.

(٧٨) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٧ .

وكان من أهمها فرض عقوبة التحريم ، غير أن هذه العقوبة لم يكن لها اثر ملموس فى مصر مقارنة ببعض الدول الأخرى ، وفى مصر كان لا يؤخذ فى الاعتبار أحكام الطوائف او مجالس القضاء الخاصة بهم ومن ثم فقد تعرض القضاة الذين يفرضون عقوبة التحريم لحظر شديد من قبل سلاطين المماليك ؛ الأمر الذي أفضى بدوره الى زيادة عدد حالات لجوء اليهود الى القضاء الاسلامى (٧٩) .

وهذه الحقيقة تؤكدها المعلومات الواردة فى وثائق الجنيزة التى تشير الى أن مصر كانت من أبرز الدول التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الاسلامى ، وربما كان سبب ذلك رغبة بعض هؤلاء اليهود فى الحصول من خلال القضاء الاسلامى على مكاسب لا تتيحها لهم مجالس القضاء اليهودية بقوانينها الدينية الخاصة ، وقد جاء ذلك نتيجة لبعض الاختلافات الواضحة بين التشريع الاسلامى والتشريع اليهودى ، وعلى سبيل المثال قوانين الميراث ومن ثم كانت حالات اللجوء الى القضاء الاسلامى فى قضايا الميراث هى أكثر الحالات التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الاسلامى (٨٠) .

وفيما يتعلق بموقف الفقه الاسلامى بمذاهبه الأربعة من بعض المسائل الخاصة بأهل الذمة ، كعقوبة المسلم الذى يقتل يهوديا ، اتفق الأئمة الأربعة على أن الكافر اذا قتل مسلما قتل به ، واختلفوا فيما اذا قتل مسلم ذميا أو معاهدا فقال الشافعى

(٧٩) Ashtor, History of The Jews, II, p. 256.

(٨٠) مارك كوهن ، المجتمع اليهودى ، ص ٤٧ ؛ ويروى الجاؤون « شلوموا ابن هودا » الذى عاش فى القرن ٥ هـ/١١م بأن القرائين كانوا يؤثمون الربانيين للجوئهم الى مجالس القضاء الاسلامية فى قضايا الميراث . وتؤكد وثائق الجنيزة صحة هذا الامر ، انظر : Mann, The Jews in Egypt, II, pp. 156-176.

وأحمد بن حنبل لا يقتل به وايده مالك فى ذلك ، فى الوقت الذى رأى ابو حنيفة بضرورة قتل المسلم بالذمى (٨١) ، واختلف فقهاء المسلمين أيضا بالنسبة لديه اليهودى أو النصرانى فقال أبو حنيفة ديته كدية المسلم فى العمد والخطأ سواء من غير فرق ، وقال الشافعى له ثلث دية المسلم فى العمد والخطأ من غير فرق ، أما أحمد بن حنبل فقد ذكر انه اذا كان لليهودى أو النصرانى عهد وقتله المسلم عمدا فديته كدية المسلم وان قتله خطأ فروايتان : احداهما نصف دية المسلم ، والثانية ثلث دية المسلم (٨٢) .

ويستشف من المصادر المملوكية أن القضاة على المذاهب الأربعة لم يقضوا بعقوبة الموت على مسلم قتل يهوديا أو نصرانيا وان القاضى جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطى قاضى قضاة الحنفية الذى تولى القضاء فى عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨م ثم خالف هذه القاعدة ونادى بضرورة القصاص من المسلم الذى يقتل ذميا (٨٣) .

---

(٨١) أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٢٢ ؛ الغزى ، فتح القريب المجيب على الكتاب المسمي بالتقريب للأمام احمد بن الحسين أبى الشجاع ، ط (١) القاهرة ١٣٢٢ هـ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٨٢) ابن تيمية ، مجموعة فتاوى تقى الدين بن تيمية ، ص ١٨٤ ؛ أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٢٣ ؛ الغزى ، فتح القريب ، ص ٦٥ ، ٦٦ ؛ Tritton, Non-Muslim Subject, p. 40.

(٨٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٠ ؛ السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ؛ الذهبى ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق محمد اسعد ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ج ٥ ، ص ١٣٢ ؛ ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٣ ؛ ابن العماد شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ط ١٣٥١ هـ ، ج ٧ ، ص ٤٠ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ط ١٣٥٥ هـ ، ج ١٠ ، ٣٣٥ ؛ الزركلى الأعلام ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

والواقع أن هذا الرأى السائد الذى سار عليه أغلب قضاة المذاهب الأربعة فى العصر المملوكى لم يتعارضوا مع الاتجاه الأساسى فى العلاقة بين سلاطين المماليك وأهل الذمة كما جاء فى العهد لعمرى الذى نص على ضرورة حماية أهل الذمة وحماية أملاكهم نظير حفاظهم على هذا العهد .

وقد أكدت المصادر المعاصرة بما لا يدع مجالا للشك على التزام سلاطين المماليك بهذه الحماية ، ففى عام ٧١٤ هـ / ١٣١٥م خرج أحد سكان الحسينية فى اتجاه بعض شوارع القاهرة وقام بمهاجمة أهل الذمة الذين تصادف وجودهم فى طريقه ، وكان معه سيف فاعتدى به على بعضهم وحينما قبض عليه برر فعلته بأنه يقوم بنصرة دين الله بالقصاص من أهل الذمة ، وحينما مثل بين يدى السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر بقتله (٨٤) . مما يدفع الى الاعتقاد بأن السلطان الناصر محمد كان يحاول أن يتفادى حدوث فتنة طائفية ، كما يدل ذلك أيضا على تسامح سلاطين المماليك ازاء أهل الذمة باعتبارهم من رعايا المجتمع المصرى ابان هذه الفترة .

وجرت العادة أن تطرح القضايا المثارة بين اليهود وغير اليهود أمام قضاة مسلمين ، وكان هؤلاء يحكمون فيها وفقا لأحكام الشريعة الاسلامية (٨٥) ، فقد كان مسموحا لأهل الذمة بالتقاضى أمام قضاة المسلمين كما سبق أن نوهنا ، لذلك اشترط فقهاء

---

(٨٤) مفضل بن أبى الفضائل ، تاريخ سلاطين المماليك ، ج ٣ ، ط ١٩٢٩ م ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ؛ المقريزى ، السلوك ج ٢ ق (١) ١٩٤١ م ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٨٥) الكندى ، كتاب الولاة ، ص ٣٥١ ، ٣٩٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠٦ .

المسلمين ضرورة وجود أماكن خاصة لجلوس اليهود في أثناء نظر القضايا بين المسلم والذمي ، وشدد أصحاب المذهب الحنفي على وجوب جلوس المسلم والذمي في صف واحد ، على حين رأى أصحاب المذهب الشافعي ضرورة جلوس الذمي في مكان منخفض عن المسلم (٨٦) . ويرى المستشرق الفرنسي آشتور أن بعض قضاة المسلمين كانوا يحفظون لليهود حقوقهم حينما تعرض خلافاتهم أمامهم (٨٧) .

وقد اختلف فقهاء المسلمين أيضا فيما بينهم بصدد شهادة الذمي ضد الذمي ، فالحنفية تجيزها ، أما الحنبلية فلهم فيها رأيان : أحدهما يجيزها والآخر يبطلها كما هو الحال بالنسبة لكل من الشافعية والمالكية (٨٨) ، أما فيما يتعلق بشهادة الذمي ضد المسلم فهي غير جائزة في الوقت الذي تجوز فيه شهادة المسلم ضد الذمي (٨٩) .

---

(٨٦) ابن نجيم ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ط (١) المطبعة العلمية ، بدون تاريخ ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ ؛ النووي ، منهاج الطالبين ، ص ١٣٨ ، ١٢٩ ؛ الغزي ، فتح القريب ، ص ٨١ ؛ ابن أبي الدم ، كتاب أدب القضاء وهو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، تحقيق محمد مصطفى الدخيلي ، دمشق ١٩٧٥ م ، ص ٨٨ .

(٨٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 196.

(٨٨) العبادي ، الشرح المسمى بالجوهرة النيرة لمختصر القدوري في فقه الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، ط (١) ١٣٢٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ؛ النووي ، منهاج الطالبين ، ص ١٣٩ ؛ ابراهيم بن شرف ، شرح الوقاية ، مكتبة البابي الحلبي ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٧ ؛ الغزي فتح القريب ، ص ٨٢ ، ٨٤ ؛ خليل بن اسحق ، مختصر خليل ، القاهرة ١٣٠١ هـ ، ص ٢١٨ ؛ أبو عبد الله ، رحمة الأمة ، ص ١٦٨ ؛

Amedroz (H. F.) The Office of Kadi in the Ahkam of Sultaniyya of Mawardi, JRAS, 1910, p. 778.

(٨٩) ابن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية ، ص ٥٢ .

ويفهم من المصادر المعاصرة أن سلاطين المماليك اعتادوا أن ينصفوا اليهودى اذا أكد دعواه بالقسم (٩٠) . هذا وقد أمدنا شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابة المصطلح الشريف الذى الفه فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عن وظائف الادارة فى دولة المماليك بنص كامل عن قسم اليهود أمام القاضى (٩١) .

ويفهم من فتاوى الربانيين فى مصر ابان القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن اليهود كانوا يتخوفون من المثول أمام بعض قضاة المسلمين ، وكانوا يلجئون إلى بعض القضاة لعرض قضاياهم ، فضلا عن امكانية رشوتهم لتحويل الحكم فى صالحهم (٩٢) ، مع أنه لم تصادفنا حالة رشوة واحدة فى مصادر العصر المملوكى تشير الى تناول أحد قضاة المسلمين لرشوة من أحد أهالى الذمة ، ذلك على الرغم من رشوة القضاة كانت شائعة ومنتشرة فى مصر زمن سلاطين المماليك (٩٣) .

وقد عرضت قضايا كثيرة أمام قضاة المسلمين فى عصر المماليك ، تدور حول موضوع الربا (٩٤) ، وكانت عقوبة المتهمين

---

(٩٠) Ashtor, History of the Jews II, p. 155.

(٩١) العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٥١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٢٥٣ ، ٢٦٦ ؛ وانظر الملحق رقم ١٠ ، ١١ عن قسم اليهود .

(٩٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 199.

(٩٣) عن هذا الموضوع انظر ، أحمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة فى زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٩٤) انظر الفصل الثانى من الباب الأول .

فيها السجن فى حالة عدم تسديد الديون (٩٥) ، فقد كان الربا محرما على اليهود فيما بينهم ، فى الوقت الذى أبيح اذا أقرض اليهودى ما لا لغير اليهودى (٩٦) .

وكان اذا حكم على أحد اليهود بالحبس يوضع فى السجن مع المسلمين اذا لم يكن هناك سجون خاصة باليهود ، بل كانت السجون عامة لجميع أفراد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، ويعد سجن خزانة شمائل (٩٧) وسجن المقشرة (٩٨) وسجن

(٩٥) Ashtor History of the Jews, II, p. 200.

(٩٦) وافى ، حقوق الانسان ، ص ٣٦ ؛ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٣٧ .

(٩٧) كانت هذه الخزانة تقع بجوار باب زويلة ، وقد عرفت بسجن خزانة شمائل نسبة الى الأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى عهد السلطان الكامل محمد بن العادل أيوب ، وقد عرف هذا السجن باسم سجن متولى القاهرة ، ويتبين من وصف المقريزى له ، أنه كان من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيه من حكم عليه بالاعدام أو القطع من السراق وقطاع الطرق وأصحاب الجرائم الكبيرة ، وكان السجان به يوظف عليه والى القاهرة بعض المال يحمله له كل يوم ، وبلغ ذلك فى أيام الناصر فرج بن برقوق مبلغا كبيرا الى أن تم هدمه على يد المؤيد شيخ المحمودى فى سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م وأقام مكانه مدرسة . انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ١٨٨ ؛ محمد مصطفى زيادة ، السجون فى مصر فى العصور الوسطى ، القاهرة ؛ مجلة الثقافة ، العدد ٢٦٠ لسنة ١٩٤٣ م ، ص ١٧ ؛ علاء طه رزق حسين ، السجون والعقوبات فى مصر عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الزقازيق ، كلية الاداب ١٩٩٦ م ، ص ٢٥ .

(٩٨) كان هذا السجن يقع بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمى وسمى بهذا الاسم نسبة الى دار لقشر القمح كانت فى موضعه قبل بنائه ، ومن جملته برج من أبراج السور على يمينه الخارج من باب الفتوح ، استجد بأعلاه دور لم تزل الى أن هدمت خزانة شمائل فعين هذا البرج والمقشرة لسجن أرباب الجرائم وهدمت الدور التى كانت هناك فى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥ م وعمل البرج بالمقشرة سجنا ونقل اليه أرباب الجرائم ، وكان من أشنع السجون وأضيقها

الديلم (٩٩) وسجن الرحبة (١٠٠) من أهم سجون العصر المملوكى التى كان يحبس فيها المدنيون من أفراد هذا المجتمع .

وقد روى الرحالة فليكس فابرى الذى زار مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أنه شاهد كيف يسير المحكوم عليهم بالسجن داخل أحياء القاهرة مقيدين وهم يستعطفون المارة بصوت عال طالبين الصدقة والمساعدة (١٠١).

وقد صور المقريزى مصير السجناء تصويرا يدل على أوضاعهم السيئة للغاية ، ووفقا لأقواله فقد كانوا يستخدمونهم فى الأعمال

يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف . انظر المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢١ ؛ علاء طه ، السجون والعقوبات ، ص ٢٦ ؛

Ayalon (D.), Discharges from Service Banishments and Imprisonments in Mamluk Society, SI, Leiden 1986, p. 42.

(٩٩) أورده المقريزى فى كتابه مجردا عن شرح أو وصف أو تعريف بأصله ، وكان مخصصا لأرباب الجرائم العادية ، مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢٠ .

(١٠٠) عرف سجن الرحبة بتلك التسمية نسبة الى رحبة باب العيد وبها الآن قسم الجمالية ، أقامه الأمير يوسف الاستادار وكان هذا الأمير قد أصبح منذ عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ الشخصية الكبرى فى عهد السلطان فرج بن برقوق واتسعت سلطاته ونفوذه وتعددت وظائفه فاقامَ ذلك السجن ، مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ لسنة ١٩٤٤ م ، ص ٢١ ؛ ومن المرجح أن سجن الرحبة ظل حتى نهاية العصر المملوكى الأول سجنا لأرباب الديون يشترك معه فى ذلك سجن الديلم وهو ما تشير اليه احدى الروايات الصادرة عن أحداث سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ م والتى تقول أن الأمير الكبير برقوق رسم باطلاق من فى سجن الديلم والرحبة من المديونين فأفرج عنهم جميعا واغلق باب السجن ، انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٣ ق (٢) ص ٤٦٦ ؛ علاء طه السجون والعقوبات ، ص ٣٠ ؛

(١٠١) Félix (Fabri), Voyage en Egypte, pp. 170-171 :

الشاقة كالحفر ، بل كانوا لا يقدمون لهم الطعـــام ، وفى بعض الأحيان كان حرس السجن يسلبون منهم ما جمعوه من صدقات فى الشوارع (١٠٢) .

ويفهم من احد المراجع العبرية التى ترجع الى النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أنه كان يتم ارسال الطعام الى السجناء من اليهود فى أيام العطلات الرسمية ، فقد جاء فيه أن أحد كبار الفقهاء اليهود فى مصر استفتى فيما اذا كان من الجائز ارسال طعام لليهود الموجودين فى الحبس صبـــاح السبت ، أم إذا كان عليه أن يصوم السبت خاصة أنه إذا لم يأكل صباح السبت وجب عليه الصيام مساء الجمعة أيضا لأن أبواب السجن كانت تغلق فى المساء (١٠٣) .

ولم تمدنا المصادر المعاصرة الا بمعلومات قليلة للغاية عـــن اليهود الذين كانوا يرتكبون جرائم مدنية ، لا تساعدنا على تكوين صورة واضحة عن هؤلاء السجناء ، ومع ذلك فيمكن القول بان وضعهم لم يختلف كثيرا عن وضع السجناء فى قضايا الديون ، اذ تشير المعلومات القليلة التى لدينا الى أن العقوبات المفروضـــة عليهم كانت تماثل ما يفرض على المسلمين دون أى تميز (١٠٤) .

أما فيما يتعلق بالنساء اليهوديات ، فقد كن يمثلن امـــام القضاة المسلمين ، ويفهم من فتاوى الربانيين فى القـــرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أن امرأة يهودية حكم عليهـــا

(١٠٢) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٧٩ لسنة ١٩٤٤ ، ص ١٦ .

(١٠٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 200.

(١٠٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 200-201.

بالموت ولكن تحايل اليهود على الحكم وأفلحوا فى فديتها (١٠٥) ، وقد أشارت المصادر العربية المعاصرة أيضا الى أن فداء المرأة المحكوم عليها بالاعدام كان سائدا فى العصور الوسطى ، وربما استبدل عقوبة القتل بالغرامة (١٠٦) ، هذا وقد أشار بعض مؤرخى العصر المملوكى الى سجن خاص بالنساء عرف باسم الحجرة كان يتم ايداع النساء به فى حالة الحكم عليهن ، بما فى ذلك نساء الطبقة الحاكمة (١٠٧) .

وينبغى أن نشير أيضا الى علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة من الناحية الادارية والقضائية ، اذ يشير أحد المؤرخين العرب أنه أحيانا ما كان كبار المسئولين يمنعون بعض الأفراد من تقديم مظالمهم الى السلاطين مباشرة ، خاصة ما يتصل منها بشئون الادارة والقضاء (١٠٨) ، ومع ذلك لدينا معلومات متفرقة تبرهن على أن أهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يستثنون من ذلك وكان يسمح لهم بعرض قضاياهم ومظالمهم مباشرة على سلاطين المماليك، اذ نقرأ فى أحداث عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أن وفدا من نصارى الغربية توجه الى السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ابن قلاوون وطلبوا منه استعادة كنيسة لهم حولها بعض المسلمين الى مسجد ، بيد أن السلطان لم يستجيب لهم على حد زعم

---

(١٠٥) Ashtor,, Hostory of the Jews, II, pp. 200-201-202.

(١٠٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦١ .

(١٠٧) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٧٨ ؛ ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٩١ ؛ ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م ١ ، ص ١٩١ ؛ ابن اياس ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ، ١٨٢ ، ج ٣ ، ص ٤٣٢ ، ج ٥ ، ص ٦٥ ، ص ٨٠ ؛ مصطفى زيادة ، السجون فى مصر ، العدد ٢٦٢ ، ص ٢١ ؛ علاء طه ، السجون والعقوبات ، ص ٣٣ .

(١٠٨) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

المقريزى (١٠٩) . ومع ذلك فان هذه الحادثة تدل بما لا يقبل الشك على ان أهل الذمة من يهود ونصارى كانوا يلجئون إلى سلاطين المماليك مباشرة لتقديم شكواهم ومظالمهم فى كثير من الأحيان .

وكان أهل الذمة يلجئون أيضاً الى السلاطين فى حالة عدم حصولهم على حقوقهم من قضاة المسلمين ، ففى عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م توجه أحد النصارى بمظلمة الى السلطان برقوق ضد القاضى المالكى شمس الدين محمد بن القاضى شهاب الدين أحمد الدفرى ، فانصفه السلطان (١١٠) .

وأشارت المصادر العربية أيضا الى واقعة حدثت فى سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م تعد على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تلقي الضوء على وضع اليهود أمام القضاء الاسلامى وحقوقهم المدنية فى العصر المملوكى ، كما تلقى الضوء على نظام القضاء فى تلك الآونة وهى تدور حول يهودى اختلف مع أحد المسلمين فتوجه المسلم الى القاضى المالكى ولى الدين السنباطى طالبا منه أن يلزم اليهودي بعدم تقديم دعوى ضده الا امام قاض دينى فاستجاب السنباطى لطلبه ، الا أن اليهودى لم يخضع لهذا الحكم ونقل الى القاضى رغبته فى أن يقدم دعواه أمام من يراه مناسبا للفصل فيها ، ولم يتراجع السنباطى عن قراره السابق ، فى الوقت الذى أصر فيه اليهودى على موقفه مما دعا القاضى لأن يأمر بحبسه ، وبعد اطلاق سراحه بفترة توجه اليهودى بشكواه الى السلطان فاستدعى القاضى السنباطى فأخبره القاضى بأنه أصدر حكمه طبقا لقواعد القضاء الاسلامى ، فرد عليه السلطان بأنه لا فرق

---

(١٠٩) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٥٤ .

(١١٠) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ م ٢ ، ص ٤٠٢ .

بين القضاء الدينى وغير الدينى ، وحينما راى القاضى اصرار السلطان على موقفه لم يسعه الا أن يعتزل منصبه ويغادر القلعة (١١١) .

خلاصة القول ان حق اللجوء الى السلطان للفصل فى المنازعات والخلافات والمظالم لم يكن حقا مكتسبا لطبقة دون اخرى بل كان حقا عاما لجميع أفراد المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك .

وكان اليهود يلجئون أيضا شأنهم فى هذا شأن باقى أفراد الرعية الى الحجاب (١١٢) ، ويتقدمون اليهم بمظالمهم عندما يفشل قضاة الشرع فى اعطائهم حقوقهم (١١٣) ، خاصة اذا كانوا من القضاة المتعصبين ففى عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م غضب السلطان الأشرف اينال على القاضى الشافعى لاجباره أحد أهل الذمة على المثول أمام القضاء الاسلامى (١١٤) .

---

(١١١) ابن تغرى بردى ، منتخبات من حوادث الدهور ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(١١٢) الحاجب ، أمير وظيفته « أن ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان ، واليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ، انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩ ؛ عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤٢٩ .

(١١٣) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ؛ احمد عبد الرازق ، البذل والبرطلة ، ص ٥٦ .

(١١٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ ؛ السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

الباب الرابع

الأوضاع الاجتماعية لليهود في العصر المملـوكي

الاسرة اليهودية فى العصر المملوكى

اذا كانت الأسرة هى أساس المجتمع السليم فان الزواج هو اللبنة الأولى فى بنائها ، لذلك ينبغى علينا قبل أن نبدأ الكلام عن الأسرة اليهودية فى عصر سلاطين المماليك أن نشير الى ذلك الوعاء الذى كانت تجرى فيه الأحداث العائلية ونعنى به المنزل ، الذى كانت تمارس فيه الأسرة حياتها وتجاربها (١) ..

وقد ورد فى التلمود أن هناك ثلاثة أشياء تجعل الرجل فى طمأنينة وراحة بال ، منزل جميل ، وزوجة وفية ، وملابس حسنة راقية ، ويأتى السكن فى المقام الأول ، لأن الرجل يشيد منزلا قبل أن يتخذ زوجة ، وقد كانت المرأة تفضل الحجرات الملونة تأكيدا للجمال (٢) .. لذا اهتم اليهود اهتماما خاصا بمنازلهم ، كما يتضح من وصف الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى تلك الفترة ،

(١) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٩٧ .

(٢) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, London, 1983, IV, p. 47.

ولم تقتصر تلك العناية على هندسة البيوت وتنظيمها ، وانما امتدت أيضا الى تجميلها وزخرفتها (٣) ، وهو ما يميز أهل مصر بوجه عام الذين أهتموا أهتماما بالغا بتشييد المنازل وتأثيثها وتزويدها بكل وسائل الراحة ، وقد بدت منازلهم فى مظهرها الخارجى صغيرة وبسيطة ، ولكنها فى الداخل غاية فى الترتيب ومقسمة الى حجرات مختلفة ومزينة على خير صورة (٤) ، وبخاصة منازل أثرياء اليهود التى كانت تتميز بردهاتها الواسعة، وجدرانها المزخرفة بالألوان المختلفة الجميلة ، كما كانت تتميز بنوافذها المنقوشة بأشكال فنية ، وأبوابها المزخرفة ؛ وعند دخول الزائر الى المنزل كان يجتاز ممرا واسعا يسمى دهليز يفضى فى نهايته الى فناء المنزل ، وفى منتصف الفناء كانت توجد فوارة للمياه يحيط بها أشجار متنوعة (٥) ، الأمر الذى يدفع الى القول بان اليهود قد تأثروا فى بناء منازلهم وتخطيطها بمبانى المسلمين ، فحاكوا أسلوبهم فى تخطيط منازلهم من حيث اشتمالها على فناء وردهات واسعة وجدران مزخرفة ونوافذ منقوشة بأشكال فنية بديعة (٦) .

وكان يقيم فى المنزل الواحد عدة اسر يهودية ، ربما وصل عددها الى اثنين أو ثلاث او اربع اسر وفى بعض الأحيان كان المنزل يقسم الى نصفين ، وأحيانا اخرى كان المنزل الواحد يقوم بشرائه أكثر من شخص فيصبح ملكا لأكثر من عائلة مناصفة أو بتقسيم ثلاثى أو أكثر من ذلك بينهم (٧) .

---

(٣) Ashtor, History of the Jews,, II, p. 338.

(٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١١٢ .

(٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(٦) Hananel (Macr), Muslim Influences on Jewish Culture During the Middle Ages, BIAC, No. (11) 1989, p. 22.

(٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ، ج ١٤ ، ص ٩١ .

وكانت بعض الأسر اليهودية تمتلك هذه المنازل اما عن طريق الميراث من ذويهم (٨) ، ويفهم من الوثائق والمراجع أن هذه المنازل كانت كبيرة للغاية مما أدى الى تقسيمها الى قسمين منفصلين ، وكانت متسعة من الداخل وتضم ايوانا ، كما كن يتوسط المنزل فناء كبير ، وقد سكنت كل أسرة فى جزء من أجزائه (٩) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م أن الأدوار العليا فى المنزل كانت عبارة عن حجرات للمعيشة ، وان هذه الحجرات كانت مزودة بشبابيك وفتحات للهواء فى الحوائط المقابلة للمدخل (١٠) .

وفى المنازل التى كانت تتألف من طابقين ، كانت احدى الأسر تشغل الطابق الأول والأسرة الأخرى تشغل الطابق الثانى ، كما يستشف من احدى المنازعات التى تم عرضها على رابى موسى بن ميمون ، وجاء فيها انه كان يعيش فى الطابق الأول خمسة عشر شخصا وأن سكان الطابق الثانى كانوا متضررين منهم بسبب محاولتهم تخريب المنزل مما دفعهم الى تقديم هذه الشكاوى (١١) .

وكان المنزل أحيانا يتألف من أكثر من طابق ، فقد أشارت إحدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م الى منزل واسع فسيح ملك لأحد اليهود القرائيين يشتمل على ما يقرب من سبعة طوابق (١٢) .

---

(٨) Ashtor, History of the Jews, II. p. 338.

(٩) آبن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ٣ ، ص ٨٦٩ .

(١٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, p. 62.

(١١) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(١٢) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, p. 75.

ويفهم من وثائق هذا العصر ايضا ان المنزل كان يتألف من قسم للنساء وآخر للرجال بتأثير من الطبقة العسكرية المملوكية ، اذ حاكت الطبقات الدنيا دائما الطبقات العليا فى نظم حياتها (١٣)، ويمكن القول بأن مساكن طبقات عامة الناس من ذوى اليسار كانت تتكون من قسمين رئيسيين احدهما بالطابق الأرضى خاص بالرجال ، وهو الذى عرف فيما بعد باسم السلاملك وقد أعد للاستقبال واقامة الحفلات ، والآخر بالطابق العلوى وهو خاص بالنساء وقد عرف أيضا باسم الحرملك (١٤) .

اما عن الطريقة التى كانت تغذى بها المنازل بالمياه فلم تختلف تزويد مياه منازل اليهود عن تزويد منازل بقية فئات أفراد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، فقد كانت الجمال تحمل القرب ، ويطوف بها السقاءون على المنازل لامدادها بما تحتاج اليه من الماء ، وقد قدر البلوى المغربى هذه الجمال فى القاهرة وحدها فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بمائتى لف جمل (١٥) .

ويمكن القول ان السكن المشترك بين اليهود بعضهم البعض كان يؤدى الى العديد من المنازعات بين السكان بسبب حصة المياه ، وكانت بعض هذه المنازعات تنتهى غالبا بابداء الرغبة فى تسويتها سلميا عن طريق شراء نصيب الجار الآخر . ومن

---

(١٣) Goitein, A Mediterranean Society, Daily life, p. 64.

(١٤) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٠٠ .

(١٥) البلوى المغربى ، التاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، وهى المعروفة برحلة البلوى المغربى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٠٠ جغرافيا ميكروفيلم . رقم ٤٥٧٧٣ ، ورقة ٥٥ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ص ٨٣ ، ٨٤ .

المعروف أنه كان محظورا على الساكن اليهودى فى منزل مشترك أن يبيع نصيبه لغير اليهودى ، فقد وجدت بالفعل معارضة شديدة ضد من يقوم ببيع نصيبه لغير اليهود ، لذا وضع قضاة اليهود عدة شروط تقضى بضرورة عدم جواز تأجير منازل اليهود للمسلمين أو النصارى (١٦) . ومع هذا فقد كان هناك الكثير من اليهود ممن كانوا يسكنون فى منازل ملكا للمسلمين (١٧) .

ومن الخصائص البارزة التى اتصفت بها الحياة المنزلية فى عصر سلاطين المماليك كثرة الاحتفالات والافراح ، والتفاخر فى أحياء هذه الافراح ، حتى بلغ الأمر ببعض الناس الى بيع الثياب واقتراض الأموال بالربا للتباهى أمام غيرهم وليقال أن طعام فلان أكثر من طعام فلان (١٨) .

وتعد احتفالات الزواج أهم الأفراح العائلية ، والزواج فى الشريعة اليهودية هو ارتباط بين الرجل والمراة والغرض منه تكوين اسرة ، وقد شرعه الله منذ أن خلق أبانا آدم عليه السلام ، للتوالد والتناسل وعمارة الكون ، ولقد حثت الشرعية على الزواج والتناسل (١٩) ، والزواج فرض على كل يهودى (٢٠) ؛ واليهود

(١٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 339.

(١٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمره ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، ج ٣ ، ص ٩٩٥ ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(١٨) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١١٨ .

(١٩) توفيق حسن فرج ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين المصريين ط (٣) الاسكندرية ١٩٦٩ م ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٢ ؛ الفت محمد جلال ، العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٤٠٠ .

(٢٠) حاى بن شمعون ، الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للاسرائيليين ، مطبعة كوهين ورزنتال مصر ١٩١٢ م ، ص ١ ، ٢ ، مادة ١ ، ٦ .

يؤمنون بأن الله هو الذى استن الزواج فى سبيل حفظ النوع البشرى على أكمل وجه ويستندون فى هذا الى شريعة الزواج التى استنها الله والتى وردت قصتها فى العهد القديم (٢١) ، والزواج اذا ما طبقت أحكامه ، يضفى على الزوجين حياة سعيدة بسكون القلب واطمئنان النفس فى ألفة ومحبة وعطف (٢٢) .

وهناك اختلافات فى الزواج بين طائفة الربانيين والقرائيين، فينظر القراءون للزواج نظرة خاصة ، فهو فى رأى علمائهم فرض أو واجب مادام مقدورا عليه ، وتركه معصية ومفسدة ، ومن ثم وجه القراءون كل اهتمامهم الى تقنينه وقد حدد الربانيون ارتباط الرجل بالمرأة وثلاثة أشياء هى المال والوثيقة والجماع ، على حين يرى القراءون ان الارتباط يتم بالمهر والوثيقة والقبول ، وان أضاف بعض فقهائهم شروطا أخرى منها مثلا الاشهاد على الزواج ، وهو شرط أيضا لصحة الزواج فى الفقه الاسلامى(٢٣).

وكانت المراحل المتبعة فى الزواج تتم على النحو التالى الخطبة ، وهى فى الشريعة اليهودية عقد مؤداه تواعد رجل وامرأة على الزواج بمهر مقدر وبشروط معينة يتفقان عليها ، والخطبة لا تعد شرعية لدى اليهود الا بالقنوان أو القنيان (٢٤) ، أى الوثيقة التى يعطيها الرجل للمرأة (٢٥) ، وتنص تقاليد اليهود

---

(٢١) سفر التكوين ، الاصحاح الثانى ، ٢٢ ، ٢٥ .

(٢٢) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ٦١ .

(٢٣) محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١٠٩ .

(٢٤) عبد الله المراغى ، الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٢٧ ؛ قنيان اسم مشتق من الفعل قاناه بمعنى اشترى ، انظر محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٠٥ ، هامش ٢ .

(٢٥) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١ ، ٣ .

على أن فترة الخطبة يجب ألا تزيد أو تنقص عن الحد المناسب ، وقد حذر بعض كبار رجال الدين وخبراء الزواج بأن الخطبة طويلة الأجل قد تؤدى الى عكس الغرض المقصود ، وعلى الاخص اذا كان الخطيبان قد تجاوزا سن المراهقة ، ولكنهم ينصحون أيضا بألا تكون الخطبة قصيرة لأن ذلك قد لا يوفر للزوجين ما كانا يتوقعانه من السعادة وراحة البال (٢٦) .

وبعد أن يتم الاتفاق على الخطبة ، ويتم اعداد مأدبة غذاء تسمى مأدبة الخطبة ، يتم فيها دعوة أقارب العروسين وبعض الأصدقاء (٢٧) ، وفى بعض الأماكن كان الرجل لا يرى خطيبته الا فى يوم الزفاف ، وفى حالة عدم معرفته بها كان والد العروس يقوم باحضارها للعريس ليراها لبضع دقائق فى حضور الأقارب، وبعد اتمام الخطبة يدخل الخاطب ويخرج من بيت الخطيبة ، وكان أقارب العروس يحيطون به ويأكلون ويشربون معه ، ويعد ذلك من طقوس الاحترام للعريس ، لذلك كان فقراء اليهود يستدينون من اجل اعداد هذه الولائم ، ولكنهم يقومون باخفاء العروس عن العريس لأن رؤية العروس تعتبر عارا كبيرا ، ولذلك كان العريس يجلس مع الرجال والعروس مع النساء (٢٨) ، ولكن هذه العادة لم تكن متبعة فى جميع المناطق ، ففى مصر كان الخاطب ينفرد بخطيبته بعد الخطبة بدون شهود (٢٩) ، وفى خلال فترة الخطبة والاستعداد للزواج اعتاد العريس أن يرسل للعروس الهدايا والجواهر (٣٠) .

---

(٢٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٣ ، ٤ .

(٢٧) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٨ .

(٢٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 340.

(٢٩) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٧ .

(٣٠) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٦٨ .

وقد عثر بين وثائق الجنيزة على اتفاق خطبة يرجع الى عام ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ، يستشف منه التزام اليهود بالتعميد فى زيت الماء (٣١) ، وقد كان ذلك من الأمور المتعــارف عليها فى العصر المملوكى ، ويفهم من هذا الاتفاق أيضا أن العريس كان يوافــق على أن يرسل للعروس رسولا وتلتزم هى بدورهــابارســـال مبعوث له ، كما يفهم من هذا الاتفاق أن العريس كان يقيم بعيدا وأن العروس أرادت أن ترسل اليه أحد أبناء أسرتها لكى يتسلم منه الهدايا والمال (٣٢) .

وفى العصر المملوكى انتشرت فى مصر عادة دمج الخطبــة وعقد القران ، وان كان الحال قد تبدل فى أواخر هذا العــصر حيث أصبحت الخطبة تتم أولا بدون عقد القران (٣٣) ، ومــن العادات التى انتشرت فى مصر أيضا عادة ارسال الرجل الهدايا للمرأة التى يريد أن يتزوجها وبعد ذلك كانت تتم الخطبة ، وفى بعض الأحيان كان لا يسمح للمرأة ، بالطلاق مادامت قد قبلت هدايا الزوج فى فترة الخطبة (٣٤) .

---

(٣١) هناك عادة آشورية هى صب أو مسح رأس العروس بالزيت وقد استخدم الزيت فى الأضحية والذبائح اليومية والاحتفالات اليهودية وفى تنصيب الكهنة والملوك وفى الأغراض الجمالية ، وهناك زيت عطرى كان معــروفا من العصــور القديمة ، ومن المحتمل انه كان يستخدم بين الأشــوريين واليهود ، وقد جاء فى التلمود عادة صب الزيت فى أثناء احتفالات الزواج ، ولم يكن يصب على العروس وانما يصب على كبار الزوار البارزين ، انظر :

Lilt (F.D. Neufeld), Ancient Hebrew Marriage lows, London, 1944, pp. 146, 147.

(٣٢) Ashtor, Fragments from the Cairo Genizah.

اتفاق خطوبة ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، انظر الملحق رقم (١٢) .

(٣٣) Ashtor, Histiry of the Jews, II, p. 340.

(٣٤) روفائيل اهارون ، نهر مصر ، ١٦٨ .

وقد أفتى رابى موسى بن ميمون بمقاطعة أى رابى يعطى إذن زواج أو طلاق لأى شخص لا يعرفه جيداً ، وقد طبق يهود مصر فى العصر المملوكى هذه الفتوى وإن كان قد بدأ الاستخفاف بهـا فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، ورغـم اصرار يهود طائفة الربانيين على ضرورة اعادة تطبيـق هـذه الفتوى عن طريق اذاعة بيان فى كل المعابد ، مع عدم السماح بإجراء أى خطبة الا أمام مجلس القضاء (٣٥) .

وكان السن القانونى للخطبة عند اليهود هـو ثلاث عشرة سنة للذكور واثنتا عشرة سنة للأنـاث ، أى بمجـرد أن تنبت ولو شعرتان من العانة ، فاذا بلغ أحدهما سن الرشد جـازت الخطبة منه بغير موافقة ولى الأمر ، ولكن جرت العادة على أن والد المخطوبة الرشيدة كان ينوب عنها فى الخطبة متى كـانت الخطبة برضاها وفى حالة ما اذا كانت الفتاة يتيمة الأب كانت الأم تنوب عنها أو ينوب عنها أحد اخواتها أو أحد أقاربها ، أما الخاطب فكان أمره فى يده ولا يجوز أن ينوب عنه أحد الا بتوكيل (٣٦) .

وكانت الخطبة تنقضى فى حالـة وفـاة أحـد الخطيبين بلا غرامة (٣٧) ، كما كانت الخطبة تنقضى بقيام مانع من موانـع الزواج عند الخاطب أو المخطوبة أو بالعدول عن الخطبة مـن

---

(٣٥) Ashtory, History of the Jews, II, p. 359.

(٣٦) ابن شمعون الاحكام الشرعية ، ص ٢ ، ٣ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر فى الاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين ، مصر ١٩١٧ م ، ص ٧٣ ؛ المراغى ، الزواج والطلاق ، ص ٤٣٩ ؛ عبد الناصر توفيق العطار ، احكام الأسرة عند المسيحيين واليهود المصريين ومدى تطبيقها بالمحاكم ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٤٧ .

(٣٧) ابن شمعون ، الأحكم الشرعية ، ص ٤ ؛ المادة (١٠) .

جانب الخاطب أو من جانب المخطوبة ، أو بالاتفاق بين الطرفين على إنهائها (٣٨) .

وكانت شرائع اليهود تعترف بالمهر ، وتلزم الزوج بدفعه لزوجته ، كما توجب ذكر المهر فى وثيقة الزواج ، وبالنسبة لمقداره فان المعمول به عند اليهود هو الا يكون للمهر حد أدنى أو أقصى ، ومع ذلك فكان الربانيون يحبذون أن يتراوح المهر الشرعى للبكر ما بين مائتين أو سبعة وثلاثين درهما من الفضة النقية ، وكان يكتفى بالنصف لغير البكر سواء أكانت الزوجة غنية أم فقيرة(٣٩)، وجرت العادة عند القرائين أن يحاول القائمون بالأمر اقناع الرجل بدفع المهر اللائق وفقا لعرف البلد والا أمتنعوا عن العقد له (٤٠).

كما رأى القراءون أن المهر حق للمرأة استنادا لما ورد فى سفر الخروج الذى نص : « ... اذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها بمهرها لنفسه زوجة ان أبى أبوها أن يعطيه اياها ، ويزن له فضة كمهر العذارى » (٤١) ، ورأوا كذلك أن المقدم هو أمر أصيل فى التشريع اليهودى قام الربانيون بتحويله الى مؤخر فى الشرائع التلمودية ، وكان يراعى أن تكون قيمة المهر مناسبة لحال الزوجين وموافقة للزمان والمكان ، ويجوز أن يكون المهر أمرا من الأمور أو عملا من الأعمال فقد عمل سيدنا موسى أجيرا عند والد زوجته مقابل المهر ، وكان الجزء المؤجل

---

(٣٨) العطار ، أحكام الأسرة ، ص ٤٧ .

(٣٩) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٣١ مادة ٩٩ ؛ العطار ، أحكام الأسرة ، ص ١٤٧ .

(٤٠) العطار ، الأحكام الأسرة ، ص ١٤٧ .

(٤١) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى والعشرون ، ١٦ ، ١٧ ؛ محمد جلاء، التأثير الاسلامى ، ص ١١٦ .

من المهر يستحق بالطلاق أو بوفاة الزوج ، كما كان يسقط شرعا بوفاة الزوجة (٤٢) .

وفيما يتعلق بالشروط الشكلية للزواج فكانت تنحصر وفقا لشرائع اليهود فى ثلاثة وجوه هى التقديس ، وكتابة العقد ، وصلاة البركة . فالتقديس يتم عند الربانيين باعلان الرجل فى مجلس يحضره شاهدان على الأقل عن رغبته فى ارتباط بالمراة بالزواج ، ويقول لها « تقدست لى زوجة بهذا الخاتم أو بكذا ان كان شيئا آخر مملوكا للرجل » (٤٣) .

اما عند القرائيين فكان التقديس يتم فى مجلس لا يقل عن عشرة رجال « ويسلم الرجل المهر كله فضة نقدا أو عينا الى كبير الحاضرين الذى يسلمه بدوره الى والد العروس أو وكيلها أو اليها رأسا ولو أنه غير مستحسن ، أو يلتزم به أمامهم (٤٤). وكان التقديس يعد اجراءا ضروريا ففيه ترتبط الزوجة شرعا ، فلا تحل لآخر الا بالطلاق أو الوفاة ، وان كان وحده لا يكفى ، اذ لم يكن يحل للرجل الدخول على الزوجة قبل استكمال باقى أركان الزواج ، لأنه كان من الضرورى بعد ذلك تحرير وثيقة الزواج ، واتمام صلاة البركة حتى تحل المعاشرة بين الزوجين (٤٥) .

---

(٤٢) العطار ، أحكام الأسرة ، ص ١٤٧ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة فى الشرائع غير الاسلامية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ ؛ محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٧ .

(٤٣) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٧ ، ١٨ ، المادة ٥٦ ، ٥٨ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ١٣٢ .

(٤٤) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ٧٥ ؛ محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ .

(٤٥) ابن شمعون ، الأحكام الشرعيه ، ص ١٧ ، ٢٠ ، المادة ٥٦ ، ٦٦ ، محمد حسين ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ .

أما كتابة العقد أى وثيقة الزواج فقد استوجبت الشريعة اليهودية ضرورة كتابة العقد واعتبرته أمرا جوهريا لأن اقامة الرجل مع المرأة بغير كتابة عقد زواج شرعى كانت ممنوعة رغم وجود التقديس . ويعرف عقد الزواج باللغة العبرية باسم « كتوباه » وكانت يشترط فيه أن يشتمل على ذكر لجميع حقوق وواجبات الزوجة الشرعية وكل ما يشترطه الزوجان على بعضهما البعض مما يخالف الأصول أو الشرع (٤٦) .

أما صلاة البركة فكانت تقام فى النهاية وفى احتفال علنى يحضره جمع من الرجال لا يقل عن عشرة ، لأن التبريك والعلانية كانا أمران لازمان لاتمام الزواج ، وكانت تقام فى الاحتفال بعض المراسيم الدينية وتبدأ عادة بتلاوة دينية ثم يجدد الرجل يمين العهد ، وبعد ذلك تبدأ صلاة البركة ، التى كان الموثق يبدؤها بتبريك الزوجين ، ثم يبدأ بالسبع بركات (٤٧) .

وعن موانع الزواج فى الشريعة اليهودية ، فقد أجمع فقهاء اليهود على أن النصوص التى وردت فى التوراة بتحديد القرابة المانعة من الزواج ، محصورة فيما ورد بالاصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين وهو كما يلى « لا يقترب انسان الى قريب جسده ليكشف العورة ، أنا الرب عورة أبيك عورة وعورة أمك

(٤٦) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٢٠ ، ٣١ ، المادة ٦٧ ، ٩٨ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٦٣٣ ؛ محمد حسين ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ ، انظر ايضا ، ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ترجمة وتعليق على متن المشنا وشرح التلمود ، القاهرة ١٩٩٦ م ، ص ٣ و ٤ .

(٤٧) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٧ ، ١٩ ، المادة ٥٦ ، ٦١ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٠٨ ، ١١٠ ؛ حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة ، ص ١٦٩ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٦٣٤ .

لا تكشف ، انها أمك لا تكشف عورتها ، عورة امرأة أبيك لا تكشف انها عورة أبيك ، عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ، عورة ابنه ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها انها عورتك ، عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها انها أختك ، عورة أخت أبيك لا تكشف انها قريبة أبيك ، عورة أخت أمك لا تكشف انها قريبة أمك ، عورة أخى أبيك لا تكشف الى أمرأته لا تقترب انها عمتك ، عورة زوجة ابنك لا تكشف انها امرأة ابنك لا تكشف عورتها ، عورة امرأة أخيك لا تكشف انها عوره أخيك ، عورة امرأة وبنتها لا تكشف ولا تأخذ ابنة أبنها أو ابنة بنتها لا تكشف عورتهما انهما قريبتاها انه رذيلة ، ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها (٤٨) .

وكان للاحتفال بالزواج تقاليد دينية معينة يتبعها اليهود فى معظم احتفالاتهم ، تتمثل فى اقامة سرادق حيث تتم اجراءات الزواج ويقدم كأس من النبيذ يشرب منه كل من العريس والعروس فى بداية الاحتفال وفى نهايته (٤٩) .

---

(٤٨) سفر اللاويين ، الاصحاح الثامن عشر من ١٦ الى ١٨ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٨ وما بعدها ؛ شفيق شحاته ، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ، مانع المصاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٤ م ، ج ٨ ، ص ٨ ، ٩ ؛ أحمد غنيم ، موانع الزواج بين الشرائع السماوية الثلاثة والقوانين الوضعية ، ثلاثة أجزاء فى مجلد (١) ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ج ٣ ق (٢) ، ص ٨٦ ، محمد محمود نمر ، الأحوال الشخصية ، ص ٢٢٩ ، ٢١٢ .

(٤٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٤ ، ٥ .

وكان الواعظ اليهودى يقوم خلال الحفل بترتيل بعض الأدعية والشعر فى شرف الزوج فى أثناء فترة المغرب والعشاء وعندما يأتى أهل العروسين الى منزل الزوجية كان احدهم يأخذ كأس الخمر ويقرأ البركات على النبيذ وعلى العطور وعلى فرع شجرة جوز صغيرة ، وهذه البركات تسمى بركة العفاف (٥٠) .

وقد كان احتفال الزواج ضروريا خاصة اذا كانت العروس عذراء وغالبا ما كان يتم زواج العذراء يوم الأربعاء ، أما الأرملة أو المطلقة فكان زواجهما يتم غالبا فى يوم الثلاثاء ، وكان الاحتفال يبدأ فى اليوم السابق للزواج حيث كانت العروس وسائر النساء يخضبن أيديهن وأرجلهن بالحناء من أجل ابعاد الأعين الشريرة الحسودة ، كما كان العروسان لا يناما فى هذا اليوم للاعتقاد بخطورة ذلك عليهما (٥١) .

وفى اليوم والموعود كان العريس يذهب مع أصدقائه وأقاربه ووالده فى موكب تصاحبه الموسيقى والغناء الى منزل العروس لاحضارها ، وفى بعض الأحيان كان كل من العروسين يأتى فى موكب خاص ويلتقيان فى مكان الاحتفال (٥٢) .

---

(٥٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 359.

(٥١) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع والعشرون ، ٢٧ ؛ سفر القضاة . الاصحاح الرابع عشر ، ٢ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها وواجباتها فى الشريعة اليهودية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٨٥ .

(٥٢) سفر القضاه ، الاصحاح الرابع عشر ٢ ؛ أخبار الأيام الأول ، الاصحاح التاسع ، ٣٩ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ٨٦ .

وقد نصت التقاليد فى معظم حفلات زواج اليهود على ضرورة تحطيم كأس النبيذ بعد أن يشرب منه العروسان ، وكان اشتراك العروسين فى شرب قدح واحد من النبيذ تذكرة لهما بمصيرهما المشترك ، وأن معيشة كل منهما مع الآخر سوف تستمر حتى نهاية الأجل ؛ وكان القدح الأول من النبيذ يقدم عند الاتفاق على الخطبة أو عند تقديم الشبكة ، وكان موعد القدح الثانى فى أثناء الاحتفال بالزوج ، ويعتبر تحطيم الأقداح من أهم تقاليد اليهود التى تشير الى أن الزجاج المحطم يعيد الى الاذهان ذكرى تدمير المعبد ، كما يعد رمزا لأحزان اسرائيل ، ودليلا على سعادة الزوجين وتذكرهما للصعاب التى قابلتهما فى الحياة وقلقهما على مسئوليات المستقبل (٥٣) .

وكان الاحتفال بالزواج يستمر على مدى سبعة أيام أو أسبوعين يتم خلالهما بعض الطقوس والعادات الطريفة مثل تلاوة البركات السبع وهى بركة عصير العنب ، وبركة خلق الكائنات ، وبركة خلق الانسان ، وبركة خلق حواء ، وبركة أن الغرض من خلقهما التوالد ، وبركة العروسين ، والخاتمة ذكر أورشليم أسفا ورجاء ، وكانت تقدم خلال هذه الاحتفالات شتى أنواع الحلوى وتجرى مسابقات طريفة بين العروسين ، ويشارك المدعوون فيها بالرقص والغناء (٥٤) .

ويفهم من المؤرخ ابن حجر أنه كان يسمح لأهل الذمة فى عصر المماليك بإقامة أفراحهم بالملاهى والمغانى على عادتهم ، وان

---

(٥٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٥ ، ٦ .

(٥٤) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١١١ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ٨٨ .

كان قد أغفل أن يشير الى طبيعة هذه العادات التى حدثنا عنها (٥٥) .

وجدير بالملاحظة أن الشريعة اليهودية كانت تجيز ظاهرة تعدد الزوجات ، وقد مارس بنو اسرائيل ظاهرة تعدد الزوجات التى نص عليها فى التوراة ، وقد مارسه ابراهيم (٥٦) وعيسى عليهما السلام (٥٧) ، كما جمع يعقوب بين الأختين ، وكانت زوجات سليمان الشرعيات كثيرات بالاضافة الى الجوارى والسرارى ، وقد ارتبطت ظاهرة تعدد الزوجات عند اليهود بالرغبة فى الانجاب ، اذ كان للأبناء أهمية كبرى عندهم لأنهم كانوا يعاونون عادة رب الأسرة فى رعى الغنم ، ويحملون لقب الأسرة ، لدرجة أن المرأة العاقر كانت تعطى جاريتها لزوجها لتحمل منه وتلد فى حجر سيدتها ، وعندئذ كان يفترض أن يكون المولود من نسل الزوجة وليس من الجارية ، فراحيل دفعت جاريتها لزوجها لتحمل منه يعقوب (٥٨) .

وقد استمرت ظاهرة تعدد الزوجات حتى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ثم توقفت على يدى الحاخام جرشوم بن يهوذا وأصبح قراره مطبقا عند يهود الدولة الاسلامية، وقد خالف القراءون اخوانهم الربانيين بتأثير اسلامى واضح فى

(٥٥) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ١٢٢ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ص ٨٤ .

(٥٦) سفر التكوين ، الاصحاح الحادى عشر ، ص ٢٩ ؛ والاصحاح السادس عشر ، ٣ ؛ الاصحاح الخامس والعشرون ، ١ .

(٥٧) سفر التكوين ، الاصحاح السادس والعشرون ، ٢٤ .

(٥٨) ألفت جلاء ، العقيدة الدينية ، ص ١٠٢ الى ١٠٤ ؛ محمد عبد المقصود ، المرأة فى جميع الأديان والعصور ، ط (١) القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٢١ .

قضية التعددية ، فالربانيون قد أبطلوا مفعول التعددية وفقـا لأهوائهم لكن القرائيين عادوا إلى ظاهـرة تعـدد الزوجـات واشـرطوا ما اشترطه الاسلام من العدل (٥٩) .

فقد جاء فى كتاب الأحكام الشرعية انه يجوز للزوج أن يتخذ أكثر من زوجة ، اذا كان فى سعة من العيش وكانت له القدرة على العدل ، أو كان لديه مسوغ شرعى يبيح له أن يتزوج بأخرى ،إذا لم يرد فى التوراة حجر ولا حصر فى هذا الصدد (٦٠) . واذا كان للاباحة أصل فى التوراة ، فان اشتراط العدل اثر من آثار الاسلام الواضحة ، حيث جاء فى القرآن الكريم « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة » (٦١) .

وجدير بالذكر أن يهود مصر لم يكن لهـم أكثر من زوجـة واحدة الا فى حالات محدودة للغاية ، وكانت الزوجة اذا تمردت على زوجها قدموا لها النصائح والمواعظ ، أما اذا استمرت فى تمردها فكان يسمح للزوج بالزواج من أخرى ، كما سمحت الشريعة اليهودية للزوج بالزواج من أخرى فى حالة مرض الزوجة وعـدم قدرتها على فراش الزوجية (٦٢) .

وكان يسمح أيضاً للزوج بالزواج من أخرى إذا لم تلد زوجته فى خلال عشر سنوات أو توقفت عن الإنجاب ، عندئذ يجوز للزوج

---

(٥٩) محمد جلاد ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦٠) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٧ ، مادة ٥٤ ، ٥٥ ؛ توفيق حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

(٦١) قرآن كريم ، سورة النساء آية رقم ٣١ ؛ محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦٢) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

وفقا للشريعة اليهودية تطليق زوجته والزواج من أخرى (٦٣) ، وكانت موافقة الزوجة على البقاء فى منزل الزوجية مع الزوجة الثانية شرطا مطلوبا ، أما اذ لم ترغب فى ذلك كان على الزوج أن يطلقها ويعطيها كفة حقوقها وفقا لإمكاناته ، وفى حالة عدم توافر الإمكانات لديه ، كان عليه أن يقوم بتقسيط كافة حقوقها على هيئة ديون ، وكانت الزوجة لا تستطيع منع زوجها من الزواج من أخرى ، كما أن الزوج كان لا يستطيع اجبارها على البقاء مع الزوجة الثانية (٦٤) .

ويفهم من فتاوى رابى دافيد أن الزوج كان يلجأ أحيانا الى الزواج من أخرى لأن الزوجة لم تلد له ولدا أو بنتا ، أو بسبب تقدم الزوجة فى السن ولم تنجب له منذ عشر سنوات (٦٥) ، وكثيرا ما كان يحدث عند الطلاق بعض الخلافات بسبب أثاث المنزل ومدى أحقية الزوج فى الاحتفاظ ببعضه لاعطائه للزوجة الثانية . وجرت العادة بعد زواج الرجل من امرأة ثانية أن ينام ليلة لدى زوجته الأولى ، وأخرى عند زوجته الثانية ، وكانت عقود الزواج تنص فى كثير من الأحيان على ضرورة عدم التفريق فى المعاملة بين الزوجتين وعلى ضرورة معاملتهما بالعدل (٦٦) · وقد شهدت الحياة الزوجية العديد من المشاكل حيث كانت كل زوجة تعتقد أنها تخسر كثيراً فى أثناء حيضها (٦٧) .

---

(٦٣) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ٢٠٢ ؛ ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٦٥) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٢٦ ؛ روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ٢٠٢ .

(٦٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 345.

(٦٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 345-346.

وعلى الرغم من المشاكل العديدة التى نشأت بسبب الزواج بأكثر من امرأة ، فقد استمر زواج بعض اليهود بأكثر من امرأة بل وصل الأمر ببعضهم الى الاقتران بأربع زوجات (٦٨) .

وكانت هناك عادة يهودية وهى اتفاق الأهل على خطبة الأطفال وهم فى مرحلة الطفولة ، ولكن فى أغلب الأحوال كان هذا الاتفاق ينقضى عندما يكبر الأطفال ، ولذلك اعتاد اليهود اضافة بند فى وثيقة الزواج ينص على عدم تراجع الطرفين ومن يتراجع كان يقوم بدفع غرامة مالية (٦٩) .

وجرت العادة أيضا أن يتفق بعض أولياء الأمور على عقد زواج أولادهم فى بعض الحانات ، كما اعتاد والد العريس أن يقدم خاتما الى والد العروس أو كأساً من النبيذ على شرف هذا الزواج ، وقد بذل الربانيون ما فى وسعهم من أجل الغاء هذه العادة السيئة (٧٠) .

أما فيما يتعلق بوثيقة الزواج فكانت تتضمن عدة شروط ، لأن يهود مصر زمن سلاطين المماليك ، كانت لهم عادات خاصة بهم بعضها لا يوافق الشريعة اليهودية ولا يتفق مع آراء موسى بن ميمون ، ويلاحظ أن جميع وثائق الزواج التى عقدت فى مصر تضمنت شروطاً مهمة تنص على أن تنفرد الزوجة بدخلها ، على أن يتحمل الزوج جميع الأعباء الزوجية بما فى ذلك كسوة المرأة

---

(٦٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٦٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ١ ، ص ١٩٤ .

(٧٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٤٧٤ ؛ ج ٤ ١ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ج ٦ ، ص ٦٠ ، ٦٢ .

سواء أكانت تعمل أم لا تعمل (٧١) ، وقد عارض حكماء التلمود هذا الشرط وقاموا بوضع لوائح تنص على أن نفقة الزوجة وكسوتها يجب أن تكون من عائد عملها (٧٢) .

وكان يشترط فى وثيقة الزواج أيضا أن ما أدخلته المرأة فى بيت زوجها من جوار وأثاث يجب أن يعود اليها فى حالة وفاة الزوج ، أو حالة الطلاق وذلك على عكس مما ورد فى التلمود (٧٣).

ومن الشروط التى وردت فى وثائق الزواج أيضا أن الزوجة التى كانت ترث ثروة عن والدها وتموت لا يحق لأحد المطالبة بكل هذه الثروة ولكن لهم الحق فى المطالبة بنصفها فقط . أما النصف الباقى من الثروة فكان من حق زوجها ، ومن أجل القضاء على هذه المنازعات فقد أدخل فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى بعض التعديلات على وثيقة الزواج من بينها بند ينص على أن ورثة الزوجة يجب أن يتقاسموا مع الزوج كل ما تبقى من التركة لأن لفظ تركة يشتمل على أملاك الزوجة التى فى ذمة الزوج ، وكان يحق للزوج استثمار ثروة الزوجة دون أن تكون ملكا له (٧٤) .

وقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على بعض عقود الزواج المملوكية ، العقد الأول جاء من مدينة الفسطاط ويحمل تاريخ سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م ، واسم كل من يشوعا بن داود الزوج

(٧١) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(٧٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 345.

(٧٣) ابن زمرة ، فتاوى دابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٩٩١ .

(٧٤) Ashtor, History of the Jews, II, p. 346.

ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ٢٠٧ ، ٢٣١ .

وشفع بنت اسحق هاكوهين الزوجة ، كما يتضمن فى جانبه اسم رابى داود الناجيد بن ابراهام بن موسى ميمون (٧٥) . وجاء العقد الثانى أيضاً من المدينة نفسها ويحمل تاريخ سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ، ويشتمل على بيان بما قدمه الزوج اليعازر بن رابى يشوعا الى زوجته شمسية بنت يعقوب من جواهر وأدوات ثمينة (٧٦) .

وجرت العادة كذلك على أن تقوم الزوجة أحيانا بالتنازل عن جميع حقوقها المنصوص عليها فى عقد الزواج ، فقد عثر ضمن وثائق الجنيزة على تنازل دون فى مدينة الفسطاط فى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م . جاء فيه أن « موتبه » تنازلت لزوجها العجوز ابراهام هاكوين بن العجوز رشيد عن المؤخر والمهر المتفق عليه فى عقد الزواج وباقى الحقوق التى تطلبها النساء من الرجال (٧٧) .

أما عن زواج اليبوم أى زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى الذى نصت عليه التوراة : « اذا أقام أخوان فى موضع واحد ومات احدهما ولم يعقب ولدا فلا تصير امرأة الميت الى رجل أجنبى بل أخو زوجها ينكحها ، وأول ولد يولد لها ينسب الى أخيه ، فان

---

(٧٥) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
عقد زواج ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، انظر الملحق رقم (١٣) .

(٧٦) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
عقد زواج ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، انظر الملحق رقم (١٤) .

(٧٧) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Geneizah.
تنازل عن عقد زواج ، ص ٦٦ ، ٦٧ انظر الملحق رقم (١٥) .

ابى أن ينكحها خرجت شاكية الى مشيخة قومه قائلة قد أبى حموى أن يستبقى اسم أخيه فى بنى اسرائيل ولم يرد نكاحى ، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول ما أردت نكاحها ، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق فى وجهه وتنادى عليه : كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه ويدعى فيما بعد بالمخلوع بالنعل ، ويعير القوم بنوه بهذا اللقب (٧٨) . والحق أن اليهود استمدوا زواج اليبوم هذا وأخذوا تشريعة من سفر راعوث ، فقد جاء فى الاصحاح الرابع « ... فقال بوعز يوم تشترى الحقل من يد نعمى تشترى أيضا من يد راعوث المؤابية امرأة الميت لتقيم اسم الميت على ميراثه .. » (٧٩) .

ويرجع بعض الباحثين السبب فى هذا الزواج الى الاحتفاظ بالزوجة وأولادها وأموالها فى داخل الأسرة ، ورغبة الانجاب لمن لم يترك خلفا ، فضمان استمرار الأسرة والمحافظة على اقامه الطقوس الدينية للمتوفى هذه واحدة ، أما الثانية فهى استمرار الاحتفاظ باسم المتوفى فى شخص عقبة الذى يولد بعد موته والمحافظة على أموال المتوفى وعائلته ، أما الثالثة فهى الاحتفاظ بأرملة الميت داخل الأسرة لأنها ثروة اقتصادية عظيمة يمكن استغلالها والانتفاع بها ، أما الرابعة فهى عدم خروج تركة المتوفى الى عائلة أخرى ، ويرى اليهود أن انقطاع النسل للميت يعد غضبا من الله وحرمانا له من تأدية فرائض الدين (٨٠) .

---

(٧٨) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ ؛ سفر التثنية ، الاصحاح الخامس والعشرون من ٥ الى ١٠ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٦٩٨ ؛ ابن الجوزية ، هداية الحيارى ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، انظر أيضا ليلى أبو المجد ، عقود الزواج ، ص ١٧ .

(٧٩) سفر راعوث ، الاصحاح ٥ ، ٦

(٨٠) السيد محمد عاشور ، مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٧ ؛ سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٠ .

اما فيما يتعلق بطقوس الاحتفال بزواج اليبوم ، فلم تكن هناك أية مراسيم بمناسبة هذا الزواج لأن المرأة كانت تعتبر كزوجة ولا تحل لآخر الا بعد الحلبصاه اى طلاقها من أخى الزوج المتوفى ، وكان مجرد بسط الثوب على المرأة يعتبر دليلا على اتمام الزواج (٨١) .

ويفهم من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م ، ان شقيق الأخ المتوفى فى زواج اليبوم كان عليه التزام المساواة والعدالة بين الزوجة الأولى والأرملة ، فيما يتعلق بالمصروف اليومى والكسوة ، كما كان عليه أن يعدل بينهما فيخص الزوجة الأولى بليلة ومثلها للزوجة الثانية ، وكان عليه أيضا عدم ايقاع الضرر بالأرملة ، ولا يميز بينها وبين الزوجة الأولى ، كذلك كان على الزوج والأرملة الالتزام بالشروط التى جاءت فى وثيقة الزواج بنفس راضية ، ومن خالف ذلك عليه القيم بدفع غرامة عشرة دنانير أشرفية (٨٢) .

ومن المعروف أن القرائيين كانوا يجمعون على تحريم زواج اليبوم (٨٣) ، وقد اختلفت طائفة السامرة مع الربانيين فى هذا الزواج ، فطائفة السامريين ترى وجوب تطبيق هذا النوع من

---

(٨١) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١١٢ .

(٨٢) Ashtor, Fragments from the Cairo Genizah.
وثيقة رقم ٦٤ بعنوان اتفاق زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، انظر الملحق رقم (١٦) والمقصود بالدنانير الاشرفية هى الدنانير التى اصدرها الأشرف برسباى عنها ، انظر :
Balog, The Coinage of the Mamluk, p. 35

(٨٣) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ ؛ محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانين ص ٦٧ .

الزواج حتى لو خطب الرجل المراه وملت قبل أن يدخل بها (٨٤) ، وقد أقر الربانيون هذا الزواج استنادا الى بعض فقرات وردت في العهد القديم منها قول يهودا لأونات » ... أدخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك (٨٥) ، كما ورد فى المشنا أيضا ما يؤيد زواج اليبوم .

وقد انتقد بعض الباحثين زواج اليبوم ، لأنه قـام عـلى غرض اقتصادى وهو حفظ ثروة الزوج المتوفى داخـل عائلته ، ولم يكن الهدف من ورائه اجتماعياً أو دينياً ورأوا فيه أنه يقـوم على الطمع والحصول على مال الغير بدون وجه حق ، وأعتبروا المرأة فى حالة هذا الزواج اشبه بسلعة تورث (٨٦) .

وعن العلاقات الزوجية والحياة العائلية فقد نصت عقيدة اليهود على ضرورة تقدير الرجل بين أفراد أسرته ، واحتـرام الآباء والأجداد ، كما شدد على ضرورة أن تسود المحبـة بين الرجل وزوجته ، وعلى الاعتراف بحقوق الأطفـال فى التربيـة والتعليم ، وعلى أن رب الأسرة له الحق فى أن يفرض نفوذه على أفرادها ، ولكن بشرط أن يلتزم جانب الاعتدال ، ونبهت على أن كل فرد فى الأسرة له دور مهم لابد من أن يؤديه ويشتركون جميعاً فى تدعيم أسرتهم وعقيدتهم (٨٧) .

وتشير المراجع العبرية المعاصرة ، الى أن العـلاقة بين الرجل والمرأة كانت طيبة . ويستشف منهـا أيضـاً أن حـالات

---

(٨٤) السيد عاشور ، مركز المرأة ، ص ١٨ .
(٨٥) سفر التكوين ، الاصحاح الثامن والثلاثون ، ٨ .
(٨٦) السيد عاشور ، مركز المرأة ، ص ١٨ .
(٨٧) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١ .

ضرب الرجال اليهود لزوجاتهم أو قيامهم بتعذيبهن كانت قليلة ، وفي حالة عرض مثل هذه الحالات على مجالس القضاء اليهودية كان الزوج يعاقب عقابا شديدا ، وكانت تفرض عليه غرامة وربما وصل الأمر الى وضعه فى السجن (٨٨) .

وهناك من الشواهد مايثبت احترام اليهود لنسائهم فى العصر المملوكى ، وخير شاهد على ذلك تلك الألقاب التى أطلقها اليهود على نسائهم مثل ست البنين وست الدار (٨٩) ، وست الناس (٩٠) ، وست الكل (٩١) وست الحسن ، وهناك ألقاب مثل أم مخلوف وغيرها (٩٢) وذلك من باب « الفخر والتزكية والثناء والتعظيم » (٩٣) . ويمكن القول بأن اليهود تأثروا أيضا بالمسلمين فى التسمى بالأسماء العربية ، فقد كانت معظم أسمائهم عربية الى جانب القليهم ، وهذا دليل على أن اليهود كانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصرى .

وقد اعتاد رب الأسرة قضاء معظم وقته خارج المنزل فى حانوته وممارساً لمهنته ، فى الوقت الذى كانت فيه المرأة تقوم وتشرف على شئون منزلها، وقد تعمل أحياناً خارج المنزل فى التجارة أو فى الاقراض بالربا (٩٤) ، بل يمكن القول ان غالبية نساء

---

(٨٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 342.

(٨٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

(٩٠) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ٥٧ ؛

Mann, Texts and Studies in Jewish, p. 421.

(٩١) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٩٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 334.

(٩٣) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٩٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ١ ، ص ٦٧ .

اليهود كن يعملن بسبب غياب أزواجهن خارج البلاد ، ولكن بعد عودة الزوج الى الوطن كان يطلب دائما من زوجته الكف عن العمل والبقاء فى المنزل ، وقد أيده فى ذلك الفقهاء القائمون على الدين اليهودى . وجرت العادة أن تستعين الأسر الثرية بالخدم الخادمات (٩٥) .

وقد وجد لدى الأسرة الثرية طباخين وطباخات من أجل طهى الطعام (٩٦) ، لذا كانت النساء يقضين وقتهن فى الحياكة والنسيج ، كما كن يفصلن لأنفسهن الثياب ويطرزن بعض المشغولات الحريرية ، على العكس من الأسر الفقيرة التى كانت المرأة فيها تشرف على جميع أمور منزلها (٩٧) ، وجرت العادة أن تلقى على كاهل نساء اليهود علاج المرضى ، لأن اليهودى الذى يمرض كان لا يقبل فى المارستان ، التى كانت موقوفة على علاج المسلمين فقط ، كما يستشف من وثيقة وقف مارستان السلطان قلاوون (٩٨) . ومع هذا فقد جاء فى أحدى وثائق الجنيزة بصدد عمل أطباء اليهود فى المارستانات الاسلامية ، إنه كان يسمح لليهود داخل هذه المارستانات بالعلاج والمعالجة (٩٩) .

---

(٩٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 341.

(٩٦) Adler, Jewish Travellers, p. 208.

(٩٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 341.

(٩٨) انظر وثيقة وقف السلطان قلاوون ، وهذا البيمارستان هو الذى وقفه مولانا السلطان المنصور لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء والفقراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيها ... » ابن حبيب ، تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه ، الجزء الأول حوادث ٦٧٨ ـ ٧٠٨ هـ / ١٢٧٩ ـ ١٣٠٨ م مع نشر وتحقيق وثائق وقف السلطان قلاوون تحقيق محمد محمد أمين مراجعة سعيد عاشور ، دار الكتب المصرية ١٩٧٦ م ، ص ٣٥٨ .

(٩٩) Cohen The Burden Some life of Jewish, pp. 127-129.

اما عن نظام الطعام ، فقد كانت الاسرة تجتمـــع لتناول الطعام ، وكانوا يضعون الأطعمة على قطعة من القماش تفرش على الأرض أو على صينية من الفضة أو النحاس ، توضـــع فى منتصف الحجرة أو فى احد الأركان ، وكانت الاسرة تجلس حول الطعام على بعض الوسائد او على الارض ، وترص على الصينية عدة صحون ، وقد تشابهت عادات اليهود مع عادات المسلمين فى غسل الأيدى قبل الاكل حيث يقوم الخادم بسكب المياه على أيدى الحاضرين ويقوم باعطائهم صابونا برائحة ، كما كان يقوم باعطائهم بعض أوراق زهرة اللوتس ، وكان اليهودى يبدأ طعامـــه بشرب نبيذ العنب أو الكروم ومعه بعض الفاكهة ويقوم كل فرد بتهنئـــة الآخر « بالهناء والشفاء » ، وبعد الانتهاء من شرب الخمر ، كانوا يتناولون اللحوم وغالبا ما تكون لحم (كبش) أو لحم طيور مطبوخة أو مقلية أو مشوية ، وقد أحب يهود مصر تناول الحلوى المطبوخة ولذلك وجد على مائد طعامهم كل أنواع الحلوى (١٠٠) .

وأحيانا كانت الأسر اليهودية تتناول طعامها على مائدة وكان يطلق على الأوانى التى يقدم فيها الطعام اسم الزبدية وكانت تصنع من الفخار أو الخزف او الفضة ، كما وجدت الطاسة وهى وعاء غير عميق للشرب ، كانت تصنع من النحاس الأحمـــر أو الأصفر المبيض بمادة القصدير وقد كثر استعمالها فى العصرين الايوبى والملوكى (١٠١) .

ولم يعرف اليهود استخدام المعالق أو الشوك أو السكاكين فى تناولهم للطعام ، بل كانوا يأكلون بأيديهم ، ويضعون أصابعهم فى الصحن ليلتقطوا جزءا من الطعام ، واذا كان هذا الجزء كبيرا

---

(١٠٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 340.

(١٠١) Goitein, A Mediterranean Society Daily life, pp. 144-146.

كان يتم وضع الجزء الزائد فى قطعة من الخبز الموضوع أمامهم ، كما كانوا يتناولون الخضروات الى جانب اللحوم . وبعد الانتهاء من تناول الطعـــام كانت الأسرة تقـــوم بغســـل أيديهـــا ، ثم تجفيفها (١٠٢) بمناديل وفوط من الحرير (١٠٣) ، ويلاحـــظ ان العادات اليهودية السابقة فى تناول الطعام هى العـــادات التى كانت متبعة لدى المسلمين نفسها سواء فى جلوسهم على الأرض لتناول الطعام ، أو فى غسل أيديهم قبل الطعام وبعده ، كذلـــك الحال بالنسبة لتجفيف الأيدى بالمناديل والفوط الحريريـــة وان وجدت بعض الاختلافات البسيطة التى تمثلت عند اليهود فى أن الزوجة والأبناء كانوا يجلسون مع رب الأسرة فى أثناء تناول الطعام ويأكلون من وعاء واحد على العكس من المسلمين فقد كانت الزوجة والأبناء فى العصر المملوكى لا يشاركون رب الأسرة فى الاكل من وعاء واحد بل « للرجل طعام خاص به وزبدية خاصة به وكـــوز خاص به » (١٠٤) . وكان من عادة اليهـــود المصريين أيضـــا الا يطهوا الطعام فى منازلهم سوى لإعداد وليمة السبت ، وكانوا يشترون الطعام جاهزا من الأسواق طوال أيام الاسبوع نظـــرا لانشغالهم بأعمالهم ، وكان اليهودى يشترى كل ما يحتاج اليه من لحم وجبن وسمك وخضروات (١٠٥) . شأن بقية أفراد المجتمـــع المصرى زمن سلاطين المماليك .

وفيما يتعلق بطهارة المرأة الحائض ، فكان يحـــرم عـــلى الزوج أن يقترب من الزوجة الحائض التى حددت التوراة أحكامها وكيفية التطهر من الحيض ، فحددت فترة نجاستها بسبعة أيام ،

(١٠٢) Adler, Jewish Travellers, pp. 174-196-203.

(١٠٣) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(١٠٤) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(١٠٥) Adler, Jewish Travellers, p. 228.

لا يقربها زوجها فى أثنائها حتى ولو تطهرت من الدم قبل انتهاء الفترة المذكورة . وكانت اذا مست فراشها أو مكان جلوسها وجب عليه أن يغسل ثيابه وان يغتسل عند الغروب ، وكان اذا صادف الزوج الحيض وقت قربه من زوجته لزمه الحيض سبعة أيام ثم يتطهر ، واذا ما قرب الزوج زوجته وهى حائض فيكون نجسا ليوم واحد ، وان كان ذلك يعد اثما كبيرا فى حالة علمه به واذا امتد دمها أكثر من سبعة أيام سواء أكان فى وقت الحيض أم فى غير وقته فكانت الزوجة تعد فى حكم الحائض ما دام الدم عليها ، وقد اقر هذا القراءون . أما الربانيون فقد حصروا أمرها فى تجنب زوجها الاقتراب منها ، ولم يفرقوا بين ما اذا كانت حائضا أو ممتدا دمها ، ولذا أوجبوا لها دائما أربعة عشر يوما السبعة الأصلية والسبعة النقية (١٠٦) ، وقد أجاز الربانيون أن تؤدى الحائض كل مطالب البيت واستثنوا أشياء قليلة جدا حرموا عليها أن تؤديها فى فترة حيضها ، مثل فرش فراش الزوج وسرج سراجه ومزج كأسه (١٠٧) .

وقد سعى الفقهاء اليهود المشرعون الى حث النساء اليهوديات على تنفيذ الأوامر المفروضة عليهن وأن يحافظن على الوصايا الدينية وخاصة الوصايا التى تقضى بضرورة تطهر المرأة الحائض فى بركة خاصة بالطهارة (١٠٨) ، كما وضع الفقهاء اليهود أيضا بعض اللوائح التى تنص على أن المرأة يجب عليها

---

(١٠٦) مراد فرج ، القراءون والربانيون ، ص ١١٧ .

(١٠٧) الحاخاميم الفلسطينيين ، طهارة العائلة ، ترجمها الى العربية الحاخام شمعون بلانشي ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٩ . ألفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ١٣٠ .

(١٠٨) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائيين والربانيين ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

التطهر بعد سبعة أيام من فترة الحيض ، واذا طلبت من امرأة أخرى أن تسكب عليها المياه ، فيتم طلاقها بدون وثيقة طلاق وتصبح شروط زواجها باطلة ، وقد لجأ الفقهاء اليهود عندما وجدوا أن النساء اليهوديات قد قمن باهمال الأوامر الدينية الخاصة بالتطهر ، وعلى الرغم من هذه اللوائح لم تتراجع النساء عن تمردهن فكن يخدعن أزواجهن ويدعين أنهن تطهرن وأحيانا يفعلن ذلك بموافقة من أزواجهن أنفسهم (١٠٩) .

وكان على العروس أن تلتزم باجراءات الطهارة من الحيض ، وأن لم تحض بعد ، أو كانت عجوزا وقطعت صلتها بالحيض فعلى العروس أن تفحص نفسها فاذا وجدت نفسها نظيفة تبدأ مراعاة أيام النظافة السبعة ، وبعد ذلك تغطس فى المغطس والأفضل أن يكون يوم الزفاف قريبا من يوم الغطاس ، ولا تتجاوز المدة بين الغطاس والزفاف أربعة أيام ، وبعد نزول دم البكارة تبتعد عن زوجها ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع ليلا تأخذ العروس فى الاستعداد للطهارة ومن اليوم الثانى تمكث سبعة أيام نظيفة (١١٠) .

أما الوالدة فان ولدت ذكرا فانها تمكث أربعين يوما بيانها سبعة نجاسة الحيض وثلاثة وثلاثين نجاسة الولادة ، أما اذا كانت ولادتها أنثى فان الوالدة تمكث ثمانين يوما بيانها أربعة عشر نجاسة الحيض وستة وستين يوما نجاسة الولادة (١١١) .

---

(١٠٩) الحاخايم الفلسطينيين ، طهارة العائلة ، ص ١٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١١٢ .

(١١٠) الحاخايم الفلسطينيين ، طهارة العائلة ، ص ١٥ ، ١٦ ؛ فؤاد حسنين ، اليهودية ، ص ١٢٣ .

(١١١) سفر اللاويين ، الاصحاح الثانى عشر ، ٢ : ٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١١٢ .

وجرت العادة أن يحتفل اليهود فى العصر المملوكى بمناسبات شتى كالولادة والختان ، وان كانت المراجع اليهودية المعاصرة قد ضمنت بمعلوماتها عن الولادة ومراحلهـــا المختلفـــة والنفـــاس وما يحدث فيه ، لكن يرجح أن عادات اليهود لم تختلف كثيرا عن عادات المسلمين فى أثناء تلك المناسبات .

وبعد ولادة الطفل كانت دعوات البركة التى تتلى فوق راسه تتكون من ثلاث أمنيات أن ينمو الطفل ويمتاز بعقل سليم وصحـــة جيدة ببركة التوراة ، وأن يتم الاحتفال بزواجه وأن يعيش حياة السعادة والعدل والاحسان (١١٢) .

أما فيما يتعلق بالختان (١١٣) ، فقد ارتبط الختان عند اليهود بالقربان ، فاكتفت الآلهة بجزء من الانسان ، ذلك الجزء هـــو ما يقتطع فى عملية الختان ، وقد كان الختان سنة شائعة عنـــد المصريين القدماء ، وقد شاع عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التى تتعرض لها الأعضاء التناسلية ، وقد اقتبسه اليهود المصريون وجعلوه مرتبطا بالقرابين التى تقدم للفقراء وارضاء الالهة (١١٤).

---

(١١٢) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١١٢ ٠

(١١٣) الختان اسم لفعل الخاتن وهو مصدر كالنزال والقتال ، ويسمى به موضع الختن أيضا ، ويسمى فى حق الأنثى خفضا ويسمى فى حق الذكر اعذارا أيضا وغير المعذور أعلف وأقلف ، وقد يقال الاعذار لها أيضا ، وهو من خصال الفطرة ، ابن الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، القاهرة ١٩٧٧ م ، ص ١١٩، ١٣٦ ٠

(١١٤) أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ؛ أحمد سوسة ، العرب واليهود ، ص ٢١٨ ؛ ألفت جلال ، العقيدة الدينية ص ٦٤ ؛ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران بدون تاريخ ، ج ٢ م (١) ، ص ٣٧١ ؛ المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات ، ص ١٧٦ ٠

ويعتبر الختان من أهم الشعائر الدينية عند اليهود ويسبونه دائما الى ابراهيم عليه السلام باعتباره الأمر الأول الذى تلقاه من الرب (١١٥) ، ومن هنا أطلق اليهود على كل من اختتن تعبير « ملة ابراهيم » وقد أطلق اليهود على كل من يختتن دون أن يعتنق اليهودية اسم حنيف (١١٦) .

واليهودية لا تؤجل موعد ختان الطفل عن اليوم الثامن لولادته ولو كان هذا اليوم موافقا ليوم من أيام السبت أو يوم الغفران أو غيرهما من الأيام المقدسة ، فرغم أهمية الحفاظ على قداسة السبت فى اليهودية ، بالكف عن القيام بأى عمل دنيوى ، فان اجراء عملية الختان فى موعدها الذى قررت الشريعة يؤجل السبت أو بعابرة أخرى لا يفسد قداسته (١١٧) .

وقد اشترط الربانيون ختان الطفل قبل اليوم الثامن لولادته، ولم يوافقهم على ذلك القرعون ، كما أجمع الربانيون ووافقهم عنان على أن الختان التام الشرعى يكون بقطع القلفة وطرح البشرة أى نزع الجلد أو القشرة من تحت القلفة بعد شقها قليلا الى ما فوق الحشفة ، أما القراعون فمعظمهم لا يفعلون أكثر من قطع القلفة (١١٨) .

---

(١١٥) سفر التكوين ، الاصحاح السابع عشر اية ١٢ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠١ ؛ الهوارى ، الختان فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، ط (١) ١٩٨٧ م ، ص ٢ .

(١١٦) اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اليهود ، ص ٧٩ .

(١١٧) يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ١٠٢ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ ؛ محمد الهوارى ، الختان ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(١١٨) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٤٣ ، الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائيين والربانيين ، ص ٥٤ .

وهناك عدة اجراءات مشددة قبل الترخيص للمطهر بمزاولة مهنة الختان اذ لا بد له من الحصول على شهادة تثبت مهارته في الجراحة اللازمة لمثل هذه المهنة ، وكان يشترط فيه أن يكون يهوديا مؤمنا يخشى الله (١١٩) .

وقد سمح للنساء باجراء عملية الختان في ظروف خاصة ، كعدم تواجد رجل فى مكان ما مؤهل ومستعد لاجراء العملية ، فان أية امرأة يهودية يمكنها أن تقوم بها اذا تأكدت من قدرتها على ذلك ، ولم تكن الختانة فى الأصل عملا مهنيا يتكسب منه صاحبه بل كل عملا من أعمال الخير يقع على عاتق كل يهودي يتمتع بسمعة حسنة ، وأن يكون مكتسبا لمهارات خاصة تؤهله لاجراء عملية الختان (١٢٠) .

وفى العصور الوسطى كان يقوم باجراء العملية شخص مؤهل تأهيلا خاصا ، ومدرب ومتمرس يعرف باسم « موهيل » Mohel أى « الخاتن » أو « المطهر » الذى كان يرخص له بمزاولة هذه الصنعة بعد منحه أجازة بذلك من الحاخامية ، أو المؤسسة الدينية التى يتبعها ، وفى ظروف خاصة كان يسمح أيضا لغير اليهودى أن يجرى عملية الختان (١٢١) .

وفى العصور الوسطى ، كانت طقوس الختان تجرى غالبا فى السيناجوج اى الكنيس وتتلى فى أثناء عملية الختان بركات وترنيمات مناسبة ، يرددها والد الطفل وكل من معه من الحاضرين

---

(١١٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٣٠ .

(١٢٠) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع ، ٢٥ ؛ يوسف ابراهام المرشد الأمين ، ص ١٠٢ ؛ محمد الهوارى الختان ، ص ٤٧ .

(١٢١) الهوارى ، الختان ، ص ٤٨ .

وفى مقدمتهم الخاتن ، الذى غالبا ما يكون فى هذه الحالة طبيبا يهوديا ، وبعد عملية الختان مباشرة كان الطفل يسلم الى أبيه أو الى احد الضيوف المخلصين المقربين له ويقوم الأب بتلاوة « بركة الختان » التى تقول « مبارك أنت يارب الهنا ملك العالم ، الذى قدستنا بأوامرك ، فأمرتنا أن نلتزم بعهد ابراهيم أبينا (١٢٢). وينطق الخاتن بهذه البركة ، ثم يقوم بعد ذلك بتلاوة بعض الترنيمات والأدعية المشفوعة بالرجاء على كأس من النبيذ يمسكه الخاتن فى يده ، ويشرب منه ، ثم يضع قطرات من النبيذ على شفتى الطفل ، ثم يدعو للطفل بأن يمنحه الرب الصحة والحياة ، ويتمنى له أن يكبر مع حب التوراة . وأن يقوم بالأعمال الطيبة وبعد ذلك يتم اختيار اسم للمولود (١٢٣) .

ويتبادر الى الذهن سؤال من الذى كان له حق تسمية الطفل ، هذا الموضوع يرجع الى العادات والتقاليد أكثر من أن تكون له صلة بالشريعة اليهودية ، فمن الناحية النظرية كانت تسمية الطفل من حق والده ، وجرت العادة أنه اذا كان هناك اختيار بين اسم والد الأب وبين اسم والد الأم ، يتفق الرجل وزوجته على أن يطلق على الطفل اسم جده من ناحية أبيه (١٢٤).

وقد اعتاد اليهود تسمية أنفسهم بأسماء غير يهودية وكان يمكن بتحوير بسيط تحويل الاسم العبرى الى اسم عربى ، فمثلا افراهام يمكن تحويله الى ابراهيم ، ويتسحاق الى اسحق ويعقوف الى يعقوب ، يوسيف الى يوسف ، واليهودى الذى اسمه موشى « كان المسلمون يدعونه موسى وأهارون هارون وتكشف لنا بعض

(١٢٢) الهوارى ، الختان ، ص ٥٢ ٥٥ .
(١٢٣) الهوارى ، الختان ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .
(١٢٤) رشار الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٠ .

الرسائل الخاصة المتبادلة بين اليهود انفسهم أنهم كانوا ينادون بعضهم البعض بأسماء عربية داخل المجتمع اليهودي ، أما الاسم العربى فكان يعرفه الحزان (١٢٥) فقط ، الذى يقوم بقراءة التوراة عليهم ، لذلك اشترط الحاخامات ضرورة كتابة الاسم العربى فى وثيقة الطلاق أى الاسم المعروف به المطلق بين الناس حتى ولو كان البعض ينادونه بالاسم العبرى كما اشترطوا ذلك حتى فى حالة النص على الاسم العبرى فى وثيقة عقد القران (١٢٦).

ونستشف من الرسائل الخاصة التى ترجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى والتى كانت متبادلة بين اليهود أنفسهم أن ثلث الطوائف اليهودية قد احتفظوا لأنفسهم بأسمائهم العربية ، وكانت أسماء اليهود العربية هى الأسماء المنتشرة بين المسلمين نفسها فيما عدا أسماء محمد وأحمد وحسين التى لم يتسم بها اليهود أو النصارى . كما سبق أن نوهنا من قبل . وكان كثير من الأسماء العربية ترجمة للاسم العبرى فأصبح اليعازر نصر الله وعويديا عبد الله ، أما الأسماء التى لم يكن لها ترجمة فقد استبدلوها باسماء عربية . وقام اليهود مثل سائر المسلمين باختيار الألقاب (١٢٧) التى اعتاد العرب اضافتها الى أسمائهم (١٢٨) .

---

(١٢٥) الحزان ، كان يشرف على الصلاة ، واشترط فيه الالمام بأحكام التلمود بالنسبة للربانيين ، وكثيرا ماكان الحزان معلما ومؤلفا لأعمال كهنوتية يتلوها فى أثناء صلوات السبت والأعياد ، انظر مراد فرج ، القراءون والربانيون ، ص ١٨١ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١١٨ .

(١٢٦) ابن زمرة ، فتاوى رابى ـ افيدا ، ج ١ ، ص ٥٣١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٠ .

(١٢٧) انظر الباب الأول الفصل الأول من وما بعدها .

(١٢٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.

أما بالنسبة لنساء اليهود ، فقد كانت أسماؤهن العبرية نادرة جدا ، وكانت أسماؤهن كلها عربية ، لذلك يرجح انه لم يكن لهن أسماء عبرية ربما بسبب قلة تواجدهن في أثناء الطقوس الدينية . ومن الأسماء اليهودية الشائعة نجد ملاح (١٢٩) ، عذب ، فخر ، شمس ، عزيزة (١٣٠) ، شقراء (١٣١) .

وكانت مسئولية تربية الأطفال وتنشئتهم ، تقع في غالب الأحيان على كاهل الأم التي كان عليها أن تعتني بصغارها وأن تسهر على راحتهم (١٣٢) ، ومن تقاليد اليهود أن الطفل كان يجب الا يشعر بأن والديه لا يعطفان عليه ، فقد جاء في التلمود « ليكن تأديبك لطفلك بيدك اليسرى ثم تضمه الى صدرك بيدك اليمنى » ، كما كان الأطفال نعمة من عند الله ، وأن الأباء هم الأوصياء المسئولون عن رعاية هذه النعمة الكبرى (١٣٣) .

وقد لعبت الأم اليهودية دوراً مهما في مجال تنشئة الأطفال والاهتمام بهم وباحتياجاتهم الجسمانية ، فكانت الأم ترعى الطفل وهو صغير (١٣٤) ، وتظل تعلمه حتى الخامسة على المحافظة على الأوامر الدينية مثل تطهير الأيدى ومباركتها (١٣٥) ، وبعد أن يصل الى سن الخامسة كان يتم الحاقه بالمدرسة وكان هذا

(١٢٩) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٢٧ .

(١٣٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 332.

(١٣١) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ١٢ ، ص ١٦٨ .

(١٣٢) زكريا الحجاوى ، حكاية اليهود ، موسوعة التراث الشعبى ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٠١ .

(١٣٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٢ .

(١٣٤) Hananel. M., Muslim Influences on Jewish culture, p. 22.

(١٣٥) Mann. The Jews in Egypt, 11, p. 302.

الحدث يمثل لحظة تاريخية ليس فى حياة الطفل فقط بل وفى حياة الأسرة كلها (١٣٦) .

وقد كتب الشاعر يوسف بن تنحوم الأورشليمى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أبياتا شعرية عن طفل تم التحاقه بالمدرسة ، يصف فيها مراحل تعليم الطفل وكيفية تقبله لها ، وكان يتم تأجير معلم فى الأماكن التى يسكن فيها عدد صغير من الأسر اليهودية لتعليم الأطفال ، كما كان يتم فتح مدرسة لكى يلتحق بها هؤلاء الأطفال ، أما فى التجمعات الكبيرة فقد وجدت مدارس كثيرة لتعليم الأطفال ، فقد جاء فى الفتاوى التى ترجع الى العصر المملوكى « أن العالم قام من أجل هؤلاء الأطفال وعلينا الاهتمام بهم » (١٣٧) .

وكان يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الأطفال اسم الحيدر وجمعة حداريم بمعنى غرفة أو حجرة ، وقد استخدمت اللفظة مجازا بمعنى الكتاب أو المكتب عند المسلمين (١٣٨) ، وكان عبارة عن حجرة أو غرفة تخصص فى أحد المنازل ليتعلم فيها الصبيان (١٣٩) ، ويبدو أن هذا الكتاب أو الحيدر قد مر بمراحل سابقة قبل أن يعرف بهذا الاسم ، اذ أنه فى عصر التلمود كان يسمى بيت ربان بمعنى مدرسة الاستاذ أو أطفال الاستاذ ، كما كان الاطفال أنفسهم يسمون « أطفال مدرسة الاستاذ » ولم يطلق عليه حيدر الا فى فترة متأخرة . وفى هذا الحيدر أو الكتاب كان الاولاد يتعلمون على نفقة الطوائف ، كما كانوا يمرون بمراحل

---

(١٣٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ١٦ .
(١٣٧) Ashtor, History of the Jews, II, p. 347.
(١٣٨) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦٠ .
(١٣٩) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٣٩ .

تعليمية طبقا لأعمارهم ، اذ خصصت المرحلة الأولى للأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثالثة والخامسة وكانوا يتعلمون الأبجدية العبرية والقراءة على يد المعلم الذى يساعده آخر يطلق عليه ريش دوخنيا أى ما يقابل مساعد العريف عند المسلمين ؛ وكانت مهمته الى جانب مساعدة المعلم فى الكتاب ، حفظ النظام والقيام باحضار التلاميذ على كتفيه الى الكتاب (١٤٠) .

أما المرحلة الثانية فكانت تخصص للأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والسابعة وكانوا يتعلمون الأجزاء الأولى من أسفار موسى الخمسة ثم يتعلمون الصلوات والقراءة الصحيحة بالعبرية . أما المرحلة الثالثة فكان ينتظم فيها الأولاد من بين السابعة والثالثة عشرة ، وقد أطلق عليها بالعبرية « برمتسفا » (١٤١) وكانوا يدرسون فصولا معينة من الجمارا أو الأسفار الخمسة والقراءة فى أسفار الأنبياء والمكتوبات (١٤٢) ؛ وقد انتشرت الكتاتيب فى جميع المدن المصرية التى أقام فيها اليهود (١٤٣) .

وجرت العادة أن يلحق الكتاب أيضا بالمعبد حيث تقع قاعة الصلوات أو يخصص له احدى غرف المعبد . وكان الأطفال من

---

(١٤٠) دائرة المعارف اليهودية ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(١٤١) برمتسفا ، المكلف ، وكان يطلق على الطفل اليهودى عندما يبلغ الثالثة عشرة من عمره وهو يعنى أيضا المسئول ، أو البالغ ومن التقاليد الموروثة أن الطفل متى بلغ هذا السن فانه يبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث يأخذ فى تحمل مسئولية نفسه فى جميع أموره خاصة فيما يتعلق منها بالتقاليد الدينية ، انظر عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦١ ، هامش (٢) ؛ انظر أيضا المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٩٩ .

(١٤٢) دائرة المعارف اليهودية ، ج ٤ ، ص ٣٥٠ .

(١٤٣) عبد الرازق قنديل ، الأثر الاسلامى ، ص ١٦١ .

الذكور يقضون معظم اليوم فى الكتاب ولا يسمح لهم باجازات الا فى أيام السبت والأعياد والعطلات الرسمية ، وكان المعلمون يقومون بتشجيع الاولاد على الدراسة ، عن طريق تقديم بعض الهدايا لهم فى أيام السبت والأعياد بالاضافة الى اعطائهم بعض الفاكهة والملابس الجديدة ، أما فيما يتعلق بتعليم البنات فقد كن يأخذن قسطا من الثقافة وبخاصة فى الشئون الدينية ، وكان يتم التعاقد مع المعلمين من أجل تعليم البنات الصلوات وبعض التفسيرات باللغة العربية . وكان أجر المعلم ضئيلا بالقياس الى العدد الضخم من لأطفال ، الذين كان يتولى مهمة تعليمهم لذا كانت مهنة التدريس تعد من المهن الشاقة فى ذلك الوقت (١٤٤) .

وقد شدد علماء التلمود على ضرورة عدم الاستعانة بمعلم غير متزوج لتعليم الأطفال تفاديا لإتيانه الفاحشة مع الأمهات اللاتى يحضرن أبناءهن للكتاب ، وكذلك المعلمات سواء المتزوجات منهن أو غير المتزوجات تفاديا ايضا لوقوع الفاحشة بينهن وبين الأباء (١٤٥) .

وقد أوصى شموئيل بن يحيى المغربى بضرورة تعليم الطفل القراءة والكتابة بالعبرية والتوراة وكافة تفاسيرها أولا ، وذكر أنه بدأ فى تعليم الحساب والهندسة وعلم الطب وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره على مدى خمس سنوات ولم يذكر لنا شيئاً عن دراسته للعلوم العربية (١٤٦) .

---

(١٤٤) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 247-248.

(١٤٥) Ashtor, History of he Jews, II, p. 248.

(١٤٦) ابن يحيى المغربى ، بذل المجهود فى افحام اليهود ، القاهرة ١٩٣٩ م ، ص ١٤ .

وكان بعض الأطفال لا يواصلون تعليمهم بعد الانتهاء من مرحلة الكتاب ، وكان من يرغب منهم فى مواصلة تعليمه عليه أن يقوم بدراسة المشنا والتلمود ، كما كان عليه ان يقوم بدراسة مؤلفات رابى موسى بن ميمون التي غطت على دراسة الجمارا ، وكان عليه أيضا أن يقوم بدراسة قواعد اللغة العبرية التى وضعها النحاة اليهود مثل رابى (يهودا بن حيوج) ورابى « يونا ابن جناح » ، فقد كتب احد المعلمين عن تجربته الشخصية فى التعليم قائلا : بأن المعلمين كانوا يحرصون على تعليم التلاميذ كثيرا من المواد الشفوية ، وان هذه المناهج كانت تشبه مناهج من يريد العمل فى سلك القضاء أو المناصب الدينية ، وقد حرص الآباء على ان ينال أولادهم قسطا كبيرا من الثقافة العامة الى جانب الثقافة التوراتية (١٤٧) ، كما حرص هؤلاء المعلمون على تعليم التلاميذ بعض أمهات الكتب ، وكان من يرغب فى تعليم أساسيات اللغة العربية عليه أن يقوم بدراسة الفية ابن مالك (١٤٨) .

أما بالنسبة لدور اليهود فى الحياة الثقافية فيلاحظ انه على الرغم من اشارة المستشرق الفرنسى آشتور الى اقبالهم على دراسة العلوم العقلية من حساب وهندسة وبصريات وفلك وميكانيكا وموسيقى .(١٤٩) ، غير أنه لم يقدم لنا دليلا كافيا على براعة احدهم أو تميزه فى مجال هذه العلوم الأمر الذى اكده ايضا

(١٤٧) Ashor, History of the Jews, II, p. 349.

(١٤٨) Munk (M.), Sur Joseph ben-Iehouda au Abou I'hadjadj Yousouf ben Ya'hya al-Sabti al Maghrebi, disciple de Maimonide, JA, 1842, pp. 15, 19, 23, 29, 30, 34.

(١٤٩) Ashtory History of the Jews, III, pp. 349-350 ; Güdemann (M.), Das Jüdische unterrichtswesen Während des Spanisch Arabichen periode · Tab-ul Nufus, des Joseph-ben Aknin. Wien 1873, pp. 26, 27, 28, 29, 31, 32, 33, 35, 37.

هذا البحث الذى اثبت بما لا يدع مجالا للشك فى أنه لم يكن لليهود دور بارز فى مجال العلوم العقلية باستثناء علم الطب (١٥٠) الذى أثبتوا جدارة فيه تحسب لم كما سبق أن نوهنا من قبل .

والحديث عن الأسرة اليهودية زمن سلاطين المماليك يحتم علينا التعرض لموضوع الطلاق الذى يبدو أنه كان نادرا فى الأوساط اليهودية ، ومع ذلك ففى حالة حدوث خلافات بين الرجل وزوجته وتصبح الحياة بينهما لا تحتمل ، فان العقيدة اليهودية كانت تحث على انفصال الزوجين ، فقد ذكر علماء الدين أن المنزل الذى يسوده جو من المحبة والسعادة يعتبر معبدا مقدسا ، أما المنزل الذى يفتقر الى العطف والمودة فهو مكان غير ملائم لاقامة شعائر الدين (١٥١) .

ويعتبر الطلاق فى الشريعة اليهودية حقا من حقوق الرجل يستطيع أن يوقعه بارادته المنفردة (١٥٢) ، ويمكن أن يكون أيضا عن طريق الاتفاق بين الطرفين لانهاء الرابطة الزوجية . كما يلاحظ وجود بعض التفاوت بين شقى الشريعة اليهودية بصدد الطلاق ، ففى الوقت الذى تبيح فيه شريعة الربانيين الطلاق مهما كانت الأسباب ، وكان دور القاضى فى هذه الحالة يقتصر على مجرد اثباته ، فان شريعة القرائيين كانت تشترط فى حالة عدم

---

(١٥٠) راجع من الفصل الثانى الباب الأول عن اشتغال اليهود بمهنة الطب .

(١٥١) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٥٤ ، ١٥ .

(١٥٢) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٩٧ ؛ محمد جميل بهيم ، المرأة فى التاريخ والشرائع ، بيروت ١٩٢١ م ، ص ٥٢ ، محمد عبد المقصود ، المرأة فى جميع الأديان ، ص ١٦٣ ؛ توفيق فرج ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

وجود اتفاق بين الطرفين عليه ضرورة وجود مسوغ للطلاق يقدره القاضى ويأخذ به (١٥٣) .

كما كان للمرأة الحق فى الطلاق من الرجل وبخاصة اذا تزوج عليها غدرا بها ، واذا أبى الطلاق فيقوم الشرع فى رأى البعض — مقام الزوج ويطلق المرأة من زوجها — على عكس الربانيين — الذى لم يكن يتم الطلاق عندهم الا عن طريق تسليم الرجل الوثيقة بيد المرأة ، كما يحق للمرأة طلب الطلاق اذا قصر الرجل فيما يجب عليه شرعا أو مرض وأزمن مرضه واستحكم ضارا بها ، أو لسوء سلوك الرجل وتعذر الحياة معه بسبب تنافر الأخلاق والطباع (١٥٤) .

ويفهم من بعض المراجع اليهودية ، أنه كان يشترط فى الزوج وقت الطلاق أن يكون عاقلا سليم الارادة ، ليطلق وهو بعقله ، لأنه لا يجوز طلاق المجنون أو الصغير لأن العبرة بالعقل والادراك ، ولم يمنع المرض من الطلاق حتى ولو كان مرض الموت ، ما لم يكن مؤثرا على القوى العقلية (١٥٥) .

وكان لا يجوز الطلاق فى أيام السبت أو فى الأعياد الدينية ، كما كان الطلاق لا يصح شرعا الا أمام السلطة الشرعية بوثيقة وبحضرة شاهدين ، وكانت مصاريف رسوم الطلاق على الرجل الذى كان عليه أداؤها معجلا ، أو على المرأة اذا شاءت (١٥٦) .

---

(١٥٣) محمد حسين منصور ، النظام القانونى للأسرة ، ص ٣٤٦ .

(١٥٤) محمد جلاء ، التأثير الاسلامى ، ص ١١٩ .

(١٥٥) ابن شمعون ، الاحكام الشرعية ، ص ١٠٠ ، مادة ٣٤٠ ، ٣٤١ ؛ مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ٢٩ ؛ المراغى ، الزواج والطلاق ، ص ٤٧١ .

(١٥٦) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ٩٩ ، ١٠٠ المراغى ، الزواج ص ٧٤١ ؛ توفيق فرج ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٣٥٥ .

وكانت وثيقة الطلاق ، تعد شرطا لازما لاتمام الطلاق وفقا لما جاء فى سفر التثنية (١٥٧) ، ويرى البعض أن وثيقة الطلاق عرفت قبل مجىء التوراة ويدللون على ذلك بأن ابراهيم عليه السلام قد أرسل هاجر من بيته بوثيقة ، فالكلمة ترجمت بأنه ابعدها بوثيقتها وربما يكون العبرانيون قد عرفوا وثائق الطلاق من بابل ومصر ، وكلها لم تكن شرطا من شروط الطلاق قبل زمن سفر التثنية (١٥٨) .

وبالنسبة لصيغة وثيقة الطلاق ، فلم تتغير على مدى العصور الوسطى ، لأن هذه الصيغة قد جددها موسى بن ميمون فى المؤلفات التى أعدها بخصوص ترتيبات الطلاق ، حتى الشكل الخارجى لوثيقة الطلاق لم يتغير ، وفى العصر المملوكى ظلت وثيقة الطلاق من حيث الشكل كما كانت من قبل ، وقد حرص اليهود على ان تكون وثيقة الطلاق طويلة وسطورها كبيرة من اليمين الى الشمال ، أما النساخ فقد كانوا يصنعون عدة ثنيات خلف وثيقة الطلاق حتى تكون السطور مستقيمة (١٥٩) .

وهى عند الربانيين ذات قيود اذ لا بد أن تتألف من اثنى عشر سطرا لا تزيد ولا تنقص ، وأن يكون السطر بقدر محدود كما يجب ألا تأتى بعض كلمات الوثيقة فى آخر السطر ، وذلك على العكس من القرائيين الذين لم يقيدوها بشىء (١٦٠) .

---

(١٥٧) سفر التثنية ، الاصحاح الرابع والعشرون ١ : ٢ .
(١٥٨) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٢١ .
(١٥٩) ابن زمرة ، فتاوى دافيد بن زمرة ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ ، ج ٣ ، ص ١٩ ؛ روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ٢٢١ .
(١٦٠) مراد فرج ، شعار الخضر ، ص ١٣١ هامش (١) القراءون والربانيون ، ص ١٣٣ .

وكانت وثيقة الطلاق تتضمن عبارات بسيطة مثل « انك لست زوجة لى ولا انا زوج لك » (١٦١) ، وفيما يتعلق بكلمات نهاية وثيقة الطلاق فكانت تكتب بشكل مطول ، كما أن اسفل حرف النون كان يتم تطويله حتى السطر التالى لأسفل (١٦٢) ، وكانت بعض الطوائف اليهودية توجب كتابة الوثيقة باللغة العبرية ، فى الوقت الذى أجاز فيه الربانيون كتابة الوثيقة بأى لغة أخرى (١٦٣) .

وفى العصر المملوكى كانت هناك ترتيبات بالنسبة للتوقيت الذى تعطى فيهاوثيقة الطلاق ، وهى ترتيبات لم تكن متبعة عند جميع الطوائف اليهودية ، وقد اعتاد يهود مصر تقديم ورقة الطلاق فى المساء (١٦٤) ، وبعد ان يتم تسليمها كانوا يقومون بتمزيقها ووضعها لدى الناسخ أو فى المحكمة ، كما كانوا يكتبون للمرأة المطلقة وثيقة بقرار المحكمة تفيد بأنها قد حصلت على طلاقها فى هذا اليوم ، وكانوا يقومون أيضا باعطائها هذه الوثيقة بصورة علنية (١٦٥) . وعلى هذا يمكن القول بان اليهود قد تأثروا بالمسلمين نتيجة لتعايشهم معهم ، فمن حيث معاملة اليهودى لزوجته كان يعطيها حقوقها من مسكن وملبس وغذاء حتى وهى خارج منزل زوجها ، وهذا يذكرنا بالنفقة عند المسلمين رغم أن الشريعة اليهودية نصت على أن يفعل بزوجته ما يشاء .

---

(١٦١) سوزان السعيد ، المرأة وحقوقها ، ص ١٢٢ .

(١٦٢) Ashtor, History of the Jews, II, p. 360.

(١٦٣) سوزان السعيد المرأة وحقوقها ، ص ١٢٢ .

(١٦٤) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

(١٦٥) ابن شمعون ، الأحكام الشرعية ، ص ١٠٥ ، مادة ٣٥٤ ؛ المراغى ، الزواج والطلاق ، ص ٤٧٣ ؛

Encyclopaedia Judaica, art, Divorce No (6). Jerusalem. 1972, p. 131.

والحديث عن الحياة العائلية ليهود مصر زمن سلاطين المماليك يجرنا ايضا للحديث عن المآتم والأحزان فكما كان لدى الأسرة اليهودية مناسبات سعيدة تتسم بالفرح والسرور ، وجد لديها ايضا حوادث مؤسفة مثل حالات الوفاة . وقد تشابهت عادات اليهود فى الدول المجاورة ، فكان يتم احضار جثة المتوفى الى فناء المعبد وهناك كانوا يرددون بعض كلمات التأبين والمواساة، ويفهم من أحد الأسئلة التى وجهت الى موسى بن ميمون ان يهود الاسكندرية اعتادوا على احضار جثة المتوفى أيا كانت الطبقة التى ينتمى اليها ، الى فناء المعبد لذا أوصى ابن ميمون بأن تقتصر هذه الطقوس على عظماء اليهود فقط (١٦٦) ، وفى حالة وفاة أحد القرائيين كانت أسرته تترك المنزل وتقوم باستدعاء احد الربانيين لنقل جثة المتوفى كما كانت تحرص على عدم لمس الجثة (١٦٧) .

وكان يتم دفن جثة المتوفى فى يوم الوفاة نفسه (١٦٨) ، واذا حدثت الوفاة فى يوم السبت أو فى أحد الأيام المقدسة كان بقاء جثة المتوفى فى المنزل لا يجوز أن تزيد على أربع وعشرين ساعة (١٦٩)، وجرت العادة أن تلف جثة المتوفى بالنسبة لفقراء اليهود بالكتان الأبيض او بنوع رخيص من القماش ، اما أثرياء اليهود فكانوا يكفنون موتاهم بنوع افضل واغلى من الكتان (١٧٠) ، وهذا يخالف ما نصت عليه الشريعة اليهودية من ضرورة عدم التظاهر بالجاه والثراء فى مثل هذه المناسبات ، طبقا لمبدأ المساواة بين

(١٦٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 361.

(١٦٧) Adler, Jewish Travellers, pp. 226, 227.

(١٦٨) ابن زمرة ، فتاوى رابى ، دافيد ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(١٦٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

(١٧٠) روفائيل أهارون ، نهر مصر ، ص ١٤٤ .

الناس جميعاً فى الحياة والموت (١٧١) . وكان اليهود يكمون أحيانا تحت أبط المتوفى التقلين (١٧٢) الخاص به (١٧٣) . كما أعتاد يهود مصر دفن جثة المتوفى بدون تابوت خشبى (١٧٤) ، وان يكون وجهه موجها لبيت المقدس (١٧٥) .

وفى العصر المملوكى كانت مقابر اليهود القرائيين والسامرة توجد فى مكان واحد بعيد عن مدينة القاهرة ، وقد سبب ذلك مشاكل كثيرة ، لأن الطرق المؤدية اليها كانت محفوفة بالمخاطر مما ترتب عليه أحيانا عدم مصاحبة جثة المتوفى حتى مثواه الأخير ، لذا وجدت جماعة عرفت باسم جماعة قديشا أى الجماعة المقدسة ، كانت تتولى دفن الموتى اليهود ، ولكن بحلول القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى اختفت هذه الجماعة ، وصاروا يعهدون بجثة المتوفى الى شخص يعمل فى هذا المجال كان عليه أن يوصل المتوفى الى مثواه الأخير ، وكان ينقله على ظهر حمار أو جمل واذا أحس بالتعب قام بانزال جثة المتوفى وقام بوضعه على جانبى الطريق حتى يستريح ثم يعاود السير مرة أخرى (١٧٦) .

وقد أشار المقريزى فى خططه الى مقابر اليهود فى العصر المملوكى ، وذكر أنها كانت تقع بالقرب من جبل المقطم وفى منطقة البساتين ، وذكر أيضا أن أول قرافة للمسلمين كانت تقع شرقى

---

(١٧١) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

(١٧٢) انظر الفصل الأول من الباب الثالث ، ص ٢٨٩ .

(١٧٣) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(١٧٤) روفائيل أهارون نهر مصر ، ص ١٧٩ .

(١٧٥) Lane (E.D.), An Account of the Manners and customs of the Modern Egyptian, London, 1908, p. 560.

(١٧٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 362.

الفسطاط بجوار المساكن ، وكانت تمتد فيها بين مصلى خولان وخط المعافر (١٧٧) وهذا يعنى أن القرافة كانت تشغل مساحة كبيرة تمتد من عند بركة الحبش فى الجنوب الى مصلى خولان فى الشمال ، ومن قناطر ابن طولون فى الشرق الى الرصد فى الغرب ، وقد عرفت هذه القرافة باسم القرافة الكبرى واستخدمت لدفن أموات المسلمين منذ أن افتتحت أرض مصر واختط العرب مدينة الفسطاط ، ولم يكن لهم مقبرة سواها (١٧٨) ويمكن تحديد موضع هذه القرافة على وجه التقريب فنقول انها كانت تشغل المنطقة الفضاء فيما بين مسجد الامام الليث بن سعد وسور الفسطاط الشرقى الذى ما تزال آثاره باقية (وكان يعرف بسور مدينة مصر) وكان يفصل بين القرافة ومصر كما ذكر المقريزى (١٧٩) . أما فى الشرق فكانت تمتد حتى تنتهى عند قناطر ابن طولون بالبساتين ، وفى الغرب كانت القرافة الكبرى تنتهى عند الرصد الذى كان يمثل هو والقباب السبع التى لا تزال باقية، آخر حدود القرافة الكبرى من هذه الجهة (١٨٠) ، أما فى الشمال فقد امتدت الى أن وصلت الى الموضع الذى بنيت عليه قلعة الجبل فيما بعد اى فى العصر الأيوبى (١٨١) .

---

(١٧٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ؛ محمد حمزه اسماعيل ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ١٩٨٧ ، ص ٢٤ .

(١٧٨) ابن الزيات ، الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، المطبعة الاميرية ١٩٠٧ م ، ص ٥ .

(١٧٩) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ ؛ محمد حمزة ، القرافة ص ٢٥ .

(١٨٠) ابن الزيات ، الكواكب السيارة ، ص ١٨٣ ؛ محمد حمزة ، القرافة ، ص ٢٥ .

(١٨١) محمد حمزة ، القرافة ، ص ٢٥ .

أما القرافة الصغرى فقد ظهرت الى الوجود فى العصر الأيوبى بعد أن أقبل الناس على البناء فيما حول قبر الامام الشافعى فى عهدى كل من السلطان صلاح الدين والكامل محمد ، وقد امتدت هذه القرافة فى سفح المقطم وعظم العمران بها حتى أصبحت أعرق الجبانات وعرفت باسم القرافة ، أما القرافة الكبرى فقد تلاشى أمرها الى أن عاد اليها العمران من جديد فى عهد الناصر محمد ، وقد امتدت القرافة الصغرى الى الشمال والى أقصى الشرق كما اتصلت القرافة الكبرى والتحمت بها بحيث صارتا قرافة واحدة (١٨٢) ، ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندى من أن القرافة « ممتدة فى سفح المقطم موقعها بين المقطم والفسطاط وبعض القاهرة ممتدة من قلعة الجبل ، أخذ فى جهة الجنوب الى بركة الحبش وما حولها » (١٨٣) وعلى هذا يمكن القول بأنه كان لليهود فى العصر المملوكى مقابر بالقرب من مقابر المسلمين .

وكان يعقب تشييع الجنازة بعض العادات فقد عرفت أول فترة للعزاء باسم (شيفع) ومعناها سبعة أيام لاستقبال وفود المعزين مع أنها كانت تقتصر على ستة أيام أو أقل من ذلك ، لأن العزاء كان ممنوعا فى أيام السبت والأعياد الرسمية ، واذا تصادف حلول بعض الاحتفالات الدينية فى أثناء فترات العزاء فلا تستأنف الأيام السبعة بعد نهاية الاحتفال (١٨٤) .

---

(١٨٢) محمد حمزة القرافة ، ص ٦٨ ، ٧٢ .

(١٨٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ؛ محمد حمزة ، القرافة ، ص ٧٣ .

(١٨٤) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٣ .

كما كان اهل المتوفى بعد عودتهم الى المنزل يقومون بتناول وجبات خفيفة عرفت بوجبة الحداد وكانت تتسم بالبساطة وتخلو من اللحوم أو الخمر وتقتصر على البيض والعدس. (١٨٥) .

وجرت العادة أن يقتصر العزاء خلال الأيام السبعة على الأهل والاقارب من أطفال وأباء وامهات وأخوة واخوات وزملاء الفقيد ، وكان هؤلاء لا يغادرون المنزل عادة الا لتأدية الشعائر الدينية فى يوم السبت (١٨٦) ، وكانوا يذهبون الى المعبد مرتدين ملابس بيضاء (١٨٧) ، الامر الذى يحملنا على الترجيح بأن اللون الابيض كان رمزا للحداد فى مصر المملوكية بدليل أنه عند وفاة الامير بركة خان بن الظاهر بيبرس حزن عليه السلطان المنصور قلاوون وقام بارتداء الملابس البيضاء (١٨٨) .

وكانت هناك صلاة خاصة تقام فى المنزل ثلاث مرات يوميا يقوم بالاشراف على تأديتها أحد اقارب المتوفى ، وكلماتها باللغة الآرامية وليست العبرية ، ولا تشير الى الموت مباشرة أو الفقيد ، وتبدأ بكلمات (باسم الله العظيم المقدس) وبعد الاسبوع الأول كانت فترة الحداد تستمر على مدى ١١ شهرا تؤدى خلالها صلاة الشكر كل يوم (١٨٩) .

وخلال فترة الحداد هذه كان أهل المتوفى ينعزلون عن بقية أفراد المجتمع ، كما كانوا يمتنعون عن ارتداء الملابس الحريرية (١٩٠) .

---

(١٨٥) ابن زمرة ، فتاوى دافيد بن زمره ج ٦ ، ص ٢٥٤ .

(١٨٦) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٤ .

(١٨٧) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمره ، ج ٤ ١ ، ص ١٣٢

(١٨٨) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٣) ص ٦٦٩ .

(١٨٩) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٤ .

(١٩٠) Ashtor (History of the Jews, II, p. 363.

وفى بعض الأحيان كان أهل المتوفى يخرجون عظامه من القبر بعد مرور فترة من دفنه ، ويسافرون بها الى القدس لدفنه هناك ، وقد استمر هذا التقليد حتى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، سواء أوصى المتوفى بذلك او لم يوص (١٩١) ، وكانوا فى هذه الحالة يضعون عظامه فى تابوت أو كيس ، وقد يحدث فى اثناء السفر بعض الحوادث ويتعرض كيس العظام للكسر ، لذا سئل بعض الربانيين بشأن هذا الأمر وهل يعتبر ذلك اهانة للمتوفى او لا ؟ فأجابوا أن ذلك لا يشكل أى استخفاف أو احتقار للميت (١٩٢) .

وجرت العادة على أن يحتفل اليهود بالذكرى السنوية للمتوفى حيث كان أفراد الأسرة يقيمون صلاة خاصة على ضوء شمعة واحدة تكريما للفقيد ، وكان القوم من غير أقارب المتوفى يغادرون المعبد قبل نهاية الاحتفال وفقا لخرافة قديمة اذ كانوا يعتقدون أن أحدهم قد يدركه الموت كما حدث للفقيد ، وكثيرا ما كان رجال الدين ينصحون القوم بالتخلى عن هذه التقاليد ، ولكن تبين أن العادة كانت اقوى اثرا من التفكير الصحيح أو السليم (١٩٣) .

يبقى أن نتعرض لموضوع ملابس اليهود فى العصر المملوكي فقد فرضت على اليهود فى فترات منقطعة من عصر سلاطين المماليك قيود شديدة فى الملبس ، التزموا بها ولم يتخطوها ، وقد تمثلت هذه القيود فى الزامهم بالغيار وهو الملبس المغاير لما يرتديه المسلمون لتميزهم ، فقد تعين على اليهود أن يرتدوا الملابس

---

(١٩١) Ashtor, Histiry of the Jews, pp. 362-363.

(١٩٢) ابن زمرة ، فتاوى ابن زمرة ، ج ٢ ، ص ٦١١ .

(١٩٣) رشاد الشامى ، جولة فى الدين ، ص ٤٥ .

الصفراء ، وتحدد اللون الأحمر للسامرة (١٩٤) ، وقد الزمت المرأة اليهودية بارتداء الملابس الصفراء كما اشترط عليها ان ترتدى ازارا (١٩٥) من الكتان ، وأن تكون فردتا الخف الذى تلبسه فى قدميها من لونين مختلفين (١٩٦)

وجدير بالملاحظة أن هذه القيود لم تفرض على اليهود الا فى أوقات الازمات فقط ، ولا يوجد فى المصادر المعاصرة ما يثبت أن اليهود الزموا فى الأوقات العادية بهذه القيود المتعلقة بالملابس بل على العكس لدينا ما يشير الى تمتع نساء اليهود بارتداء أفخر الأزياء والملابس دون تفرقة بينهم وبين المسلمين (١٩٧) .

---

(١٩٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٦ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ٧٤ ؛ ثناء عبد الرحمن بلال ، الملابس فى العصرين القبطى والاسلامى ، ط (١) القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٧٠ .

(١٩٥) الازار ، هو الملاءة الكبيرة التى تلتف بها المرأة ، عرفت بعدة أسماء متعددة نذكر منها البغلطاق والمطر والحلة والفرجية والكاميلية والملحفة والشاية والازار الذى كان اكثر السبلات شيوعا انظر أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٧ ؛
Ahmad Abd al-Raziq, La femme, pp. 236-237 ;

وجاء فى دوزى ما نصه « ... أما المرأة فتشد الزنار من تحت الازار وقيل من فوق الازار ، وفى عام ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م أمر بأن يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهودية أصفر وازار السامرية أحمر ... » وكانت الغاسلة اذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة فى ازارها حتى يعلم أنها غاسلة انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, pp. 28, 29 ;
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٩٦) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٤٣ ، ٣٨٤ ؛ سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٤٢ .

(١٩٧) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٢ ؛ ثناء عبد الرحمن ، الملابس ، ص ٧٠ ، ٧٥ .

فابن الاخوة يصف نساء أهل الذمة فى أيامه بانهن « اذا خرجن من دورهن ومشين فى الطرقات لم يعرفن ، وكذلك فى الحمامات ، وربما جلست الذمية فى أعلى مكان من الحمام .. على حين تجلس المسلمة دونها،ويخرجن الى الأسواق ويجلسن عند التجار فيكرمونهن بما يشهدونه من حسن زيهن فلا يدرون أنهن أهل ذمة ... » (١٩٨) .

والحديث عن ملابس اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك يحتم علينا التعرض لملابس الرجال أولا التى تمثلت فى القفطان الذى كان يرتديه عدد كبير من اليهود ، وهو عبارة عن عباءة واسعة طويلة تغطى الجسم كله من الرقبة حتى كعب القدم ، وكانوا يستخدمون فى ربطه الزنار (١٩٩) .

وقد امدنا الرحالة الالمانى ارنولد فون هارف الذى زار مصر فى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م برسم يمثل مملوكا وثلاثة رجال أحدهم مسلم وآخر يهودى والثالث نصرانى ، ويستشف من هذا الرسم أن القفطان الذى يرتديه المسلم كان لا يختلف عن القفطان الذى يرتديه اليهودى أو النصرانى ، فهو يبدو على هيئة عباءة واسعة طويلة تغطى الجسم كله ، وذات أكمام واسعة (٢٠٠) .

وكانت ملابس الرجال فى عصر المماليك تتباين وتختلف حسب مكانة الشخص ومركزه الاجتماعى ، فكان البعض يرتدى الشراريب

---

(١٩٨) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٧ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢٢٢ .

(١٩٩) Ashtor , History of the Jews, II, p. 324.

(٢٠٠) Letts, The Pilgrimage, p. 113.

وهى عبارة عن قميص من الحرير كان يلبسه اليهود المتدينون تحت ملابسهم (٢٠١) .

وفى عصر دولة المماليك الجراكسة صار اليهـود يرتـدون ملابس ثقيلة او ملابس مصنوعة من الفراء (٢٠٢) . كما حرص معظم اليهود على ارتداء الملابس البيضاء فى الأعياد ، ويبدو أن ذلك كان عادة عندهم (٢٠٣) ، ومن المعروف أن اليهودى كـان يتمنى دائما أن يدفن بملابس الأعياد أو بملابس يوم السبت (٢٠٤).

ويبدو أن اليهود قد تأثروا بالمسلمين الذين كانوا يرتدون ملابس بيضاء ذات أكمام واسعة فى الأعياد والمناسبات ، فارتدوا مثلهم ملابس بيضاء فى الأعياد والمناسبات المختلفة كعيـد رأس السنة ويوم الغفران وفى شتى المناسبات المختلفة (٢٠٥) .

ولم يرتد اليهود السروال (٢٠٦) ، بل كانوا يكتفون بارتداء ملابس داخلية فقط (٢٠٧) ، أما فى الشتاء فكانوا يرتدون ملابس

---

(٢٠١) Letts, The Pilgrimage, p. 113.

(٢٠٢) القريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢٠٣) Mez, Die Renaissance des Islam, Heidelberg, 1922, pp. 368, 376, 433.

(٢٠٤) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, pp. 135-156.

(٢٠٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 325.

(٢٠٦) السروال ، ورد فى صحيح البخارى أن الرسول (ص) أوصى الحجاج بارتداء السروال حتى وصولهم الى مكة ثم استبداله هناك بالازار وأن تعذر الحصول عليه فلا حرج فى الابقاء على السروال ، وكلمة سروال فارسية الأصل مشتقة من كلمة شلوار التى كانت شائعة فى العصور الاسلامية الأولى ، كذلك ، شاع استعمال السروال فى اسبانيا واشتق الأسبان منها كلمة Zaraguelles وهى من أصل عربى وقد عرفها أهل المغرب . انظر :
Dozy, Dictionnaire Détaillé pp. 203-204.

(٢٠٧) Adler, Jewish Travellers, p. 137.

صوفية وحزام داخلى من الصوف المبطن بالقطن ، كما كانـوا يغطون رءوسهم بأغطية أشبه بعمامة كبيرة ذات لون معين يرمز لطائفة اليهودى ، تلتف حول قلنسوة (٢٠٨) أو طاقيـة (٢٠٩) أسفلها (٢١٠) . وكانوا يرتدون فى أقدامهم حقاً محدب المقدمـة يغطى وجه القدم بدون رباط (٢١١) .

وعن ملابس نساء اليهود فقد أجمع الرحالة الاوربيون الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى على تشابه ملابس جميع نسـاء المدن من حيث شكلها العام (٢١٢) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن ملابس اليهوديات كانت لا تختلف كثيرا عن ملابس باقى نسـاء المجتمع المصرى ابان هذه الفترة .

وجدير بالذكر أن وثائق الجنيزة أمدتنا ببعض الخطابات التى اشتملت على وصف لبعض الملابس التى تزود بها العروس عند

---

(٢٠٨) هى بديلة للطاقية ، وقد ذكر ابن بطوطة أن « ... الفتيان الأخية وعلى رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها فى طول ذراع وعرض أصبعين ، فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته ووضعها بين يديه ... » ؛ انظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٥ .
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 368.

(٢٠٩) لم ترد فى المعجم ، وهى عبارة عن غطاء للرأس يلبس بغير عمامة وقد لبسها الأولاد والبنات ، وكثر ارتداؤها بين رجالة الدولة والأمراء والمماليك والاجناد وفى الدولة الجراكسية ، وكانت الوان هذه الطواقى متعـددة مثل الأخضر والاحمر والازرق والوان اخرى واغلب الظن انها من أصل فارسى ، انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, pp. 281-282.
ماير ، الملابس المملوكية ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢١٠) Ashtor, History of the Jews, II, p. 325.

(٢١١) Letts, The Pilgrimage, p. 103.

(٢١٢) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٧ ؛
Dopp, Le Caire, Tome 24, 1951, p. 134.

زواجها ، وكذا أسعار هذه الملابس التى يبدو أنها كانت باهظة التكاليف وبعضها مصنوع من الحرير (٢١٣) .

وسنحاول هنا التعرف على هذه الملابس الخاصة بنساء اليهود مبتدئين بالاشارة الى الملابس الداخلية التى كانت أحيانا طويلة ، وأحيانا قصيرة وذات أكمام كبار واسعة (٢١٤) ، وبعضها من الاقمشة الحريرية (٢١٥) ، ويبدو أن المئزر كان من أهم الملابس الداخلية وكان عبارة عن سروال يصل الى الركبتين (٢١٦) ، ولم يكن يختلف كثيرا عما يرتديه الرجال فى الحمامات العامة (٢١٧) .

ورغم قلة المعلومات التى وصلتنا عن شكل المئزر الخاص بالمرأة وعن أنواعه ، فقد عثرنا فى أحد عقود الزواج التى ترجع الى نهاية العصر المملوكى على اشارة تفيدنا فى التعرف على أسعار هذا النوع من الملابس الداخلية ، اذ جاء فى هذه الوثيقة أن المئزر كان يباع بستة دراهم مؤيدية (٢١٨) . واعتادت المرأة

---

(٢١٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢١٤) Mayer, Costumes of Mamluk Women, IV, 17, 1943, p. 298.

(٢١٥) Astor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢١٦) Ashtor, L'Evolution des Prix, p. 41, ; Histoire des prix, p. 348.

أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٦٩ .

(٢١٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٠ .

(٢١٨) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٠ ؛ الدراهم المؤيدية نسبة الى الملك المؤيد شيخ ، وقد ضرب من هذه النقود الفضة المؤيدية الدراهم التى كان وزنها يتراوح بين ٢٫٦٠ جرام ، ٢٫٨٠ جرام ، كما ضرب منها نصف الدرهم الذى كان يتراوح ما بين ١٫٢٠ جرام ، ١٫٣٤ جرام ، والرابع كان وزنه يتراوح ما بين ٠٫٦٠ جرام ٠٫٩٨ جرام ، وقد ضرب الدرهم المؤيدى فى عام ٨١٨ هـ/١٤١٥م انظر رأفت النبراوى ، السكة الاسلامية ، ص ٢٩٠ ، ٢٤٤ .

أن ترتدى فى المنزل جلبابا أشبه بقميص كان يصنع من نسيج يشبه الحرير ، وكانت ألوانه تتراوح بين الأصفر والأحمر والذهبى (٢١٩) .

ويفهم من بعض المصادر المعاصرة أن المرأة اليهودية اعتادت أيضا ارتداء قميص (٢٢٠) واسع طويل فوق ملابسها الداخلية تصل أطرافه إلى الأرض ، له أكمام كبيرة واسعة (٢٢١) . وان هذا القميص كان فى كثير من الأحيان ضيقا ملتصقا بالجسم ويظهر تفاصيله (٢٢٢) ، لذا كانت تضع فوقه سبلة (٢٢٣) أو ازارا أصفر أو أبيض اللون يغطى جميع بدنها ويعلو كل ملابسها (٢٢٤) ، وغالبا ما توقفت مقاييس هذه الأزر على حجم المرأة وعلى مدى طولها أو قصرها (٢٢٥) .

وتحدثنا المصادر التاريخية أن هذه الأزر كانت تصنع فى بداية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى من الحرير ،

---

(٢١٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٦ .

(٢٢٠) القميص ، كان يصنع فى مصر من القماش البندقى ، وأحيانا من القطن أو الحرير وهو أبيض اللون بالنسبة للرجال ، أما المرأة فكان يصنع من الحرير الناعم ، انظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 371.

(٢٢١) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م ٩ ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢٢٢) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٢٢٣) لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ، وكانت عبارة عن حلة النساء الخارجية عندما يخرجن الى الشارع ، كذلك ورد فى كتاب وصف مصر كلمة سبلة أى قميص طويل من قماش التفتاه يغطى جميع بدن المرأة ويعلو كل ملابسها ماعدا البرقع والحبرة ، انظر :

Dozy, Dictionnaire Détaillé pp. 199-200 ; Aḥmad Abd al-Raziq, La Femme, p. 236.

(٢٢٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .

(٢٢٥) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٧٧ .

فقد روى المقريزي أن نساء هذا العصر استحدثن الازر الحريرى بألف درهم ، وانهن ابطلن لبس الازار البغدادى مما اضطر أهل الدولة الى العمل على ابطال الأزار الحريرية والمنادة بمنع بيعها بل وتهديد المخالف بمصادرة جميع أمواله لحساب السلطان حتى امتنعت النساء عن لبس الأزر الجريرية لدرجة انه نودى على ازار من الحرير بمبلغ ثمانين درهما ، ومع ذلك فلم يلتفت له احد رغم لهفة نساء هذا العصر على هذا النوع من الملابس الحريرية (٢٢٦) . ولكن هذا التحريم لم يستمر طويلا وعادت المراة الى ارتداء الأزر الحريرية الفاخرة . كذلك عرفت نساء اليهود نوعاً آخر من الملابس عرف باسم الزعبوط وهو عبارة عن قميص من الصوف البنى ، مفتوح من الرقبة الى الوسط (٢٢٧) .

اما فيما يتعلق بأغطية الرأس فقد حرصت النساء عليه واستعملن لذلك الغرض الشاش (٢٢٨) ، وهو عبارة عن عصبة كانت تلبسها المراة بحيث يكون أولها عند جبينها وآخرها عند ظهرها ، وكان يبلغ طولها احيانا نحو ذراع وأرتفاعها ربع ذراع ، ولكن كن يبالغن فى زخرفتها احياناً بالذهب واللؤلؤ (٢٢٩) .

ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م أن بعض هذه الأغطية كان يزين بفصوص

---

(٢٢٦) المقريزى ، السلوك ، ح ٢ ق (٢) ، ص ٨١١ ؛ أحمد عبد الرازق ، المراة ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ماير ، الملابس المملوكية وص ١٢٦ .

(٢٢٧) Lane, An Account of the Manners and customs, p. 32 ; Ashtor, L'Evolution des prix, p. 41.

(٢٢٨) لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ، ويذكر دوزى انها كانت عبارة عن قطعة من القماش الرقيق الذى يلف حول العمامة انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 235.

(٢٢٩) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 239 ; Ahmad Abd al-Raziq, La Femme, p. 238.

زرقاء وحبات صغيرة من اللؤلؤ ، وان ثمن العصابة الواخدة كان يصل الى ما يقرب من اربعة دنانير (٢٣٠) .

ومن اغطية الرأس التى شاع استعمال النساء لها على عصر سلاطين المماليك تتحدث المصادر المعاصرة عن العمامة التى كانت بمثابة زى للرجال والنساء على السواء بدليل ذلك المرسوم الذى أصدره السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م وأمر فيه بأن ينادى في مصر والقاهرة « بأن المرأة لا يجوز أن تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال » وهدد كل من فعلت ذلك بعد مرور ثلاثة ايام من صدور هذا النداء ، بسلب كل ما عليها من كسوة وملابس (٢٣١) . ولكن من الواضح أن هذا النداء لم يحترم طويلا شأنه فى هذا شأن بقية النداءات الأخرى التى أصدرتها الدولة المملوكية والتى هدفت بها التحكم فى أشكال وانواع ملابس نساء العصر ، اذ يعيب الفقيه المغربى بن الحاج على نساء عصره فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، استعمالهن للعمائم التى على هيئة سنم الهجين المزدوج (٢٣٢) .

كذلك عرفت نساء مصر على عصر سلاطين المماليك البخنق (٢٣٣) ، وهو نوع من أغطية الرأس الصغيرة الحجم التى اشتد اقبال النساء عليه وكان يصنع من القماش

---

(٢٣٠) Goitein, A Mediterranean Society, Daily Life, p. 205.

(٢٣١) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٥٠٢ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢٣٢) ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٣ .

(٢٣٣) Dozy, Dictionnair détaillé, p. 55 ; أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٨ .

الهرمزى (٢٣٤) . وكان لهذا النوع سوق خاص يعرف بسوق البخانقيين بمدينة القاهرة ، حدثنا عنه المقريزى بقوله انه : معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافى والطواقى التى تلبسها الصبيان والبنات (٢٣٥) .

وقد أمدتنا احدى وثائق الجنيزة تنسب لسنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م بالعديد من المعلومات التى تفيد فى التعرف على أسعار البخنق ، فقد بلغ سعر البخنق المصنوع من الحرير الشامى ما يقرب من ١٥ نصف دينار أى سبعة دنانير ونصف الدينار (٢٣٦)، والبخنق الأخضر المصنوع من القماش الهرمزى ٤٣ نصف دينار أى ٢١ دينار ونصف الدينار، والبخنق المصنوع من القماش الهرمزى نفسه والمطرز بالذهب حوالى ثلاثة دنانير ، والبخنق المصنوع من القماش الهرمزى والمطرز بخامات من اسطنبول بحوالى ثلاثة دنانير (٢٣٧) ، ووصل ثمنه أيضا فى وثيقة أخرى الى ما يقرب من ثمانية دنانير (٢٣٨) ، على حين بلغ ثمن البخنق المصنوع من قماش هرمزى مطرز بخامات بيضاء حوالى أربعة دنانير فقط (٢٣٩) .

---

(٢٣٤) Ashtor, Histoire des prix, p. 351 ; Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, pp. 178, 184.

(٢٣٥) المقريزى ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢٣٦) Ashtor, Histoire des prix, p. 351 ; Gotheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

انظر الملحق رقم (١٨) .

(٢٣٧) Ashtor, Histoire des Prix, p. 351.

(٢٣٨) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

أنظر الملحق رقم (١٧) .

(٢٣٩) Ashtor, Histoire des prix, p. 351.

كذلك أمدنا المستشرق أشتور بنوع آخر من أغطية الرأس نقلا عن وثائق الجنيزة عرف باسم القجيجة ، والتى بلغ سعر المطرزة بخيوط من الذهب فى عام ٧١١ هـ / ١٣١١ م حوالى دينار ، والبيضاء المزينة بالرسوم دينارين أما القجيجة المصنوعة من الحرير الأبيض فكان يصل ثمنها الى دينارين ونصف ، فى الوقت الذى كان سعر القجيجة الكتانية الناعمة المطرزة بالذهب يصل الى ثلاثة دنانير ونصف (٢٤٠) .

وتمدنا المصادر المملوكية أيضا بأسماء الحجب المختلفة التى كانت تضعها النساء فوق وجوههن ، وكانت عبارة عن منديل تستعمل لاخفاء الوجه ، اذ لم يكن باستطاعة المرأة فى تلك الفترة أن تطوف فى شوارع المدينة بغير حجاب ، الا اذا كانت من بين الجوارى القائمات على الخدمة فى المنازل والقصور (٢٤١) .

ولم يكن هناك فرق بين النساء اليهوديات والمسلمات فيما يتعلق بالنقاب ، فالجميع كن يرتدين النقاب (٢٤٢) ، فقد حرصت النساء عند خروجهن الى الشوارع على اخفاء وجوههن بخمار

---

(٢٤٠) Ashtor, Histoire des prix, p. 350.

(٢٤١) فقد روى أن عمر بن الخطاب رأى جارية عليها قناع فضربها بالدرة وقال « أتتشبهين بالحرائر !! » وقد كان يومئذ من لباسهن . ابن الحاج ، المدخل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢٤٢) النقاب عبارة عن قناع أسود اللون اكتفى فيه بعمل فتحتان للعينين ، وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ، انظر أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩١ ؛

Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 424 ; Ashtor, Histoire des prix. p. 325 ;Mayer, Costumes of Mamluk, p. 75 :

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ .

أو برقع (٢٤٣) أسود اللون يغطى الوجه كله ، تضعه المرأة بطريقة لا تمكن أحدا من رؤية وجهها فى حين تمكنها من رؤية كل ما يحيط بها (٢٤٤) ، وهذا البرقع كان يصنع من الحرير ، وأحيانا كانت المرأة تغطى وجهها بشبكة لها فتحات صغيرة فوق العينين ، وفى بعض الأحيان كانت النساء ترتدين البرقع بألوانه المختلفة الأبيض والأخضر أو الأزرق (٢٤٥) . وقد بلغ سعر النقاب المزين باللون الأسود فى سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م دينارا واحدا والنقاب الأبيض المزين باللون الأسود دينارا ونصف الدينار ؛ أما النقاب المطرز بالأحجار الكريمة فكان ثمنه يصل الى ستة دنانير (٢٤٦) ، وأحيانا عشرة دنانير كما يستشف من وثيقة أخرى (٢٤٧) .

ومن الحجب التى شاعت بين نساء العصر المملوكى تشير المصادر المعاصرة الى المقنعة التى عرفت أيضا باسم القناع (٢٤٨)

---

(٢٤٣) البرقع عبارة عن غطاء للوجه أسود اللون تخفى به المرأة وجهها ، وقد ذكر دوزى أن النساء فى خراسان ترتدين الجادر وهو من الحرير وأطلق عليه اسم برقع وكان يغطى البدن من قامة الرأس حتى القدم مع ترك فتحة لكى ترى بها المرأة ، واستخدم البرقع فى القرن ٨ هـ / ١٤م كما يذكر دوزى « ... ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء ... » انظر :
Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 68.
سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .
(٢٤٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصرى ، ص ٢١٨ .
(٢٤٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.
(٢٤٦) Ashtor, Histoire des prix, p. 352.
(٢٤٧) Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, p. 184.
انظر الملحق رقم (١٨) .
(٢٤٨) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٤٣٢ ، هامش (١) : ابن الحاج المدخل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ؛
انظر أيضا ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٣٠
Ashtor, Histoire des prix, p. 172 ;

والتى كانت تصنع غالبا من الموسلين وتثبت تحت ازار المرأة بعد أن تلف بها وجهها تماما (٢٤٩) ، ويفهم من ماير أنها كانت على أنواع : قناع شبكى أسود يغطى الوجه كله ، وقناع مثل القناع الأول ولكنه به فتحتان للعينين ، وقناع للوجه أبيض أو أسود يطلق عليه اسم برقع (٢٥٠) ، وكان ثمن المقنعة البيضاء يبلغ دينارا ، أما المقنعة التى كانت تصنع وفقا للطراز الشامى فكان ثمنها يصل الى ثلاثة دنانير ونصف . ويستشف أيضا من وثيقة أخرى مؤرخة بسنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م أن المقنعة المصنوعة من نسيج النوال المحلى كان ثمنها يصل الى اثنى عشر نصف دينار أى ستة دنانير (٢٥١) ، ونقرأ كذلك عن الشعرية ، نوع من الحجاب كانت النساء تضعه على وجوههن وكان يستخدمه الرجال أيضا ، ووصل ثمن الواحدة منها ١٧ أنصاف دينار أى ٨ دنانير ونصف (٢٥٢) وأحيانا ٧ دنانير فقط (٢٥٣) ، وهنا كذلك الطرحة التى كانت توضع على الرأس وتنسدل على الوجه فتخفيه عن

Serjeant , Material for the History of Islamic Textiles, AI, New York, 1968, pp. X, p. 76 ; XI-XII, pp. 105-114-117 ; XV-XVI, p. 78.

والنقاب عبارة عن قناع أسود اللون أكتفى فيه بعمل فتحتين للعينين ، وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ، انظر ، أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩١ ؛

Ashtor, Histoire des prix, p. 325 ; Dozy, Dictionnaire Détailé, p. 424 ; Mayer, Costumes of The Mamluk, p. 75.

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ .

(٢٤٩) Dozy, Dictionnaire détailé, p. 376.

(٢٥٠) ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣٠ ؛

Mayer, costumes of the Mamluk, p. 73.

(٢٥١) Ashtor, Histoire des prix, p. 352.

(٢٥٢) Ashtor, Histoire des prix, pp. 352-353.

(٢٥٣) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 18 4.

انظر الملحق رقم (١٨) .

اعين الفضوليين من الرجال (٢٥٤) ، ويستشف من احدى وثائق الجنيزة التى ترجع الى عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م. أن ثمنها وصل الى ستة دنانير (٢٥٥) .

اما فيما يتعلق بأحذية نساء العصر المملوكى ، فيفهم من المصادر المعاصرة انها كانت تطابق فى اشكالها وخفتها وفخامتها احذية الرجال المعروفة باسم الخف ، والتى كانت تصنع عادة من جلد ملون (٢٥٦) ، وينبغى أن نشير هنا الى أن المرأة الذمية كثيرا ما ألزمت على عصر سلاطين المماليك بأن ترتدى خفين أحدهما أسود والآخر أبيض ، تمييزا لها عن أختها المسلمة (٢٥٧). على أنه من الواضح أن هذه القيود بالنسبة للأحذية لم تفرض على الذميات من النساء الا فى أوقات الازمات فقط ، ولا يوجد فى المصادر المعاصرة ما يثبت الزامهن بهذه القيود فى الأوقات العادية ، بل على العكس هناك ما يشير الى تمتعهن بارتداء أفخر الأخفاف دون تفرقة بينهن وبين المسلمات .

وكانت هناك أنواع أخرى من الأخفاف التى ترتديها المرأة فى الشوارع أطلق عليها اسم المدارس (٢٥٨) ، أشارت اليها

---

(٢٥٤) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 257 ; Serjeant, Material for History, XIII-XIV, p. 103.

(٢٥٥) Ashtor, History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, 67, 68, pp.

انظر الملحق رقم (١٤) .

(٢٥٦) Letts, The Pilgrimage, p. 106.

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٥٧) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٣) ، ص ٩٢٣ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ٣٨٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٥٨) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 186 ;

ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

المصادر المملوكية من حين لآخر ، خاصة عندما كان يستخدم بمثابة سلاح من قبل سوقة النساء عندما ترغب احداهن فى التعبير عن غضبها ضد أحد الضحايا من الرجال أو من النساء ممن يقعون بين يديها (٢٥٩) .

وكانت نساء عصر سلاطين المماليك يحصلن على جميع ما يلزمهن من الأحذية والأخفاف من سوق الأخفافيين الذى شيده الأمير يونس النوروزى دوادار السلطان الظاهر برقوق بعد عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، ونقل اليه جميع الأخفافيين وبياعى أخفاف النساء (٢٦٠) .

بقى أن نشير أيضا الى « القباقيب » الخشبية التى كانت تمتاز بقوائمها المرتفعة التى تبلغ فى بعض الأحيان ما يقرب من التسع بوصات (٢٦١) ، والتى كثيرا ما كانت مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة أو بالصدف أو العاج أو الأبنوس (٢٦٢) ، وكانت النساء تستخدم هذه « القباقيب » عند الاستحمام وفى بعض الأحيان فى المنازل كوسيلة للكشف عن مفاتن أقدامهن التى كثيرا ما كانت تنقش بأشكال بديعة من الحناء (٢٦٣) .

---

(٢٥٩) المقريزى ، السلوك ، ج ١ ق (٢) ، ص ٦٢٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ٤٦ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٢ .

(٢٦٠) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٧٠ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ .

(٢٦١) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 347 ;
أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ .

(٢٦٢) المقريزى ، السلوك ، ج ٢ ق (٢) ، ص ٨١٤ ؛ أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٤ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

(٢٦٣) Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 348 ;
أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٥ .

والواقع أن هذه القباقيب قد لعبت دورا محزنا فى تاريخ نساء عصر المماليك عندما ضربت شجرة الدر، أولى سلاطين هذه الدولة بالقباقيب حتى الموت على أيدى جوارى زوجها عز الدين ايبك الذى كان قد سبق لشجرة الدر أن أغتالته أيضا بالقباقيب (٢٦٤).

وطبقاً لما جاء فى عقد زواج عثر عليه ضمن وثائق الجنيزة يرجع الى نهاية العصر المملوكى ، كان ثمن زوج القباقيب يصل الى خمسة انصاف دينار (٢٦٥) .

وأمدتنا وثائق الجنيزة أيضا ببعض المعلومات على حلى نساء اليهود ، فقد جاء فى وثيقة سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م اشارة الى عدة أنواع مختلفة من الحلى التى كانت تتزين بها العروس فى العصر المملوكى كالدلايات الفضية التى كانت تعلق على الرقبة وترخى الى الصدر (٢٦٦) . ومن المعروف أن نساء الفلاحين كن يقبلن على هذا النوع من الحلى وكانت الدلايات الخاصة بهن تتألف من سلاسل فضية تعلق على الأصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك (٢٦٧) .

ووجدت أيضا الدلايات الذهبية فقد أشارت احدى وثائق الجنيزة الى زوج من الدلايات الذهبية والمصنوعة من العقيق التى

---

(٢٦٤) ابن اياس ، بدائع الذهور ، ج ١ ص ٩٢ ، أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٩٥ ؛ ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٢٩ .

(٢٦٥) Ashtor, Histoire des prix, p. 352 ; Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, p. 184.

انظر الملحق رقم (١٨) .

(٢٦٦) Gottheil, fragments from the Cairo Genizah, pp. 178-179.

انظر الملحق (١٧)

(٢٦٧) أحمد عبد الرازق ، المرأة ، ص ١٦٣ .

بلغ سعرها أربعة دنانير (٢٦٨) . وأشارت وثائق الجنيزة كذلك الى الأساور التى كانت تصنع من الذهب وتتحلى بها نساء اليهود والى الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالأحجار الكريمة التى يلبغ ثمن أحدها وهو خاتم من عقيق أربعة دنانير ، كذلك كان سعر الخاتم المزين بأحد الفصوص الكريمة (٢٦٩) أما الخاتم المزين بحجر من الفيروز فكان سعره يصل الى دينارين ، والخاتم المصنوع من الذهب الخالص فكان ثمنه يرتفع الى سبعة دنانير (٢٧٠) .

ويبدو أن نساء اليهود فى العصر المملوكى قد أقبلن على التزين بأقراط مصنوعة من العاج بدليل أن وثائق الجنيزة قد اشارت اليها بكثرة (٢٧١) .

بقى أن نشير فى النهاية الى ملابس أولاد اليهود فى العصر المملوكى ، اذ يفهم من المستشرق الفرنسى آشتور أنها كانت تتكون من ثلاث قطع أساسية تمثلت فى القميص والسروال الداخلى ،

---

(٢٦٨) Ashtor, History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 72, 73.
انظر الملحق رقم (١٩) .

(٢٦٩) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 178-179.
انظر الملحق رقم (١٧) .

(٢٧٠) Ashtor, History of the Jews, III, fragments from the Cairo Genizah, pp. 72-73.
انظر الملحق رقم (١٩) .

(٢٧١) Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah, p. 178.
وعن الوثيقة انظر الملحق رقم (١٧) .

والملابس الخارجية التى أطلق عليها اسم جبة (٢٧٢) ، كما ارتدوا فوق رءوسهم الطواقى (٢٧٣) . أما ملابس البنات فجرت العادة أن يغطين كل أجسامهن كالنساء ، كذلك الحال بالنسبة للوجه الذى كن يقمن بتغطيته بوشاح (٢٧٤) معين كما يفهم من أحد المراجع اليهودية (٢٧٥) .

---

(٢٧٢) عرفت فى بلاد الشام وهى عبارة عن لباس خارجى مصنوع من القطن يرتديه بعض الناس حتى القدم والبعض الآخر حتى الركبة ، وليس لها ياقة ، وأحيانا يكون للجبة حزام ، وقد استخدمت فى مصر حتى يومنا هذا ، وجاء فى دوزى ما نصه أن ... الخلعة جبة عتابى حمراء وفوقها فرجية ، وهى عبارة عن جبة من الحرير الأحمر ، والفرجية تلبس من فوقها ، وكان السلطان يرتدى جبة صوف بيضاء ، أنظر :

Dozy, Dictionnaire détaillé, p. 107-111.

(٢٧٣) Ashtor, History of the Jews, II, p. 326.

(٢٧٤) طبقا لما ورد فى المعاجم العربية فهو عبارة عن حزام من الجلد مزخرف بالذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة ، ترتديه المرأة وقد ذكر المتنبى ما نصه .

ترفع ثوبها الأدراف عنها   فيبقى من وشاحيها شسوعا

انظر : Dozy, Dictionnaire détaillt, p. 429.

(٢٧٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 327.

وجاء فى ماير أن الفتيات كن يلبسن بدلا من الحجاب الطواقى والكوافى ، التى كان لها سوق خاص فى القاهرة يطلق عليه اسم سوق البخانقيين ، انظر ماير ، الملابس المملوكية ، ص ١٣١ .

الأعيـاد والمواسـم والاحتفـالات

لكل امة أعياد ومواسم تحتفل بها كذكرى لتاريخ معـين فى حياتها ، ولليهود مواسم وأعياد يحتفلون بها بأداء طقوس وصلوات خاصة (١) ، وقد كان اليهود يحتفلون فى عصر سلاطين المماليك باعيادهم فى حرية تامة ، وشاركهم اخوانهم المسلمون فى بعض هذه الاحتفالات ، وأعياد اليهود ذات سمة اجتماعية خاصة بهم ، كما كانت هناك أعياد اتخذت شكل الاحتفال القومى على حد تعبيرنـا المعاصر ، وذلك لارتباطها بحياة المصريين جميعا مثل الاحتفـال بوفاء النيل (٢) .

وقد قسمت المصادر العربية أعياد اليهود الى قسمين (٣) ، الأعياد الشرعية وعددها خمسة وهى ما نطقت به التوراة مثل عيد

(١) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٢ .

(٢) محمود رزق ، المجتمع المصرى ، ص ٣٣٣ .

(٣) النويرى نهـاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧١ وما بعدها ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ٤٣٦ ، ٤٣٨ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٠ ؛ هويدا عبد العظيم رمضان ، المجتمع المصرى فى مصر الاسلامية من الفتح العربى الى العصر الفاطمى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

رأس السنة ، وعيد الحبور أو عيد الغفران أو صوماريا : وعيد المظلة ؛ وعيد الفطير أو الفصح ؛ وعيد الأسابيع أو عيد العنصرة او الخطاب ؛ واعياد محدثة بخلاف أعيادهم الشرعية من أشهرها عيد الفوز وعيد الحانوكة (٤) :

ويعد عيد رأس السنة أول هذه الأعياد الشرعية ، وكان يعرف عندهم باسم « روش هشاناه » ويحل فى اليوم الأول من شهر تشرين (أوائل أكتوبر) ، ويحتفل به لمدة ثلاثة أيام (٥) . وهو يناظر عيد الأضحى عند المسلمين ، فى ذكرى افتداء الله لاسماعيل بعد أن كاد ابراهيم عليه السلام أن يذبحه تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى ، ويعتبر هذا العيد أيضا عيد عتق وحرية عند اليهود

---

(٤) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٧٤١ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٥) وهو احياء لذكرى قتل جدليا بن أحيقام الذى ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود فى فلسطين بعد الاستيلاء عليها ، ونقل من يصلح للخدمة من اليهود الى بابل ، وتروى القصة أن أعداء اليهود دبروا مؤامرة لقتل جدليا فى هذا اليوم حتى يتمكنوا من اتمام ابادة هذه البقية الباقية معه من بنى اسرائيل ؛ انظر حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٢ : نبيل عبد الحميد سيد أحمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود فى مصر ١٩٤٧ م ــ ١٩٥٦ ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ١٧٧ ؛ عبله السيد حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، مصر الفترة ١٨٠٥ ــ ١٨٨٢ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات الانسانية فرع البنات ــ جامعة الأزهر ، القاهرة ، ص ٢١٢ ؛ جيلان محمد عباس ، الأعياد والاحتفالات فى مصر الاسلامية وجذورها التاريخية منذ الفتح العربى وحتى نهاية عصر المماليك الجراكسة ٢١/٩٢٣ هـ / ٦٤٣ ــ ١٥١٧ م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية السياحة والفنادق جامعة حلوان ١٩٩٦ ، ص ١٣٩ .

لخلاصهم من فرعون ، وقد عرف أيضا بعيد البشارة أى البشارة بالعتق والحرية (٦) .

وقد اعتاد اليهود فى هذا العيد النفخ فى أبواق تتخذ من قرن خروف بالاضافة الى الصفافير ، وهكذا كانوا يفعلون فى أيام الصيام ، والنفخ فى البوق عادة دينية ، وللبوق ثلاث فتحات او شقوق ، ومنه نوع يكون للنواح والحزن كصوت الانسان الذى يبكي، ومنه للتأوه كصوت مريض ، وأصواته طويلة وعريضة ، وقد وجد البوق منذ القدم عند الشعب الأمورى، وفى العصر المملوكي لم يستعمل اليهود البوق للدلاية على راس السنة وبالذات فى المعبد ، وبالتالى فلم يكن هناك بوق مطلقا (٧) .

ولهذا العيد عدة طقوس منها الطهارة المقدسة وتجديد فترة حكم الملك الإله والملك البشر الذى يعد ممثل الرب فى الأرض ، ويعتبر اليهود هذا اليوم بداية لعشرة أيام توبة وطلب غفران لذا ينهمك اليهود فى الصلوات طالبين المغفرة والعفو ، وعيد رأس السنة ويوم عيد الغفران عيدان متلازمان فى المعنى والمضمون ، وهذا العيد يوم فرح وسعادة وعلامة على أن الجميع قد نجوا الحساب ، ويرتدى اليهود فى اثناء هذا العيد الملابس البيضاء الدالة على السعادة والفرح ، وكان يحرم عليهم ارتداء الملابس السوداء (٨) .

---

(٦) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، حرف ق ــ ر ١٩٨٤ م ، ص ٤٢٧ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٠ ؛ هويدا عبد العظيم ، المجتمع فى مصر الاسلامية ، ص ٦٧ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الإقتصادية والاجتماعية لليهود ، ص ١٧٧ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود ، ص ٢١٢ .

(٧) المؤسسة العربية الكبيرة ، ج ٣٠ حرف ق ــ ر ، ١٩٩١ ، ص ٤٣٠ .

(٨) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٢٩ .

ومن العادات التى كانت متبعة فى هذا العيد تناول الأطعمة التى يغلب على أسمائها رموز وكلمات طيبة تدخل على النفوس السعادة ، ويتناولون فى اليوم الثانى الأطعمة الجديدة كما يتم الانتفاض من الذنوب بجانب نهر ومجرى مائى . وفى هذا اليوم كان الأصدقاء والأهل يقومون بالتزاور وتبادل التهانى بمناسبة السنة الجديدة ، وكانت هناك عادة معروفة وهى عدم النوم فى هذا اليوم بل تقرأ التوراة ، وتقام الصلاة ، وتنفيذ الأوامر الدينية ، وهناك بعض اليهود الذين اعتادوا على قراءة المزامير والاطالة فيها (٩) .

ويعتقد الربانيون من اليهود أن الكتب تفتح فى السماء وتكتب أعمال الناس ويصدر الحكم على الأفراد والامم فى هذا اليوم ، كما اعتاد اليهود فى هذا العيد أيضا ان يضموا الى مائدة العشاء تفاحا وعسلا كنوع من التفاؤل بالسنة الجديدة (١٠) .

والعيد الثانى من أعياد اليهود هو « عيد الغفران » (١١) او عيد صوماريا أى الصوم العظيم ويسمونه بالعبرية « يوم كبور » ويحل فى اليوم التاسع من تشرين (أكتوبر) وهو يوم صيام عن الطعام والشراب وانشغال بالعبادة واستغفار ، وكان هذا العيد يبدأ قبيل غروب الشمس ويستمر الى ما بعد غروب شمس اليوم التالى ، ومدته ٢٧ ساعة ، يجب فيها الصيام ليلا

---

(٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(١٠) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٥ .

(١١) يوسف يعطوب ، المرشد الأمين ، ص ٨٣ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦١ ، فريدا عبد العظيم . المجتمع فى مصر . ص ٦٧ ، جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٣ .

ونهارا كما يحرم فيه الاشتغال بأى شىء عدا العبادة (١٢) . وقد تشدد السامرة فى صيام ذلك اليوم لدرجة إنهم لم يستثنوا منه الأطفال الرضع (١٣) .

وكان اليهود يشترطون رؤية ثلاث كواكب عند الغروب لجواز الافطار ، ويعتقد أن هذا الصوم هو تمام الاربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام ، ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما عدا الزنا بالمحصنات ، وظلم الرجل لأخيه وانكار ربوبية الله تعالى (١٤) .

ويرى بعض الباحثين أن هذا العيد الذى يرجع الى عصور العزرانيين الأولى مرتبط بأصول الشريعة اليهودية التى تقررت يوما فى العام لحساب الذات ، وأن اليهود من طول ما عانوه من اضطهادات على طول تاريخهم جعلوا هذا اليوم يوما لنقض مواثيقهم وأكل الديون التى عليهم لغير اليهود مما أوجد معارضة بعض فقهاء اليهود فى العصر الحديث (١٥) .

وتبدأ صلاة المساء فى يوم العيد ببيان يسمى (كل نذرى) بمعنى كل النذور (١٦) ،وصلاة كل النذور (١٧) ، فهما الكلمتان

---

(١٢) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ص ٣٠٤ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ؛ ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٢ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ، سناء عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ .

(١٣) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٧ ، ١٨

(١٤) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ؛ قاسم عبده ، اهل الذمة ، ص ١٢٤ .

(١٥) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٣ .

(١٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ .

(١٧) صلاة يهودية تفتح بها الطقوس الدينية فى مساء عيد يوم الغفران ، انظر محروز فارحى ، كتاب الصلوات ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ٢٠١ .

الأوليان من صلاة مساء عيد الغفران ، وتعتبر بمثابة بداية لكل صلوات هذا العيد واعلان عن التحلل من كل النذور والايمانات التى قطعها اليهودى على نفسه على امتداد السنة ، وهى تتلى قبل الغروب ، وقد تحددت صيغة هذه الصلاة فى عصر جاؤينم (١٨) ، ولذلك فان الصلاة كانت مكتوبة باللغة الآرامية ، وليست اللغة العبرية ، وقبل تلاوة هذه الصلاة كان يتم فتح التابوت المقدس ، ويخرجون أسفار التوراة ويكرمون صفوة الحاضرين من المصلين بلمسها وكان هؤلاء يقفون بجوار إمام الصلاة الذى كان يقوم بدوره بتلاوة هذه الصلاة وفق لحن مميز لم يتغير على مر مئات السنين ، وهذه الصلاة كانت تعفي اليهودى من كل العهود والنذور التى قطعها على نفسه ويلجأ اليها اليهود الذين تظاهروا بالاسلام أو المسيحية ليعودوا كما كانوا يهودا (١٩) ، وكان هذا العيد ينتهى بصلاة تسمى « نعيله » ثم ينفخ فى البوق لإعلان انتهاء العيد بعد أن يردد المصلون يهوه هو الرب (٢٠) .

أما عيد المظلة أو عيد الظلل واسمه بالعبرية « سكوت » فكان الاحتفال به يبدأ فى الخامس عشر من شهر تشرين (اكتوبر)، ويستمر مدة سبعة أيام (٢١) ، وقد عرف هذا العيد أيضا باسم

(١٨) انظر المدخل ص ٣٩ ، هامش (٢) .

(١٩) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٥ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٣٠ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٢٠) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٦ .

(٢١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٣ ؛ محمد بحر اليهودية ، ص ١٣٤ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦١ ؛ هويدا عبد العظيم ، المجتمع في مصر ، ص ٦٨ ، نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ ؛ عبلة جنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٢ ؛ جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٥ ؛

« عيد الحصاد » لأنه يحدد الفترة الانتقالية من عام زراعي الى عام آخر (٢٢) .

وبجانب الشكل الزراعي لهذا العيد كان له جانب ديني وفقا لما جاء فى التوراة ، لكى تعلم اجيالكم انى فى مظال اسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتهم من ارض مصر » (٢٣) .

وقد ذكر عيد المظال أيضا فى سفر زكريا (٢٤) ، على اعتبار أنه عيد المطر الذى يجعل كل الشعوب تسجد للرب إله الجيوش وتحتفل بعيد المظال ، وهو عيد خروج بنى اسرائيل من مصر بعد فرارهم من فرعون وقبل أن يدخلوا الى أرض اسرائيل وبعد ان تلقى موسى الوصايا العشر على جبال الطور ، جلس بنو اسرائيل داخل المظال التى حمتهم من المطر والشمس فأكلوا بها وناموا ، وكان عيداً للخروج من مصر (٢٥) .

ولذلك اعتاد اليهود فى هذا العيد الجلوس تحت ظلال سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون وغيرها من الأشجار التى لا يتناثر ورقها على الارض تذكارا للغمام الذى أظلهم به الله تعالى بعد خروجهم من مصر (٢٦) ، وفى الليلة الأولى من هذا العيد كان يتحتم

---

(٢٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون فقرة ١٤ : ١٧ ؛ الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢ : ٢٣ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية ، ص ٢١٢ .

(٢٣) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٣٣ :

(٢٤) سفر زكريا ، الاصحاح للرابع عشر ، فقرة ١٦ : ١٩ .

(٢٥) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، حرف س ، ع ١٩٩١ م ، ص ٢٧ .

(٢٦) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ٨٦ ، ٨٧ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٧٢ ؛ القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ؛ سناء عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ .

على اليهود أن يجلسوا في المظلة لتناول الوجبة الأساسية. وفي الأيام التالية كان يمكنهم تناول طعام بسيط يمكن بعنده تناول الطعام خارج المظلة ، ولكن هناك رأى لرابي اليعازر بأن الذي يجمل ويزين المظلة لا يمكنه الأكل خارجها بل يجب عليه أيضا أن يتناول كل طعامه فيها ؛ كما كان يرى أن النوم يجب أن يكون داخل المظلة ، لكى تكون المظلة كالبيت الدائم ، ومع هذا فقد جرت العادة أن يعفى من النوم بها ، بسبب البرد الشديد أو الحر الشديد ، كما كان يعفى من الجلوس فيها في حالة وجود مطر شديد يتسرب الى داخلها ، وكان يسمح في هذه الحالة لليهودى بالعودة الى منزله والنوم فيه (٢٧) .

وجرت عادة اليهود ابان هذا العيد أن يقوموا بسكب الماء على المذبح ، وعند اقتراب الفجر ، ومع حلوله كانوا يقومون بالنفخ في الأبواق بالصيحات وهم يقومون بضخ المياه ليحصلوا على ماء السكب (٢٨) .

وكان عيد المظلة يختم بما يسمى « شيمنى عصرت » أي الثامن الختامى ، وقد ارتبط هذا اليوم ابتداء من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بعيد « فرحة التوراة » الذى يسمى « سمحت توراة » وفي يوم عيد فرحة التوراة هذا كان اليهود ينتهون من قراءة كتب موسى الخمسة ، وكان الاحتفال يبدأ بمواكب يحمل فيها لفائف التوراة ويدور الاولاد تحت سن الثالثة عشرة حول منصة القراءة في المعبد تحت مظلة شال التوراة (٢٩) .

---

(٢٧) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، ص ٢٧ ؛ جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٥ .

(٢٨) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، ص ٢٩ ؛ جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٤٦ .

(٢٩) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٢٤

وكانت قراءة التوراة تعد من الأمور المهمة والضرورية في عيد المظلة وفقا لما جاء في التوراة في عيد المظال حينما يجيء جميع اسرائيل لكى يظهروا أمام الرب الهك في المكان الذى يختاره تقرأ هذه التوراة امام كل اسرائيل في مسامعهم ، أجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والقريب لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب الهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » (٣٠) .

وقد جرى عرف اليهود أثناء هذا العيد الدخول الى المعبد للصلاة ، وفى يد كل واحد منهم غصن من الأغصان التى تستعمل فى تهيئة هذه الظلل ، فيضربون على الكراسى بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ، ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التى ارتكبوها طوال السنة (٣١) .

وكان يتم تخزين المحصولات الزراعية الغذائية اثناء الاحتفال بهذا العيد للسنة كلها ، عن طريق تكديس المؤن من التمر والتين الجاف والزيتون والزبيب والنبيذ لذلك كان هذا العيد يسمى أيضاً بالعبرية « حج ها أسيف » أى عيد التخزين (٣٢) .

والعيد الرابع هو عيد الفصح (٣٣) ، والفصح هو عيد

---

(٣٠) سفر التثنية ، الاصحاح الحادى والثلاثون ، فقرة ١٠ ، ١٢ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤ .

(٣١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، عبلة حنفى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٦٤ .

(٣٢) سفر التثنية ، الاصحاح السادس عشر ، الفقرة ١٣ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣٣) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٦٥٥ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٦ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٦ ؛ فوزيا عبد العظيم ، المجتمع فى مصر الاسلامية ، ص ٦٨ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤ ؛ جيلان عباس ، الاعياد والاحتفالات ، ص ١٤٨ .

الربيع عند اليهود (٣٤) ، وقد سمى ايضا عيد الفطير ، وكان موعده فى التاسع عشر من شهر نيسان (آخر مارس أوائل أبريل) (٣٥) ، وقد اختلفت الطوائف اليهودية حول مدة الاحتفال بهذا العيد فهى سبعة أيام عند القرائيين ، وثمانية عند الربانيين، وستة فقط لدى السامرة (٣٦) ، ويعد الاحتفال بهذا العيد بمثابة احياء لذكرى نجاة بنى اسرائيل من فرعون ، وخلاصهم من العبودية فى مصر ، ومن هنا جاء اختيار « سعديا الفيومي » من علماء اليهود ان يسموه « الفسخ » اى الفرج بعد الضيق (٣٧) .

وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم ، لكل منها معناه ومغزاه ، واشهر هذه الاسماء الفصح ، واصل معناه القديم الخطو والمرور والعبور ، ويذكر هذا الاسم اليهودى بأكثر من شيء منها مرور ملك العذاب فوق أرض المصريين دون المساس باليهود ، ومرور الشتاء ليفسح المجال للربيع ، وعبور اليهود من العبودية الى الحرية ، وعبور البحر مع موسى (٣٨) .

وكلمة الفصح تعنى فى التوراة الضحية التى ضحى بها اسرائيل فى الرابع عشر من نيسان (آخر مارس وأوائل ابريل)

(٣٤) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٨ .

(٣٥) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢/ ص ٤٣٧ .

(٣٦) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١٧ ، ١٨ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٨ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٣ .

(٣٧) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ص ١٠٢ / أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٨٨ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٨ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٦ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٤

(٣٨) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٩ .

مساء ، إي عشية خروج بني اسرائيل من مصر ، وهناك عيد آخر اسمه عيد الفطائر ملحق بعيد الفصح فهو يبدأ فى اليوم الخامس عشر من نيسان وفقا لما ورد فى التوراة (٣٩) .

وكان يمسح بدم الضحية على حلق الباب فى المنازل التى يسكن بها اليهود (٤٠) .

وكان يتم الاحتفال بهذا اليوم بأكل الخبز المصنوع من عجين فطرى لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكارا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق فى الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر (٤١) ، وفى هذا العيد كان يجتمع أفراد العائلة حول مائدة تضم صينية تحتوى على بعض أصناف الطعام مرتبة ترتيبا خاصا ، وكانت هذه الأصناف تتألف من ذراع خروف محمر ، وبيض مسلوق ، وخس وعشب وكرفس وكوب خل وماء مالح وحلوى مصنوعة من زبيب أو بلح مع اللوز ، ولكل صنف من الأصناف رمز خاص به فالبيض المسلوق تذكار لقربان العيد الذى كان يقدم قديما فى الهيكل ، والخس والعشب المر والكرفس والخل أو الماء المالح تذكر للحياة القاسية التى عاشها اليهود فى مصر ، والحلوى ذكرى للطين الذى يضعه اليهود أيام استعبادهم فى مصر ، ويقص فيه رب البيت على أفراد العائلة قصة خروج اليهود من مصر وتكون هذه المائدة فى الليلتين الأولى والثانية من عيد الفصح . ويجب على كل شخص فى هاتين

---

(٣٩) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر فقرة ٦ : ٧ ؛ سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٥ : ٨ .

(٤٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر فقرة ٧ : ٨ .

(٤١) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢١٩ ، الفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٦ ؛ رشاد الشامى ، الشخصية اليهودية ، ص ١٠٧

الليلتين أن يشرب اربع كئوس من نبيذ ، الكأس الأولى من أجل التقديس ، والثانية بعد تقديم الشكر على الخلاص من العبودية ، والكاس الثالثة بعد تقديم الشكر لأجل الطعام ، أما الرابعة فيتم شربها بعد تلاوة التمجيد للرب ، وعيد الفصح هو وقت القيام بالحج الى بيت المقدس (٤٢) .

ويبدو أن بعض اليهود كانوا يلجئون الى خلط عجينة فطيرة الفصح بدم بشرى يفضل ان يكون من احد المسيحيين أول أحد المسلمين (٤٣) .

كما اعتاد اليهود فى أثناء هذا العيد تناول اللحوم المشوية بشرط عدم طهيها بالماء ، وبشرط أن يتم تناولها بعد الشى مباشرة ، وقد ورد فى التوراة ان الشعب اليهودى كان عليه ارتداء الأحذية وقت تناول الطعام ، وكان يمنع اليهودى أيضا من ترك أى شيء من اللحم حتى صباح اليوم التالى ، وفى حالة بقاء شيء منه يحرق بالنار (٤٤) .

وقد تم بعد ذلك اضافة بعض الفقرات الى سفر الخروج فى الاصحاح الثانى عشر مثل « كل ابن غريب لا يأكل منه ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضه تختنه ثم يأكل منه ... (٤٥)

(٤٢) محمد بحر . اليهودية ، ص ٢٣٢ : سناء عبد اللطيف . الجيتو ، ص ١٨٧ .

(٤٣) يوسف ابراهام . المرشد الامين . ص ٨١ : حسن ظاظا . الفكر الدينى ، ٢٢٣ .

(٤٤) الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٧ ، حرف ع ـ ف ، ص ٩٤٧ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ .

(٤٥) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر ، فقرة ٤٣ ، ٤٩ .

وكانت الفطائر تؤكل خلال سبعة أيام ، ويحرم فى أيام السبت اكل الفطير المختمر . أما بالنسبة لموضوع الضحية فتكون فى خلال سبعة أيام على النحو الآتى لكل أسرة (ثوران وغزالة واحدة وسبعة كباش) مثلما كان يحدث فى عيد الأسابيع ، وهذا العدد يعد أقل من ضحية عيد المظلة مع انه جاء فى سفر حزقيال (٤٦) ، ان الأضحية الخاصة بعيد الفصح كانت مساوية لضحية عيد المظال (٤٧) .

أما عن الطقوس التى كانت تتم داخل المعبد اليهودى ، فكانت تتمثل فى قراءة الأشياء المعتادة فى المعبد ، وفى يوم السبت الذى يلى عيد البوريم (٤٨) ، ويتم قراءة قضية تفسير البقرة التى وردت فى سفر العدد (٤٩) حتى يذكر الجميع موضوع الطهارة الواجبة للعيد ولضحية الفصح . أما يوم السبت الذى يأتى قبل أول الشهر فى نيسان فكانت تقرأ قضية تفسير الجديد من سفر الخروج (٥٠) التى تهتم بالفطائر وبخاصة فى عيد الفصح ، وفى اول يوم للفصح كانت تصلى صلاة الطل ، وفى سبت بداية العيد كانت تقرأ لفافة نشيد الأناشيد ، أما فى أيام حلول العيد فى اليوم السابع للفصح فكان يقرأ المديح والتسابيح ، وفى كل يوم اثنين كانت تقرا التوراة ، وهذا لا وجود له فى عيد المظلة (٥١) ، وفى آخر يوم تكون أغنية البحر فى قضية البعث فى سفر الخروج (٥٢) .

---

(٤٦) سفر حزقيال ، الاصحاح الخامس والاربعون فقرة ٢١ ، ٢٥ .

(٤٧) الموسوعة العبرية الكبيرة . ج ٢٧ ، ص ٩٤٧ .

(٤٨) انظر عيد البوريم فى هذا الفصل .

(٤٩) سفر العدد ، الاصحاح التاسع عشر ، فقرة ٦ ، ٧

(٥٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثانى عشر ، فقرة ١ ، ٢

(٥١) سفر التثنية ، الاصحاح السادس ، الفقرة ٨ ، ١٦

(٥٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث عشر ، فقرة ١٧ ، ١٥ ، الاصحاح السادس والعشرون ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٧ ، ص ٩٥٢ .

وكان اليهود يودعون عيد الفصح بالمزامير والمدائح والتراتيل والاغانى ، كما كانوا قديما يضحون فى هذا العيد ويقدمون سنبلة شعير على المذبح شكرا للرب على المحصول لأن هذا العيد كان أيضا عيدا للربيع (٥٣) .

أما خامس الأعياد الشرعية فهو عيد الأسابيع ، أو عيد العنصرة أو عيد الخطاب (٥٤) ، وكان موعده فى السادس من سيوان (يونيه) ، ولقد ورد فى ذكر هذا العيد فى التوراة في كل من سفر الخروج (٥٥) ، وسفر التثنية (٥٦) وبسمى بعيد الحصاد فى سفر الخروج (٥٧) وبيوم البكورة فى سفر التثنية (٥٨) ، ومن هذين الاسمين يمكن التعرف على الطابع الزراعى الخاص الذى يعبر عنه هذا العيد الذى كان يحين فى موعد حصاد محصول الحنطة (٥٩) . لذا كان يعرف باسم شفوعوت بالعبرية أى عيد الحصاد (٦٠) .

---

(٥٣) يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٨١ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٣ ، ١٢٤ ؛ حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٢٣ .

(٥٤) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢ ؛ محمد بحر اليهودية ، ص ١٣٤ ؛ نريمان عبد الكريم ، معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٧ ، جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٥٥ .

(٥٥) سفر الخروج ، الاصحاح الرابع والثلاثون ، فقرة ٢٢

(٥٦) سفر التثنية ، الاصحاح السابع عشر ، فقرة ١٠ ، ١٦

(٥٧) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ .

(٥٨) سفر التثنية ، الاصحاح الثامن والعشرون ، فقرة ٢٥ .

(٥٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الشين ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٨٨ .

(٦٠) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ٢٢٨ ؛ محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٣٤ .

وفى هذا اليوم أنزل الله تعالى على بنى اسرائيل الفرائض متضمنة الوصايا العشر المنسوبة الى نبى الله موسى عليه السلام، كما يمثل هذا العيد ذكرى مخاطبة الله لشيوخ بنى اسرائيل مع موسى على جبل طور سيناء على ما يزعمون . وكان اليهود يصنعون فى هذا العيد الحلوى التي يتفننون فى عملها ويأكلونها ، ولهذا العيد اسم عبرى هو « عشرتا » بمعنى الاجتماع (٦١) .

وقد اعتاد اليهود فى هذا العيد تناول الاطعمة المصنوعة من الالبان ، كما كان من مظاهر هذا العيد تزيين المنازل باللون الأخضر وتجميلها بوضع أوراق على شكل نبات من النباتات المقدسة (٦٢) .

وكان يهود مصر فى العصر المملوكى يرتدون فى هذا العيد الملابس البيضاء ، وكان من عاداتهم أيضا فى هذا العيد تقطيع التفاح الى أجزاء صغيرة وتوزيعه فى المعابد على الأطفال ، وكانوا يرددون هذا الدعاء « هكذا يكافىء الله شعب اسرائيل المشرد فى اى مكان والله قادر على جمعنا معا مرة أخرى ... » (٦٣) .

اما عن أعياد اليهود المحدثة والتى لم ترد فى التوراة ولكن تمت اضافتها الى الأعياد التى نص عليها العهد القديم كذكرى لحوادث معينة ، واحتفل بها اليهود فى العصر المملوكى ، فيأتى على رأسها عيد الفوز الذى كان يعرف عندهم باسم « البوريم »

---

(٦١) يوسف ابراهام ، المرشد الامين ، ص ٨١ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٨ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ٤٧٣ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٦٢) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الشين ، ص ٢٨٨ .

(٦٣) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 380, 381.

أو عيد استير ، وكان اليهود يحتفلون فيه بذكرى نجاتهم على يد امرأة يهودية تدعى أستير ، كانت قد تزوجت بأحد ملوك الفرس، وكان لهذا الملك وزير يدعى هامان أراد أن يهلك اليهود ، غير أن أستير استطاعت أن تحبط مؤامرة هامان ، ودبرت له مكيدة قضت عليه ، لذلك كان يعد عندهم بمثابة عيد فرح وسرور ، وتوزع فيه الهدايا على الأصدقاء والفقراء (٦٤) ، وكان موعد الاحتفال بهذا العيد فى الثالث عشر من شهر آذار (مارس) ، وكان يعرف عند الكتاب العرب باسم « عيد المسخرة » أو عيد « المساخر » بسبب ما كان يجرى فيه من اسراف اليهود فى شرب الخمر والسكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان أو الكرنفال (٦٥).

وقد بالغ اليهود ابان العصر المملوكى فى اظهار السرور فى أثناء احتفالاتهم بهذا العيد ، وصاروا يضعون هيكلا ورقيا ويملئونـــه بالنخالة رمزا لهامان ليعبثوا به فى مهرجان يضم سائر اليهود ثم يقومون بحرقه فى النهاية (٦٦) .

---

(٦٤) سفر استير ، الاصحاح الأول وما بعده ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١٨٩ ؛ ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ؛ ألفت جلال ، العقيدة الدينية ، ص ٧٩ ؛ سناء عبد اللطيف ، الجيتو اليهودى ، ص ١٨٨ ، سدور فارحى ، كتاب الصلوات حسب طقس السفاراديم ، تعريب فلال يعقوب فارحى ، ط (٢) ١٩٣١ ، ص ٦٤ ؛ الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٥ ، حرف (أ) ص ٩٨ وما بعدها ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٦ ؛ جيلان عباس ، الأعياد والاحتفالات ، ص ١٥٣ .

(٦٥) حسن ظاظا الفكر الدينى ، ص ٢٠٧ ؛ عبلة حنفى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٧ .

(٦٦) النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .

والعيد الثاني من أعياد اليهود المستحدثة هو عيد «الحنكة» أو « الحانوكة » ومدة الاحتفال به ثمانية أيام تبدأ في ليلة الخامس والعشرين من شهر كسلو (ديسمبر) ، وترجع مناسبة هذا العيد الى سنة ١٦٥ ق.م حيث كانت بلاد الشام تحت الحكم البطلمي وحاول انطيوخوس (٦٧) ارغام اليهود على عبادة الأصنام ولكن الكاهن الأكبر متاتيا قاد حركة مقاومة ضده يعاونه في ذلك أحد أبنائه ، وقد أمكن للكاهن متاتيا بمساعدة أصغر أبنائه من استعادة الهيكل اليهودي أو المعبد من جيوش البطالمة ، وفي الخامس والعشرين من كسلو تم تنظيف المعبد من التماثيل اليونانية وقام متاتيا وابنه يهوذا بتزويده بمذبح طاهر جديد ، وبعدها تم فتح المعبد من جديد للشعائر الدينية ، ولكنهم لم يجدوا الوقود الكافي لاضاءة الهيكل فاضطروا الى اضاءة عدد من المصابيح التي كانوا يشعلونها على الأبواب في كل ليلة لمدة ثماني ليال بالكم المتوافر لديهم من الوقود ، وقد أطلق على هذا العيد أيضا اسم التدشين لأن المعبد أعيد فتحه من جديد (٦٨)

---

(٦٧) انطيوخوس الرابع الملقب باسم أبيفانيس ١٧٥ - ١٦٣ ق.م ، كان واحدا من أبرز ملوك البيت السليوقي وأشدها عشقا للحضارة الاغريقية ، وبناء الحواضر العامرة الجديدة ، واعادة بناء الحواضر الشرقية العتيقة على طراز هلليني جديد ، وجاء بالمستوطنين الجدد من مقدونيا وبلاد اليونان ليعيد دعم العنصر الاغريقي في الشرق الأدنى ، كما كان مغرما بطريقة الحياة الرومانية ، كما كان كريما جوادا ، متواضعا ، مولعا بالمرح والحياة ، وكان محبوبا من شعبه ، فقد نجح في الوصول بمملكته الى أعلى درجة من الكفاءة والمقدرة ، أنظر سيد أحمد على الناصري ، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينستي ، القاهرة ١٩٩٢ م ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٦٨) محمد بحر اليهودية ، ص ١٢٧ ؛ سناء عبد اللطيف ، الجيتو ، ص ١٨٨ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ،

M. Grünbaum, Beiträge Zur Vergleichenden Mythologie aus der Hagada ; ZDMG, 31, 1877, p. 281.

عبلة حنفي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢١٥ هامش ٣ .

وكان الاحتفال بهذا العيد يبدأ بإشعال شموع « الحانوكا » واللفظة الأخيرة اختصار لكلمة افتتاح المذبح ، وكان اشتعال الشموع واجبا على كل يهودى ، وذلك بأن يضع شمعة أمام مدخل البيت من الخارج ، وأحيانا كان يتم وضعها على المائدة ، وعادة اشعال الشموع كان يقوم بها الرجال والنساء على حد سواء ، لأن من يشعل الشموع كان يبارك ببركتين : واحدة للاشعال وأخرى للمعجزة الخاصة بهذا العيد ، وبعد ذلك كان اليهود يقومون بأداء صلاة قصيرة ، ثم يقومون بمباركة الطعام بحديث عن المعجزات الخاصة بالحانوكا ، وفيها يكون الحديث عن انقاذ الرب لحنظة التوراة (٦٩) ، كما يقرأ على اشعال الشموع فى الشمعدان كما ورد فى التوراة فى سفر الخروج (٧٠) ، وكان يحرم الحزن والصيام على جميع اليهود فى أيام الاحتفال الثمانية لعيد المشاعل أو الحانوكا ، كما اعتادت النساء على الراحة وعدم العمل فى هذا اليوم فى وقت اشعال الشموع ، وكان معظمهن ينشغلن بتناول الاطعمة ، وكان اكل الحلوى من الزلابية مشهورا فى هذا العيد (٧١) .

وقد عثر على مينوراة ترجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، كانت تستخدم فى عيد الحانوكا (٧٢) ، والمينوراة كلمة عبرية تعنى الشمعدان ، أصلها الشمعدان الذهبى ذو الفروع السبعة الذى كان قائما فى خيمة الاجتماع ، وكان فى هيكل سليمان عشر مينورات ذهبية فضلا عن مينورات فضية ، وتأخذ المينوراة شكل شجرة يخرج منها سبعة فروع فنجد قائماً فى الوسط حوله من كلا الجانبين ثلاثة فروع ، فهى تأخذ فكرة

---

(٦٩) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ١٩٨٠ م ، ص ٧١١ .

(٧٠) سفر الخروج ، الاصحاح الثامن فقرة ١ ، ٤ .

(٧١) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ص ٧١١ .

(٧٢) الموسوعة العبرية الكبيرة ، حرف الحاء ، ص ٧١٥ .

تفسير لشعلاتها السبع بأنها أعين الرب الحامية فى الأرض ، كما شجرة الحياة . وقد جاء فى سفر زكريا (٤ : ٢ — ٣ ، ١١ — ١٢) تفسير لشعلاتها السبع بأنها أعين الرب الحامية فى الأرض كما تفسر أحيانا بأنها ترمز لأيام الخلق الستة ويوم السبت ، ويفسر يوسيفوس شعلات المينوراة بأنها ترمز الى الكواكب السبعة (٧٣) .

وفى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى كان طراز المينوراة شائعا ، وأخذت مينوراة الحانوكا مكانها على يمين عقد التوراة طوال العام وهذا مماثل لمكان المينوراة الذهبية فى المعبد القديم ، وقد تطورت مينوراة عيد الحانوكا من المسرجة البسيطة الفخارية التى تشعل بالزيت فى العصر الرومانى ، ووجدت مينوراة الحانوكا على نوعين أحدهما للايقاد فى المنازل ولها حائط ساند ، وبها فجوات صغيرة لوضع الفتائل او المصابيح ويطلق عليها حانوكا طراز المقعد أو النيش (٧٤) .

وقد شاهد القلقشندى أحد احتفالات اليهود بهذا العيد ؛ ومن المعروف ان القرائيين لا يعترفون بهذا العيد (٧٥) .

اما فيما يتعلق بيوم السبت (٧٦) ، فيعتبر العيد الأسبوعى لليهود وهم يقدسونه لاعتقادهم بأن الرب استراح فيه بعد ان

---

(٧٣) المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ٣٨٨ ؛ سمية حسن المعبد اليهودى ، ص ٨ ، ٩ .

(٧٤) سمية حسن ، المعبد اليهودى ، ص ١٠ ، ١١ .

(٧٥) المقريزى ، الخطط ، ص ٤٧٢ ؛ ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٢٠ ؛ قاسم عبده ، أهل الذمة ، ص ١٢٧ ؛

Grünbarm, Beiträge, p. 281.

(٧٦) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٩ .

خلق العالم وكان الاحتفال بهذا اليوم يبدأ من غروب شمس الجمعة ويستمر حتى غروب يوم السبت ، ومن مظاهر الاحتفال به الكف عن القيام بأى عمل ، كما نص على ذلك صراحة فى الوصايا العشر المنسوبة الى موسى فى التوراة ، وقد تكررت الوصايا العشر بنفس الألفاظ تقريبا فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج ، والاصحاح الخامس من سفر التثنية ، ومن المواضع التى اختلفت فيها الروايتان الموضع الذى تشرح فيه حكمة تعطيل العمل يوم السبت ، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله نفسه استراح فى هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة ، وتقول : « ... واليوم السابع سبت للرب الهك ، لا تصنع فيه عملا لك ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك ، لأن الرب فى ست أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها ، وفى اليوم السابع استراح ، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (٧٧) ، وفى رواية سفر التثنية يبدو أن الحكمة فى تقديس يوم السبت ترجع الى الرغبة فى تمكين الانسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء ، ولا يرتبط ذلك هنا بأن الله استراح فى اليوم السابع ، بل ربما كان المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتحرر من السخرة والعبودية ، عندما كان قوم موسى لا يزالون فى مصر عبيدا لفرعون يعملون بأمره ، ولا يحق لهم أن يستريحوا يوما واحدا فى الأسبوع ، فهذه الرواية تقول : « احفظ يوم السبت وقدسه كما أمر الرب الهك ، وفى ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك واليوم السابع سبت للرب الهك لا تعمل فيه عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ، ونزيلك الذى فى داخل أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك ، واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب

---

(٧٧) سفر الخروج ، الاصحاح العشرون ، الفقرة ٨ : ١٢ ؛ نبيل عبد الحميد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٧٩ .

الهك من هناك بيد قوية وذراع ممدودة ولذلك أمرك الرب الهك بأن تحفظ يوم السبت » (٧٨) .

وعادة ما يكون على المائدة رغيفان كذكرى للمن والسلوى أثناء تجوالهم في البرية ويكون الرغيفان على شكل جدائل رمزا لأكليل العرس ، اذ أن السبت يرمز اليه كعروس ، ويودع السبت بتلاوة صلوات البركة ، مما استقبل في تمجيد الرب حول قدح من نبيذ أو أى شراب ، وعادة ما تكون القراءة حول شمعة (٧٩) .

وعادة ما يكون على المائدة رغيفان كذكرى للمن والسلوى على تنفيذ الأوامر المتعلقة به ، وقد أمدنا أحد المراجع الذى يرجع الى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى بالعديد من التفاصيل المتعلقة باستقبال اليهود لهذا اليوم ، فأشار الى أنهم كانوا يجلسون على شكل دائرة فوق سجادة ويقف الساقى بالقرب منهم وأمامه قطعة صغيرة من النسيج يبسطها فوق السجادة ثم يقوم باحضار كل أنواع فاكهة الموسم ويضعها على قطعة النسيج ويبدأ الضيوف بأخذ كئوس الخمر مترنمين بالصلوات (القدوش) حتى يفرغوا من شرابهم تماما ، فيقوم الساقى بجمع الكئوس منهم ويضعها بترتيب الجماعة الموجودة ، وعادة ما يعيد ملأها مرة ثانية ليشربوها الى نهايتها ثم يبدأ كل ضيف بأخذ ثمرتين او ثلاث ثمرات من الفاكهة فيأكل بعضها ، فى الوقت الذى

---

(٧٨) سفر التثنية ، الاصحاح الخامس ، فقرة ١٣ : ١٦ ؛ حسن ظاظا ، الفكر لدينى ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٧٩) حسن ظاظا ، الفكر الدينى ، ص ١٩٩ ؛ محمد بحر ، اليهودية ص ١٣٢ .

يردد فيه باقى الجماعة عبارات الدعاء بالصحة والحياة (٨٠)» . وبعدها يتوجهون بملابسهم الجديدة الى المعبد ؛ حيث يقومون بترديد الأغانى والأناشيد ، ثم يقومون بأداء صلاة المغرب ، وتستمر الصلاة الى ساعتين من الليل ، ثم يرجعون بعد ذلك الى منازلهم ويقومون بالتقديس ، ثم يأكلون خبزا فى حجم الزيتونة وبعدها يقومون بأداء بركة الطعام ، وبسبب كل هذه العادات كان اليهود لا يؤدون فى عشية أيام السبت صلاة العصر جماعة (٨١) .

ويلاحظ وجود عدة اختلافات بين القرائيين والربانيين فيما يتعلق بيوم السبت (٨٢) ، فقد تشدد عنان بن داود (٨٣) فى إحكام السبت فحرم العلاج بالأدوية يوم السبت كما حرم اجراء الختان وان كان قد جعله عند مغيب هذا اليوم ، ومنع كذلك الخروج يوم السبت مثلما منع أكل الأطعمة الساخنة وايقاد الشموع ليلة السبت ، حتى ولو تم اشعالها بواسطة شخص غير يهودى ، فى الوقت الذى أوجب فيه اعداد الطعام والخبز قبل الدخول فى السبت — أى حتى مغيب شمس يوم الجمعة — لاستخدامه يوم السبت ، كما أجاز عنان نقل الماء للشرب من أى مكان فى يوم السبت (٨٤) .

---

(٨٠) Adler, Jewish Travellers, p. 220.

(٨١) Adler, Jewish Travellers, p. 221.

(٨٢) محمد بحر ، اليهودية ، ص ٤٨ .

(٨٣) انظر الباب الثالث الفصل الاول .

(٨٤) مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٥ ؛ محمد الهوارى ، السبت والجمعة فى اليهودية والاسلام ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٤٣ ؛ الاختلافات بين القراءون والربانون ، ص ٥٠ .

واجاز الربانيون الجماع فى يوم السبت ، بل اوجبوه تبركا بالسبت ، لأنهم كانوا يعتبرونه يوما للمتعة ، أما القراءون فكانوا يحرمون الجماع فى هذا اليوم ، لأنه يوم مقدس للرب يجب أن يكون المرء فيه طاهرا ، واستندوا فى ذلك الى ما ورد فى العهد القديم (٨٥) ، واعتبروا أن المضاجعة لابد أن تكون من أجل النسل ، وحرموا كذلك مضاجعة الحامل على العكس من الربانيين الذين كانوا يسمحون بذلك (٨٦) .

اما فيما يتعلق بنقل الاحمال فى يوم السبت ، فقد ورد قول ارميا « ... تحفظوا بانفسكم ولا تحملوا حملا يوم السبت ولا تدخلوه فى أبواب أورشليم ، ولا تخرجوا حملا من بيوتكم يوم السبت ... » (٨٧) . لذا كان حمل اى شىء ونقله من مكان الى آخر سواء من ملكية خاصة أو عامة من الأعمال المحرمة فى يوم السبت (٨٨) .

كذلك كان الخروج من محل الاقامة له قواعد وقيود فى يوم السبت ، فقد جاء فى العهد القديم « ... لا يخرج أحد من مكانه فى اليوم السابع ... » (٨٩) الا للضرورة كالأكل والشرب والصلاة ، وان كان بعض القرائين قد اجازوا عيادة المريض ، كما أجاز الربانيون ركوب البحر فى يوم السبت ، وتبعهم فى ذلك بعض القرائين ، وفى حالة خروج اليهودى فى يوم السبت ، كان

---

(٨٥) انظر سفر الخروج ، الاصحاح التاسع عشر ؛ مراد فرج ، القراءون والربانون ، ص ١١٧ .

(٨٦) محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤٩ .

(٨٧) سفر ارميا ، الاصحاح السابع عشر ، فقرة ٢١ ، ٢٢ .

(٨٨) محمد الهوارى ، الاحتفالات بين القرائين والربانين ، ص ٥٠ ؛ السبت والجمعة ، ص ٤٤ .

(٨٩) سفر الخروج ، الاصحاح السادس عشر ، فقرة ٢٩ .

يحرم عليه الابتعاد أكثر من الفى ذراع (حوالى ألف وستمائة متر) خارج حدود المدينة ، ولكن الربانيين اتجهوا الى التخفيف من ذلك (٩٠) .

وبالنسبة لاشعال النيران فى يوم السبت ، فقد جاء فى التوراة « ... لا تشعلوا نارا فى جميع مساكنكم يوم السبت » (٩١) ، ومع ذلك فقد أجاز الربانيون اعداد القدر ووضعه على النار قبل دخول السبت ، فيتم طهى ما به من طعام خلال السبت ، على العكس من القرائين الذين حرموا أكل الأطعمة التى طهيت على هذا النحو بغرض أكلها ساخنة فى يوم السبت ، ويلاحظ أن القرائين لم يحرموا فقط اشعال النار فى السبت ، بل حرموا أيضا الابقاء على أية نيران مشتعلة مع دخول يوم السبت ، وقد ظل القراءون يقضون ليلة السبت فى ظلام منذ أيام عنان بن داود ، ولمدة سبعمائة سنة الى أن جاء الحاخام « الياهو بشيص » فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، وأثبت عدم فهم أسلافه من القرائين لمعنى ما جاء فى التوراة بصدد تحريم اشعال الشموع فى يوم السبت ، وأكد على أن تقديس هذا اليوم يكون بالكشف عن العمل ، حتى يأخذ الجسم قسطا من الراحة مع خلق جو من الفرحة والبهجة مع الأسرة ، ومن عناصر هذه البهجة الترب من الاضواء ، ولذلك فإننا نجد كل الشعوب على اختلاف مذاهبها وألوانها ولغاتها تكثر من الأنوار والأضواء فى أعيادها (٩٢) .

---

(٩٠) محمد الهوارى ، الاختلافات بين القراءون والربانون ، ص ٥١ .

(٩١) سفر الخروج ، الاصحاح الخامس والثلاثون ، فقرة ٣ ، محمد بحر ، اليهودية ، ص ١٤٨ .

(٩٢) محمد الهوارى ، الاختلافات ، بين القرائين والربانيين ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

وكان يحرم فى يوم السبت انفاق النقود أو تسلمها ، لأن أساس كل هذا يرجع الى البيع والشراء أو أشياء أخرى تشبه التكسب والأخذ والعطاء بين الناس ، كما كان يحرم عقد الزواج فى يوم السبت ، بسبب الحاجة الى الكتابة ودفع الأموال وقبضها والعمل فى اعداد الزفاف ونحو ذلك (٩٣) .

وقد جاء فى مرجع معاصر يرجع الى أواخر القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، بعض العادات المتبعة فى هذا اليوم اذ يذكر الكاتب « ... ان لنا ملابس خاصة لأيام السبت والأعياد ، وملابس خاصة للصلاة فى الفجر (٩٤) ، التى كانت تستمر لوقت طويل ، وفى يوم السبت كان اليهود يكثرون أيضا من الأشعار والأغانى وأحيانا يكون هناك سبب آخر لاطالة الصلاة مثل احتفال أحد المصلين فى المعبد بحدث عائلى مثل الختان أو الزواج ، حيث يؤمر صاحب هذا الاحتفال وعائلته بالصعود الى منصة قراءة التوراة ويدعى كل افراد اسرته لقراءة آيات من التوراة والتفاسير المتعلقة بها ، وكان هذا العمل يستغرق وقتا طويلا لان أفراد الاسرة أو المحتفل نفسه لا يكونون غالبا أصحاب موهبة فى القراءة السريعة (٩٥) .

وبعد ذلك كانوا يذهبون الى منازلهم ليعودوا مرة ثانية الى المعبد فى ساعة الظهيرة من أجل أداء صلاة العصر ، وفى أثناء هذه الصلاة كان أحد الحكماء اليهود يقوم بالقاء دروس باللغة العربية الدارجة تحث الحاضرين على المحافظة على الأوامر الدينية

---

(٩٣) حسن ظاظا ، الفكر الدينى الاسرائيلى ، ص ٢٠٠ ، ٢١٠ .

(٩٤) ابن زمره ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ٤ أ ، ص ١٤٨ ؛
Goitein, A. Mediterranean Society, Daily Life, pp. 155-156.

(٩٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 377.

وتحذرهم من مخالفة ذلك ، وكان يتعرض ايضا لبعض الأحداث الجارية ، لذلك كان المصلون اليهود ينصتون اليه بشكل جيد (٩٦) . أما باقى اليوم فكانوا يقضونه فى وسط الأسرة ، فقد أشارت بعض المصادر العربية والعبرية الى أن اليهود اعتادوا الجلوس فى هذا اليوم فى المنزل وعدم الخروج منه (٩٧) ، وكانوا يقضون وقتهم فى قراءة الكتب المقدسة وفى ممارسة الألعاب المختلفة (٩٨) .

واعتاد اليهود أيضا فى هذا اليوم تجهيز وجبات الخطوبة والزواج ، لأنه كان من الصعب على الربانيين فى الأيام الأخرى الانشغال عن أعمالهم (٩٩) ، وكانت الأطعمة تظل باقية على الموقد حتى تكون ساخنة ؛ اما الوجبات فكانت تجهز فى أوقاتها فوجبة الغداء كانت تقدم فى ظهيرة يوم السبت ، أما الوجبة الثالثة فكانت تقدم بعد صلاة العصر ، ولم يكتفوا فى هذه الوجبة بأكل الفاكهة وانما كانوا يجهزون وجبة حقيقية كباقى الوجبات (١٠٠) .

وكانت الطبقة المتوسطة من اليهود تستخدم النبيذ ، الذى كان يستخدم بكميات معقولة فى أيام السبت والعطلات واعياد الأسرة ، وكان اليهود يتناولونه قبل الأكل وكأنه دواء من التلمود

---

(٩٦) Ashtor, History, of the Jews, II, p. 378.

(٩٧) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ ؛
Adler, Jewish Travellers, pp. 221, 222.

(٩٨) Ashtor, History of the Jews, II, p. 378.

(٩٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ٣ ، ص ٨٥٤ ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

(١٠٠) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن زمرة ، ج ٢ ، ص ٧٥٤ .

ومفاتح للشهية ، كما كان الواعظ نفسه يعلن انه دواء من التلمود (١٠١) .

وقد ظهر تأثير اليهود واضحا فى عادات وتقاليد المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، فقد اشار ابن الحاج الى أن بعض نساء المسلمين كن يأتين بعض التصرفات فى حياتهن اليومية تبدو فيها التأثيرات اليهودية واضحة ، فقد اعتادت بعض النسوة الا يشترين السمك أو أكله أو ادخاله فى بيوتهن يوم السبت ، كما أن بعض النسوة تعودن على عدم دخول الحمام أو شراء الصابون وغسل الثياب فى يوم السبت متأثرات فى ذلك ببعض العادات اليهودية المتعلقة بحرمة يوم السبت (١٠٢) .

وعن الحج فقد كان واجبا على كل ذكر بالغ وكل يهودى اذا استطاع اليه سبيلا ، ويكون ثلاث مرات فى السنة (١٠٣) ، لذا كان الحج يعتبر من المواسم المهمة فهو يمثل دوراً مهماً فى الحياة الدينية ليهود مصر ، لا سيما وقد كانت المسافة بين مصر وبيت المقدس قريبة نسبيا ، لذلك كانت رحلة الحج البرى من مصر لا تستغرق وقتا طويلا ، وكان عدد الحجاج اليهود الذين يذهبون الى بيت المقدس فى العصر المملوكى كبيرا ، وقد جاء فى أحد المراجع المعاصرة أن يهود مصر كانوا يحضرون الى بيت المقدس من أجل اللجوء الى الله (١٠٤) .

---

(١٠١) Goitein, A. Meriterranean Society, Daily Life, p. 254.

(١٠٢) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ ؛ يوسف

(١٠٣) سفر الخروج ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ١٧ ؛ يوسف ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٩٠ ؛ موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ، ج ٣ ، ص ٦٩٣ .

(١٠٤) Adler, Jewish Travellers, p. 226.

وجرب العادة أن يحج اليهود فى ثلاثة أعياد هى الفصح والأسابيع ، والمظلة (١٠٥) ، وكان معظم الحجاج اليهود يقومون بزيارة الخليل بدليل ما ذكره بعض الحجاج المسيحيين الذين زاروا بيت المقدس فى العصر المملوكى عن كثرة عدد اليهود الذين يحجون الى الخليل ، كما ذكروا أيضا أن المسلمين كانوا يقومون بزيارة الخليل من أجل زيارة قبور الأنبياء ، وكان هناك ما يعرف باسم مغارة المكفيلة أى (قبر ابراهيم) التى كانت محظورة على اليهود والمسلمين فى عصر المماليك الچراكسة (١٠٦) ، وكان اليهود يقومون بالصلاة أمام أحد النوافذ الواقعة فى السور الذى يحيط بالمغارة ، وكانت معظم الحقول والبساتين فى الخليل وقفا على اليهود ، وكان يتم تقديم الخبز وكافة المأكولات يوميا للمسلمين واليهود والنصارى من ريع هذه الحقول والبساتين (١٠٧) .

ومن المزارات التى كان اليهود يقومون بزيارتها قبر راحيل الذى يقع فى الطريق بين القدس والخليل وكان المسلمون يقومون بزيارته أيضاً ، كما أنشأوا عليه قبة وأقاموا بجواره عددا من الأعمدة (١٠٨) .

وبالقرب من بيت المقدس كان يقع قبر النبى صموئيل وكان اليهود يعتقدون أن زيارته تشفى المرضى وتجعل لدى النساء العاقرات القدرة على الانجاب ، لذلك حرص الكثير من اليهود على

---

(١٠٥) Adler, Jewish Travellers, p. 205.
الموسوعة العبرية الكبيرة ، ج ٢٦ ، حرف س-ع ، ص ٢٥ ؛ ج ٢٧ ، حرف ع - ق ، ص ٩٤٧ .

(١٠٦) Ashtor, History of the Jews, II, p. 381.

(١٠٧) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 381-382 ; Adler. Jewish Travellers, p. 199.

(١٠٨) Adler, Jewish, Travellers, p. 201.

الصلاة فى هذا المكان وخاصة فى يوم الثامن والعشرين من شهر آيار (مايو) وهو يوم وفاة النبى صموئيل (١٠٩) ، كما تم تأليف بعض الصلوات الخاصة لأدائها على هذا القبر ، وكان كثير من اليهود يزورونه وهم سكارى ، ولذلك أدخل حكماء بيت المقدس تعديلات وشروطا كثيرة لزيارة هذا القبر (١١٠) .

وقد قام يهود مصر بالتبرع بالأموال لشراء زيت الشمعة الأبدية (نيرتاميد) الموجودة على قبر صموئيل ، وكان المتبرعون يقولون دائما نتبرع لسيدى صموئيل ولسيدنا صموئيل (١١١) . ويفهم من المستشرق اليهودى آشتور أن جزءا من أموال النذور الخاصة بقبر صموئيل كان يعطى لتلاميذ الحكماء فى المدارس الدينية بالقدس ، وأن الجزء الباقى كان يتم اعطاؤه للطوائف اليهودية لدفع الجزية (١١٢) .

وأكد الرحالة الألمانى ارنولد فون هارف أن سلاطين المماليك لم يضعوا اية عقبات أمام اليهود الذين كانوا يرغبون فى الحج الى بيت المقدس وأن أى حاج كان يريد الذهاب الى القدس كان عليه أن يتقدم بفروض الطاعة الى السلطان بالاضافة الى بعض المكوس (١١٣) . وقد أكد هذه الرواية رحالة ايطالى يهودى أدى فريضة الحج فى نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى فذكر أن الحاج كان مطالبا بدفع ثلاثة دوكات (١١٤)

(١٠٩) Ashtor, History of the Jews, II, p. 382.

(١١٠) Ashtor, History of the Jews, II, pp. 382.

(١١١) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد بن مرة ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(١١٢) Ashtor, History of the Jews, II, 383.

(١١٣) Malcolm, The Pilgrimage of Arnold von Harff, pp. 113-115.

(١١٤) Adler Jewish Travellers, pp. 187-188.

ويعتبر هذا المبلغ زهيدا للغاية اذا ما قورن بما كان يتم جبايته من الحجاج النصارى (١١٥) .

وقد ادت بعض المصاعب المرتبطة بالسفر للحج بالكثير من اليهود الى عدم الحج الى بيت المقدس واكتفوا بارسال التبرعات والصدقات ، كما اعتاد يهود مصر أن ينذروا أموالا لأبناء الطوائف اليهودية فى القدس أو لشراء الزيت من أجل اضاءة المعابد هناك (١١٦) ، كما حرصوا على ارسال بعض الأدوات الفضية على هيئة صدقات (١١٧) ، وبذلوا ايضا اقصى ما فى وسعهم من اجل مساعدة اخوانهم فى القدس حتى يتمكنوا من تحسين أوضاعهم ، لأن هناك بعض اليهود الذين كانوا قد هاجروا الى القدس من أجل قضاء أيام شيخوختهم وأن يدفنوا فى تراب القدس (١١٨) .

وقد وجدت فى مصر أماكن خاصة لليهود كانوا يحجون اليها مثل بيت المقدس تماما (١١٩) ، فقد قام يهود القاهرة بالحج الى معبد « دموه » كما قاموا بدفن موتاهم هناك فى أيام السبت وأوائل الشهور وفى المواسم ، وكان يجتمع هناك حشد كبير من اليهود لأداء الصلاة (١٢٠) ، كما تم تخصيص يوم السبت من شهر آزار

---

(١١٥) Ashtor, History of the Jews, II, p. 384.

(١١٦) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون ، فقرة ٣٨ ، ٣٩ ؛ ابن زمره ، فتاوى رابى دافيد بن زمره ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٩١ .

(١١٧) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ؛ ابراهام ، المرشد الأمين ، ص ٩١ ؛

(١١٨) Ashtor History of the Jews, II, p. 385.

(١١٩) ابن زمرة ، فتاوى رابى دافيد ، ج ٤ ، ص ١٤٥ .

(١٢٠) Ashtor History of the Jews, II, p. 385.

(مارس) وهو يوم وفاة النبى موسى للزيارة ، وكان يجرى هناك أيضا الاحتفال بعيد الأسابيع (١٢١) .

وفى مواعيد هذه الزيارات كان يجتمع فى دموه أعداد كبيرة من اليهود المحتفلين ، وكانوا يقومون بأشياء تخدش الحياء والآداب لذلك تشدد فقهاء القاهرة فى العصر المملوكى فى حظر تقديم بعض الألعاب المعينة ، واشترطوا على لاعبى الشطرنج أو السيجة استخدام الحصى أو الكور الطينية ، وأن يرددوا الأغانى ، كما حظر الربانيون أيضا اصطحاب الرجال اليهود للنساء القريبات ، وحظروا على المرأة أن تذهب بمفردها الى هناك ، وشددوا على ضرورة أن يصطحبها زوجها أو شقيقها أو ابنها الكبير ، واستثنوا من ذلك المرأة المسنة ، وحذروا من اختلاط الرجال بالنساء ، أو الجلوس بالقرب من مقاعدهم ، كما حرموا خروج رجل مع شاب صغير ليتوجها الى دموة خشية أن يظن البعض أنه يضاجع الذكور من الاولاد (١٢٢) .

(١٢١) المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .
(١٢٢) Ashtor, History of the Jews II, p. 385.

كشفت لنا دراســـة أحوال اليهود فى مصر زمن ســلاطين المماليك عن أن اليهود عاشوا فى المجتمع المصرى كجزء لا يتجـزأ منه يتفاعلون معه ويؤثرون فيه ويتأثرون به . كما كشفت هـذه الدراسة أيضا عن مدى حرص سلاطين المماليك على التزام جانب العدالة تجاه اليهود عملا بتعاليم الدين الاسلامى ؛ فقاموا بالدفاع عن مصالحهم ومنحهم قدراً كبيراً من الحرية ، كما قاموا بمنح بعضهم العديد من الألقاب مثل الشيخ ، والشيخ الفخر ، والشيخ الأجل ، والشيخ الجليل ، والريس ، والحضرة السامية ، والرئيس والكافى والمقرب والحكيم وتاج الحكمة وثقة الملوك والسلاطين .

وأثبتت هذه الدراسة أيضا أن رئيس اليهود كان وسيطـا فى العلاقة بين الدولة المملوكية ورعاياها من اليهود كـما أثبتت لجوء اليهود بالشكوى الى سلاطين المماليك عند خروج رئيسهـم عن قواعد الملة ، أو عن عادات الزعماء الدينيين للطوائف ، كما أكدت أن العلاقة بين اليهود وسلاطين المماليك قد سـارت فى مسارها الطبيعى باستثناء بعض الحوادث العارضة التى كانت تؤدى الى تغيير نظرة السلاطين اليهم ، غير أن ذلك كان يزول بزوال السبب الذى أدى الى هذه الحادثة أو هذا التغيير . فقد تعرض اليهود المصريون فى بعض الأوقات للابتزاز ومصادرة بعض

أموالهم ، بالاضافة الى الزامهم بدفع الجزية التى كانت تفرض عليهم ، بيد أن هذه الاجراءات المالية الاستثنائية كان يتعرض لها جميع أفراد المجتمع المصرى بمختلف طوائفه ، ولم تكن قاصرة على اليهود وحدهم اذ يلاحظ انه رغم تعدد المراسيم التى صدرت لالزام أهل الذمة من يهود ونصارى ببعض القيود فان الالتزام بها كان يخف تدريجا بمرور الوقت الى أن يقع فى طى النسيان الى ان يجىء احد المتشددين فيعاد تجديدها ، كما أنها كانت تصدر فى بعض الأحيان لتصحيح بعض الأوضاع القائمة بالفعل ، بسبب خروج بعض العاملين فى الجهاز المالى والادارى للدولة من اليهود والنصارى عن الحد .

واكدت هذه الدراسة أيضا على مشاركة اليهود فى الأحداث الجارية فى المجتمع المصرى زمن سلاطين المماليك ، مشاركة فعالة ، وعلى خضوعهم للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية نفسها التى خضع لها باقى أفراد المجتمع ، فقد شاركوا فى العديد من المناسبات ذات الطابع السياسى مع بقية أفراد المجتمع المصرى ، وعبروا عن رأيهم فى تلك الأحداث .

لانهم لم يكونوا مجرد أقلية منعزلة داخل هذا المجتمع بل ذابوا داخل هذا المجتمع وامتزجوا ببقية أعضائه من الطوائف الأخرى ، بدليل أنهم لعبوا دوراً كبيراً فى مجال الطب وتولوا العديد من الوظائف الادارية والمالية ، وعمل بعضهم فى مجال الترجمة وفى جباية المكوس بل تولى بعضهم ادارة دار سك العملة .

وكشفت هذه الدراسة عن قيام الدولة المملوكية بالسماح لليهود فى كثير من الأحيان بترميم معابدهم أو اعادة بنائها ، بل وسمحت لهم بشراء الأراضى والمنازل فى سائر أنحاء البلاد ، وتوارثها او بيعها فيما بينهم وبين المسلمين .

وكشفت كذلك عن عدم التزام اليهود فى كثير من الأحيان بالمراسيم التى كانت تصدرها الدولة المملوكية بشأن القيود الخاصة بملابسهم وفقا لما جاء بالشروط العمرية بدليل صدور العديد من المراسيم من آن لآخر للتأكيد على ضرورة التزامهم بتلك القيود .

وبينت الدراسة من جهة اخرى ان ارتداء اليهود للون الأصفر كان لا يمثل أى نوع من الاحتقار لمن كان يرتديه ، فقد سبق للرسول (ﷺ) والخلفاء الأول أن ارتدوا الملابس الصفراء، كما ارتدى صلاح الدين الأيوبى عمامة وسترة صفراء .

وبالنسبة لأوقاف اليهود ، أوضحت الدراسة أنها ظفرت بالاهتمام والرعاية الكاملة من جانب سلاطين المماليك ، وكان التصرف فيها يتم وفقا للشروط التى حددتها تعاليم الشريعة الاسلامية .

وأكدت هذه الدراسة على أن اليهود لقوا من المسلمين معاملة طيبة فاقت مالقيه النصارى من هذه المعاملة ، فقد كانت الدولة الاسلامية موطنا وملجأ لعدد كبير منهم على مر العصور بشهادة اليهود أنفسهم الذين اشادوا بحسن هذه المعاملة لهم وحسبنا أن ننوه هنا بما ذكره الرحالة اليهود الذين زاروا مصر فى عصر المماليك الجراكسة من سماحة الاسلام وحسن معاملة المسلمين لليهود وتمييزهم عن غيرهم فى كثير من الاعفاءات المالية، ولو كان هناك اضطهاد تعرض له اليهود ما كان هؤلاء الرحالة اليهود قد ترددوا لحظة فى ذكره والتنديد به ، الأمر الذى يؤكد على أن اليهود تمتعوا فى أغلب الأحيان تحت حكم المماليك بكل ما تمتع به اخوانهم المسلمون من حقوق وامتيازات .

وفيما يتعلق بالمجال الاقتصادى كشفت الدراسة بجلاء عن ممارسة اليهود لكافة أنواع النشاط الاقتصادى فى العصر المملوكى

فقد عملوا بالعديد من الحرف كالصباغة ، وصياغة الذهب والفضة والنحاس ، وصناعة الامشاط ، وحرفة الخياطة ، كما تعاطوا صناعة الكعك والسكر ، ومارسوا كافة انواع الأنشطة التجارية مثل تجارة العطارة والأعشاب والادوية ، وتجارة الخمور التى برعوا فيها ، بالاضافة الى تجارة المنسوجات والحرير وتجارة السكر وتجارة المحاصيل ، كما عملوا أيضا فى مجال الصرافة وأعمال الربا .

واثبتت هذه الدراسة أيضا وجود ثلاث طوائف من اليهود فى مصر زمن سلاطين المماليك تمثلت فى الربانيين والقرائين والسامرة . واكدت على سماح الدولة المملوكية لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة . بدليل أن المعابد اليهودية لعبت دوراً مهماً فى حياة تلك الطوائف اليهودية .

وكشفت هذه الدراسة عن تأثر اليهود ببعض عادات المسلمين ، كعادة خلع الاحذية عند دخول المعبد ، فقد كان اليهود لا يدخلون المعبد بأحذيتهم ولو على سبيل الزيارة وانما كانوا يتركونها بجوار باب المعبد . كما أخذ اليهود عن المسلمين عادة غسل الارجل قبل صلاة الصبح لانها لم تكن ضمن تقاليدهم بل وجدت نتيجة لتأثرهم بالجو الاسلامى المحيط بهم .

وانتشرت بينهم أيضا عادة طهارة المستحلم ، فقد حرمت قوانينهم على يهود مصر دخول المعبد دون تطهر وهذه أيضا عادة اسلامية تأثر بها اليهود نتيجة لامتزاجهم وتعايشهم داخل المجتمع المصرى المسلم .

كما تأثر اليهود ببعض العادات الاسلامية المتبعة فى صلاة الجماعة التى كانت تقام فى المساجد الجامعة من حيث الوقوف فى

صفوف متراصة ، فقد جرت العادة أن يقف الواعظ اليهودى امام الصف الأول للمصلين من اليهود .

ولا ننسى أيضا العادات اليهودية المتعلقة بتناول الطعام التى تعكس لنا العادات نفسها المتبعة لذى المسلمين سواء من حيث جلوسهم على الأرض لتناول الطعام ، او من حيث غسل أيديهم قبل الطعام وبعده ، كذلك كان الحال بالنسبة لتجفيف الأيدى بالمناديل والفوط المصنوعة من الحرير .

ويبدو أن اليهود تأثروا بالمسلمين الذين كانوا يرتدون ملابس بيضاء ذات أكمام واسعة فى الأعياد والمناسبات ، فارتدوا مثلهم ملابس بيضاء فى الأعياد والمناسبات كعيد رأس السنة ويوم الغفران

وأخذ اليهود عن المسلمين ايضا عادة اطلاق الأسماء العربية على ابنائهم ، وعادة اتخاذ الألقاب شأن المسلمين اذ يلاحظ أن أسماء اليهود العربية كانت هى الأسماء نفسها المنتشرة بين المسلمين فيما عدا أسماء محمد وأحمد وحسين التى لم يتسمى بها اليهود ، مما يؤكد ان اليهود كانوا جزءاً من المجتمع المصرى ابان العصر المملوكى .

واسهمت هذه الدراسة من جهة أخرى فى التعرف على اماكن سكنى اليهود الذين أقاموا فى مدينة الفسطاط وفى الأحياء المجاورة لقصر الشمع وفى الحى المعروف بالمصاصة ، وفى زقاق محط اللبن وفى زقاق اليهود وفى السوق الكبير الى الجنوب من قصر الشمع كما سكنوا أيضاً فى حى زويلة وبالقرب من معبد دموه ، وأقاموا كذلك فى كل من الاسكندرية والمحلة الكبرى ودمياط وسنباط وبلبيس وقرية بنها العسل وسمنود وقوص .

وكشفت هذه الدراسة كذلك عن أن الدولة المملوكية سمحت لليهود بتنظيم طوائفهم داخليا دون أى تدخل من جانبها ، وأن هذه الطوائف كانت تقوم بخدمات اجتماعية متنوعة لاعانة المحتاجين ومساعدة عابرى السبيل وسداد الجزية عن العاجزين من بين ابناء الطائفة . كما سمحت الدولة المملوكية لليهود بتطبيق القوانين الخاصة بهم فى شتى مجالات الحياة ، اذ كان لليهود قضاؤهم الخاص الذى كان يرأسه الناجيد باعتباره رئيس اليهود . وكان يتم انتخابه بواسطة اليهود ثم يصدر بذلك مرسوم سلطانى لاضفاء صفة الشرعية على هذا الانتخاب .

وكشفت هذه الدراسة أيضا عن بعض الألقاب التى منحت للناجيد من باب التبجيل والاحترام ، مثل تاج وزينة الوزراء ووزير الوزراء . كما كشفت عن لجوء دولة المماليك الى هذا الناجيد حينما كان يسوء وضعها الاقتصادى ، وذلك من خلال الزامه بسداد بعض الأموال للخزانة السلطانية .

وكشفت كذلك بأنه كان يأتى فى المرتبة التالية للناجيد فى العصر المملوكى ، ديان اليهود ، الذى اشارت اليه المصادر العربية ، باعتباره مسئولا عن الفصل فى القضايا المدنية التى كانت معظمها عبارة عن خلافات مالية بين المتخاصمين من اليهود .

وأبرزت هذه الدراسة أيضا أن مصر كانت من أهم الدول التى لجأ فيها اليهود الى القضاء الإسلامى ، ربما بسبب رغبة بعض هؤلاء اليهود فى الحصول من خلاله على مكاسب لم يكن بامكانهم الحصول عليها من خلال القضاء اليهودى خاصة فى مجال المواريث .

وكشفت كذلك عن عدم وجود سجون خاصة باليهود بل كانت سجون هذا العصر عامة لجميع أفراد المجتمع المصرى .

باستثناء طبقة المماليك التى كانت لها سجون خاصة بها كسجن الاسكندرية واظهرت أيضا ان منازل اليهود فى العصر المملوكى كانت تمتاز بالنظافة والجمال وحسن الزخرفة ، وانه كان يقيم فى المنزل الواحد عدة أسر يهودية ، وأن منازل أثرياء اليهود كانت تتميز بردهاتها الواسعة وبجدرانها المزينة بشتى أنواع الزخارف المتعددة الالوان .

والقت هذه الدراسة الضوء على بعض العلاقات الأسرية، اذ كانت العلاقة بين الرجل والمراة طيبة بدليل الألقاب التى أطلقها اليهود على نسائهم ، مثل ست الدار وست الناس وست الكل وست الحسن وذلك من باب الفخر والثناء والتعظيم لهن .

والقت الضوء أيضا على العديد من الاحتفالات الأسرية التى كان يحتفل بها يهود مصر فى العصر المملوكى مثل الاحتفالات الخاصة بالزواج والولادة والختان ، وعن سماح الدولة المملوكية لليهود بالاحتفال بأعيادهم فى حرية تامة ، وعن مشاركة المسلمين لهم فى بعض هذه الأعياد وعن تبادلهما للهدايا فى شتى المناسبات.

كما اثبتت بما لا يدع مجالا للشك انه لم يكن لليهود اى دور فى مجال الثقافة والعلوم العقلية باستثناء علم الطب الذى اسهموا فيه بدور بارز .

الملاحق

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١)
من العربية اليهودية الى العربية(*)

يوم السبت .. الرب خلاصي ... والجماعة الكريمة المقيمين بمصر يباركهم خالقهم ويكون فى عونهم ، الناس يعلموا بأن لا تسالوا ما جرى علينا بسبب تأخير الجوالي ، وأنتم رأيتم ما حصل .

(٥) لكم من الغرامة والتشديد ، بسبب تأخير الجوالي وتأخر عليكم بعد كل حساب مائة وخمسين درهم وأنا نحن إلزمنا المولى الأجل الحاخام رابى افراهام والمولى الاجل الحاخام نصر الله (ى ب) الزعيم المبجل .

(١٠) والمولى الأجل الحاخام يوسف (ه ى ب) الزعيم المبجل والمولى الأجل الحاخام موسى (ى ب) الزعيم المبجل بمائة

(*) وثيقة تتضمن أحد تعاليم رئيس الطائفة رابى يهوشوع ، كتب بالعربية اليهودية ، ترجع الى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى عن آشتور .
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 82-83.

وخمسين ، وكتبنا عليهم حجة بها انهم يعطوها من صندوق النذور فاى شخص من قالوا له جبايتها .

(١٥) يجبى ولا يتمنع ، وأى من تأبى عن جبايتها يكون تحت الطرد لا يكلمه اخوانه ولا يعاملوه ولا يثاقفوه الى حين يجبى وأى من جبى يجتهد فيها لان الضرورة داعية الى ذلك وأى من جبى .

(٢٠) لا يوصلها الا لأحد من الخمسة المذكورين والحذر ثم الحذر من المخالفة ، والحق تعالى يكون فى عونكم ويعمر دياركم ويحيى اولادكم ويكثر رزقكم وأن الجماعة حاسبوا الحاخام موسى (الامام فى الصلاة) .

(٢٥) وما بقى فى جهاتة شىء فلا سبيل لأحد يتحدث فيه وأى من يتحدث فى فرضه (الموضوع) يحذرنا منه الحق تعالى يجعل العاقبة السلام وسلام .

والبواقى الذى باقية على الناس من الجوالى يزن بما يرضى الله للجباه الى ... ويغرموا الفضة وما لهم شىء كذلك الجباية أن كنا عندكم ذكروا لان ما جبى منها الخمس ممن عليه يزن كل نذر وهذا الفضل ما يؤخر نذر .

ترجمة الخطاب بالملحق رقم (٢)
من العربية اليهودية الى العربية *

١ — بعون الرب وهو صانع السموات والأرض ، لخلاصك املت يارب .

٢ — سلام عظيم لكل من يحب شريعتك سلام للقريب والبعيد واليك .

٣ — السلام ، وليكن أهل بيتك فى سلام ، وسلام الرب مجداً لشعبه يعطى ، ويبارك شعبه بسلام .

٤ — المخدومى المكنى (١)

٥ — يقبل الأرض وينهى بعد ملازمة الأدعية الصالحة بدوام .

٦ — بقاء المخدومى السعادة عليه وعلو درجته فى الدنيا .

٧ — والآخر تقبلها الله ت (٢) من آل مخدومى المكنى ومن كل داع مخلص .

(*) خطاب شخصى من عصر المماليك بين اثنين من اليهود المصريين يرجع إلى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى كتب بالعربية اليهودية عن اشتور نشر فى مجلة :

Keriat Sefer, pp. 119 - 200 - 201 - 202.

(١) المخدومى المكنى هو المملوك .

(٢) ت ، تعالى .

٨ — بالاجابة والذى تحيط به العلوم الكريمة ان سبب تسطير .

٩ — ذلك العبودياه كثرة الشوق والتلهف والتعطش والتشرف .

١٠ — الى نظر وجه المخدومى الله (ت) يقرب الاجتماع فى مستقر .

١١ — رحمته قريب غير بعيد انه على كل شىء قدير وينهى الى

١٢ — علم المخدومى ان وصلت مشرفته فقبلها المخدومى المكنى قابلها .

١٣ — وشكر الله (ت) على عافية المخدومى وصحة مزاجه .

١٤ — والمد (٣) يذكر فيها بسبب السقارق الذى باسم المولى .

١٥ — عبد الواحد ابن خاله الا م م (٤) والذى باسم شمس الدين العامل .

١٦ — فابتاعهم ال (مم) هما والسخارج والصحون الذى طلبهم .

١٧ — (المخد) من ال (مم) فى القاهرة بسبب الفرق والماردانيات .

١٨ — ايضا وذكر (المخد) عن النصاق ان كنت لم اتعملتهم فلا .

١٩ — عدت تشتريهم فكان ال (مم) قد اشتراهم وال (خد) .

٢٠ — ما له غنا عنهم بسبب المالة فانهم نافعين جدا .

٢١ — وهما قماش عاتكى وهم عدة ١٢ واما من امر .

٢٢ — الكنافيات الذى طلبهم (المخد) مشرفته فكان ال (مم) يعيش

٢٣ — ارسل صحبة نصر الله بن الكارمى الكنافيات المذكورة

---

(٣) المحروسى .

(٤) م م ، المخدومى المكنى

٢٤ ــ فعلم ال م م ، ان نصر الله المذكور لم كان وصــل الى ــالمخد فاختصر .

٢٥ ــ ال (مم) شراهم وان الحوايج المذكورة جميعهم بيرسلهم ال م م .

٢٦ ــ صحبة شخص جمال معرفة الشيخ السنى عبد الرحيم ابن النشو .

٢٧ ــ وان ال (مم) أخذ من راب شموئيــل الف وثلاثمائـــة برسم العون .

٢٨ ــ المذكورة وال (م م) يرسل معهم مع الجــمال كتــاب بتفصليهم .

٢٩ ــ كما ينبغى والمخد يعلم الشيخ الفخر « موسى بن علم » ان وصلت .

٣٠ ــ مشرفته صحبة ابن الذين عمر ! فقبلها الم م حنين .

٣١ ــ قابلها وشكر الله (ت) على عافيته ، وصحة مزاجه .

٣٢ ــ المحروس ، وان وصلت والوداعة كما ينبغى فالله (ت)

٣٣ ــ لا يعد منا احسانه واحسان المخاديم (٥) ، أيضا .

٣٤ ــ وجــزاكم على الله (ت) فان ال (م م) ... در يثوب لكم (٦) .

٣٥ ــ بجزاء ولكن ذلك بحب الدلايل على صدقات كم (٧) :

---

(٥) المخانيم ، المماليك .
(٦) ربما يمكن أن نكملها « لا يقدر يثوب »
(٧) ربما تقرأ (على صدقاتكم)

٣٦ — وعزم ال (م م) التوجه الى القاهرة ان شاء الله تعالى .
٣٧ — بعد تجديد تقبيل الأرض عن أيادى (المحد) ثانياً
٣٨ — ومن ايادى الاولاد الأعزة ومن يلوذ بمنزله المعمور .
٣٩ — وبين ايادي الشيخ الفخر موسى بن علم ومن يلوذ بمنزله
٤٠ — وبين أيادى الشيخ الشمس عبد اللطيف أخيه وبين أيادى
٤١ — الشـيخ النجيب يوسف أخـوهم وبين أيادى الشمس
٤٢ — عبد الواحد بن خاله الـ (م م) ومن يلوذ بمنزله وبين ايادى
٤٣ — الش الشمس عبد اللطيف وبين أيادى ولده الشيخ .
٤٤ — السني فرج الله ومن يلوذ بمنزله ومن أيادى المولى الأجل .
٤٥ — الشم الفخر موسى بن أبو المجد القائم بالصلاة ومن يلوذ
بمنزله .
٤٦ — المبارك ومن أيادي الموفق يعقوب إلسكندرى وولده .
٤٧ — شموئيل ومن يلوذ بمنزله ومن أيادى المولى تاج الدين بن
فـيروز .
٤٨ — وبين أيادى شرف الدين يحيى ومن يلوذ بمنزلهم المبارك .
٤٩ — وبين أيادى الشم الشمس عبد الحق الفيروزى ومن يلوذ .
٥٠ — بمنزله وبين أيادي جميع السادة الجماعة كبار .
٥١ — صغار ، أبقاهم الله تعالى والسؤال من صدقات كبار المخد .
٥٢ — ان يبلغ كل احد منهم السلام ولسان النقص . . . أن (٢) (٣)
٥٣ — انهى ال (م م) ذلك ان شا (ء) الله تعالى و . . . فوائك .

الهامش :

(وحضر تسطـــير هاذه ال وحضر تسطير الـّم مشموئيل
عبودياه (٨) الـّم م فرج الله . . . وهو يقبل أيادى المخدومين
الكارمى وهو يقبل الأرض أيادى الجماعة المذكورين كل
بين أيادى جميع من ذكـــر . . . واحـــد باسمه به ...
فى هذه العبوديـــاه ... . ومهمـــا كان ......

فى يوم الاثنين فى الأسبوع وهو يوم ٢٥ (٩) .
من شهر تموز فيـــ قلب الحزن الى بهجة

صفحـــة ٢

١ ـــ يقبل الأرض بين يدي (المخـــ) ويسال صدقاته ان يقبل أيادى المخدو الـّم م

٢ ـــ عبد الرحيم بن النشو ويعلمه ان لم تهاون .
شموئيل الم م فى كتاب الا

٣ ـــ لم كان على أهبة وكان القاصد مستعجل والم م
يسال صدقات السنى

٤ ـــ عبد الرحيم انه لا يتهاون فى السلام على شمس الدين ابن النشـــ .... على] الد ...... نى

٥ ـــ وما ساله فيه بحيث لا يتاون فيه على جاري عوايد احسانه انهى ذلك وسلام

---

(٨) العبودياه ، هذه الرسالة تمثل عمل الخادم لسيده ، وتعبر عن الخضوع له .

(٩) اقتبس الكاتب ارميا ١٢/٣١ .

ملحق رقم (٣)

نسخه توقيع برئاسة اليهود
من انشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

نسخته :

أما بعد ، حمدا لله الذى جعل ألطاف هذه الدولة القاهرة تصطفى لذمتها من اليهود رييساً فرييساً ، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى ، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت عليهم منهم نفيسا .

والصلاة على سيدنا محمد النبى الأمى ، والرسول الذى اجمل الوصية بالملى والذمى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ما هطل ولى ، وما نزل وسمى ، فان معدلة هذه المملكة التى تكتنف الملل والنحل والاحتياط وتعمهم من انصافها واسعافها بأوفر الانصباء وأوفى الأقساط ، وتلمهم من حادث الزمن اذا أشتط ، ومن صرفها اذا شاط ، وتضمهم كما ضمت النبوة الى جناح البنوة الأسباط ، لا تزال ترقب الآل والذمة فى المسلمين ، وتقضى لهم بحسن الخبرة ورعاية الحرمة ، تبيحهم من أمور دينهم ما عليه عوهدوا وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقدوا ، وتحفظ نواميسهم بأخبار ، ويجمل مرادهم اذا شوفهوا ، ويحسن مرآهم اذا شوهدوا من كل اسرائيلى اجمل للتوراة الدراسة ، واحسن لاسفار أنبيائه اقتباسه ، واجمل التماسه ، ومن نبهته نباهته

التقدمة فما طعم اجتهاده يوما حتى صار وجه للوجاهة فى قومه ، ورأس الرياسة ، فأصبح فيهم معدم النظير ومعدوداً منهم بكثير ، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانيته حسن التفسير ، واستحق من بين شعبه أن يكون راس الكهنة ، وبأن تصبح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقة مرتهنة ، وبأن الجهالة بتثقيفه لشيعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتهنة .

ولما كان الريس فلان هو بمحاسن هذا التقريظ بهجة ولجسد هذا التفويض مهجة ، ولمادح هذا الثناء العريض لهجة ، ولعين هذا التعيين غمضها وليد هذه الأيادى بسطها وقبضها ، ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيها ومقتضيها ، ومن أدنيت قطاف النعماء ليد تقدمته على غيظ من غص منها فاجتنى غضها .

اقتضى حسن الأمر الشريف أن يميز على ابناء جنسه بحيق التمييز ، وأن يجاز له من التنويل والتنويه أجل ما جيز ، ورسم الأمر العالى لا زال يجتاز فيجمل الاختيار ، ويغمر بالغيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثماد والبحار ، أن تفوض اليه رياسة اليهود على اختلافهم من الربانيين والقرائيين والسمرة بالديار المصرية ، حماها الله وكلأها .

فليجعل أسبابهم بالتقوى ، وغروسهم بالتدبير لا تذوى ، ومقاصدهم لا يمازجها شك ولا شكوى ، وأنزل عليهم منامناً يسلبهم ضغنا حتى لا يفارقوا المن والسلوى . وليتق الله فيما ذره ويأتيه ، ويجسن فى اجتلاب القلوب واختلابها تأتيه واياه والتيه حتى لا يقال كأنه بعد ، لم يخرج التيه

وجماعة الربانيين فهم الشعب الاكبر والحزب الأكثر ، معاملهم بالرفق الأجدى ، والبر الأجدر ، ولكونك منهم لا تمل

معهم على غيرهم فيما به من النفس الامارة بالسوء ، تؤمر وجماعة القرابين المعروفون فى هذه الملة بملازمة الأدلة والاحتراز فى أمر الأهلة ، فانصب لأمرهم من لم يتوله ، ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج عن ذلك ، ولا يخرج ولا يلجم منهم بلجام من نار انكار من فى ليلة سبته عليه لا ينحرج والشمرة فهم الشعب الدين اذن الشظف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم لمطعم لكم ولا شرب بأكوله ولا شروبه . فمن قدرت على رده بدليل من مذهبك فى شروق كل بحث وغروبه ، فاردده من منهج تحيده عن ذلك وهروبه ، والا فقل له : يا سامرى بصرت بما لم تبصروا به ، وليكن حكمك فيهم بالبث ، وارفق بهم ، فان المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً ابقى . فاياك أن تكون ذلك المنبت ، ومرهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحداً منهم فى السبت ، واجعل أمور عقودهم مستتبة ، وأحسن التحرى والتحرير لهم فى اتقان كل كتبه ، ولا تختر الا الأعيان من كل « خزان » وديان .

ومن كان له من داود عليه السلام لحمة نسب وله به حرمة نسب فارع له حقه ، واصحبه من الرفق اكرم رفقة والجزية ، فهى لدمائكم واولادكم ، وعلى دافعها لا دافعها وصمة ، ولأجلها ورد من آذى ذمياً كنت خصمه ، وهى لكم من السيف اجاره ، وهى أجرة دار الاسلام كما هى لاستحقاق المنفعة بها اجارة ، فأدوها ، وبها نفوسكم فأدوها ، وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

فعددوا الطاف الله بها ولا تعدوها ، وداوم على ما زجر التارك علامة ، ومن قصد منها خلاصة ، قل له فى فى الملا واذا خلاصه .

ومن ركن فى امرتنا الى الاخلاد والاخلال ، وسكن الى الاهمال ، ولم يرض بأن راية الدولة الصفراء على رأسه ، فأوسعه

انكاراً ، والزمه منها شعاراً ، وان قام بنصره منهم معشر حسن فأرهم بفد العلامة ، من جريش الأفكار خشكارا ، وخذهم بتجنب الغش الذى هو للعهد مغير ، ومغيب ، واكفف من هو بما ينافيه معير ، ومعيب ، وأما من هو مجيب لذلك فهو لقصده محبب ، وانقل طباعهم عن ذلك ، وان ابت على الناقل فانتقامنا يتلو ، قل لا يستوى الخبيث والطيب .

وقد علم أن الذى تتعاطونه من نفخ فى البوق ، انما هو كما قلتم للتذكار ، فاجتهدوا أن لا يكون لتذكار العجل الجسد الذي هو خوار .

هذه وصايانا لك ولهم ، فقل لهم هذه موهبة الدولة واحسانها اليكم ولطفها بكم وعاطفتها عليكم وبصرهم بذلك كلما تلا احساننا اليهم .

يا بنىاسرائيل : (إذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) .

عن ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور) أنظر أيضا ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ٢٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٣٨٦ ؛
Gottheil, A Cairo Synagogue Elehenth Century.

ملحق رقم (٤)

توقيع برئاسة اليهود للشيخ المهذب أبى الحسن المتطيب

ف ثامن شهر ربيع الآخر ٦٨٤ هـ (١٣ يونيو ١٢٨٥ م)
تولى الشيخ المهذب ابو الحسن بن الموفق بن النجم ابن المهذب ابى الحسن بن سمويل المتطبب رياسة اليهود وكتب له ابن المكرم كاتب الدرج الشريف تقليداً

نسخته :

أنا لما ألقاه الله سبحانه الينا من مقاليد الأمور ، وجعله فى أيدينا من صلاح الجمهور ، وائقا من نصره العزيز ، ومن آتاه نصره فهو المنصور ، نراعى أحوال الرعايا ، ونوجب ملاحظة البرايا ، لنعم بحياطتنا سائر الامم ، ونحفظ لكل أمة ما ها من ذمم . فنحن بحمد الله معتنون بمصالح الرعية ، وان اختلفت مللهم وآراؤهم ، وتفرقت مذاهبهم وأهواؤهم ، خلقاً شريفاً منا وسجية مباركة تنسب الينا ، وتروى عنا ، تحمل كل أمة على شروعها ونسلك بها سبل أصلها وفرعها ، ونعتمد حفظ ذمامها ، وابقاعنا موسها ، والمحاباة عن رئيسها ومرعوسها . ويساوى فى المعدلة بين قويهم وضعيفهم ، ونساهم فى الحق بين شريفهم ومشروفهم .

فالحمد لله على هذه النعمة التى علت النعم ، والهمتنا حسن النظر فى مصالح الامم .

ولما كان الشيخ الجليل الرييس الكافى ، المقرب الحكيم المهذب تاج الحكمة ، ثقة الملوك والسلاطين ، ابو الحسن المتطيب ، شرح الله صدره ، ويسر امره ، وروح سره ، ممن تقدمت له رياسة على أبناء جنسه ، وقام له شاهد على نبله من سلفه ؛ ومن نفسه ، وكان صدرا فى أهل ملته ، ورييسا فى مذهبه وشرعته ؛ قد شهر فى عشيرته بديانته ، وعرف فى قومه بكفايته وأمانته . اقتضت الآراء الشريفة أن نجعل له الحديث فى أهل ملته ، والرياسة على قومه وأمته ، وخرج الأمر العالى لازال حاكما على الأمم ، مالكا للعرب والعجم ، أن يفرض اليه رياسة اليهود على سائر طوائفهم ، الربانين والقرابين ، والسامرة بالقاهرة ومصر المحروستين ، وسائر الديار المصرية تقديما له على كل قائل يقوله ، ومقتد بفعله وعلماء بما هو عليه من الحياطة لأمور رعيتنا به التى يعنينا ملاحظتها ، وثقة منه بما يأخذ به نفسه من حراسة احوالها التى يلزمنا تعهدنا ، ومحافظتها .

وأمرنا أن يعتمد فى حق من ولیناه أمرهم اصلاح فاسدهم ، وتقويم ما يدهم ، وأن يحملهم على منهج دينهم الذى يدينونه ، ويسلك بهم سنن معتقدهم الذى يعتقدونه ، وأن يحسن السيرة فيهم بما يقضى باستقامة أحوالهم ، ويفضى الى انتظام شملهم ، وتالف افعالهم واقوالهم ، لتخلص لنا طاعتهم ، وتصح لنا نصيحتهم .

فليأتمر معاشر طوائف اليهود والسمرة بأمره ، وليقفوا عند حكمه وزجره ، ولا يخالف أحد منهم ما يحكم به من نص شريعته له ، وعليه ، ولا يعارضه فى الحق من ورائه ، ولا من بين يديه ، ولا يفتح مجلس فى صلاة الا بأمره ، وحكمه ، ولا يخرج أحد من الجميع من تقدمه ورسمه ، ولا يتجره عليه متجره ، ولا يتوجه الى غير حلمه متوجه ، وله أن يستنيب من يختاره من نواب الرييس

المتقدم وغيرهم من يختارة ، وله أن ينصب لكل طائفة من يرتضي من تلك الطائفة ليحكم فيهم بمذهبهم ورأيهم ، ومن شاققــه أو واقفه أو عانده أو خالفه ، فله أن يؤدبه ، ويقيم عليه الحد ، ويحرمه بمقتضى شريعته على ملته .

فليتمسك بالدين ولا يخرج عن « سننه » المستبين ، وليتلق هذا الاحسان بما يجب من شكر ، والاعتراف بجزيل بره ، وليبتهل هو وشعبه بالشكر لانعامنا والدعاء باعزاز نصرنا ودوام أيامنا .

فمن قرأ هذا المرسوم الشريف أو قرىء عليه من كافــة النواب والشادين ، وسائر الولاة والمتصرفين ، فليعمل به وليقف عند موجبه ، وليوعز باكرام الربيس ، المذكور واحترامه ، ومعرفة قدر ما قلدناه واعانته على ما وليناه .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

عن ابن عبد الظاهر ، كتاب تشريف الأيام والعصور

انظر ايضا ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٨ ، ص ١٨

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٥)

من اللغة العربية اليهودية الى العربية (*)

١ — الباقى من فسقه (انصبة — أقساط) الخراج (**)
دفع

٢	— الشيخ ابن الخير	دينار
٣	— الشيخ ابن سدور فرح	دينار
٤	— الشيخ بن سعد بن السكرى	دينار
٥	— ابن عمه	دينار ونصف
٦	— الشيخ أبو منصور ابن حييم	دينارين
٧	— الشيخ ابن آل اعلا اليهودى	نصف دينار
٨	— الشيخ الاعلى بن شعبا	نصف دينار
٩	— الشيخ أبو منصور التسترى	دينار
١٠	— الكاتب الذى دار الماط	نصف دينار

(★) وثيقة تضم بعض أسماء دافعى المكوس غير مؤرخة كتبت باللغة العربية اليهودية عن ·
Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the freer Collection, pp. 66, 86, 70.

(★★) الحزاج ، ضريبة الجوالى المتحصلة ·

١١ ــ ابن الترمذى	ربع دينار
١٢ ــ الشيخ ابن الحسن صباغ	نصف دينار
١٣ ــ ابن أبوه	ربع دينار
١٤ ــ ابن سعد ابن النقاسبى	ربع دينار
١٥ ــ ابن الرفا	ربع دينار
١٦ ــ ولد اسحق أبو فرح	ربع دينار
١٧ ــ صهر نسيم	ثمن دينار
١٨ ــ ابن عمران الطبيب	ربع دينار
١٩ ــ ابن سهل الشرابى	ثمن دينار
٢٠ ــ ابن مفرج الابزارى	ثمن دينار
٢١ ــ ابن بوسير	نصف دينار
٢٢ ــ الشيخ أبو الحسن صدقه	نصف دينار
٢٣ ــ الشيخ أبو زكرى بن سوجمار	نصف دينار
٢٤ ــ أبو الفرج نسيم	نصف دينار
٢٥ ــ أبو زكرى بن منشه	ربع دينار
٢٦ ــ أبو نصر بن المقوتن وشريكه	ربع دينار
٢٧ ــ موسى بن المجانى	ثمن دينار
٢٨ ــ نسيم المغربى	ثمن دينار
٢٩ ــ أبو الكبير الصيرفى	قيرتين

٣٠ ــ ابو عمران عند الشرطة	ثمن دينار
٣١ ــ ابو رحمه	ربع دينار
٣٢ ــ ابو عمران بن مجير	ربع دينار
٣٣ ــ ابو عمران	ربع دينار
٣٤ ــ ابن نصر بن مختار	ربع دينار
٣٥ ــ ابو الخير الجير	ربع دينار
٣٦ ــ مولاى السيد بن منصور	نصف دينار
٣٧ ــ ابن سعد بن آل قطايف	نصف دينار
٣٨ ــ ابن عمران بن الخياط	ربع دينار
٣٩ ــ ابو الحى	ثمن دينار
٤٠ ــ أبو الحسين بن آل عابد وصهره هبة الجميع	
٤١ ــ وصهره أبو الفرج	نصف دينار
٤٢ ــ صدقه آل صفين	ربع دينار
٤٣ ــ صدقه آل زجاج	ربع دينار
٤٤ ــ ابن آل حوسين الدهبى	ربع دينار
٤٥ ــ طيبان	ربع دينار
٤٦ ــ ابو الحسن صدقه بن شمعن	ربع دينار
٤٧ ــ السيد ابو اسحق بن العسال	ربع دينار
٤٨ ــ فرج بن نحوم	ربع دينار

٤٩ —	أزهر بن أزهر	ربع دينار
٥٠ —	الشيخ ابن اسحق بن حوجيج	ربع دينار
٥١ —	الشيخ ابن اسحق الفضى	ربع دينار
٥٢ —	الشيخ أبو يوسف ابن آل ...	ربع دينار
٥٣ —	خلف الزيات	ثمن دينار
٥٤ —	ابن سرور سدر المغربى	ربع دينار
٥٥ —	أبو موسى هارون الجهبذ (*)	ربع دينار

(★) الجهبذ : موظف فى ديوان المال .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٦)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

(١) فليباركهم الرب (٢) المقمين بمصر (٣) ناظر الجوالى بيحرق (٤) كارهى اسرائيل من الأصل (٥) انتبهوا لانفسكم وتزن كل واحد جاليته (٦) والمغرم الذى نابهوا وتعلموا أن احدا من (٧) عندنا ما يجى اليكم وما يجبى منكم الا (٩) الأعمال (العمال) والمقدم والصيرفى انتبهوا وجهزوا تعلموا بان ما (١٠) حالكم ما على أحد عتب وقد أنذرناكم (١١) واما أمر الطباخين تعلموا بأن ما (١٢) يجوز أن يطبخ للقاهال الا شخصاً مخلصاً فى تطبيق أمر الشريعة مؤهلا لذلك الأمر لأنهم (١٣) قالوا عليهم السلام شخص واحد شاهد مخلص فى ايمانه ترضى شهادته فى المحرمات ما يجوز (١٤) من يعمل شاهداً الا شخصاً ترضى شهادته او مخلص فى عقيدته وان كان (١٥) على وجه الصفة يجوز أن يؤكل من يديه والا (١٦) كان نحس قليل دون لا يجوز من يعتبر به (١٧) ولا من يأكل من يديه شيئا وقد بلغنا أن هؤلاء (١٨) الذين يطبخوا عندكم تناحسوا وانتهجوا حرمة السبت (١٩) وتحدثوا بالوشايات واذا جاءنا مصر أخذنا (٢٠) البينة على كل واحد بما حصل منه وتأخذ (٢١) الحق منه والآن لا يمكن أحد منهم أن

(★) وثيقة تحذير من رئيس الطائفة رابى يهوشوع من التعامل مع الجزارين الذين لا يذبحون طبقا للشريعة اليهودية ، ترجع الى منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م ، كتبت بالعربية اليهودية ، عن أشتور .
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 84, 85.

يطبخ (٢٢) واذا طبخ يكون وقع تحت عبء طهارة الذبح لا يأكل أحد منهم (٢٣) شيئا يطبخ الا من يكـون رجـل جيـد ويجبيب (٢٤) خطوط الجماعة بأنه يهودى جيد (كاشير) (اى مؤهـل وفقا للشريعة) يصلح (٢٥) أن يطبخ للقاهال فأنتم احترزوا على انفسكم وعلى (٢٦) دينكم فأى من كان نحساً أبعدوه (٢٧) لا تكلموه ولا تتعاملوا معه لأن من يكون شريراً (٢٨) لا يجوز القرب منـه ويجب البعد عنه ، كقول الحق تعالى (٢٩) فى شريعته الطاهرة فى حق داتان وابى رام (٣٠) وابتعدوا عن خيمـة هـؤلاء الاشرار (٣١) واياك من المخالفة فى شيء مما ذكرناه (٣٢) الحـق تعـالى يكون عونكم يعمر دياركم (٣٣) ويجمع شملكم ويجعل العاقبة .. وسلام .

ملحق رقم (٧)

وصية رئيس اليهود .

« وعليه بضم جماعته ، ولم شملهم باستطاعته ، والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد أئمته فى الحكم اذا وضح له بأدلته ، وعقود الأنكحة وخواص ما يعتبر عندهم فيها على الاطلاق ، وما يفتقر فيها الى الرضا من الجانبين فى العقد والطلاق ، وفيمن أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم ، وأوجب عليه الانقياد الى التحكيم ، وما ادعوا فيه التواتر من الاخبار ، والتضافر على العمل به مما لم يوجد فيه نص وأجمعت عليه الأحبار ، والتوجه تلقاء بيت المقدس الى جهة قبلتهم ، ومكان تعبد أهل ملتهم ؛ والعمل فى هذا جميعه بما شرعه موسى الكليم ، والوقوف معه اذا ثبت انه فعل ذاك النبى الكريم ، واقامة حدود التوراة على ما انزل الله من غير تحريف ، ولا تبديل لكلمة بتأويل ولا تصريف ، واتباع ما أعطوا عليه العهد ، وشدوا عليه العقد ، وأبقوا به دماءهم ، ووقوا به دماءهم ، وما كانت تحكم به الأنبياء والربانيون ، ويسلم اليه الاسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون ؛ كل هذا مع الزامه لهم بما يلزمهم من حكم أمثالهم [أهل] الذمة الذين أقروا فى هذه الديار ، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصغار ، ومد رءوسهم بالاذعان لأهل ملة الاسلام ، وعدم مضايقتهم فى الطرق وحيث يحصل الالتباس بهم فى الحمام ، وحمل شعار الذمة الذى جعل لهم جلية العمائم ، وعقد على رءوسهم لحفظهم عقد التمائم ؛ وليعلم أن شعارهم الأصفر ، موجب [لئلا] (١) يراق

دمهم الأحمر ، وأنهم تحت علم علامته آمنون ، وفى دعة أصائله ساكنون ؛ وليأخذهم بتجديد صبغة فى كل حين ، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علائمها على رءوسهم تبين ، وعـــدم التظاهر بمـــا يقتضى المناقضة ، أو يفهم منه المعارضة ، أو يدع فيه غير السيف وهو اذا كلم شديد العارضة ، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحبار فمن دونهم على قدر استحقاقهم ، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتفاقهم ؛ وكذلك له الحديث فى جميع كنائس اليهود المستمرة الى الآن ، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمة ثم ما تأكد بعده بطول الزمان ، من غير تجديد متجدد ، ولا احداث تقدر متزيد ، ولا فعل شىء مما لم تعقد عليه الذمة ، ويقر عليه سلفهم الأول سلف هذه الأمة ، وفى هذا كفاية وتقوى الله وخوفه بأسنا رأس الأمور المهمة » .

وصية رئيس اليهود

عن ابن فضل الله العمرى ، كتاب التعريف بالمصطلح الشريف ،
انظر أيضا
Gottheil, A Cairo Syanagogue Eleventh-century.

ملحق رقم (٨)

وصية رئيس السامرة

« ولا يعجز عن لم شعث طائفته مع قلتهم ، وتأمين سربهم الذى لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم ؛ وليصـــن يحسن السلوك دماءهم التى كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بما طل ، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها الا بالذل ؛ وليعلم أنهم [شعبة] (٢) من اليهود لا يخالفونهم فى أصل المعتقد ، ولا فى شئ يخرج عن قواعد دينهم لمن انتقد ، ولولا هذا لما عدوا فى أهل الكتاب ، ولا قنع منهم الا بالاسلام أو ضرب الرقاب ؛ فليبن على هذا الأساس ، ولينبئ قومه أنهم منهم وانما الناس أجناس ، وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه الا بأن يقول لا مساس ؛ واذا كان كما يقول : انه كهارون عليه السلام فليلتزم الجدد ، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد ، وليتمسك بالموسوية من غير تبديل ، ولا تحريف فى كلمة ولا تأويل ؛ وليحص عمله فانه عليه مسطور ، وليقف عند حده ولا يتعد طوره فى الطور ؛ وليحكم فى طائفته وفى انكحتهم ومواريثهم وكنائسهم القديمـــة المعقـــود [عليها] بما هو فى عقد دينه ، وسبب لتوطيد قواعده فى هذه الرتبة التى بلغها وتوطينه » .

وصية رئيس السامرة

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، انظر أيضاً

Gottheil, A Cairo Synagogue Eleventh-century.

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٩)

من العربية اليهودية الى العربية (*)

(١) يعلم المجلس السامى عظم الله مجده أننا (٢) مضينا الى خدمة المولى فخر القضاة(١) (٣) دام ظله واجتمعنا به فى دار (٤) الامارة وانعم فى حقنا بما (٥) لا يمكن وصفه وكتب (٦) كتاب الى مولانا السلطان الملك (٧) الناصر(٢) عز نصره (٨) وأنعم فيه ... فى (٩) حقنا انعاماً عظيماً ... (١٠) ما قال انه غلام(٣) مولانا (١١) فى الكلام وقال يرغب .

الصفحة الثانية

(١) ومن جملة ما قاله للسلطان (٢) فى الكتاب « انت تعلم محبته (٣) من قديم واخلاصه فى حق مولانا (٤) وانت أخبر به

(★) وثيقة تقرير عن بذل مجهود فى بلاط السلطان المملوكى ، ترجع الى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كتبت بالعربية اليهودية عن أشتور :

Histoty of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 63, 64.

(١) هو فخر الدين ابراهيم بن لقمان .

(٢) هو الناصر محمد بن قلاوون .

(٣) الغلام ، الخادم .

عنى (٥) فقلت له ايش يكتب الا هو (٦) تفضل وكتب والمولى ..
(٧) باتم سلام (٨) الى المولى الناجيد تعظم مجده (٩) والى رابى
(معلمنا) حننائيل تعظم مجده وكلكم مخدومين (مماليـــك) الى
السيد الصديق الامام فى الصلاة وهذه قارورة من العطور ولهـــا
حلقتين وهى قارورة من عطر جميل وثمنه يخبى منه وزن مثقال
سيروا الى النفيس حتى يروح يأخذه .

ملحق رقم (١٠)

يمين اليهود

« اننى والله والله العظيم ، القديم الأزلى الفرد الصمد، القديم الواحد الأحد ، المدرك المهلك ، باعث موسى بالحق ، وشاد عضده وأزره بأخيه هارون ، وحق التوراة المكرمة وما فيها وما تضمنته ، وحق العشر كلمات التى أنزلت على موسى فى الصحف الجوهر ، وما حوته قبة الزمان ، والا تعبدت فرعون وهامان ، وبرئت من اسرائيل (١) ، ودنت بدين النصرانية ، وصدقت مريم فى دعواها ، وبرأت يوسف النجار ، وأنكرت الخطاب ، وتعمدت الطور بالقاذورات ، ورميت الصخرة بالنجاسة ، وشركت بخت نصر (٢) فى هدم بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل ، والقيت العذرة على مظان الأسفار ، وكنت ممن شرب [من] النهر ومال الى جالوت ، وفارقت شيعة طالوت ، وانكرت الأنبياء ، وذللت على دانيال ، وأعلمت جبار مصر بمكان ارمياء وكنت مع البغى والفواجر يوم يحيى ، وقلت : ان النار المضيئة من شجرة العوسج نـار افك ، وأخذت الطرق على مدين ، وقلت بالعظائم فى بنات شعيب، وأجلبت مع السحرة على موسى ، ثم برئت ممن آمن منهم ، وكنت مع من قال : اللحاق [اللحاق] لندرك من فر ، وأشرت بتخليف تابوت يوسف فى مصر ، وسلمت الى السامرى ، ونزلت أريحـا مدينة الجبارين ، ورضيت بفعل سكنة سدوم ، وخالفت أحكام التوراة ، واستبحت السبت وعدوت فيه ، وقلـت ان المضلـة ضلال ، وان الحنكة محال ، وقلت بالبذاءة على الله فى الأحكام ،

وأجزت نسخ الشرائع ، واعتقدت أن عيسى بن مـــريم المسيح الموعود به على لسان موسى بن عمران ، وأنتقلت عن اليهودية الى سواها من الأديان ، وأستبحت لحم الجمل والشحم والحوايا وما أختلط بعظم ، وتأولت أن أكل ثمنه غير أكله (١) ، وقلـــت مقالة أهل بابل فى ابراهيم ، والا أكون محرما حرمة تجمع عليهـــا الاحبار ، وتقلب عليها حصر الكنائس ، ورددت الى التيـــه ، وحرمت المن والسلو ، وبرئت من كل الاسباط ، وقعدت عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط » .

يمين اليهـــود

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ؛ وانظر أيضاً

Gottheil, A Cairo synagogue Eleventh-cenury.

ملحق رقم (١١)

يمين السامرة

وهى على نحو من يمين اليهود ، لأنهم منهم ؛ وقد قال العلماء ؛ « ان وافقت أصولهم اصول اليهود اقروا [بالجزية](٣) والا فلا » . وقد خرجت لهم نسخة يمين تفردهم لموضع خلافهم لفرق اليهود وهى :

« اقول وأنا فلان ، اننى والله والله العظيم ، البارىء ، القادر ، القاهر ، القديم ، الأزلى ، رب موسى وهارون ، منزل التوراة والألواح الجوهر ، منقذ بنى اسرائيل ، وناصب الطور قبلة للمتعبدين ، والا كفرت بما فى التوراة ، وبرئت من نبوة موسى ، وقلت بأن الامامة فى غير بنى هارون ، ودكيت الطور ، وقلعت بيدى اثر البيت المعمور ، واستبحت حرمة السبت ، وقلت بالتأويل فى الدين ، واقررت بصحة توراة اليهود ، وانكرت القول بان لا مساس (٤) ، ولم أتجنب شيئا من الذبائح ، وأكلت الجدى بلبن امه ، وسعيت فى الخروج الى الأرض المحظور على سكنها ، واتيت النساء الحيض زمان الطمث مستبيحا لهن ، وبت معهن فى المضاجع ، وكنت أول كافر بخلافة هارون ، وانفت منها أن تكون » .

يمين السامرة

عن ابن فضل الله العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف انظر ايضاً ،
Gottheil, A Cairo Synagogue Eleventh Century.

ترجمة اتفاق الخطوبة بالملحق رقم (١٢) (*)

(١) نقول نحن الشهود الواضعين خطوطنا آخر هذا المسطور أن لما كان يوم (٢) الأربعاء ثالث يوم من شهر تشرى عام ١٣١٥ م حسب التقويم فى مدينة منية غمر (٣) التى هى على نهر النيل حيث مكان سلطة سيدنا وعظيمنا المبجل بيننا وموطن مجدنا وموئل (٤) فخرنا وتاج رءوسنا ، ونور جفوننا الذى هو الغالى على نفوسنا وحامل .

(٥) اسم الرب فى وسطنا وهو زعيم جيالنا من الراكبين أو المشاه هو نفسنا وهو تاجنا افراهام الرب مشرق الطلعة (٦) وهو ايضا الباطش العظيم حامل لواء الربانيين وهو الذى يحمل مجد كل أولى الفطنه وهو الذى يتزعم كل الزعماء وهو رئيس الناجيدين .

(٧) هو السخى بين الاثرياء وعظيم اليهود وهو بمثابة الاب فى كل امر عظيم وهو اسد التوراة الذى هو نسل الأقوياء (٨) وهو حامل المجد وهو شعلة الجمارا وهو رئيس أكاديمية التوراة وهو فى كل طرق الزمان هو الراعى الأمين .

(★) أتفاق خطوبة يرجع الى عام ٧١٥ هـ / ١٢١٥ م كتب بالآرامية والعبرية ومن بداية سطر ١٠ بالعبرية ، عن أشتور .

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 74-75.

(٩) هو أمير للشعب لا يصمد ، فليكن اسمه أبديا وهو كالقمر قائم الى الأزل يخدم الإله ويقوم على (١٠) تمجيده وليكن محبيه كما تشرق الشمس فى عظمته وقد حضرت الناس عندنا نحن الذين نوقع .

(١١) ادناه رشيده بنت السيد اسحق امام الصلاة بنت السيدة شثيرت (شاريت) فلتكن روحها فى جنة عدن وهى السيدة الصالحة .

(١٢) الصديقة المتواضعة قالت لنا أشهدوا على واشتروا منى الآن وانا لا مقهوره .

(١٣) ولا مجبوره ولا مريضه ولا ... الا بقلب سليم وبعقل سليم اننى قد ارتضيت (١٤) بهذا الزواج من السيد يسحاق بن موشى ر .[ؤبين] رحمه الرب واسكنه فسيح جنته ان يكون زوجى وأوصلنا عشرة دنانير (١٥) [مقدم] ويكون لى عليه مؤخر ثلاثون ديناراً صرف كل دينار عشر (١٦) درهم نقره (*) درهم نقره وان يكون سكنى بيدى وارتضا السيد يسحاق المذكور (١٧) آنفا بما نسب اليه وان يسير معها مثل بنى اسرائيل مع بنات اسرائيل حسب الشريعة (التوراة) .

(١٨) وحسب (النهالاخاه) وان رشيده العروس المذكورة أعلاه تعد سبعة أيام كاملة (١٩) وتقوم بالغطاس (الاستحمام) فى مياه الحمام الشرعى وانها تربى ولد العريس المذكور موسى (٢٠) مدة عشر سنين وتقوم بجميع ضرورياتها ثم ان العريس السيد اسحاق (٢١) المذكور آنفا اقتنى منه (التزام) أن يكون السيد

(*) الدرهم النقرة ، الفضة الخالصة .

ابراهام المصلى بالمصلحين فى المعبد (يهودا) المرحــوم فى تسليم (٢٢) قيمة الشبكة وان يكون يده بيده وحكمه لحكمه (العريس) ثم أن رشيده العروس (٢٣) المذكور أعلاه التزمت (أو وكلت) ان يكون رشيده الذى يقوم بالصلاة بالجمهور أخوها وهو ابــن السيد اسحق (٢٤) وكلها فى قبض الشبكة التى لها وجعلت يده كأنها يدها وحكمه كحكمها (٢٥) وحينئذ أخذنا من أيديهم قنيان (التزام) كامل ونهائى بلفظة من الآن بكل وسيلة مرضية عنهـــا شرعا من التزام (٢٦) برغبتهما بلا ضغط ابدا مما قد يبطل العقد وكلاهما عارف بالشروط على كل ما كتب (٢٧) وكل ما هو مفسر فيما هو مدون أعلاه مما هو مدون بين أسطر الوثيقة بشكل صحيح وذلك هو ما ينفذونه وما كان (٢٨) اما ما كتبناه ووقعنا عليه ليكون ذلك حجه وبرهاناً وكل ذلك واضح وصريح وقد قام بالاشراف عليه .

(افنير اللاوى) المعلم
ابن موشى اللاوى
رحمه الله

اليعازر بن خلفون
رحمه الله

ملحق رقم (١٣)

عثر فى وثائق الجنيزة على وثيقة زواج لا تتضـــمن اسم العريس او العروس بالكامل ، وبعد فحص الوثيقة تبين أن اسم العريس هو « يشوعاه بن داود » واسم العروس « شفيع بنت اسحق هاكوهين » وفى تلك الوثيقة ذكر فى جانبها اسم رابى داود الناجيد بن رابى ابراهام .

(★) وثيقة زواج ترجع الى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م كتبت باللغة العبرية والارامية عن أشتور .

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 62, 63.

ونقلها الى العربية .

ملحق رقم (١٤)

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٤) (*)

يرجع تاريخ هذه الوثيقة الى عام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م نجد قائمة بما قدمه الزوج اليعـــازر بن رابى يشوعـــا الى زوجته شميسه بنت يعقوب .

(١٢) وهذه هى القائمة لما سلمته أولا خلخال بفصوص زرقـــاء ولولى رقيق تريمسات عنبر .

(١٣) بأربعة دنانير مشعل مطلى وملعقة فضة بدينار ، وحد سير ذهب اهوازى وسلستين بفصوص .

(١٤) وأطراف ذهب مرقوم بسته دنانير قجيجه حريرى اسكندرى مقصور بخمسة دنانير .

(١٥) ثلاثة دنانير توبين بيض أحدهم برعوس اخماس مذهبـــه بأربعة دنانير .

(١٦) قجيجة نتر بأسود بـ (؟) دنانير قجيجة معتقه باثنين دينار بغلطاق .

(★) وثيقة زواج ترجع الى عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م ، كتبت بالارامية والعربية اليهودية وقد اعتمدنا على الجزء العربى اليهودى من سطر ١٢ الى سطر ٢٠ عن اشتور .

History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 67, 68.

(١٧) اثنين دينار نقاب (١) ... بحاشيه سودا باثنين دينار بدن أبيض بحاشيه .

(١٨) يه . حمرا وفرخ . — (ذ) هب بأربعة دنانير ،٠ازار بأربعة دنانير .

(١٩) ملحفة ..

(٢٠) لحاف وطراحة ستة دنانير . خلخلين مطرزين ومنشفة باثين صندوقى وفى النهاية ينبغى أن نذكر أنه فى هذه الوثيقة أيضا يوجد شرط بخصوص اجراء الحمام الطقسى حسب الشريعة اليهودية من أجل التطهير من الحيض .

ملحق رقم (١٥)

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٥) (*)

(١) نقول نحن الشهود الواضعين خطوطنا اخره ان لما كان في اليوم الخامس .

(٢) وعشرين من شهر تشرى سنة ١٦٠٧ طبقاً للتقويم اليهودى (**) .

(٣) الذى درجنا عليه هكذا فى فسطاط مصر التى على نهر النيل حيث تستقر حضرت .

(٤) الينا موقعة ابنة ارميا اللاوى المذكورة فى داخل هذه الوثيقة ونفذ منها بيعة كامله .

(★) وثيقة تنازل عن عقد زواج ترجع الى مدينة الفسطاط عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م كتبت المقدمة بالعربية اليهودية أما باقى النص فكتب بالآرامية متدخلا مع العربية اليهودية عن أشتور :
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 66, 67.

(★★) التقويم اليهودى · التقويم العبرى معقد للغاية ، فيجعل نقطة بدايته لحظة كونية لا تاريخية هى خلق العالم ، وقد حدد حاخامات اليهود تاريخ بدء الخليقة على أساس التواريخ التوراتية بعام ٣٧٦٠ قبل الميلاد ، وحسب تقويمهم يصبح عام ١٩٧٤ م هى سنة ٥٧٣٤ يهودية (مجموع ٣٧٦٠ + ١٩٧٤) ويمكن التوصل للسنة اليهودية باضافة تاريخ خلق الكون الى التاريخ الميلادى انظر : المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، ص ١٣٩ .

(٥) كالها لاخاه أنه أبرت زوجها الشيخ ابراهام الكاهـــن ابن الشيخ رشيد .

(٦) من المؤخر المذكور باطنها ومن المهر ومن سائر الحقوق والدعاوى . .

(٧) ومن كل ما تدعى به النساء على الرجال ومن سائر .

(٨) الايمانات والحرمات وما يتبع ذلك من الازل وحتى الآن ونفذ منها القنيان على جميع .

(٩) ذلك بما هو صالح لأن تتصرف فيه بكلمة منذ الآن وذلك وفقا لما أبطله كل الحاضرين المبطلين .

(١٠) وبكل الشروط ذلك حسب رغبتهـــا بدون أى قهـــر وأصبح ذلك كله واضحا وقائما ومعدا .

الشاهـــــد

سعديا بن يهوذا

رحمه الله

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٦)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

ب ى ع (١) ، ع م ى (٢) ، ع ش و (٣)

(١) لما كان بتاريخ يوم الأربعاء .

(٢) ثامن عشر من شهر سيفان عام .

(٣) ١٤٨٢ ، حسب التقويم ..

(٤) الذى اعتدنا عليه فى مدينة .

(٥) القاهرة المجاورة لفسطاط ،

(٦) مصر والتى على نهر النيل .

(٧) حضرنا نحن الواضعين خطوطنا (تواقيع)

(٨) فيه أخيرا ، وأشهدنا على .

(*) وثيقة زواج أخ من ارملة اخيه المتوفى ، ترجع الى عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م ، كتبت بالعبرية اليهودية . عن اشتور :
History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 112, 113.

(١٠) اختصار بعون الله .

(١١) اختصار بمعنى عون من الرب .

(١٢) اختصار لصانع السموات والأرض .

(٩) ك ر (حضرت المبجل) رابى يهوشـــوع بن ك ج ق (حضرت الجاؤون) الذى آتى من نسل الذى نير نظرنا بالنظر اليه .

(١٠) يوسف الناجيد طيب الله سراه والسيده فرج .

(١١) أرملة ك ج ق الذى ينير أعيننا بالنظر اليه شلوموه .

(١٢) طيب الله سراه ، ووقع الاتفاق بينهم انه .

(١٣) ارتضى ان يقيم شريعة اليبوم أى يتزوجها ويقم شريعة الزواج من زوجة أخيه بعد وفاته .

(١٤) وهى أيضا راضية بذلك ، ووقع الشرط .

(١٥) بينهم انه يسوى بين الزوجتين ، ليله .

(١٦) للزوجة الأولى وليلة للزوجة الثانية ، وكذلك المدة التى

(١٧) يقيم فيها فى دموه عندما يحضر .

(١٨) يقيم عندها نظيرهم .

(١٩) وما يقوم عند زوجته الأولى الا يومين .

(٢٠) فى الجمعة فى هذه المدة ، وانها ارضت فى الكسوة الماضية

الصفحة الثانية :

(١) بخمسة عشر اشرفى ونصف .

(٢) ولم يتأخر لها فى ذمة

(٣) المنتقل شىء قل ولا جل

(٤) غير المؤجر بشرط ان يحصل

(٥) اليوم وانهم يكونوا على قلب واحد

(٦) وبنفس راضية ومتى خرج

(٧) أحد عن الشروط المذكورة يكون .

(٨) ملتزم بعشرة اشرفى وكان

(٩) ذلك منهم بعقد متفق عليه .

(١٠) بما هو متعارف عليه ، ليقيم كل منهم أن يلتزم بما جاء فى العقد .

(١١) من الآن برضائهما بدون قهر وقع على أى منهما وذلك هو العرف العام ،

(١٢) ومن انتهج ما قد كتب به القلم .

(١٣) يكون ملتزماً بعشرة دنانير أشرفية (*) .

(١٤) وكل ذلك وقع بالحق .

(★) دنانير أشرفية ، نسبة الى الدنانير التى أصدرها السلطان الأشرف برسباى .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (٢٧)
من العربية اليهودية الى العربية (*)

اسم المرسل باطنه يحيى يهوده بن جوه

وقت سعيد

(١) التقويم السعيد فى ليلة الاحد ثامن

(٢) يوم شهر طبيت عام ١٤٠١ م حسبب فروق التقويم على

(٣) العريس الشيخ بن الرابى يهودا برشلومو

(٤) فلتكن روحه فى جنة عدن بن الرابى مائير فلتكن روحه فى جنة عدن يديع بن جوا العروس العذراء الرشيد

(٥) التى تدعى دولسا بنت الرابى يسحق فليعش حياة طيبة ابن يوسف

(٦) يديع نعمن

(٧) المقدم المؤخر
٢٠ ٦٤

(★) عقد زواج يرجع الى سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م كتب بالعربية اليهودية .
عن :
Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the freer Collection, pp. 178, 180, 182.

(٨) المصاغ زينة يد العروس على العريس وكسوتها عليه والشقا

(٩) تحت يد العريس الندونيا (بائنه العروس)
خاتم ذهب وهو ملك ...

(١٠) رداء (فستان) واملاك وثياب ذهب بطراطير وثياب ذهب من كشمير

(١١) لولو ورقاص ذهب زيق ذهب بزاوية ثلاث ازواج اساور

(١٢) فضة واحد مطلية خمس خواتم فضة بفصوص أحدهم بفص ساذج يساوى

(١٣) ٤ دنانير وخاتم عقيق و ٤ سلاسل وحلق عاج

(١٤) منديل سكندرى بقصب (٤)

(١٥) نصف منديل بقصب نصفين منديلين سكندرى ..
منديل (٤) الأول (٢) مرسى بجبة حرير

(١٦) بعشرين الأول بنصف فضة بحق قصب وسمله هرمزى بنصف فضه سلطانى

(١٧) بعشرين الأول بنصف فضة بحق قصب منديل هرمزى بنصف فضة بقصب ومرتعش (نوع من الثياب)

(١٨) بخنق هرمزى دم الغزال بـ ٨ دنانير

(١٩) اسطنبولى بخناق هرمزى بـ ٨ اسطنبولى
رفقين وشدود (٣) (٤) وطرح وعصايب

(٢٠) زعبوط مغربى (٥) زعابيط وغطا قناديل وغير ذلك عدا
(٣) (١٠) (١٠) الثمين

(٢١) كاملية كامكه بلدى أزرق وكاملية كمكه أخضر
(٥) (٥)

(٢٢) قشر بادى ابيارى غوبه دم الغزال سايه
جوخ قرمزى (٤)

الوجه الثانى من الصفحة

(١) ستارة بيض بحواشى حرير دائر قصص
... (٣) بحواشى حرير

(٢) ملايتين بيض ومنديل أبيض (٢)
(٤)

(٣) وخده سفارى بيض

(٤) وتم زفافهما فى ليلة الخميس ثانى عشر يوم من شهر تاريخه الشاهد الثانى

(٦) والكتوباه (عقد زواج) أخذها صموئيل كرابيلس (طرابلس) فليذكر بالخير

(٧) الحاشر ليوصلها لوالد العروس .

ترجمة الوثيقة بالملحق رقم (١٨) (*)

يهوده مغربى « هشبويه استير » (١) .

فى وقت سعيد (ملىء بالبهجة)

(١) بتاريخ يوم الأحد ثامن يوم من شهر طبت

(٢) سنة (١٥١١ م) حسب الفروق فى التقويم حصل موافقة من

(٣) يهوده بريعقوب براهرون وبين العروس هكله

(٤) هشبويه (الاسيرة) المدعوة استير بنت لاب موشى

(٥) يذكر بالخير هو ابن الحاخام يعقوب يديع كحلى

(٦) المقدم وهو « فكاكها » و ... المؤخر

٥٠ ١٨٠

(٧) زينه يد العروس للعريس وكسوتهما ملية

(٨) والشقة ملك العريس

(٩) والارث طبقا لشريعة التوراة

(★) عقد زواج يرجع الى سنة ٩١٧هـ/١٥١١م كتب بالعربية اليهودية .

(١) الأسيرة . Gottheil, Fragments from the Cairo Genizah in the Freer Collection, pp. 182, 184, 186, 188.

(١٠) أن الزوج يرث زوجته

(١١) وان معاذ الله (لا قدر الله) يموت الزوج ويترك ابناء منها

(١٢) لا تطول من الكتوفاه الا مائة فرحيه فقط

(١٣) وما سوف يبقى يكون للأبناء وان طلق سوف تأخذ

(١٤) المائة وثمانين الكتوفاه لها كاملة

(١٥) وتم الزفاف فى يوم الجمعة ثالث

(١٦) عشر يوم من شهر تاريخه والكتوفاه

(١٧) أخذها (الحاشر) شموئيل كرابلبس ليوصلها

(١٨) لأهل العروس الشاهد الثانى راب ناثان

ليحى سقالين قمر

الوجه الأول من الصفحة

	دهب	فضة
(١) كامليه حمره	٤	(١٧)
(٢) قميص حرير	٣	(٥)
(٣) تفصيله بلدى	١	(٤)
(٤)كاس ١١ ذراع		(٢٤)
(٥) منديل بلدى		(٢١)
(٦) شدين شعر		(٢٣)
(٧) بخنق شامى حريرى		(٤٥)
(٨) شعرية		(٧)
(٩) مئزر		(٦)
(١٠) منشفة		(٥)
(١١) نصف منديل		(٤½)
(١٢) كامليه سكندرى	٤	(٢)
(١٣) بخنق هرمزى أخضر		(٤٣)
(١٤) بخنق أزرق		(٣٨)
(١٥) أربع اذرع هرمزى أصفر		(٢٨)
(١٦) نصف ذراع هرمزى أسود		(٣)
(١٧) منديل بلدى		(١٠)
(١٨) نقاب بلدى		(١٢)
(١٩) شد اصفر		(٧½)
(٢٠) خرقه هرمزى		(١٣)
(٢١) قبقاب		(٥½)
(٢٢) عصايب واقراص ورق		(٢)
(٢٣) مركوب		(٧)

الوجه الثانى من الصفحة　　　　　　فضة

(١) حلاو وغيرها　　　　　　(٣٠)

(٢) ما ورد وجاوى وزبده　　　　　　(٢٣)

(٣) زوجا زنجين اساور فضة

(٤) خاتمين ذهب

(٥) خاتمين فضة

(٦) شرفى ذهب

(٧) جملة الحوائج　　فضة

(٨) مع الاشرفى وال ...

(٩) الخواتم

(١٠)　　　٣٥ اشرفى

(١١) ثم ان اسحق زوج أم العروس تسلم

(١٢) جميع ما فى القائمة على سبيل الودائع

(١٣) للعروس وانه يوصلهم للعريس يحيى فى ليلة

(١٤) الزفاف على عيد الفصح الزم الزفاف

(١٥) على العريس يعيش انه من يوم تاريخه الى ليلة الزفاف

(١٦) يمون العروس

(١٧) العريس يحيى بن نسيم فلتكن روحه فى جنة عدن بن منحم يديع

(١٨) حنون العروس الصبيه ذات السادس عشرة سنة

(١٩) المدعو قمر بنت معشه وزينة يد العروس على الزوج

(٢٠) وكسوتها عليه والشقة تحت يد العريس

(٢١) المقدم والمؤخر

٣٥ ٥٥ بيد العريس

بالقاهرة

وكان ذلك جميعه فى بيت أب هدين القاضى بن سموال طيب الله سراه وبحضور يوسف الكاتب السنوقيز وبعض عشر القهل بعشر مقبوض ليلة الأحد بسابع شهر كيسلو عام ١٥١١ م مع فروقة التقويم

الشاهد الثانى

رابى ناثان

فليذكر بالخير فضل فريحه

موسى نقوب

الوجه الآخر من الصفحة

ولما تراضوا على ذلك جميعه حكم لها من الخطبة الثامنة فى ليلة الاثنين ثانى يوم من شهر طيبت سنة تاريخه

الشاهد الثانى فى الخطبة التامة أيضا

رابى ناثان فليذكر بالخير

(هامش الصفحة الثانى)

بالتاريخ ليلة الجمعة ثانى عشرين شهر كسلو عام ١١٥١م مع فروق التقويم .

ترجمة بقايا عقد زواج بالملحق رقم (١٩) (*)

(٤) فى أرض مصر فى هذا الزمان وهـذه هى البائنه التى أعطيتها لها فى بيت أبيها شملا ذهب ولولى بـ ٦٠ دينارا .

(٥) دنانير خاتم ذهب بفص فيروز باثنين دينار . وخاتم ذهب به فص عقيق

(٦) بخمسة دنانير ، سلسلة عقيق مع ذهب وجواهر دينارين ، زوج سلاسل لولى مذهبه وعقيق أربعة دنانير .

(٧) عقيق بعشرة دنانير حلق بخمسة أزواج ، حلق ... بستة دنانير ، حلق فضه بينناء دينار واحد

(٨) بغطاء وعقود وملعقة ووزن ذلك بمائتى درهم ... عشرين ديناراً حد عنبر

(٩) بحليه خمسة دنانير ... بحليه خمسة دنانير ، فوطه عمامه دينار ، حد تحيجة خمسة (

(١٠) أربعة دنانير تجيجة ، تجيجة بندقى أربعة دنانير ، تجيجة بندقى أيضا ...

(*) بقايا عقد زواج كتب بالعبرية اليهودية يرجح بأنه يرجع الى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . عن ... History of the Jews, III, Fragments from the Cairo Genizah, pp. 72, 73.

الفهـــــرس

صدر في هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ـ علي ماهــر .
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة :
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ـ التيارات الفكرية في مصر المعاصرة .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى .
علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ .
لمعي المطيعي ، ١٩٨٧

٧ ـ صلاح الدين الأيوبي .
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ـ رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية .
د. علي بركات ، ١٩٨٧

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية .
محمود فوزي ، ١٩٨٧

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية .
شكري القاضي ، ١٩٨٧

١٢ ـ هدى شعراوي وعصر التنوير .
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ٠
د٠ عبد العظيم رمضان ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
١٤ ـ مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيسام الدولة الطولونيــة ٠
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامي ٠
د٠ على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) ٠
د٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ٠
د٠ محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د٠ على السيد محمود ، ١٩٨٨
١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ٠
د٠ أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
٢٠ ـ دراسـات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسـلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ٠
د٠ محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثماني ، ج ١ ٠
د٠ توفيق الطويل ، ١٩٨٨
٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر ٠
جمال بدوى ، ١٩٨٨
٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، أمام التصوف فى مصر : الشعرانى ٠
د٠ توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،**
د ٠ نجوى كامل ، ١٩٨٩
٢٥ ـ **المجتمع الاسـلامي والغرب**
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د ٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
٢٦ ـ **تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،**
د ٠ سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩ .
٢٧ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ١ ،**
تأليف : ألفريد ج ٠ بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٨ ـ **فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،**
تأليف : ألفريد ج ٠ بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٩ ـ **مصر فى عصر الاخشيديين ،**
د ٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
٣٠ ـ **الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،**
د ٠ حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩
٣١ ـ **خمسون شخصية مصرية وشخصية ،**
شـــكرى القاضى ، ١٩٨٩
٣٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،**
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
٣٣ ـ **مصر وقضايا الجنـوب الأفريقى : نظرة على الأوضـــاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،**
د ٠ خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
٣٤ ـ **تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،**
د ٠ يونان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

٣٥ ـ **اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

٣٦ ـ **المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،**
تاليف : هاملتون بوورين : ترجمة : د • أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن ،**
د • سليمان صالح ، ١٩٩٠

٣٨ ـ **فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،**
د • عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠

٣٩ ـ **قصة احتـــلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) ،**
د • جميل عبيد ، ١٩٩٠

٤٠ ـ **الأسلحة الفاســدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،**
د • عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠

٤١ ـ **محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،**
د • رفعت السعيد ، ١٩٩١

٤٢ ـ **تكوين مصر عبر العصــور ،**
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

٤٣ ـ **رحلة في عقول مصرية ،**
إبراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠

٤٤ ـ **الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثمانى ،**
د • محمــد عفيفي ، ١٩٩١

٤٥ ـ **الحروب الصليبية ، ج ١ ،**
تاليف : ولم الصــورى ، ترجمة وتقديم : د • حسن حبشي ، ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧ ،**
ترجمة : د • عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث ،**
د • لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسـلامى :**
د • زبيدة عطا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د • سهير اسكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقـافة ، فى ابريـل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر ،**
د • الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د • محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د • محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية ج ٢ ،**
تاليف : وليم الصورى ، ترجمـة وتعليق : د • حسن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمـد على : دراسـة عن اقليم المنوفيـة ،**
د • حلمى أحمد شلبى : ١٩٩٢

٥٧ ـ مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د • سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢ •
٥٨ ـ أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د • ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) ،
د • عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٣
٦١ ـ تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د • عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ٣ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٩٣
٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د • سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د• عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ •
٦٤ ـ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة وثائقية ،
د • محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)
سهام نصار ، ١٩٩٣
٦٦ ـ المرأة في مصر في العصر الفاطمي
د • نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
٦٧ ـ مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر : د · عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٣ ،**
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د · حسن حبشي ، ١٩٩٣

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) ،**
د · محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ـ **أهل الذمة في الاسلام ،**
تأليف : أ· س· ترتون ، ترجمة وتعليق : د· حسن حبشي ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ـ **مذكرات اللورد كلرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د · عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) ،**
أمينة أحمد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ـ **تاريخ جامعة القاهرة ،**
د · رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني**
د · سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ـ **أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،**
د · سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى في النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطاني) ،**
د · سعيد اسماعيل على ١٩٩٥

٧٧ ـ **الحروب الصليبية ، ج ٤ ،**
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى ، ١٩٩٤

٧٨ ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) ،**
نعمات أحمد عتمان ، ١٩٩٥

٧٩ ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر ، فى القرن التاسع عشر ،**
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ـ **قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) ،**
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ـ **تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،**
د . رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ **مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،**
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ١ ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .

٨٤ ـ **مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،**
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ـ **تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،**
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥

٨٦ ـ **تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،**
د . أحمد الشربينى ، ١٩٩٥

٨٧ ـ **مذكرات اللورد كلين ، ج ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،**
اعداد : تريفور ايڤانز ، ترجمة وتحقيق : د • عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ـ **التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،**
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ـ **تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،**
د • عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ـ **معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،**
د • نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ـ **تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،**
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ـ **الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ج ٢ ،**
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ـ **قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،**
د • نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،**
د • سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ **مصر وأفريقيا •• الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د • عبد العظيم رمضان

٩٦ - **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ·**
تأليف : مالكولوم كير ، ترجمة : د · عبد الرؤوف أحمد عمرو

٩٧ - **العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د · ايمان محمد عبد المنعم عامر

٩٨ - **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د · محمد سيد محمد

٩٩ - **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني - الروماني) ج ٢ ،**
د · سمير يحيى الجمال

١٠٠ - **موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ· د· عبد العزيز صالح ، أ· د· جمال مختار ،
أ· د· محمد ابراهيم بكر ، أ· د· ابراهيم نصحي ،
أ· د· فاروق القاضي ، أعدها للنشر : أ· د · عبد العظيم رمضان

١٠١ - **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء / عبد الحميد كفافي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - **المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢،**
د · تيسير أبو عرجة

١٠٣ - **رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره ،**
د · علي بركات

١٠٤ - **تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،**
د · فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ **السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ١٩٨٧) ،**
د · أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ **الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،**
د · سليمان صالح

١٠٧ ـ **الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،**
تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال

١٠٨ ـ **مصر للمصريين ، ج ٤ ،**
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ **مصر للمصريين ، ج ٥ ،**
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ **مصادر الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،**
د · البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ **مصادر الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ٢ ،**
د · البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ **اسماعيل باشا صدقى ،**
د · محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ **الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**
د · اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،**
أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشـــا

١١٦ ـ أديب أسحق (عاشق الحرية) ،
عـلاء الدين وحيـد

١١٧ ـ تاريخ القضـاء في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د • البيومى اسماعيل

١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية ،
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د • محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين ج ٦
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمـــد البدوى •
د • سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن
د • محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين ج ٧
سليم خليـــل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين ج ٨
ســليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
١٢٨ ـ معارك صحفية
جمال بدوى
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره فى تطور الاقتصاد المصرى)
(١٨٧٦ ـ ١٩٤٣)
د • يحيى محمد محمود
١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)
سمير فريد
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)
تأليف جايل ماير ، ترجمة عبد الرءوف أحمد عمر
١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١ ،
د • ماجدة محمد حمود
١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢ (١٩١٤ ـ ١٩٢٤)
د. ماجده محمد حمد
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى
مخطوطة « ضيا نامة » للدار ندلى •
بقلم/ عزت حسن افندى الدار ندلى •
ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى •
١٣٥ ـ اليهود في مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ /١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) •
د • محاسن محمد الوقاد •

هذا الكتاب ينقسم إلى أربعة أبواب يسبقها مدخل عن اليهود فى مصر الإسلامية قبل عصر المماليك، وفى الباب الأول تناول مكانة اليهود فى الدولة المملوكية. فتناول علاقتهم بالطبقة الحاكمة، ووظائفهم فى الدولة، وتعرض لمدى التزامهم بشروط عمر بن الخطاب. أما الباب الثانى فيتناول أحوال اليهود الاقتصادية وفيه تتحدث المؤلفة عن حرف وصناعات اليهود، ونشاطهم التجارى. أما الباب الثالث فيتناول المجتمع اليهودى وتقسيماته الطائفية، وزعاماته الدينية. وتستكمل المؤلفة ذلك فى الباب الرابع، الذى تتناول فيه الحياة الأسرية لليهود، وأعيادهم واحتفالاتهم.





٥٠٠ قرش

مطابع الهيئة